al-Muarrikh al-Misri

X-20

المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد التاسع عشر يناير ١٩٩٨

محتوى العـــدد

جامعة القاهرة

كلية الآداب

يصدرها قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

العدد التاسع عشر

يناير ١٩٩٨

أولاً : البحوث والدراسات :

ثانيًا : دليل الرسائل الجامعية وكشاف البحوث والمراجعات وعرض الكتب المنشورة في المؤرخ المصري .

قواعد النشر

• ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصيلية ذات المستوى الأكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلاً عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

• تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن ٣٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق حجم كوارتر بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع .

• المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثًا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم .

• تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق القبول أو رفض الأبحاث أيا كان قرار هيئة التحكيم .

• النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية .

• الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها .

المؤرخ المصرى

العدد التاسع عشر — يناير ١٩٩٨

المراسـلات :

ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور/ **حامد زيان غانم** رئيس التحرير على العنوان التالى :

كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ)

بريد الأورمان – محافظة الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

منذ عشر سنوات مضت وجد قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة القاهرة - أن الحاجة ماسة لإصدار دورية تعنى بنشر البحوث والدراسات التاريخية ، حيث ضاقت - حينئذ - سبل النشر أمام الباحثين فلم يكن هناك سوى عدد محدود من المجلات العلمية المهتمة بنشر البحوث التاريخية .

ولذلك فكر أعضاء مجلس قسم التاريخ فى إصدار دورية المؤرخ المصرى لتكون نافذة لنشر البحوث والدراسات التاريخية المبتكرة المحكمة ، ليس فقط لأعضاء قسم التاريخ وإنما لكل المتخصصين فى الدراسات التاريخية من مختلف الجامعات المصرية والعربية . وقد عملت هيئة التحرير منذ البداية - يقودها الأستاذ الدكتور/ رؤوف عباس أول رئيس تحرير للمؤرخ المصرى يعاونه مدير التحرير الأستاذ الدكتور/ محمود عرفه على بذل الجهد فى إصدار أول عدد من المؤرخ المصرى فى يناير ١٩٨٨م الذى احتوى على عدد من البحوث والدراسات التاريخية ليس فقط لشباب المؤرخين بل أيضًا للشوامخ أمثال الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور والمرحوم الأستاذ الدكتور/ محمد جمال الدين سرور مما زاد من القيمة العلمية للمؤرخ المصرى .

ولما كان النظام الأساسى للمؤرخ المصرى هو أن يتولى رئاسة تحريرها رئيس قسم التاريخ ، لذلك توالى على رئاسة تحريرها عدد من أساتذة قسم التاريخ، كل عمل جاهدًا من أجل تطوير ورفع مستوى المؤرخ المصرى ، حيث تولى كاتب هذه الأسطر رئاسة تحريرها فى الفترة من ١٩٨٨م وحتى عام ١٩٩١م ، كذلك تولى الأستاذ الدكتور/ سيد الناصرى رئاسة تحريرها فى الفترة من ١٩٩١م حتى ١٩٩٧م، ثم تشرفت مرة أخرى برئاسة تحريرها اعتبارًا من أبريل ١٩٩٧م .

ومن الجدير بالذكر أنه نتيجة التعاون العلمى بين كافة القائمين على أمر المؤرخ المصرى وصلت هذه الدورية إلى أعلى مستوى وأصبحت فى مصاف الدوريات الكبرى ، وأخذ يسعى إليها كافة المتخصصين من مختلف الجامعات المصرية والعربية .

وبصدور هذا العدد الذى بين أيدينا يكون قد صدر من المؤرخ المصرى تسعة عشر عددًا احتوت على مجموعة قيمة من البحوث والدراسات التاريخية وعدد من الدراسات الأثرية التى تخدم التاريخ والحضارة ، كذلك احتوت أعداد المؤرخ المصرى على مجموعة من عرض الكتب وملخصات رسائل الدكتوراه والماجستير التى منحها قسم التاريخ خلال هذه الفترة .

وتسهيلاً للباحثين والدارسين اشتمل العدد التاسع عشر بالإضافة إلى البحوث والدراسات التاريخية على عملين علميين غاية فى الأهمية هما : **أولاً** : دليل للرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) التى منحها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة منذ إنشائه وحتى الآن ، كذلك الرسائل التى مازالت مسجلة . **ثانيًا** : كشاف بأسماء البحوث والمقالات التى تم نشرها فى المؤرخ المصرى منذ إصداره .

والمؤرخ المصرى وهو يحتفل فى هذا العدد بمرور عشر سنوات على إصداره، فإنه يعاهد الجميع على المضى قدمًا وبذل المزيد من الجهد والعمل على نشر المعرفة التاريخية خدمة للعلم والوطن .

والله من وراء القصد .

الجيزة يناير ١٩٩٨م

أ. د. حامد زيان غانم

رئيس تحرير المؤرخ المصرى

البحوث والدراسات

دور الثقافة العربية فى البحر الأبيض المتوسط

"صقلية والأندلس خلال العصور الذهبية للإسلام فى الغرب"

أ. د. جمال عبد الكريم
كلية الأداب - جامعة القاهرة

مقدمة :

البحث والكتابة فى التاريخ الثقافى لبلد ما أو أمة من الأمم لجهد شاق ويحتاج إلى تفكير عميق وإلى موضوعية بناءة. ولابد للمؤرخ أن يضع فى اعتباره عند سرده لهذه الأحداث التاريخية تسجيل وقائعها ونتائجها عنصر الجدية والأمانة فى نقل الأحداث وعرضها كاملة ولا يتأثر فيما يكتبه بغرض مصالح شخصية أو جماعية تربطه وتقيده بالزمان والمكان ورفض الضغوط والتأثيرات الخارجية التى هى بعيدة كل البعد عن مهنته النبيلة سواء كان مؤرخاً أو كاتباً أو باحثاً.

كان للوجود العربى وتأثير الثقافة الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط نتائج مثمرة وايجابية سواء من الناحية التاريخية أو الثقافية أو العلمية. هذا وقد تناول كثير من الباحثين والدراسين المشتغلين فى هذا الحقل لهذا النوع من الدراسات والأبحاث وأثنوا بحق على دورالعرب الثقافى الإسلامى فى أوربا وبصفة خاصة فى المنطقة التى تشمل كل الأندلس وجنوب ايطاليا وفرنسا والبرتغال .

وقد افادتنا البحوث والدراسات التى أجريت فى هذا المجال خلال نصف قرن بمادة وفيرة تتعلق بمصادر تاريخية وعلمية قيمة كماكانت مرجعاً

ومصدراً هاماً لدراسات أخرى جديدة وجيدة ، ساعدتنا فى اثبات صحة هذه المصادر وما يتضمنها، ومدتنا أيضاً بمعلومات وشواهد عن أمجادنا التاريخية القديمة العريقة وعن الدور الثقافى العظيم الذى لعبه الإسلام واسهاماته فى المعرفة العالمية وتأثيره فى حضارة وثقافة البلاد الأوربية الأخرى ذات الصلة بالوجود العربى فى نشر الحضارة الإسلامية .

وتعد المصادر والمراجع فى هذه الدراسات دلالة واضحة على الاهتمام الكبير الذى أولاه المؤرخون والكتاب والمحققون الغربيون للدراسات العربية والإسلامية، التى تتعلق بتاريخ اوربا وبخاصة البحر الأبيض المتوسط الذى يتحدد أكثر فى الأندلس وصقلية باعتبارهما مركزى الاشعاع الحضارى الرئيسى لانتشار الثقافة والحضارة الإسلامية فى الغرب. وقد جاء هذا نتيجة لاتصالهما بالحضارات الأخرى والتراث القديم، ولذلك فقد كان اسهامها إضافة حتمية ومفيدة للثقافات الغربية فى العصور الوسطى وبخاصة عصر النهضة الأوربية .

وقد كان لوجودهذه الثقافة أهميتها القصوى فى عديد من أنظمة وهياكل المعرفة العالمية. وليس هدفنا هنا أن نتعمق فى تحليل التأثير الثقافى الإسلامى فى هذه المنطقة بكل أبعاده وإنما فى اظهار القيم الحقيقية للآثار الثقافية والمعنوية والروحية فى الغرب وخاصة فى منطقة البحر الأبيض .

وقد اشاد كتاب ومؤرخى التاريخ الحديث بدور المسلمين ونفوذهم وتأثيرهم وأثارهم المعنوية والعمرانية والثقافية بفاعلية وبوضوح فى هذه المنطقة ليس فى صقلية والأندلس فقط وإنما أيضاً فى أماكن أخرى من العالم سواء فى الشرق أو فى الغرب أيضاً .

وبفضل هذا التفاعل الثقافى الإسلامى استفادت كل من الأندلس وصقلية

بصفتهما من أهم المعابر الرئيسية لنقل التراث العربى الإسلامى فى أوربا من هذه العلوم والمعارف الإسلامية فى العصور الوسطى باعتبارهما من أهم المراكز الثقافية المؤثرة فى الغرب ، وامتدت إلى مدنهم وساعدت فى نفس الوقت على احكام الاتصال والادراك بين الإسلام والمسيحية ليسود أواصر الود والمحبة بينهما .

ومن المؤكد أن الدراسات البيليوجرافية العديدة والمتنوعة حول هذا الموضوع تؤكد أنه بعد فترة من الزمن خشى نسيان الثقافة الإسلامية ولذلك فقد كثف الاهتمام بدراسة أثرهما فى هذه المناطق وأخذ يزداد، كما أن تأثيرهما أخذ أيضاً يدرس بطريقة أكثر تعمقاً واسهاماً فى كل مرة جعلت هذه الثقافة تنال الاعتراف والتقدير التى تستحقه. وقد ظهرت أثرها فى البحر الأبيض وأثبتت وجودها وحققت نتائج مثمرة وخاصة فى الأندلس وشبه جزيرة ايطاليا وجزرها الأخرى وكذلك جنوب أسبانيا والبرتغال وفرنسا التى تعتبر المنافذ والمعابر الهامة التى نقلت من خلالها شعاع الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى إلى الغرب .

ولا ننسى أنه بالرغم من الصراعات والحروب وشدة التنافس بين الإسلام والمسيحية فى بعض الأحيان فى هذه المناطق، ولم تؤثر على العلاقات الاقتصادية والثقافية لدول الغرب بالإسلام .

أن العلاقات المتبادلة بين اسبانيا الاسلامية والجمهورية البحرية الايطالية يمكن ترجمتها فى المماثلة السريعة لبعض آثار الثقافة الاسلامية وفكرها.. كما أن وجود العرب والبربر ٣٠٠ عام فى صقلية وبخاصة فى جزء كبير من جنوب ايطاليا خلف آثار ثقافية أكثر ايجابية للغاية إذا قورن ببقاء المسلمين بالاندلس لفترة تزيد عن ثمانى قرون من الزمن بل وأكثر. وقد كان هذا نتيجة لمسلك السياسة البناءة الحكيمة الغير مضطهدة التى اتبعتها

الأنظمة السياسية المختلفة للملوك النورمانديين بصقلية كما اشارت المصادر وبخاصة العربية منها .

أن التعايش والتكامل والاندماج الذى تم بين العرب المسلمين مع السكان الاصليين بشبة الجزيرة الايبيرية قد تحول وتبلور واصبح حقيقةاجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية وقد جائت نتيجة لمسلك ذكى وانطلاقاً من سياسة الأمويين العملية والواقعية أيضاً باعتبارهم اصحاب هذه الثقافة الإسلامية فى الاندلس حيث كانوا يتمتعون فى هذا الوقت بمستوى عال فى التعليم والثقافة جعلهم يتفهمون طبيعة شعوب البلاد التى خضعت لحكم العرب والمسلمين، ولذلك لم يقحموا أنفسهم على الإطلاق فى نزاع وصراعات دينية وعرقية مع البلدان الأخرى للدول الواقعة فى حوض البحر الأبيض المتوجه تحت لواء الإسلام .

ولا يغيب علينا أن الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الأيبيرية قد تم وسط ظروف استثنائية، كما لم تكن حروب التوسع والضم مدفوعاً بطموح شخصى أو بمصالح ذاتية ولا من أجل الدمار والهلاك، بل لأسباب روحية ومعنوية وثقافية واقتصادية ضرورية فى هذا الوقت بالذات لتنظيم المجتمع الإسلامى. أما عما يقال بأن العلاقات بين المسيحيين والمسلمين كانت ودية تماماً فى كل اللحظات فهذا مبالغ فيه وغير صحيح ومنطقى ولكنه يمكن أن نقول أنه بالرغم من تفاقم الصراع والحروب الاضطرارية والدفاعية بينهم فإنه فى كثير من الأحيان وفى عديد من المناسبات كان هناك شعور ودى مشترك بينهما يستند إلى الاحترام والإعجاب بالطرف المعارض فى أشد الأزمات وأحرجها .

وقلما نجد فى دراستنا للتاريخ حالة تسامح مثل هذه والتى أدت بدورها إلى أن يتفاهم ويتعايش المسلمين والمسيحيين فى اسبانيا عبر ثمانى قرون من الزمن كل منهما صوب الآخر.. ولكن المؤكد أنه خلال الوجود الإسلامى فى

شبه الجزيرة الايبيرية الذى ساد كل هذه الحقب الزمنية لم تكن كلها حروب أو نهب أو سلب وخراب أو دمار أو مذابح كما صورها بعض المؤرخين والكتاب سواء من العرب أو الأوربيين وأضفوا عليها صفحات تاريخية سوداء بغرض الشهرة والكسب ايضاً مبالغين فى سردهم للأحداث التاريخية، بل العكس فقد ساد تعاون ودى مشترك وبناء لحد كبير فى كافة الميادين فى كل من الأندلس وإيطاليا .

ويؤكد "مونجمرى وات" الكاتب والمؤرخ الإنجليزى أنه عندما كانت اسبانيا ويقصد بها الأندلس وايطالي وبخاصة جزيرة صقلية اللتين كانتا تحت الحكم الإسلامى كان لهم الفضل الكبير فى نقل الحضارة والتراث الإسلامى إلى غرب أوربا ودول البحر المتوسط وتوحيد علاقتهم مع الدول الإسلامية الأخرى والذى نتج عنه بحق قبول الإسلام بطريقة طبيعية وموضوعية .

وفى منتصف القرن الحادى عشر وصلت المعارف الإسلامية إلى أوربا عن طريق نقل التراث القديم وجعلته فى متناول الأوربيين بفضل اثنين من ملوك صقلية "روجر الأول (١١٢٧م-١١٤٥م) وابنه جيرمو الأول (١١٤٥م-١١٦٦م). خلال فترة حكمها قام عالم ومفكر جغرافى من شمال أفريقيا وهو الجغرافى الشهير الإدريسى (١١٠٦م) بإعداد خريطة وصف كامل للعالم الإسلامى وأقاليمه .

العلاقات الثقافية بين صقلية والأندلس :

كان الموقع الجغرافى الفريد لكل من صقلية والأندلس فرصة عظيمة ليؤديا دوراً هاماً فى تاريخ وثقافة هاتين المنطقتين الهامتين بحوض البحر الأبيض المتوسط فى نقل التراث الإسلامى والحضارى إلى أوربا. فقد ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى وساعد على ميلاد الوطن العربى الإسلامى

وانتشر الإسلام والعروبة فى أوربا نتيجة للفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، وكان لذلك اثر كبير على تقليص قوة الفرس والروم، حيث استولى العرب على الشام ومصر اللتين كانتا تحت سيطرة البيزنطيين فى هذا الوقت. وتوالت الانتصارات العربية والإسلامية لنشر الحضارة الإسلامية والعادات والتقاليد العربية فى أوربا وخاصة فى كل من صقلية والأندلس وتركوا فى هذه البلاد آثاراً أدبية وثقافية واجتماعية أثرت فى حياة هذه الشعوب على مدى التاريخ. وكان تاريخ العرب والمسلمين فى هاتين المنطقتين بالذات مشرفاً ومؤثراً على تاريخ وثقافة وحضارة أوربا كلها فى العصور الوسطى، وكانت الحضارة الإسلامية هى الركيزة الأساسية التى ساعدت على ميلاد النهضة وازدهار أوربا .

القوى العربية والنفوذ وتأثيرها فى جزيرة صقلية :

كان الحاكم العربى يحكم صقلية من قبل الأغلبيين فى القيروان حتى سنة ٩٠٩م ، وبعد أن هزم الفاطميون الأغلبيين وقعت صقلية تحت سيطرة وحكم الفاطميين، وبعد أربع سنوات خضع العرب الصقليون تحت سيطرة أحمد بن قرهب ٩١٢م – ٩١٦م ، وبذلك استطاعوا أن يستقلوا عن الفاطميين ويخضعوا للعباسيين، ولكن الفاطميين استطاعوا أن يستعيدوا ويبسطوا سلطانهم على الجزيرة مرة أخرى ، وجعلوها قاعدة عسكرية لهم لحمايتهم وبسط نفوذهم على المدن الإيطالية الواقعة على السواحل الجنوبية مثل جنوة وغيرها وفى سنة ٩٤٨م عين الخليفة المنصور ثالث الفاطميين الحسن بن أبى حسن الكلى ، حاكماً على الجزيرة ليهيمن عليها ويدعم قواعدها العسكرية ويؤمن مستقبله وحكمه . وفى عهده وعهد الأمراء الكلبيين بدأت تظهر براعم الثقافة العربية وكان للوجود العربى الإسلامى فى الجزيرة أهمية بالغة وايجابية .

كانت الكتابات والعلوم العربية فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر كثيرة ومتنوعة لدرجة أن العرب قاموا بتصنيفها حسب أهميتها فنجد مثلاً أن العلوم ذات الأصول العربية والكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية أسهمت إلى حد كبير فى نقل التراث الحضارى القديم إلى الغرب. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من العلماء العرب المسلمين الذين أخرجوا لنا هذا النتاج الوفير العظيم من خلال دراساتهم وأبحاثهم بمراكز العلم فى المدن الشهيرة بالشرق مثل بغداد والقاهرة على سبيل المثال هما اللتان اشتهرتا بالازدهار الثقافى والعلمي فى هذا الوقت وبالأندلس ايضاً حيث كانت قرطبة -بمركزها وبمدارسها وبقصورها وبجامعتها وجوامعها ومكتباتها وحماماتها وحدائقها تناهض الشرق بثقافته الأموية والعباسية وتتفوق عليه فى مجالات كثيرة شهد لها العلماء والمؤرخين وساهمت الأندلس ومدنها فى التقدم الحضارى والإنسانى التى كان لها عظيم الأثر فى الحضارة الأوربية .

كل هذا أدى إلى تغيير شامل فى الغرب فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى، ففى الوقت التى كانت تنهار فيها القوى الإسلامية فى الأندلس وصقلية، كانت أوربا هى المستفيدة والتى بدأت تزدهر وتتقدم ثقافياً وسياسياً واجتماعياً وفكرياً وأخذ الأوربيون يكثفون جهودهم ويقوّون من عزميتهم فى القضاء على السيطرة الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط، حيث بدأ الصراع الإسلامى المسيحى فى أوربا ينتهى لصالح الغرب المسيحى. وفى اسبانيا نجد أن الفونسو السادس لم يكتفى فقط باسترداد أهم المدن الإسبانية وهى طليطلة سنة ١٠٩٥م معقل المسيحيين وعاصمتهم، بل استطاع أن يسترد من الحكام المسلمين ويستولى على كثير من المدن فى أسبانيا .

وفى هذه الفترة أيضاً شاهدت المدن الإيطالية تغييراً كبيراً فقد سقطت مدن صقلية فى أيدى النورمانديين بين سنة ١٠٩١م ونجحت الحروب

الصليبية المعلنة سنة ١٠٩٦م فـي هزم المسلمين بسواحل سوريا وفلسطين وبالرغم من تقدم المسيحيين سياسياً وعسكرياً الا أن العواصم الأندلسية والإيطالية التى كانت يرتكز عليها العنصر العربى الإسلامى أصبحت أهم مراكز اتصال بين الشرق والغرب حيث كان لها دور هام فى نقل التراث العربى الإسلامى إلى أوربا ، وكانت باليرمو وطليطلة وقرطبة من بين أهم هذه المراكز العلمية والثقافية .

وفى القرن الحادى عشر استطاع الراهب قسطنطين الأفريقى التونسى الذى مكث بمدينة باليرمو لمدة سنتين أن يترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية وكان نشاطه هاماً ومكثفاً واستمر هذا النشاط العلمى حتى عهد الملوك النورمانديين الذى شجعوا على الاستمرار فى حركة الترجمة والتأليف وعلى نقل التراث العربى وبخاصة فى عهد روجر الثانى سنة ١١٠١م وسنة ١١٥٤م وفدريكو الثانى ١٢١٥م-١٢٥٠م اللذين اشتهرا بحبهما وتعاطفهما الكبير للعرب والمسلمين وحماية علومهم وآدابهم وفنونهم فى صقلية لخدمة مصالحهم وثقافتهم وتعليم وتثقيف شعوبهم .

* * *

أهم الأحداث التاريخية والثقافية فى صقلية والأندلس :

حقيقة أن القرن الحادى عشر الميلادى كان فترة عصيبة وكارثة للمسلمين سواء فى اسبانيا او فى باقى مناطق البحر الأبيض المتوسط والتى أدت بدورها إلى بدء غروب شمس العرب والإسلام تدريجياً عن هذه المناطق نتيجة للأحداث والظروف والفتن والحروب التى وقعت فى هذه الفترة والتى مهدت الطريق للغرب لشن الحروب الصليبية سنة ١٠٩٨م، والتى نجحت فى إحداث شرخ كبير فى قلب العالم الإسلامى فى سوريا وفى فلسطين، والتى

من خلالها بدأت تتقوض السيادة العربية الإسلامية نتيجة للأخطاء التي كانت تهددها من الداخل والخارج، وخاصة بعد أن زادت قوة الغرب في هذه الفترة عكس ما حدث تماماً في القرن العاشر الميلادي الذي شهد العصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة .

وقد انهكت حروب الاسترداد في أواخر القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر قوىالعرب والمسلمين في أوربا واضعفت نفوذهم في كل من اسبانيا وايطاليا، وقد كان لاستيلاء المسيحيين على طليطلة أهم المراكز الثقافية وعاصمة المسيحيين في اسبانيا، اثر كبير في تقويض وانهيار السيادة العربية الإسلامية تماما في الأندلس سنة ١٠٨٥م، وعانت أيضاً الجزيرة الإيطالية من هذا التصدع والصراعات كباقي المدن الإسلامية وتأثرت أيضاً كل من بيزا وجنوه ومدن أخرى على سواحل البحر الأبيض حتى مدينة تونس، ولذلك فقد قويت أيضاً في هذه الفترة شوكة النورمانديين ضد المسلمين في صقلية، التي كانت تعاني من هذه الانقسامات والصراعات والحروب والاضطرابات الداخلية. وكان لهذا الضعف السياسي الذي شهدته صقلية أثر كبير في تسهيل مهمة استيلاء النورمانديين عليها نهائياً سنة ١٠٩١م (١). وكان هذا التاريخ ايضاً بمثابة خسارة فادحة لنهاية السيطرة الإسلامية على الجزيرة وخصوصاً بعد الصراع الدائم بين الفاطميين والنورمانديين في صقلية منذ أوائل القرن الحادي عشر الذي اضعف قوتهم وهيمنتهم على الجزيرة وبالرغم من هذا أظهر النورمانديين أعجابهم ودهشتهم وتقديرهم للعنصر العربي في الجزيرة وبهرتهم الثقافة واللغة العربية إذ كان يحيط بهم علماء مسلمون ويهود ومسيحيون، قاموا بنشاط بارز في الترجمة وأعجب بهم الامبراطور فردريك الثاني الذي أنشا جامعة نابولي سنة ١٢٢٤م للدراسات الشرقية . وشجع العلماء والأدباء والدراسين في البحث والدراسة بهذه

الجامعة واقام علاقة صداقة مع السلطان الملك الكامل محمد الأيوبى بالرغم من الظروف السياسية التى كانت تسود فى هذه الفترة لكونهما حاكمان ذو خبرة وثقافة عالية وعقلية متقدمة وواعية ومدركة بأهمية العلم وحرية الفكر. وفى هذه المدرسة درس توماس دى أكينو العالم والقديس الإسبانى الشهير ، الذى تعرف جيداً على مضمون هذه الدراسات العربية.

وفى أسبانيا أيضاً قامت نهضة أدبية وعلمية مشابهة للنشاط الثقافى والعلمى فى صقلية ، وخاصة أن أسبانيا تتميز ايضاً بعروبتها وبإسلامها، حيث تعد من أهم المعابر الثقافية والعلمية الرئيسية لنقل التراث العربى الإسلامى إلى أوربا. وبالرغم من أن القوى الإسلامية فى اسبانيا بدأت تتقوض فى القرن الحادى عشر كما ذكرنا ، إلا أنها استمرت وحافظت على هذا التراث لفترة طويلة بعد هذا التاريخ ، وكانت أيضاً ملتقى كل الثقافات والشعوب ومحط انتباه لكل علماء الشرق والغرب الذين اهتموا بدراسة اللغة العربية وترجمة مؤلفاتها إلى اللاتينية ليتساهم فى نهضة أوربا وتقدمها .

فمن المعروف أن الفونسو العاشر El Sabio الذى اتسم عهده بالنهضة العلمية واستخدام اللغة القشتالية محل اللاتينية التى لم تعد تفى بالغرض ونقل المؤلفات والمصنفات التاريخية وأشرف بنفسه على هذا النشاط العلمى المكثف ووضع لهم الخطط والمناهج والمصادر والمراجع التى يمكن الاستفادة منها، وممن جاءوا من بعده شجعوا على القيام أيضاً بمثل هذه الدراسات وبالنشاط العلمى المكثف وحماية العلم والعلماء وبذلك تحولت مدينة طليطلة رمز ومعقل للمسيحيين إلى أهم المراكز العلمية والثقافية لنقل التراث الإسلامى المسيحى حيث يجتمع فى قاعاته المسلمين والمسيحين واليهود وفى بلاط الملوك الكاثوليك أيضاً وبدأت تنشط حركة علمية واسعة لنقل التراث، هذا ومن المعروف أيضاً أن أسقف المدينة ريموندو لول Raimundo Llul

١١٣٠م-١١٥٠م(٢) كان يحمى العلماء ويرعاهم ويجزل لهم العطاء ويشجعهم على الدأب والبحث وتكثيف جهودهم العلمية وترجمة التراث العربى إلى اللغة القشتالية وإلى اللاتينية ولذلك جمع عدداً من المترجمين من المسلمين واليهود والمسيحين وأنشا مركزاً للدراسات والترجمة على غرار دار الحكمة فى الشرق فى القرن التاسع الميلادى وفى هذا المركز ترجمت كثير من المؤلفات العربية إلى اللاتينية أو الرومانسية، التى تتناول موضوعات شتى تتعلق بالرياضيات وعلوم التنجيم والاسطرلاب والعلوم الطبيعية والكيمائية والطبيعية. وقام بترجمة أهم هذه المؤلفات دومينكوس جوند سيلايوس وجيرارد دى كريمون وغيرهم، وكان الأول هو مدير مدرسة المترجمين بطليطلة التى أسسها دون رايموندو لول، والثانى هو الذى يرجع إليه الفضل فى ترجمة ستين مؤلفاً عربياً يشتمل على موضوعات مختلفة من شتى المعرفة، وكان هناك مترجمون آخرون مثل خوان الإسبانى وهو يهودى.

وقد تحولت طليطلة فى هذه الأونة لتصبح مركزاً للعلماء والعلوم، وقد أتى إليها العلماء والباحثين لينهلوا منها العلوم مثل بيلاردو دى باشا وميجيل سكوت وغيرهم، وقد ساهموا هؤلاء أيضاً فى الحركة العملية والفكرية واستمر فى تدعيم هذه الحركة الفونسو العاشر العلامة وريموندو مارتين ١٢٣٠م-١٢٨٦م، ومن جاء بعدهم لتدعيم هذه الحركة مثل رامون لول ١٢٣٥م-١٣١٥م الذى كان يعرف تماماً اللغة العربية كتابة وقراءة وكلاماً وقد ساعد كل هذا على أن يكون للأندلسيين فكرهم الخاص ومدارسهم ومراكزهم العلمية والثقافية المتميزة وآراؤهم وفلسفتهم، حيث كانوا على دراية بعلوم ومنابع الفكر فى الشرق التى عكفوا على دراستها وكان لهم آراء مفيدة لم يفصحوا عنها بحرية فى الشرق وبجدية فى كثير من المسائل الا بعد دراستها جيداً، وبخاصة العلوم الفلسفية والمنطقية والرياضية، وكانت لهم

مدراسهم وأفكارهم وتلاميذهم وبرز منهم علماء أفاضل اندلسيين وخاصة فى القرنيين العاشر والحادى عشر الميلادى نذكر منهم محمد بن اسماعيل العالم المتمكن فى علوم الرياضية والمنطق وكذلك فيلسوف العصر ابن مسرة صاحب أعظم مدرسة فلسفية فى الأندلس وقد تأثر بالمعتزلية فى الشرق وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم .

ويمكن القول بأنه رغم أن القرن الحادى عشر كان يسوده عدم الاستقرار السياسى للمسلمين فى أوربا وتقدم حركة الاسترداد المسحيى إلا أن هذا العصر شهد حركة فكرية وازدهاراً علمياً، وبرز كثير من العلماء والمفكرين فى مجالات شتى من المعرفة، منهم سعيد ابن فتوح السرقسطى المتوفى سنة ١٠٢٩م، الذى ألف كثيراً من الكتب الفلسفية ايام عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر منها شجرة الحكمة، وهى مقدمة فريدة عن الفلسفة.

إسلام وعروبة صقلية :

امتازت صقلية بموقعها الجغرافى الفريد منذ العصور القديمة، مما جعلها هدفاً لكل الطامعيين والنازحيين إليها من الشمال ومن الجنوب وكانت محط أنظار الجميع وملتقى العلماء والأدباء والشعراء وحلقة اتصال هامة بين الشرق والغرب بحكم موقعها الاستيراتيجى وميناتها الهام المتميز فى حوض البحر الأبيض المتوسط، كل هذا كان من العوامل الرئيسية التى ساعدت على تكوين شخصيتها الجغرافية والسياسية والتجارية والثقافية وكتابة تاريخ هذه الجزيرة وقد تعرضت سواحلها لهجمات وغزوات وحروب قاسية وعرفت هذه الجزيرة شعوباً كثيرة ترجع إصولها إلى حضارات وثقافات اصيلة منذ القدم، تنتمى إلى حوض البحر الأبيض المتوسط، وتاريخها ما هو الا جزء من تاريخ هذه الشعوب، والمهم هنا أن نشير إلى أهميتها الاستيراتيجية لتصبح مكاناً عالمياً لملتقى الشعوب والأجناس والحضارات ، مما جعلها حلقة اتصال

لنقل كل هذا التراث والعلوم فى العصور القديمة والمتوسطة، وكان من بين سكان يونانيين وعرب مسلمين وبربر وجماعات أخرى تتحدث اللاتينية. وفى صقلية كانت تنسخ وتترجم الكتب العربية إلى اللاتينية فى عصر الملوك النورمانديين ، وقد شهدت صقلية فى عهد النورمانديين بين عصورها الذهبية للثقافة العربية مآثر عظيمة من الحضارتين اليونانية والرومانية. وقد جاء العرب والمسلمون إلى صقلية بناء على طلب الصقليين أنفسهم كما حدث ايضاً فى الأندلس وليس لاسباب عسكرية، وهذا معروف لكثير من المؤرخين كما هو معروف ايضاً أن خروج العرب من الجزيرة العربية إلى الغرب كان بغرض نشر العقيدة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامى واللغة العربية، أى بدافع ثقافى وروحى ومعنوى وهذا ما أجمع عليه المؤرخون والكتاب العرب والأوربيون .

وقد قام المزنى المغربى بانشاء المدرسة الصقلية وذاعت شهرته فى هذا العالم الإسلامى لدرجة أن كثيراً من الطلاب الأندلسيين ومن شمال أفريقيا وفدوا إلى صقلية ليتتلمذوا عليه ويستمعوا إليه وإلى علومه ويتعرفون على مؤلفاته التى انتشرت وذاع صيتها أيضاً فى الأندلس بفضل تلاميذه، وهم بدورهم قد اصبحوا علماء أفاضل فى أماكن عديدة من العالم العربى الإسلامى .

ومن المعروف أن المهاجرين إلى الأندلس كانت غالبيتهم شعراء، وهذا راجع إلى أن ملوك الأندلس كانوا يشجعون الآداب والعلوم مثل القاسم بن عباد الأشبيلى الذى عمل على حماية الأدب والأدباء وآجزل لهم العطاء. وفى هذه الفترة حدث تغيير كبير نتيجة للأحداث التى وقعت فى بلاد البحر الأبيض المتوسط، وخاصة فى كل من أفريقية وصقلية والأندلس، وقد صحبتها حركة أدبية عظيمة فى هذه البلاد المشار إليها . فنجد مثلاً أن فى بلاط المعز كان

يكتظ بالعلماء والأدباء، منهم الشاعر الأفريقى ابن باديس الذى لاقى كل ترحاب وتقدير واعجاب من جانب السلطات الحاكمة فى هذا الوقت، ولكن بعد سقوط وانهيار القيروان، قضى على هذه الحركة الأدبية وهجر الشعراء والأدباء أفريقية إلى صقلية للمساهمة فى إحياء الحركة الأدبية والفكرية فى هذه الجزيرة وفى الأندلس أيضاً، وبعد سنوات قليلة فقدت صقلية هيبتها وسقطت مرة أخرى نتيجة للخلافات والانقسامات والفتن مما اضطر مرة أخرى الشعراء إلى أن يهاجروها إلى الأندلس حيث كان لهم نشاط ادبى ظاهر ومكثف، وكان هذا اساساً لإرساء الحركة الشعرية التى عرفها الغرب فى القرن الحادى عشر الميلادى، وبهذا تكون صقلية قد عرفت الحركة الأدبية خلال فترات ازدهارها والتى تتسم بطابعها الشرقى من خلال الشعراء الأفريقيين والأندلسيين .

الحياة الثقافية والفكرية فى الأندلس:

ارتبطت الثقافة الصقلية بمثيلتها الأندلسية التى كانت أكثر تمثيلاً واتصالاً بالتاريخ السياسى والعسكرى ، فهى صلات ثقافية وحضارية . استقر الأندلسيون فى صقلية وهم عرب وبربر، وهناك تقارب بينهما فى نوع الثقافة، وهى الثقافة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى ، ومن المعروف أن المذهب "المالكى" فى الأندلس لقى قبولاً وانتشاراً عظيماً وتوحدت إلى حد كبير وتشابهت الفنون والآداب والنشاط الفكرى فى كل من صقلية والأندلس، وكانت هناك وحدة فى الثقافة الأدبية سواء فى الشعر أو النثر، مما يؤكد لنا الوحدة الصقلية الأندلسية وتعاونهم المثمر فى النواحى الثقافية، وأصبح لعلماء وأدباء هاتين الجزيرتين الأندلس وصقلية شهرة عالمية ، وهاجر كثير من الأندلسين إلى صقلية ومن هؤلاء العالم ابن قَرة الاندلسى المتوفى سنة ٩٠٧م وابن الحسن الهوزى الاشبيلى سنة ١٠٤٨م .

ومن مظاهر التأثير الأندلسي فى صقلية دخول نسخة من كتاب " التقريب " للفقيه الأندلسى خلف البلنسى ١٠٥١م، واثرت الأندلس فى صقلية فى ميدان الفقه والحديث النبوى حيث تتلمذ محمد بن مسلم القرشى المازدى الصقلى فى الإسكندرية سنة ١١٢٥ على أيدى ابى بكر الطرطوشى وهاجر إلى صقلية وسكن فيها حتى وفاة أحد علماء الأندلس البارزين وهو موسى بن اصبغ المرادى القرطبى الذى كان عالماً باللغة والآداب وشاعراً مجيداً.

وكان الأدب واللغة من بين العلاقات الهامة التى تربط الأندلس بصقلية، فنجد أن صاعداً بن الحسن الربعى اللغوى دخل الأندلس سنة ٩٩٠م فى خلافه هشام الثانى وحجابة المنصور بن ابى عامر ولما ضاق به الحال فى الأندلس بعد اندلاع الفتنة والحروب، وهاجر إلى صقلية سنة ١٠١٢م وتحسنت احواله هناك ثم غادرها وعاد إلى الأندلس مرة أخرى ثم رجع إلى صقلية وتوفى بها سنة ١٠١٩م. وانتقل إلى صقلية سعيد بن القرطبى السرقسطى، وسكن بها حتى وفاته وكان أماماً فى علم النحو واللغة وله مؤلفات فى العروض والموسيقى ورسالة أخرى جيدة فى المدخل إلى علوم الفلسفة ورسالة فى تعديل العلوم، وكان له أدب وشعر كثير.

أن هجرة هؤلاء العلماء وغيرهم كانت لها تاثيرات كبيرة فى تقدم العلوم وازدهارها فى صقلية، وكان أيضاً لبعض كتب الأندلسين التى دخلت إلى صقلية اثر فى قيام بعض الصقليين فى التأليف على غرارها مثل كتاب 'لحن العامة' لمحمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلي سنة ٩٨٩م الذى تناول فيه الأخطاء اللغوية الشائعة فى المؤلفات الأندلسية فى القرن العاشر الميلادى.

ويقول 'شاك' أن الشعر العربى الصقلى يشارك الشعر العربى الاندلسى خصائصه الاساسية، أما جابرييلى فقد لاحظ وجود عناصر فى الاتجاه وفى الأسلوب تشير إلى وجود صلة وثيقة من التقاليد الشعرية العربية

فى كل من الأندلس وصقلية. وكادت صقلية أن تكون ولاية أدبية اندلسية خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلادى؛ لأنها اسهمت فى نقل فنون الشعر العربى وخاصة الازجال إلى الإيطالية التى كانت تنظم على طريقة ونسق الأزجال الأندلسية المعروفة مثل ازجال ابن قزمان. وحققت صقلية دوراً هاماً فى النشاط الثقافى فى الأندلس، ففى الفقه يلاحظ أن فقهاء اندلسيين كانوا علىاتصال بكبار فقهاء صقلية(٣) واسهم الصقليون فى الدراسات الفقهية فى الأندلس ، ومما يجدر ذكره عن تاثير صقلية فى الأندلس فى مجال علم الكلام إذ نزح إلى الأندلس سنة ٩٤٧ م كثير من العلماء الذين قاموا بنشاط يتعلق بتدريس العلوم الإسلامية للطلبة الأندلسيين، حيث أخذ عنهم هؤلاء الطلبة ما كتبوا وما قالوه. وقدم ايضاً إلى الأندلس محمد بن سابق المتكلم الفقيه الأموى سنة ١٠٩٩م وأسهم فى تعزيز الدراسات الدينية فى غرناطة .

ومن الأندلسين الذين درسوا على ايدى شيوخ صقلية ابن موسى بن عمار القلاعى الميورقى وابن صاحب الخمس الذى كان متكلماً وإماماً فى علم الأصول وفى علم الحديث . وكان لعباس بن عمر بن هارون الصقلى نشاطه فى الأندلس ، وشارك الصقليون المقيمون فى صقلية بالرسائل إخوانهم الأندلسيين فى الرأى حول بعض المسائل المثارة من قبل الأندلسيين .

ونشطت ايضاً الدراسات القرآنية فى صقلية وبرز فيها شيوخ وقراء كبار. وامتد اثر تلك الدراسات إلى الأندلس بواسطة الطلبة الاندلسين الذين قصدوا صقلية وتتلمذوا على قرائها وكذلك بواسطة الصقليين المهاجرين إلى الأندلس، ولعب الصقليون المهاجرون دوراً هاماً فىنشاط علم القراءات بالأندلس.

وحظيت اللغة العربية بعناية كبيرة وفائقة فى صقلية وعكف على دراستها صقليون امتد تأثيرهم إلى مختلف الدول الإسلامية ومنها إلى الأندلس بواسطة طلبة اندلسيين قصدوا صقلية، لغويين صقليين هاجروا إلى الأندلس .

كذلك تظهر العلاقات الثقافية الصقلية الاندلسية بأحلى صورها بمغادرة كثير من كبار شعراء وكتاب صقليين إلى الأندلس ومساهمتهم في ازدهار الحركة الأدبية والفكرية ومشاركتهم في مجالس الغناء والموسيقى وقد ذكرت بعض المصادر أن الأندلس استقبلت مغنيين صقليين كان المعتصم عباد سنة ١٠٤١م-١٠٦٨م في اشبيلية يروق لسماعهم .

وكان للطب أيضاً دوراً هاماً حيث ذكرت المصادر أن صقلية أنجبت اطباء كباراً مثل ابن الحسن الطوبى سنة ١٠٥٨م وابو عبدالله الصقلى، فهو صاحب العلاقة بالأندلس الذى تعاون مع غيره من الأطباء فى ترجمة رسالة أو كتاب فى علم النبات من اللغة اليونانية إلى العربية فى قرطبة للخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر، وقد كانت هجرته إلى الأندلس قد بدأت فى سنة ٩٥١م واستمر بقاؤه فى بلاط عبد الرحمن الناصر وخليفته الحكم الثانى المستنصر بالله وكان أبو بكر الصقلى من أهم علماء الطب(٤) .

الفونسو العاشر والثقافة العربية الإسلامية فى الأندلس :

الفونسو العاشر هو ملك كاثوليكى نشأ فى جو وبيئة تغلب عليها الثقافة الإسلامية أو بمعنى أصح " الحضارة الأندلسية " فقد عرفت اسبانيا فى ذلك الوقت أزهى عصورها الأندلسية منذ القرن العاشر الميلادى وهو ابتداء العصر الذهبى الاندلسى حتى ميلاد الملك العالم "الحكيم" بطليطلة عام ١٢٢١ ميلادية الذى حكم هذه البلاد وهو يناهز الثلاثين من عمر، وطالت فترة حكمه من عام ١٢٥٢ حتى ١٢٨٤ أى ما يقرب عن اثنتين وثلاثين سنة .

ولقد لقب الملك الفونسو العاشر " بالعالم " أو " العلامة " أو " الحكيم " وذلك لاهتماماته بالعلوم وبخاصة منها الفلكية والتاريخية والقانون وغيرها التى كان لها صدى كبير فى المجتمع الاندلسى حينذاك .

تعددت الكتابات والمؤلفات عن هذا الملك لاظهار دوره التاريخى المعروف ونشاطه العلمى والأدبى والثقافى فى اسبانيا ابان القرن الثالث عشر الميلادى .

وتضاربت الآراء حول تقييم شخصيته السياسية والتاريخية والعلمية، ومع ذلك فقد اثنى عليه المؤرخون والباحثون ووصفوه بأنه من أهم وابرز شخصيات عصره الذى امتاز - على حد قولهم - بروح عصر جديد وعلمنه ثقافية ايضاً جديدة لم يشهدها عصره الذى امتاز بأهم العصور نقلاً للعلوم والأداب الإسلامية فى اسبانيا المسيحية - ومن المفارقات العجيبة والمتناقضات أن هذا الملك بالرغم من محاربته الشديدة القاسية للمسلمين طوال فترة حكمه لاحراز أهم الانتصارات منتهجاً فى ذلك سياسة ابيه فرناندو الثالث لتوسيع مملكته، الا أنه كان حريصاً كل الحرص على نشر الثقافة الإسلامية بين عناصر مجتمعه الاندلسى.

نشاطه العلمى والثقافى والتسامح :

شهد القرن الثالث عشر الميلادى فى عصره حركة علمية ثقافية بدأها الاسقف دون ريموندو (١١٣٠م-١١٥٠م) راعى كنيسة طليطلة وقنصل قشتالة الشهير الذى يرجع الفضل إليه فى ادخال النصوص العربية والاعتماد عليها فى الأبحاث والدراسات التى كانت تقوم بها الكنيسة وغيرها من المحافل العلمية الغربية فى ذلك الوقت والتى أثرت بدورها على نهضة الدراسات فى أوربا حسب قول رينان. وقد عمل ريموندو لول فى طليطلة بنفسه على نقل التراث الإسلامى واشرف على جماعة من المترجمين والكتاب بالمدرسة الشهيرة للمترجمين الطليطليين Colegio de los Traductores Toledanos . واهم المؤلفات العربية المشهورة التى ترجمت فى هذه المدرسة تتناول شتى المعارف والعلوم كالطب والفلسفة والرياضيات

والكيمياء والطبيعة والميتافيزيا والمنطق والسياسة ومؤلفات الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد ومؤلفات اكليدس وبطلموس وجالينو وابقراط وآخرون .

واستمرت هذه الحركة العلمية ايضاً خلال فترة حكم الفونسو العاشر على يد اسقف طلليطلة دون رودريجو خيمينس دى رادا (١١٧٠م-١٢٤٧م) وهو صاحب مؤلفة " **تاريخ العرب** " Historia arabum التى استخدم واعتمد فيها على نصوص ومصادر عربية. هذا قد شجع الفونسو العاشر على استمرار هذه الحركة الثقافية والعلمية التى بدأت سنة ١٢٥٢م حتى سنة ١٢٨٤م بانشاء مركزاً للترجمة بطليطلة وكان هذا أول نشاط علمى ثقافى هام يقوم به الفونسو العاشر رائد وراعى الثقافة الإسلامية فى أوربا فى هذا الوقت. وبدأ هذا المركز أو هذه المدرسة الالفونسية نشاطها فى طليطلة بترجمة الكتب والمؤلفات إلى اللاتينية الدارجة التى أصبحت اللغة القشتالية أى الاسبانية التى أحلها الفونسو العاشر محل اللاتينية لنقل العلوم والمعارف وجعلها اللغة الرسمية للبلاد وقد كانت هذه من أهم أعمال ومحاسن هذا الملك العظيم.

وجدير بالذكر أن هذا العالم استطاع بذكائه أن يجمع فى بلاطه علماء ومترجمين وباحثين من المسلمين واليهود والنصارى فى شتى مجال المعرفة والعلم ليتعاونوا جميعاً ويشاركوا فى تنشيط هذه الحركة العلمية الثقافية وترجمة ونشر المعارف والعلوم الإسلامية وغيرها من خلال هذا المحفل العلمى الراقى. وقاد بنفسه هذه الحركة واشرف على نقل التراث إلى اللاتينية وعلى اخراج هذه المؤلفات المترجمة والملخصات التى كان يقوم باعدادها معاونوه ومساعدوه من العرب واليهود والاسبان.

وشخصية الفونسو العاشر هذه ، هى شخصية فريدة، فقد عرف بذكائه أن يفرق بين واجباته ومسئولياته كملك وقائد عسكرى للحفاظ على مملكته

وبين اهتماماته بالعلم والفكر والأداب ، ولذلك فلم يخفق فى إظهار إعجابه الشديد وحبه للثقافة الإسلامية التى عمل على دراستها ونشرها . وعرف فى اسبانيا وفى أوربا "براعى الثقافة الإسلامية" وأحسن من كتب عن هذا الملك وعن شخصيته وتاريخ حياته العلمية والثقافية هو مؤرخ القرن الثامن عشر الميلادى الماركيز دى مونديخر فى كتابه الذى نشر فى مدريد عام ١٩٧٧ والذى أفرد فى آخر فصوله أخباراً ومعلومات قيمة عن نشاطه العلمى والأدبى .

لم يهتم الفونسو العاشر فقط بطليطلة مسقط راسه ، بل توسع بنشاطه فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى كل من مدينتى اشبيليه ومرسيه، وهما من أشهر المراكز الفلسفية والأدبية، بل وكانتا تتفوقان على طليطلة. ولما كان الفونسو العاشر حاكماً لمدينة مرسية قبل وفاة ابيه فرناندو الثالث القديس، تعرف فيها على الفيلسوف والعالم محمد الـــــرقوطى Muhummad El Ricoti الذى أنشا له مدرسة يعلّم فيها كل من المسلمين واليهود والنصارى، ولكن هذه المدرسة لم توفق فى مهتمها العلمية فنقلها إلى اشبيلية وحولها إلى معهداً أو مركزاً مختص بالدراسات اللغوية لتعليم العربية واللاتينية تحت اشراف علماء مسلمين ومسيحين يقومون ايضاً بتدريس علوم الطب والفلسفة وغيرها وبذلك يكون قد اعطى الفونسو العاشر الطابع الرسمى لاندماج كل من الثقافتين الإسلامية والمسيحية وهذا نوع من التسامح غير مألوف فى أوربا والمعروف عند المسلمين وبخاصة خلال العصور الإسلامية فى الأندلس ، والتى لم يشهده تاريخ أسبانيا من قبل خلال عصورها المسيحية إلا فى عصر الفونسو العاشر "الملك الحكيم".

اهتمامات الفونسو العاشر باللغة الإسبانية والنثر الأدبى:

كان الأسلوب من المهام الرئيسية التى شغلت بال الفونسو العاشر وقد كان لهذا أثر كبير فى تطوير اللغة والنثر الإسبانى .

ففى مجال اللغة نجد أن الفونسو العاشر أعطى اهتماماً بالغاً بالعامية القشتالية التى حولها إلى اللغة الرسمية واستخدمها فى الوثائق الرسمية واعطائها الصفة والمكانة الأدبية ، وقد فرضها على الشعب باعتبارها لغة التعامل والمخاطبة بين كل أفراد مجتمعه الثلاث التى كانت تعيش وتتعايش فى قشتالة أى Castilla ولأنها تتماشى مع الروح الثقافية التى كان يتسم بها عصره فى هذا الوقت بعد ما كانت مسيطرة عليه الكنيسة ورجال الدين واستخدامهم فقط للاتينية التى لا يفهمها الشعب ولا يستخدمها الا فى الطقوس الدينية، ولكنه كان يتحدث بالرومانسية القشتالية .

ولهذا فقد كان من الطبيعى أن تكون هذه اللغة وهى الاسبانية اليوم، هى لغة المجتمع كله وأفراده، لغة التخاطب بينهم وليس اللاتينية والفضل يرجع ايضاً إلى هذا الملك الفونسو العاشر فى نمو القشتالية كما ذكرنا وبتطوير نثرها La prosa castellana ولذلك فإن مؤلفات هذا الملك باختلاف موادها ومصادرها كانت العامل الرئيسى لتكوين الفاظ ومصطلحات جديدة وكثيرة هامة ادخلت فى اللغة وفى الحياة الأدبية الإسبانية أيضاً، ولذلك فقد اضطر الباحثون ومؤلفو الكتب عن الفلك Astronomia أن يستعينوا بهذه الألفاظ والكلمات ويترجموا عدد كبيراً من الالفاظ العربية واللاتينية ويستخدمونها فى كتاباتهم .

أعمال أخرى هامة لالفونسو العاشر :

كان الملك الفونسو العاشر هو الموحى لكل الأعمال التاريخية والأدبية والعلمية فى هذا العصر التى ظهرت فى بلاطه والتى لم يكن هو المؤلف الحقيقى المباشر لها .

ومن أهم أعماله التى اعتمد فيها على نصوص تاريخية عربية (مثل

La وكذلك la Infanta Termut, la Sabia Doluca وايضاً José و Zueliema Reina Munene نذكر منها Historia Universal وكذلك كتابه المشهور "Crónica General" الذى اختص به تاريخ أسبانيا . ولا غرابة أن يكون هناك تشابة فى كل من المؤلفتين ومهما كان الأمر فالجديد فى هذا العمل هو اشراف الملك بنفسه ومعاونوه على إخراج هذا العمل الرائع ، وكذلك فقد أثنى عليه المؤرخون والباحثون وأجمعوا على عظمة هذا الملك العلامة وقدراته على اخراج هذه المؤلفة التاريخية . ولاتنسى أيضاً أن الفونسو العاشر هو الذى أمر بترجمة جغرافية الرازى إلى الإسبانية ويضمنها تاريخه العام لاسبانيا، وعلى أساس هذا التاريخ العام يقوم التأليف فى الجغرافيا والتاريخ فى اسبانيا إلى نهاية القرن السادس عشر ، هذا دليل على اتصال شجرة المعرفة الإنسانية واستمرارها من عصر إلى عصر مهما اختلفت الأجيال والأديان والعصور ، فالمهم هو رعاية العلم والعلماء ، ولقد كان دور العرب فى ذلك ابان العصور الوسطى واضحاً وصريحاً كما يستضح لنا فيما بعد .

ولم يترك الفونسو العاشر أى ملحوظة أو معلومة إلا وذكرها فى تاريخ أسبانيا ، ولذلك فقد أنشا خصيصاً لذلك مركز الدراسات المشار اليه سابقاً بجمع لفيف من كبار العلماء وغرائب الكتب التاريخية حتى تمكنه من كتابة هذا التاريخ .

وكانت هذه المؤلفة تتضمن معلومات وفيرة وفياضة وذلك لاعتمادها على كثير من المراجع والمصادر المختلفة الهامة التى حصل عليها الفونسو العاشر من كل مكان وقد اختيرت هذه المعلومات بدقة وحرص شديدين .

ويمكن القول بأن كل من التاريخ العام Historia General و La Primera Crónica General de España كتبتا باللغة القشتالية ، وهذا شئ جديد أيضاً فى الموضوع فقد كان المعتاد قبل ذلك أن تكتب المؤلفات باللاتينية ،

وهذه المؤلفات لم تتم الا بعد وفاته سنة م١٢٨٤. وكان من أهم أعماله أيضاً جمع القوانين والتشريعات القانونية ووضعها فى قالبها القانونى وجمعها فى مؤلفته الشهيرة الأقسام السبعة las Siete Partidas .

وقبل اهتمامه بالأدب ، عرفت اسبانيا الشعر وتألقت فيه وفى فنونه وبخاصة فى اسبانيا الإسلامية ، ولكن كما يقال لم تتوصل إلى ما توصل إليه الفونسو العاشر من تجميع الوحدة الفنية فى اطار مؤلفته الشهيرة Las Cántigas وهى مؤلفة موسيقية وفنية مشهورة جداً، استخدم فيها الموسيقى الاندلسية كمرجع رئيسى. والفونسو العاشر هو أول من جمع كل الاكتشافات التى تبحث عن علم الفلك والفضل له لا يرجع فى ابتكاره لهذه العلوم بحسب وإنما للمجهود الكبير المضنى الذى بذله فى جمع هذه المعلومات وقدرته على الاستيعاب والتأليف.

البعثات الدبلوماسية العربية فى أوربا :

لم تقتصر العلاقات والاتصالات بين الغرب والقارة الأوروبية على حروب وغزوات ، بل كانت هناك علاقات أكثر عمقاً وفهماً فى أحلك المواقف وأصعبها خاصة علاقات ثقافية وتجارية ودبلوماسية وخاصة بين البلاد العربية فى الشرق وبين المغرب العربى والأندلس من جهة، وبين الدول الأوربية من جهة أخرى. وقد شاهدت أوربا حركة ثقافية وتبادل السفارات بين كل هذه البلاد، وقد قامت الجاليات العربية المهاجرة فى كل من صقلية والأندلس بنشاط ثقافى كبير وحولوا المدن التى استقروا فيها إلى مراكز اشعاع حضارى عربى، ووثقوا علاقاتهم واتفاقياتهم التجارية والثقافية بين العرب والشعوب الأوربية وقد أرسلت الدول الأوربية بعثات علمية إلى الأندلس الإسلامى رغبة فى المزيد من العلم والمعرفة وتزويدهم بالثقافة الأندلسية . وعلى سبيل المثال قويت العلاقات الثقافية بين كل من العباسيين

فى الشرق والأمويين فى الأندلس وبين العباسين والفرنج. ومن خلال دراستنا للتاريخ وجدنا أن العباسيين تحالفوا مع الفرنجة ضد الأمويين، وايزاء هذا الموقف تحالف الأمويين مع البيزنطيين وعرفنا أيضاً أن الأمبراطور تيوفيل أرسل سفيراً له إلى الأندلس بحثاً عن صداقة الأمويين وعقد معهم اتفاقيات .

وفى عهد عبد الرحمن الأول كان لهذه السفارات دور هام فى اقامة علاقات بين المسلمين وافرنجة والتخلى عن الحروب والصراعات وامكانية التفاهم وضمان مصالح رعاياهم وتقدم وازدهار ثقافة الشعوب(٥) .

الدور الثقافى لصقلية تحت حكم الملوك النورماندين :

رغم ما يقال أن الدور الذى قامت به صقلية أقل أهمية من دور الأندلس فى نقل التراث العربى الإسلامى إلى أوربا فى عهد النورماندين الذين كانوا أكثر تسامحاً وتفاهماً للمسلمين ثقافياً وفكرياً، وذلك راجع لفهمهم للغة والثقافة العربية والإسلام وكانت النتيجة أن صقلية كان لها الأسبقية فى خلق جيل من العلماء والفقهاء والأدباء والأطباء والفلاسفة وكان على رأسهم أسد الدين بن الفرات وآخرون .

فى الواقع ظهر فى جزيرة صقلية نشاط كبير ومكثف واهتمام كبير بكل النواحى الثقافية والفكرية وهذا راجع لتشجيع هذا النشاط ودعم وحماية الملوك النورمانديين لنقل الحركات الفكرية فى القرن الثانى عشر الميلادى إلى صقلية. وقد أدى كل هذا إلى نهضة أوربا وبخاصة نهضة ايطاليا على حد قول المؤرخ هاسكنس حيث يؤكد على أن صقلية كانت ملتقى الحضارات اللاتينية واليونانية والعربية، وكانت اللغة العربية من العناصر الرئيسية لتوثيق العلاقات الثقافية بين صقلية وشعوب البحر الأبيض المتوسط باعتبارهما لغة الحضارة والمعرفة والعلوم العربية والإسلامية وخاصة فى

القرن الثانى عشر الميلادى، حيث لا ننسى الدور الهام الذى لعبته الترجمة فى نقل التراث الكلاسيكى عن طريق المؤلفات العربية إلى اللاتينية مع التعليقات والتفسيرات والشرح العربى للفكر الأوربىالقديم .

وكان لاطباء باليرمو دور هام أيضاً حينما ساهمت مدرسة الطب فى باليرمو بالعلوم الطبية العربية فى القرن الحادى عشر الميلادى وبخاصة فى عهد فدريكو الثانى راعى الثقافة والعلوم العربية. وعرف عهده أيضاً تيارين فكرين هامين هما الطب الفكرى الأندلسى والصقلى. وكانت لصقلية والأندلس الدور الهام لنقل التراث العربى الإسلامى إلى أوربا، حيث كان فدريكو الثانى سنة ١٢٥٠م امبراطور الكنيسة الرومانية صديقاً محباً للعرب ومتعاطفاً ومنصفاً لهم، وقد عرف عنه اهتماماته الكثيرة وتقديره للأدب والفنون والعلوم العربية والإسلامية، وكان يتحدث بعض اللغات الأوربية الألمانية والإيطالية واللاتينية والعربية، وله دراية ومعرفة جيدة بعلوم الطب والمنطق والفلسفة والهندسة والرياضيات، وانشاء علاقة ثقافية وسياسية مع الحكام العرب والمسلمين فى البحر الأبيض المتوسط وخاصة مع الاندلسين فى اسبانيا.

وفى اسبانيا وبخاصة قرطبة كان لها دور فعال فى خلق طرازاً عربياً، وكان تأثيرات الثقافة العربية فى بلاط فدريكو الثانى واضحاً أكثر من التأثير اليونانى، مما ساعد على دعم العلاقات السياسية والفكرية من الجزيرة وحكام شمال أفريقيا والشرق الأدنى، ومن صقلية امتد هذا التأثير وشمل أيضاً أفريقيا وألمانيا والمنطقة البروفنسالية فى جنوب فرنسا(٦) .

وقد اكتظت مكتبة فدريكو الثانى بأمهات الكتب العربية واليونانية وكان فردريكو على اتصال مباشر مع العلماء العرب المتألقين فى العلوم العربية الإسلامية وأسند إليهم بعض المسائل العلمية والفلسفية والطبيعية والرياضية(٧) . وليس لدينا وقت هنا لذكر بعض الأمثلة ولا المسائل الفلسفية

التى أثارها فردريكو ودراساتها وإجابة العلماء العرب عليها(٨) ، ولكى سنذكر على سبيل المثال فقط أنه كان من بين العملاء البارزين فى الرياضيات فى بلاط فردريكو ليوناردو فيبوناتشى Leonardo Fibonacci الذى درس بالأندلس وفى الشرق ويرجع إليه الفضل فى معرفة وادخال الأرقام العربية إلى الأوربية ليس هذا فقط، بل أن الفيلسوف العربى الصقلى ابن جوزى صاحب فردريكو فى حروبه وعلمه المنطق .

وكانت العلاقات الثقافية والودية من الأمويين والبيزنطيين فى عهد عبد الرحمن الثالث جيدة والدليل على ذلك أن الامبراطور قنسطنطين ٩١١م-٩٥٩ م كانت تربطه صداقة متينة مع الخليفة الأموى فى الأندلس، حيث أرسل فى عام ٩٤٧ م إلى بلاط الأمويين سفارة كانت تحمل رسالة من الامبراطور حاملة معها صندوقاً من الفضة المغطاة بالذهب، وقد اظهر عبد الرحمن الثالث حماسه الشديد لاستقبال هذا الوفد الرسمى ورحب بهم .

ولاشك أن اهتمامات فردريكو الثانى الثقافية والفكرية فى بلاطه كان ملموساً، وقد اهتم بصفة خاصة بالعلوم المسيحية والاسطرلاب والكيمياء(٩) .

أما بالنسبة للتأثير اللغوى العربى فىاللغة الصقلية فهو تأثير ملحوظ أيضاً وبخاصة فى اللهجة الصقلية للغة الإيطالية ويحتوى على مفردات كثيرة وتعبيرات تتصل بالحياة الريفية والصناعية فى المدن وأيضاً ما يتعلق بالملابس والأكل والقانون والإدارة. وهناك كلمات عربية كثيرة على حد قول دى جريجاريو وسيوله فى اللهجة الصقلية تقدر بالمئات وأن كثيراً منها قد انتقل إلى اللغات الأوربية عن طريق إيطاليا أو عن طريق الأندلس(١٠) .

أما فيما يتعلق بالدراسات اللغوية فكان لصقلية دور هام ايضاً وكان علماؤها يرحلون ويهاجرون إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامى، حيث

نجد أن علماء من الأندلس وبلاد الشرق يتخذون صقلية موطناً لهم ومركزاً لنشاطهم ولدينا مثلاً العالم النحوى واللغوى والشاعر القرطبى موسى بن أصبغ الذى وفد إلى صقلية واستقر فيها، بينما نجد بعض الأدباء والفقهاء واللغويين والشعراء والنحويين، أن لم يوفر لهم النورمانديين الحافز الفكرى، فانهم يغادورها إلى مناطق أخرى مثل ابن القطاع الذى رحل عنها أولاً إلى الأندلس ثم إلى أفريقية ومصر، وله مؤلفات عظيمة عن تاريخ صقلية وشعراؤها العرب وغيره. وأثناء فترة الفتح النورماندى وبعدها، هاجر ايضاً كثير من شعراء صقلية إلى الأندلس أيام حكم ملوك الطوائف وحظيوا برعاية ملوكهم وأجزلوا لهم العطاء ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر على سبيل المثال ابن العرب الصقلى وابن عتيق وابن حمد يس الذين غادروا الجزيرة متجهين إلى الأندلس ثم إلى شمال أفريقيا.

وأخيراً يمكن أن نقول أنه تحت رعاية الملوك النورمانديين وبخاصة فردريك الثانى كان هناك تبادل بين كل من التيارين الصقلى والأندلسى وأسهما فى نقل التراث العربى إلى أوربا وامتزجا إلى حد كبير.

مراكز الطب العربى الإسلامى فى حوض البحر المتوسط الأندلس وصقيلة وأوربا :

حثت التعاليم الإسلامية على الحرية فى العلم وشجعت على البحث والتطوير فى مجالات العلوم الإسلامية وخاصة العلوم الطبية وصاحب هذه المبادئ ازدهار للخبرة والتقدم الإنسانى فى تلك العلوم. وقد جاء ذلك صريحاً فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتى رددها كثيرون حين قالوا "فللعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان" مقارنين بذلك العلم بالصناعة الطبية بعلوم الشريعة الإسلامية. وقد انتقل إلى العرب والمسلمين تراث خاص بهذه العلوم الطبية والصيدلية بفضل حركة الترجمة والتجارة التى أدت إلى ازدهارهما

ونقلها إلى العالم حيث استطاعت العقلية العربية الإسلامية أن تنقل هذا التراث وتمثله تمثيلاً جيداً ثم تتفاعل معه وتمزجه بالتراث الإسلامى على أسس علمية وعملية . ولا ننكر أن للعرب والمسلمين اضافات واسهامات علمية جديدة فى هذا المجال جاء نتيجة للمشاهدة والتجارب والخبرات التى كانت أساساً للعلوم الطبية .

وكانت نتيجة فتح الأندلس وصقلية أن استقر بها الملسمون من العرب والبربر وأقاموا فى كل منها حضارة إسلامية زاهرة ونابعة من المشرق الإسلامى وظهرت العلوم الإسلامية فى القرون الوسطى وانتشرت وتهافت عليها الأوروبيون من كل مكان واستساغوها وتمكنوا من استيعابها والاستفادة منها فى دراستهم وابحاثهم. وتألقت هذه العلوم فى الشرق والغرب وتأثر بها الفكر الاوروبى وأخذ باراء علماء ومفكريها فى شتى مجالات العلم والمعرفة وقد كان ضمن المآثر التى خلفها العرب والمسلمون فى العلوم الإسلامية والتى تركزت بصماتها واضحة ومؤثرة فى الطب(١١) .

عنى العرب عناية كبيرة بالطب باعتباره أحد الحقول الرئيسية الهامة للعلوم الإسلامية فدرسوه واستفادوا من خبرات وحضارات الأمم والشعوب القديمة وأضافوا إليه الكثير وصنفوا علومه ونقله الأندلسيون والصقليون من العالم الإسلامى إلى العالم الأوربى، وكانت ملاحظاتهم وخبراتهم وتجاربهم وابداعهم هى " القاعدة الأساسية لعلم الطب العربى والإسلامى فى أوروبا الحديثة .

كان تاثير العلوم الإسلامية على الغرب نتيجة للفتوحات الإسلامية وبخاصة فى حوض البحر الأبيض وبقاء المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية (أسبانيا) أى الأندلس وفى صقلية وجزر غرب البحر الأبيض، وبذلك زاد الاتصال بين المسلمين والأوربيين وقويت العلاقات الثقافية الإسلامية -

الأوروبية وكان التأثير الثقافى والعلمى فى أوروبا واضحاً وملموساً فـى كثير من الميادين .

ونحن لا نتعرض هنا للحديث عن الطب العربى الإسلامى وتاريخه وتطوره . فإن الكتابات والمؤلفات فيه كثيرة ومتنوعة، ولكن كل ما يهمنا هنا أن نشير إلى تاريخ الطب العربى – الإسلامى الذى كان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ العلوم الإسلامية التى تالقت فى العصر الذهبى الوسطى.

لقد عرف الأوربيون أهم الأطباء العرب والمسلمون واتخذوا كتاباتهم أساساً لدراسة الطب ومرجعاً لجميع أطباء الشرق والغرب على السواء.

وبلغ ازدهار الطب ذروته فى العصور الذهبية للحضارة العربية – الإسلامية وأنجبت اعلاماً من الأطباء المشهورين الذين تركوا لنا مجموعة طيبة وقيمة من مؤلفاتهم الطبية التى لقيت اهتماماً كبيراً فى أوربا وبقيت تدرس فى جامعاتها حتى أواخر القرن السابع عشر.

انتقلت هذه العلوم الطبية كمثيلاتها من العلوم الإسلامية الأخرى إلى القارة الأوروبية عن طريق البحر الابيض وقد كان لكل من الأندلس وصقلية أن نصيب الأكبر فى نشرها وكانت خير معبر وناقل لهذه العلوم . وقد علق كثير من مؤلفى ومؤرخى العرب على ازدهار هذه الحضارة الإسلامية فى كل من ايطاليا وبخاصة صقلية وباليرمو وسالرنو والجزر الجنوبية وفى اسبانيا ونخص بالذكر كل من قرطبة وطليطلة واشبيلية وغيرها على أنهم ازهى مدن أوربا حضارة وعلماً(١٢) .

وقد ساعد على ازدهار هذه الحضارة الإسلامية وتالقها أنه عندما دخل المسلمون هذه البلاد احترموا أهلها وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم لم يتعرضوا لأى مشاكل من هذاالقبيل مما ساعدهم على نشر رسالتهم وتعاليمهم ونجاح

دعوتهم دون عنف واجبار ولذلك فقد قبل سكان هذه المناطق الحضارة الإسلامية الجديدة واستساغوها وأقبلوا على معرفتها ودراستها والتمسك بها طوعاً لا تعسفاً واجباراً(١٣) .

وفى الأندلس وعلى الأخص فى قرطبة حاضرتها كانت أعظم مركز للعلوم والمعارف الإسلامية فى أوروبا، بل أهم عواصم الشرق والغرب لأنهم كان يتوافد عليها الحكام والأمراء ورجال الدين والفكر والعلم من كل مكان طلباً للعلم والتحصيل ويعتبر القرن العاشر الميلادى العصر الذهبى للعلوم الإسلامية فى الأندلس ولقد كان للطب العربى والإسلامى فى قرطبة صور بارزة فى تالق هذه العلوم الطبية .

والعصر الذهبى للأندلس هو عصر الخلافة، عصر عبد الرحمن الثالث الناصر (٩٢٩م-١٢٠٠م). والحكم الثانى المستنصر (٩٦١م-٩٧١م) الذى يرجع إليهما الفضل فى انشاء أول جامعة فى قرطبة وعملا على تشجيع العلم والعلماء واستقدامهم من كل مكان شرقاً وغرباً إلى قرطبة.

وقد أخرجت قرطبة عاصمة الخلافة الأموية فى الأندلس وفى الغرب الإسلامى أعظم وأبرز اطباء وجراحى الطب الإسلامى حيث كان يوجد بها فى هذه الفترة عدد كبير من الأطباء المشهورين أهمهم أبو القاسم بن خلف الزهراوى (٩٣٦م-١٠١٣م)(١٤) الذى عرف فى أوروبا باسم صاحب مؤلفة "التصريف لمن يعجز عن التأليف"(١٥) وهى تشمل كل ما يتعلق بالطب ولكن لسوء الحظ لم تصلنا هذه المؤلفة كاملة كما لم نهتدى بعد إلى كل كتاباته ومؤلفاته، وبالرغم من ذلك فيعتبره كثير من مؤلفى ومؤرخى الشرق وبعض الغربيين خير من يمثل الطب الإسلامى فى الأندلس وبخاصة فى علم الجراحة، وقد أخذ عنه الأوربيون والعرب الكثير، ومن الأطباء المشهورين أيضاً من ذاع صيتهم وكان معاصراً لأبى قاسم الزهراوى طبيب البلاط

المعروف بابن جلجل وهو صاحب كتاب "طبقات الأطباء" والذى أهتم فيه بتاريخ الطب وبخاصة "الطب الطبيعى".

وفى الحقيقة أنه لم يصلنا أيضاً الكثير عن مؤلفة علماء الطب الأندلسى الا القليل ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن قرطبة كأهم وأول مركز للطب العربى الإسلامى فى الغرب - أن نشير إلى بعض اطبائها المشهورين أمثال غريب بن سعيد الثانى وقد عرفناه كطبيب مشهور من خلال مؤلفته الموجودة بالأسكوريال بمدريد العاصمة.

وقد عاش غريب بن سعيد فى النصف الثانى من القرن العاشر ايام الحكم الثانى المستنصر ومن أهم أعماله وأشهرها علاج النساء الحوامل وأطفال الرضاع / تطور الجنينز ومؤلفاته هذه موجودة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم ٨٢٨ ومن أشهرها . ونشير ايضاً إلى ابن ابى اصبيعه الذى أفرد فى كتابه فصلاً وجيزاً عن الأطباء الأندلسيين وذكر غريب بن سعيد وغيره كاشهر أطباء الأندلس فى القرن الثانى عشر(١٦) ، أى أن العصور الذهبية للعلوم الطبية، هى القرون الثلاثة من العاشر إلى الثانى عشر وقد اهتم العرب المسلمون خلال هذه العصور بهذه العلوم وبخاصة علم الجراحة وتألقوا فيه وأجادوا اجادة تامة فاقت كل التخصصات الطبية.

ولم تقتصر شهرة قرطبة فقط على نقل الطب الإسلامى بأوروبا فى القرن العاشر، بل ظلت شهرتها كما قلنا حتى القرن الحادى عشر حيث نبغ عدد كبير من الأطباء المشهورين فىالأندلس وهم كثيرون. ومع ذلك لم يصلنا بما فيه الكفاية عن علماء الطب الأندلسى. وكما يقول عبد الملك حبيب السلامى: "اهتدينا إلى معرفة بعض مشاهير علماء الطب الأندلسى عن طريق بعض الكتابات التى تركها وخلفها لنا ابن الخطيب ونقلها عنه". ومهما يكن الأمر فقد فاقت شهرة علمائنا وأطبائنا الأندلسيين فى الغرب أمثال عائلة بن

زهر المعروفة وأشهرهم ابن مروان عبد الملك بن علـى بـن زهـر المعـروف بابن زهر المتوفى سنة ١٦١١م اشهر علمـاء عصـره فـى الأندلس وصـاحب "منهاج الدكان دستور الأعيان" ومن بين مؤلفاته الشهيرة التيسـيرة التـى كتبهـا لتلميذه "ابن رشد" وله كثير من الأعمال التى تتنـاول العلـوم الطبيـة التـى تـدل على تقدمهم فى الطب وبخاصة الطب الطبيعى .

وكمـا كـانت الأندلس وبخاصـة قرطبـة أهم مراكـز الطـب الإسـلامى فـى أوروبا كذلك كانت صقلية بالرغم من قلة الفترة التى حكمها المسلمون إذا أصبحت من أهم المعابر الرئيسية التى نقلت العلوم الإسلامية وبخاصة الطبية إلى أوروبا.

كان موقع صقلية الجغرافى المتميز عاملاً هاماً فى معرفة الغرب لعلوم الشرق، وكانت صقلية وعلى الأخص عاصمتها باليرمو أكـثر مدنهـا ازدهـاراً وتألقاً ونقلاً للعلوم الإسلامية .

ويرجـع الفضـل فـى ذلـك إلـى أن الملـوك قـد احـترموا هـذه الحضــارة وعرفوا قيمتها وحافظوا على تراثها وشجعوا علماءها وأدباءهـا المسـلمين مـا أدى إلى استقرار الحضارة الإسلامية فى صقلية بفضل السياسة الحكيمة التـى اتبعها حكامها النورمان وبخاصة الامبراطور فردريك الثانى امبراطور المانيا وايطاليا وقد عمل أيضاً على تشجيع ترجمة العلـوم الإسـلامية إلـى اللاتينيـة حتـى يستفيد منها الأوروبيون مما أدى إلى نهضة القرن الثانى عشر الميلادى بأوربا .

ولا ننسى أن العرب اتخذوا مدينة بـاليرمو palermo عاصمـة لهـم وقـد انجبت صقليـة فـى العصـر الإسـلامى كثيراً مـن العلمـاء والأدبـاء والشـعراء وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ويقول الأنصارى " أن صقلية زمن الحكـم الإســلامى لهـا كـانت فىالعلـم كثيرة العلمـاء والأدبـاء والفضــلاء مضاهيـة الأندلس Al-Andalus .

وهذا راجع دون شك لتعاون أهلها وسكانها وتعاطفها كل من المسلمين ولسياسة الحكام النورمان ازاء مسلمى صقلية وعلمائها باعتبارهم يمثلون العنصر البناء المنتج من السكان الأصليين الصقليين واعجابهم الشديد بالإسلام وعلومه. وقد بلغ طموحهم الحضارى وحماسهم البناء لدرجة أن كل من روجر الثانى (١١٠٩م-١١٤٥م) Rogero II وفردريك الثانى (١٢٢٠-١٢٥٠) Federico II زاد من حماسهم واعجابهم وتشجيعهم للعلماء المسلمين حتى ينافسوا الأندلسيين والعباسسين فى بغداد فى حبهم للعلم والعلوم واشتغالهم به.

ويمكن القول بأن عصر النورمان فى صقلية قد تميز بالحرية الدينية. ولذلك فقد نشطت حركة الترجمة بصقلية وأنشى بها مدرسة الطب فى باليرمو وبخاصة زمن فردريك النىُانتقل بعد لك هذا النظام إلى غرب اوروبا وتطور ليصبح جامعة للطب فى سالروا Salerno . ويعتبر عصر الامبراكور فردريك الثانى عصراً هاماً بالنسبة لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ونقل المعارف الإسلامية إلى غرب أوروبا وقد عمل على اقتناء مجموعة هامة من الكتب إلى مختلف العلوم .

ومن المؤكد فضل ترجمة هذه العلوم يرجع إلى عدد كبيرمن التمرجمين الذين ضمهم بلاط فردريك الثانى امثال ميجيل اسكوت (Miguel Scott) وتيودور والانطاكى (Teodoro de Antakia).

ويؤكد المؤرخون على أن نشاط حركة الترجمة ساعد فردريك الثانى على تأسيس أول جامعات الغرب الأوروبى فى نابولى عام ١٢٢٤م. وأيضاً يرجع الفضل إلى قسطنطين الأفريقى عام ١٠٢٠ - ١٠٨٧) الذى قصد ساليرنو واتحف مدرستها الطبية بكتب ابقراط (١٠٢٠م-١٠٨٧م) وجالينوس وحنين بن اسحاق. وغيرهم من الاطباء العرب واليونانيين وامتدت شهرة هذه المدرسة فى ساليرنو على عهد قسطنطين الافريقى فى جميع أنحاء ايطاليا وجنوب فرنسا.

وقد ترجم جيرارد الكريمونـى Gerardo de Carimnia الـذى قـدم إلـى ايطاليا واستقر فيها وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية منها مؤلفات الرازى والكندى وأبو القاسم الزهراوى ونقل أيضـاً كتـاب القـانون فـى الطـب لابـن سـينا Avicena وهـذا الكتـاب يعتبر أهـم الكتـب الطبيـة وقـد لعـب دوراً خطيراً فىالقرون الوسطى وطبع لأول مرة فى مدينة البندقية عام ١٥٤٦.

ويقول احسان عباس فى مؤلفته "العـرب فـى صـقليـة" أن صـقليـة كـانت تستمد بعض الكتب فى الطـب مـن شـمال افريقيـا فمنـذ بـدء العصـر الفـاطمى عرفت القيروان نهضـة واسـعة فـى الطـب واشـتهر فيهـا اسـحاق بـن عمـران الاسرائيلى وابن الجزار القيروانى. وقد ترك هذا الأخير ما يقرب مـن ثلاثيـن مؤلفاً ولا يعقل أن تكون هذه الكتب مجهولة كلها فى صقلية.

ويعلـق مـاكس مـايرهوف Max Mayer Hof علـى هـذا بقولـه " ظلـت مؤلفات الرازى وابن سـينا وغيرهـا مـن المراجـع الهامـة فـى الطـب وانتقلت الخبرة العربية الإسـلامية فـى هـذه العلـوم واكتملـت فـى القـرن الثـالث عشـر بفضل نشاط الترجمة فى باليرمو عاصمة صقلية التى كـان قـد دخلهـا العـرب سنة ٨٣١م حيث اقاموا فيها أول مدرسة للطب فى أوروبا.

فى هذه المدرسة الف كثير من الكتب فى الطب، وكـان مـن اشـهر مـن ترجم إلى العربية إلى اللاتينية فى مدرسة سـاليرنو هـو قسـطنطين الافريقـى. أى أن تشجيع الملوك النورمان لحركة الترجمة فى صقلية جعلهـا تنفـرد بهـذا الدور الحضارى العظيم وجعلها معبراً اساسياً لنقل العلوم للغرب خلال ثلاثة قرون .

وبهـذا القـدر أصبحـت صـقليـة نقطـة لقـاء بيـن الإسـلام والغـرب وكـان للوجود العربى الإسلامى فى صقلية وجوداً حضارياً وفكرياً وعلمياً أكثر منـه غـزواً حربيـاً عسـكرياً، نتيجـة لـروح التسـامح والتعـاون الفكـرى والحضـارى والصلات الثقافية العريقة التى تربط بين الإسلام والمسيحية وبين الشرق والغرب.

الهوامش

(١) حامد زيان : "الإسلام والمسلمون فى صقلية"، ص ١١٩-١٣٠

(2) Gamal Abdel Karim "Toldeo, una encrucijada cultural y religiosa" pp. 123-154.

- Reflexiones en torno a las aportaciones culturales - el Mediterráneo Al-Andalus y Sicilia. publicaciones del Centro 'Al -Farabi, Palermo-Italia. Maria Teresa Garulo, Sobre la escuela de traductores de Toledo. pag. 1-14.

(٣) د. عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، الدار العربية للكتاب، ص ٥٥، ١٩٨٠.

(٤) احسان عباس : العرب فى صقلية ، ص٢٢٨-٢٣١.

(٥) على حسن الخربوطلى: الحضارة العربية ، ص١٦٠-١٦١.

(6) Kaskins, the renaissnace of the tewlfth century , p.244.

(7) Ibid, p.203 y en Gabrelli, en su libro kitab al-'sarq-wal- garab, p.58

(8) De Estefano: La cultura alla corte de Federico II, Impertatore, p.44-45.

(9) Al Maqqrari : nafh al-Tib, I, 173.

(10) De Gregario Y Seybold, C.: Glossario delle voci siciliane, p.225-251.

(١١) لقد تعددت المؤلفات والكتابات عن الطب العربى الاسلامى وشملت كل تخصصاته وتعرض للكتابة عنهم كثير من المؤلفين الغربيين والشرقيين وهى كتابات كثيرة ومتنوعة وترجم ايضاً لكثير من أشهر علماء الطب الإسلامى وترجمة مؤلفات الكتاب الغربيون أمثال جورج براون وماكس ايرهول وبروكلمان وفستنفلد وبيرجيل وجبربيلى. وأعظم المراجع التى يمكن النظر إليها فى هذا المجال هى مؤلفات ابن ابى اصبيعة "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" وتاريخ الحكماء للقفطى وطبقات الاطباء لابن جلجل وغيرها من مؤلفات العرب والمسلمين .

(١٢) انظر رشيد الجبيلى "الحضارة العربية الاسلامية واثارها على الحضارة الأوربية ومقالة الدكتور محمدعبد الرحمن مرحبا "مدخل التراث الاسلامى العلمى وأهميته فى تاريخ العلوم والحضارة" مجلة الفيصل "العدد ٢٤" الرياض، وتاريخ الإسلام لشافت بوزورت بمجلة عالم المعرفة التى تصدرها الكويت. ترجمة د. حسين مؤنس وحسان

صدقى مراجعة د. فؤاد زكريا عام ١٩٧٨ ، وراجع ايضاً محاضرات فى تاريخ العلوم للدكتور فؤاد سيزكيين ، الرياض، ١٩٧٩. وعالم الفكر "حضارة الاندلس: المجلد الثانى عشر ابريل - مايو عام ١٩٨١، ضمن مؤلفات كثيرة ومتعددة .

(١٣) انظر رشيد الجبيلى "الحضارة العربية الإسلامية واثرها فى الحضارة الأوروبية" وآخر مرجع فى هذا الشان - المكتبة الصقلية لميشيل امارى العلامة الايطالى .

(١٤) من بينهم ابو عثمان الجزار ومحمد بن سعيد عبد الرحمن بن ايمان ابى الهيثم وابو عبدالله الصقلى ومحمد بن حمدون والثقفى والكتانى وابن البيطار والثقفى وغيرهم.

(١٥) كتب عن ابى القاسم الزهراوى كثير من المؤلفين وقد اطلعت أخيراً على البحث المقدم من الدكتور اكمل الدين احسان الاستاذ المشارك بكلية العلوم جامعة انقرة الذى تقدم به إلى المؤتمر الذى انعقد فى اشبيلية فى مارس ١٩٨٠ حيث تعرض لدراسة مفصلة لشخصيته وتقييم جيد لمكانته العملية والتاريخية وهو بحث طيب يمكن الاطلاع عليه والاعتماد على كثير من معلوماته.

(١٦) أستاذنا الفاضل الدكتور شوقى ضيف يتشكك فىأول كلمة من عنوان مؤلفة الزهراوى "التصريف" وهى المعروفة لدى كثير من المؤرخين وهو يرى أنه من الممكن أن يكون "التصنيف أو التعريف" بدلاً من التصريف. رغم قلة المعلومات عن الزهراوى فقد شن بعض المستشرقين هجوماً عنيفياً أمثال جورج سارتون وغيره ليقللوا من شأنه فان اسهاماته فى علم الطب تشهد له المصادر العربية والإسلامية التى اثنت عليه فذكره الحميدى فى "جذوة المقتبس" وابن باشكوال فى "كتاب الصلة" وابن ابى اصبيعه "عيون الانباء فى طبقات الاطباء" والحاج خليفة فى "كشف الظنون" وغيرهم كثيرون .

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١ - حامد زيان : "الإسلام والمسلمون فى صقلية"، مجلة كلية الآداب، المجلد السادس والثلاثون والسابع والثلاثون، مايو ، ديسمبر سنة ١٩٧٢، مايو وديسمبر ١٩٧٧، جامعة القاهرة ١٩٨١.

٢ - د. عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠.

٣ - إحسان عباس : العرب فى صقلية.

٤ - على حسن الخربوطلى: الحضارة العربية .

ثانياً: المراجع الأجنبية :

1. Alverny, Mª, Tgeresa d'. "Marc de Toléde, traducteur d'Ibn Tumart" al-Andalus XVI (1951).

2. Antuña, M., "Una versión árabe compendiada de la "Estoria de España", de Alfonso X" al -Andalus I (1933).

3. De Estefano : La cultura alla corte de Federico II, Impertatore, Palermo, 1938.

4. De Gregario Y Seybold, C.: Glossario delle voci siciliane, 1902.

5. Furlani, G. "Le antiche versioni araba, latina ed ebraica del "Departibus animalium, de Aristoteles, R.S.O. IX (1921-23).

6. Gamal Abdel Karim "Toldeo, una encrucijadal cultural y religiosa" Revista de la Facultad de Letras de la Universidsd de El Cairo.

7. Garcia Solalinde "La intervención de Alfonso X en la redacción de sus obras" Rev. de Filología española II (1915).

8. Goichon, A.M. "Influence d'Avicenne en Occident" IBLA XIV (1951).

9. Gonzalez Palencia, A. "El Arzobispo don Raimundo de Toledo". Labor, Barcelona 1942.

10. Kaskins, the renaissnace of the tewlfth century , London, 1927.

11. Menendez Pelayo, M. "Historia de los Heterodoxos". Madrid, 1956.

12. Menendez Pidal, Gonzalo "España y la introducción de la ciencia árabe en Occidente". RIEEI, III (1955).

13. Millas Vallicrosa, J.M. "El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el Sabio". al-Andalus I (1933).

14. __________ "Los primeros tratados del Astrolabio en la España árabe". RIEEI, III (1955).

15. Reflexiones en torno a las aportaciones culturales - el Mediterráneo Al-Andalus y Sicilia. publicaciones del Centro Cultural arabe 'Al-Farabi, Palermo-Italia. Maria Teresa Garulo, Sobre la escuela de traductores de Toledo. revista Encuentro, nº 18, Septiembre de 1978.

16. Sarton, G. "Oriente y Occidente en la Historia de la Ciencia". Al-Andalus II (1934).

17. Steiger, A. "Tradición y fuentes islámicas en la obra de Alfonso el Sabio" RIEEI, III, (1955).

دارسة تحليلية لعوامل قيام وأفول الدويلات المستقلة
فى المشـــرق الإســلامى
فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

د/ حورية عبده عبد المجيد سلام
كلية الآداب - جامعة القاهرة

اهتمت الدراسات التاريخية للدويلات الإسلامية فى المشرق بتاريخ مؤسسى هذه الدول وتطورها السياسى وهى فى هذا الصدد تطلق أحكامًا عامة عن نشأة كل منها وتاريخها السياسى حتى سقوطها .

لكننا نرى أن التعميمات التاريخية تفقد أهميتها إذا لم تستند إلى براهين تنتج عن تحليل الوقائع بعد دراستها دراسة دقيقة ، كما أننا لا نميل إلى ماذهبت إليه المدرسة التاريخية التى اتبعها بعض المؤرخين فى اعتبار أن التاريخ علم يعالج وقائع منفردة غير قابلة للتكرار فى دراسة تاريخ كل دولة دراسة مستقلة . وبتتبع قيام وأفول كل من الدويلات المستقلة فى المشرق نجد عدة ظراهر تتكرر فى بعض الدويلات وتتميز فى البعض الآخر ، وهى فى تكرارها وتمايزها تكشف لنا عن حقيقة قيام تلك الدول ، وكيفية مآلها إلى الأفول والسقوط .

إذ ثمة ظواهر مشتركة بين هذه الدويلات جديرة بأن تفتح بابا للمناقشة والدراسة .

أول هذه الظواهر ظاهرة التعاقب والتزامن فى قيام تلك الدويلات . فظاهرة تعاقب بعض الدويلات وتزامن البعض الآخر واقع تاريخى أكده ما كان يجرى من أمور فى المشرق طوال أربعة قرون ونصف تقريبًا بدء

من قيام الدولة الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ - ٨٦٨ م ، وحتى سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م إلا أننا سوف نقصر البحث على القرنين الثالث والرابع الهجريين على أساس أنهما شهدا بداية هذه الحركات الاستقلالية فى المشرق .

فإذا تتبعنا تاريخ دويلات المشرق الإسلامى نجد أن أول دولة استقلت فى المشرق هى دولة الطاهريين التى تنسب إلى مؤسسها " طاهر بن الحسين "(١) ٢٠٥ - ٢٥٩هـ / ٨٢٠ - ٨٦٨م ، أعقبها قيام كل من الدولة الصفارية فى سجستان والدولة الزيدية فى طبرستان ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م .

كانت الدولة الطاهرية التى أسسها طاهر بن الحسين أحد كبار قواد جيش الخليفة المأمون هى أولى حركات الاستقلال التى ظهرت فى المشرق الإسلامى .

فكان تولى المأمون الخلافة وانتصاره على اخيه الأمين فرصة عمل لها وأفاد منها العنصر الفارسى كحركة رد فعل للانتصار الذى أدركه العرب منذ عهد الخليفة الرشيد(٢) ولكى يحقق الخليفة المأمون استقرار الأمور فى الدولة رأى أن يستعين بالأتراك الذين احتك بهم وخبرهم منذ كان مقيمًا فى خراسان فاستقدم عددا منهم وألحقهم بجيشه ليكونوا عونا له على إقرار الأمور بإيجاد نوع من التوازن بين الفرس الذين تفاقم نفوذهم والعرب الذين حاولوا استعادة مكانتهم وهى المحاولة التى انتهت بمقتل الأمين .

وقد نجح طاهر بن الحسين بانتزاع بغداد من يد الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٣ ، وقد أسند إليه المأمون مكافأة لجهوده ولاية الجزيرة ، وأبعده عن ولاية خراسان لإدراك المأمون مدى ما يتمتع به طاهر بن الحسين من نفوذ فى خراسان غير أنه بعد أن تمكن من قمع الفتنة التى سادت خراسان

أثناء انشغال طاهر بن الحسين بحرب الأمين . وما زال بالخليفة المأمون حتى أسند إليه ولاية خراسان سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠ م فوطد طاهر نفوذه بها وأتخذ من نيسابور عاصمة لدولته ومالبث سنة ٢٠٧هـ /٨٢٢م أن أسقط اسم الخلفية المأمون من الخطبة .

وعم ذلك فقد عهد الخليفة المأمون بعد وفاة طاهر بن الحسين بولاية خراسان لابنه عبد الله . وقد اتسع نفوذ الدولة الطاهرية فى عهده حتى شملت الرى وكرمان والأراضى الواقعة شرقها حتى حدود بلاد الهند ، أى القسم الشرقى من الدولة العباسية(٣) وقد اعتمدت الخلافة العباسية اعتمادا كبيرا على الطاهريين فى حل مشاكلها . وظهر دورهم واضحا فى عهد الخليفة المستعين حين ثار الترك عليه فلجأ إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وأعد الخليفة المنافس " المعتز " جيشا لحرب المستعين ، وقام محمد بن عبد الله بن طاهر بدور بارز فى خلع المستعين بعد أن عدل الطاهريون عن نصرته ، وبايعوا المعتز(٤) .

وقد انعكست آثار هذه الاضطرابات على منطقة فارس وخراسان فى وقت ضعف فيه الطاهريون الأواخر ، ونشطت طائفة المطوعة نشاطا كبيرا، وتجمعت لهم قوات تأتمر بأمرهم وطمعوا فى السيطرة على سجستان كلها وانتزاعها من أيدى الطاهريين لتكون قاعدة لهم ينطلقون منها إلى ما وراءها.

أما الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٢٨٩هـ / ٨٦٨ - ٩٠١ م) فتنسب إلى يعقوب بن الليث الصفار الذى استطاع السيطرة على خراسان ودخل نيسابور(٥) معلنا قيام دولته وسقوط دولة الطاهريين ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ / . وقد جاءته الفرصة لإثبات قدرته العسكرية عندما توفى زعيم الجند المطوعة صالح بن النضر الكنانى فى سجستان وخلفه فى الزعامة درهم بن الحسين

الذى لم يكن بنفس مقدرة سابقه فاختار الجند يعقـوب بـن الليـث الصفـار قـائدا عليهم ، واجتذب بمهارته أعدادًا كبيرة من المتطوعيـن واسـتخدم هـذا الجيش فى قمع حركات الخارجين عن الخلافة وكتب إلى الخليفة العباسى المعتز بالله يطلب منه أن يقره على ما فتحه من بلاد .

وقـد عـاصرت الدولـة الصفاريـة دولـة أخـرى هـى الدولـة الزيديـة فـى طبرستان(٦) . ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م حين تمكن الحسن بـن زيـد أن يبسـط نفـوذه على مدينة آمد عاصمة طبرستان وانضم إليه عدد كبير من الديلم(٧) . وتمكن من ضم أقليم جرجان(٨) . بعد أن أجبر عمال الطاهريين على تسـليمها وكـان الحسن بن زيد قد تمكن من نشر الدعوة الزيدية فى منطقة الـرى وظـل مقيمـا بها حتى دعاه أهل طبرستان للقضـاء علـى الوالـى الطـاهرى وبويـع بالإمامـة وبذلك قامت الدولة الطبرية الزيدية(٩).

واسـتمر حكمهـا أكـثر مـن نصـف قـرن باسـتثناء أربعـة عشـر عامـا خضعت خلالها لحكم السامانيين ، الذين كانوا قد استقلوا ببلاد مـا وراء النهـر سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م . وتمكنوا من فرض نفوذهم على إقليم طبرستان سـنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م بعد نجاحهم فى التحالف مـع الديلـم . وكـان هـذا التحـالف سـببا فـى إضعـاف نفـوذ الزيديـة إلـى أن تمكـن الداعـى العلـوى الحسـن الأطروش(١٠) . سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م من استعادة نفوذ الزيدية فى طبرسـتان واستمر الحكم فى أولاده حتى سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨م .

وأعقبها فى إقليم طبرستان الدولة الزياريـة ٣١٦ - ٤٨٣ هـ / ٩٢٨-١٠٩٠م التى أسسها مرداويج بن زيار (١١) . الذى نجح فى كسب تأييد الديلم ومد نفوذه إلى إقليـم الجبـل(١٢). ولـم يكـن لهـذه الدولـة إمـام زيـدى تديـن لـه بالولاء . ورغم أنها زيدية المذهب فإنها اعترفت بالخلافة العباسـية السـنية .

والدولـة الزيارية هـى التى مهدت للدولـة البويهية التـى مـدت نفوذهـا نحـو الجنوب حتى إقليم فارس . واستقرت فى إيران وكانت قاعدتهـا مدينـة شيراز ثم مدت نفوذها إلى العراق سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م(١٣) . وعيـن الأمـر نجده فى أقصى الشمال الشرقى من إقليم المشرق الإسلامى حيث إقليم مـا وراء النهر(١٤) . (المسمى بلاد التركستان) حيث قـامت الدولـة السامانية(١٥) . ٢٦١ - ٣٨٩-هـ / ٨٧٤- ٩٩٨ م وكان السامانيون فى بلاد ما وراء النهر يتعاونون مع الطاهريين فى خراسان فى حماية الثغر الشـرقى ، كمـا شـاركوا فـى الصـراع الذى احتدم بين الصفـاريين والطـاهريين الأمـر الـذى جـدا بالطاهريين لأن يقروا السامانيين على بلاد ما وراء النهر .

ولمـا ضعف أمر الدولـة الطاهريـة باستيلاء الصفـاريين علـى إقليم خراسان ، قدرت الخلافة العباسية للسامانيين إخلاصهم فحولت بـلاد مـا وراء النهر إقليما منفصلا عن خراسان وأقـرت عليـه السـامانيين ، الذين أدوا دورا مهما فى الثغر التركى إلى أواسط آسيا . وإذا كانت الدولة السامانية قـد قـامت فى أول الأمر فى منطقة لا تدخل فى منطقة الثقافة الإيرانيـة إلا أنهـا بسطت سلطانها علـى بـلاد خراسـان وضمت طبرستان والـرى والجبـل وسجسـتان واستجابت لنفس تيار الحركة الاستقلالية ونجحوا فى القضاء على بنى الصفار الذين تداعت قواتهم بتفرق قواد الجيش وتمردهم فى عهد إسـماعيل بـن أحمد الساماني الذى آلت إليه زعامة السامانيين بعد موت أخيه نصر سـنة ٢٧٩هـ/ ٩٠٩ م(١٦) . وشهد عام ٣٨٩هـ / ٩٩٨/ نهاية الدولة السامانية(١٧).

والظاهرة الثانية : التى تستحق الدراسة هى ظاهرة قصر عمر مرحلـة قوة الدولة ، فالملاحظ أن عمر كل دولة من دول الشرق تراوح ما بين نصف قرن إلى أقل من قرن ونصف ولكن الأمر الجديـر بالملاحظـة هـو أن عصـر عنفوان كل دولـة يعد قصـيرا بالقيـاس إلـى طـول عمرهـا الحقيقـى . كمـا أن

عصر قوة الدولة فى أغلب الأحيان ارتبط بمؤسسها فما أن ينتهى حكمه حتى تقع البلاد فى شرك الصراع على السلطة بين أبناء البيت الحاكم وأوضح مثال على ذلك الدولة الصفارية(١٨) ٢٥٤ -٢٨٩هـ / ٨٦٨- ٩٠١ م إذ نجد أن عصر قوتها يقتصر على مؤسسها يعقوب بن الليث الصفار الذى حكم ما بين ٢٥٤ - ٢٦٥هـ أى مدة عقد من الزمان ، فإذا قيست فترة حكمه وهى فترة قوة الدولة بعمر الدولة عامة والذى يمتد نحو خمس وثلاثين عاما نعدها فترة قصيرة .

وذات الظاهرة نجدها فى دولة الزياريين والتى حكمت من ٣١٦ - ٤٨٣ هـ / ٩٢٨ - ١٠٩٠ م اقتصر عصر قوتها على عصر مؤسسها مرداويج بن زيار وربما عصر أخيه " وشمكير " فحكما الاثنان متعاقبين مدة تقرب قليلاً من عقدين من الزمان(١٩) .

والظاهرة الثالثة : هى ظاهرة استخلاف منشىء الدول بأقاربهم خاصة الإخوة دون الأبناء ، وقد سجل ابن الأثير(٢٠). هذه الظاهرة بقوله : " رأيت كثيرا من التواريخ الإسلامية التى يمكن ضبطها ، ورأيت كثيرا ممن يبتدىء الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه منهم السامانية وأول ممن استبد منهم نصر بن أحمد ، فانتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه ، ثم يعقوب الصفار وهو أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك إلى أخيه عمرو وأعقابه ثم عماد الدولة بويه وهو أول من ملك من أهله ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه ركن الدولة وعز الدولة"(٢١) .

أما الظاهرة الرابعة : فهى ظاهرة أفول الدولة بسبب عامل الوراثة فى الحكم ، وهى ظاهرة تتجلى بوضوح فى معظم دول المشرق الإسلامى وهى دليل الانتقال من عصر القوة فى الدولة إلى عصر الضعف ، ومما يجدر ذكره أن ظاهرة الوارثة فى الحكم لا تنطبق على دول المشرق فحسب

بل والمغرب أيضا ، والجدير بالملاحظة فـي حـال دول المشـرق هـو أن تلـك الظاهرة فى كثير من الأحيان أودت بمصالح الـدول ، وسـاعدت علـى تراجـع نفوذها ، وظهور غيرها عليها .

فدولة البويهيين بعد وفاة مؤسسى الدولة الثلاث (عماد الدولـة – ركـن الدولة – معز الدولة) تنازع على سيادتها أبناء هؤلاء الأخوة الثلاث حتى أننا نستطيع القول بناء على هذا أن الدولة البويهية مالت منذ اللحظـة الأولـى إلـى استقلال أجزائها بعضها عن بعض فكـان كـل جـزء مـن أجزائهـا يميـل إلـى الاسـتقلال ممـا أدى إلـى تفكك أواصـر الدولـة . وبـاتت علـى ضعفهـا يشـتد سـاعدها عندمـا يستطيع أحـد أفـراد البيـت الحـاكم جمـع شـمل الدولـة وذلـك باستعباد المناوئين من بينهم أو بقتلهم ، وهذا هو العامل الأساسى فيما أصـاب دولة البويهيين من الضعـف(٢٢) . والـذى نـود تـأكيده هـو أنـه كـان مـن أهـم عوامل زوال تلك الدول تصارع أبناء بيتها الحـاكم وأنقسـامهم علـى أنفسـهم ، الأمر الذى يؤدى إلى انشغال الدولة من الداخل بأمر ذلك الصراع غافلين عما يدور حولهم فى الخارج ، كما يؤدى إلى ازدياد الفتن والاضطرابات وإشـاعة الفوضى مما ييسـرزوالها عندمـا تسـتغل هـذه الظـروف التـى تمـر بهـا البـلاد شخصية قوية ذات أطماع وأتباع تساندهم فى قيـام دولـة جديـدة علـى أنقـاض الدولة المتداعية (٢٣).

والظاهرة الخامسة : هى ظاهرة قيام بعـض الـدول فـى المشـرق علـى أساس مذهبى ، ذلك أن الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق الإسلامى لم تقم كلها على مذهب الخلافة العباسية السنى بل قـام بعضهـا علـى أسـاس مذهبـى مخـالف لهـا هـو المذهـب الشـيعى كمـا هـو الحـال فـى الدولـة الزيديـة والـدولة البويهية .

والجدير بالملاحظة أن الدول الشيعية انطلقت من منطقة جنوب بحر قزوين ، حيث كانت هذه المنطقة هى المنطلق لهجرة الديلم الذين اعتنقوا مبادىء التشيع وتعرف هجراتهم بالهجرات الديلمية(٢٤) . وقد بدأت هذه الهجرة من مدينة الرى جنوبا حتى شرقى بلاد فارس وهذه المنطقة وقعت بعد سقوط الدولة الطاهرية بين قوتين ، قوة الدولة السامانية ومركزها فى إقليم ما وراء النهر والدوالة الصفارية التى مالبثت أن خضعت للسامانيين .

وقد عجزت الدولة السامانية أن تفرض نفوذها على هذا الإقليم . وقد حاولت الخلافة أن تقف أمام التقدم الديلمى ففوضت السامانيين للسيطرة على المنطقة التى تنطلق منها هجرة الديلم فضمت هذه المنطقة إليها مع إقليم خراسان(٢٥). إلا أن الهجرة الديلمية استؤنفت فى أوائل القرن الرابع الهجرى وقوى تيارها نتيجة إسلام أعداد كبيرة من الديلم حتى كانت الدولة الزيارية التى حلت محل الدولة العلوية ثم كانت الهجرة التى قادها على بن بويه واستقرت فى إقليم فارس ونجحت فى إقادة الدولة البويهية(٢٦).

ولم يكن لدولتى الزياريين(٢٧) ما لدولة البويهيين(٢٨) من الشأن والأثر بحكم الإمتداد الجغرافى وسيطرة الأخيرة على مقر الخلافة وما أحرزته فى مضمار الحضارة من تقدم . إلا أن هذه الدول جميعا قد أرقت الخلافة .

والذى يجب ذكره هنا أن الدول السنية اعتمدت على قوة شخصية مؤسسها ومكانة أتباعه وعصبيته ، واستغلاله للظروف التى كانت تمر بها الخلافة والدويلات الأخرى القائمة ، بينما الأمر يختلف فى حالة قيام الدول الشيعية المذهب فالأساس الأول فى قيامها هو قوة انتشار وتعمق هذا المذهب فى نفوس أهالى البلاد وجندها وكانت لسياسة الخلافة العباسية فى قمع

حركات الزيدية فى العراق رد فعل عنيف فى طبرستان وجرجان وبلاد الديلم فطردوا عمال محمد بن عبد الله بن طاهر ، إلا أن عامل محمد بن عبد الله بن طاهر سليمان بن عبد الله سرعان مانكل بالأهالى الأمر الذى أثار سخطهم وتحالفوا مع الديلم وبايعوا الحسن بن زيد وكان يقيم بالرى ودعوه إلى بلادهم فتوجه إلى طبرستان وأوقع الهزيمة بواليهاسليمان بن عبد الله وآلت طبرستان كلها لحكم الإمام الزيدى(٢٩).

وظلت الدولة الزيدية قائمة إلى أن ضعف أثر المذهب الشيعى – لمدة وجيزة – لتقوم الدولة الزيارية على يد رجل ليس من الزيديين وهو مرداويج بن زيار " ليفصل بين الإمام وبين الديلم فى حكم وإدارة الدولة . ورغم تشيع الدولة الزيارية فقد عقدت معاهدات صلح وصداقة وتعاون مع السامانيين السنيين بل ومع الخلافة العباسية نفسها(٣٠).

وهذا يرجح لدينا أن اعتناق أهل البلاد لمبادىء التشيع لم يكن لذات المذهب الشعيى بل كان تعبيرا عن سخطهم على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهنا يتبادر سؤال هام . لماذا كانت منطقة طبرستان أرضا خصبة لانتشار مبادىء التشيع بها ؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من التوقف عند أول الثورات وأخطرها التى شغلت الطاهريين وهى تلك الثورة التى أشار إليها اليعقوبى(٣١) والتى قامت فى عهد محمد بن طاهر ، كان حاكم طبرستان آنذاك عمه سليمان بن عبد الله ، وقد أسند الخليفة المستعين ولايتى طبرستان والديلم إلى محمد بن عبد الله بن طاهر الذى كان حاكما لبغداد بين عامى ٢٣٧ – ٢٥٣ هـ / ٨٥١– ٨٦٨ م ، وقد أناب محمد بن عبد الله إدارة هذه الأرض إلى رجل نصرانى يدعى (جابر بن هارون) فقام بوضع يده على السواقى الملاصقة

لأرض محمد بن عبد الله وكانت أراضى لعامة الناس ترعى فيها سائمة أهالى القرى المجاورة ، وقد أدى هذا الاعتداء على حقوق الأهالى إلى اشتعال نيران ثورة شاملة تزعمها العلويون .

ولا شك أن سياسة الولاة الجائرة تجاه أهل البلاد كانت سببا رئيسيا لنجاح العلويين فى استغلال موجة السخط التى عمت البلاد لصالحهم ونشر مذهبهم المعارض للخلافة العباسية على اعتبار أنها خلافة غاصبة(٣٢). وقد وجد الموالى ضالتهم فى أمثال هذه الدعوات التى ترفع شعار الإصلاح والمساواة أى مساواة الموالى بالعرب حيث وجد أصحاب هذه الدعوات فى الاعتماد على هذه الثورة الشعبية الواسعة التى كان المحرك الأساسى لها سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

كما كانت سياسة الخلفاء العباسيين تجاه العلويين(٣٣). القائمة على الحرب والتنكيل بإستثناء قلة منهم قد أدت إلى سخط بنى عمومتهم من العلويين وثورتهم عليهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد سببوا لهم كثيرا من المشاكل سواء حين لجأوا إلى القوة تارة وإلى الدعاية الخفية بين جماعات الفرس تارة أخرى تلك السياسة التى كانت أكبر أثرا وأبعد مدى .

ولا شك أن المعارضة الشعبية التى قامت فى وجه الخلافة العباسية قد وجدت ملجأ لها فى تلك المناطق البعيدة عن مركز الخلافة ونجحت فى استقطاب أعداد كبيرة من الأهالى إليها . وإن مبادئها التى دعت إليها والتى تتلخص فى إظهار مباينة الظالمين والتجرد لقصدهم ودفعهم "(٣٤). كانت السبب الأساس لنجاحهم فى نشر مذهبهم(٣٥).

فقد استطاع زعيم الزيدية " القاسم الرسى "(٣٦) . أن ينجح عن طريق دعاته الذين بثوا مبادئه بين الأهالى أن يمهد لقيام أول دولة زيدية فى

طبرستان معتمدة على شعوب الديلم . هذه الشعوب التى كانت تكون الجزء الرئيسى من جيش البويهيين فقد كان قيام الدولة البويهية يمثل ذروة نجاح هجرة الديلم .

ولابد لنا من التوقف عند موضوع هذه الهجرة حيث تشير المصادر التاريخية ، إلى أن الديلم هاجروا على هيئة أجناد ، فكانوا يتخذون لأنفسهم قائدا يتبعونه ، كان هذا القائد ينتقل من خدمة ملك إلى آخر بحسب مقدار ما يبذل له ولجنده من مال(٣٧) .

وقد وقفت الخلافة العباسية عاجزة أمام تدفق هذه الهجرة فقد عانت منذ بداية القرن الرابع الهجرى من سيطرة الجند الأتراك إلى الحد الذى حدا بالخليفة المتوكل أن ينقل حاضرة الدولة إلى دمشق هروبا من استبداد الترك ، إلا أنهم دبروا مؤامرة لقتله وبايعوا المنتصر بالخلافة واستفحل الخطر التركى واختل نفوذ الخلافة وفقدت فاعليتها(٣٨).

وقد عبر الخليفة المطيع عن أوضاع الخلافة أوضح تعبير فى رده على بختيار عز الدولة البويهى ٣٥٧هـ / ٩٦٧م حينما طالبه بالمال بحجة الغزو بقوله " الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى وإلى تدبير الأموال والرجال وأما الأن وليس لى من الدنيا إلا القوت القاصر عن كفائى وهى فى أيديكم وايدى أصحاب الأطراف(٣٩) ، فما يلزمنى غزو ... ولاشىء مما ينظر الأئمة فيه ، وإنما لكم منى هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فإن أحببتم أن أعتزل عن هذا المقدار أيضا وتركت لكم الأمر كله " .

ولم تكن أوضاع الأطراف بأحسن حال من أوضاع حاضرة الخلافة فكانت هجرة الديلم من بلادهم تحت وطأة تللك الظروف(٤٠) . والدليل على

ذلك أنه حين استطاع السامانيون أن يتحالفوا مع زعماء الديلم مقابل أموال أعطوها إياهم توقفت هذه الهجرة توقفا مؤقتا ثم ما لبثت أن أستؤنفت مرة أخرى وقوى تيارها فى أوائل القرن الرابع الهجرى بقيام الدولة الزيارية فما كاد زعميها مرداويج يستقر فى إقليمه وينال إعتراف الخلافة حتى إتجهت إليه جموع الديلم من كل ناحية وضاقت الأرض بهم فكان يتدخل لتوزيعهم على النواحى المختلفة إلى أن خرجت عليه طائفة من طوائفه بقيادة زعيمها على ابن بويه(٤١) .

ولم تكن سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى عانت منها بلاد الديلم دافعًا لأهلها على الهجرة فحسب ، بل جعلت بلادهم ملجأ وأرضًا صالحة لزعماء العلويين ليبذروا فيها مبادىء دعوتهم(٤٢) . وقد بلغ الديلم أوج نفوذهم فى عهد معز الدولة البويهى الذى حكم نحو اثنين وعشرين سنة من ٣٣٤- ٣٥٦هـ / ٩٤٥- ٩٦٦م . وانطلق النفوذ البويهى إلى أقصى مداه فى عصر عضد الدولة(٤٣) . فوصل إلى الموصل وديار ربيعة ومضر سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م كما شمل نفوذهم الحدود الإيرانية الممتدة من العراق إلى آسيا الوسطى .

وصفوة القول أن الظواهر المشتركة التى اتسم بها قيام وسقوط الدويلات المستقلة فى المشرق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين إنما تفتح بابا أمام الباحثين لدراسة تاريخ هذه الدويلات من هذا المنظور التاريخى لتفسير كثير من الأحداث التى عمت المشرق الإسلامى حتى سقوط الخلافة العباسية .

الهوامش

(١) أحد كبار قواد جيش الخليفة المأمون بدأ ظهوره أثناء الأزمة بين الأخوين الأمين والمأمون ووقف الحزب الفارسى موقفًا معارضًا إزاء قرار الخليفة الأمين بخلع المأمون من ولاية العهد حين قام الفضل بن سهل بجمع الجند وعهد إلى طاهر بن الحسين بقيادتهم ودارت بين الفريقين عند الرى معركة انتهت بهزيمة الأمين ، وتولى طاهر بن الحسين فارس وواسط والمدائن وأرسل الولاة إلى البحرين وعمان ثم حاصر بغداد واضطر الأمين إلى طلب الأمان من طاهر بن الحسين وفى ذلك يذكر المسعودى أن الأمين راسل هرثمة خفية فى المسير إليه وكان أوثق عنده من طاهر فتأهب هرثمة لذلك وسار إليه فى حراقة فركب معه الأمين ولما تسرب الخبر إلى طاهر بن الحسين وجه إليهم بعض أتباعه الذين رموا الحراقة بالسهام فغرقت فقفز الأمين فى الماء فتمكن من الوصول إلى البر الشرقى حيث لحق به بعض الفرس فى الدار التى أوى إليها وقتلوه فى أواخر المحرم عام ١٩٨ هـ " وبذلك زالت خلافة الأمين وأصبحت بغداد فى قبضة جيوش المأمون وولى طاهر بن الحسين خراسان عام ٢٠٥ هـ واتخذ من نيسابور عاصمة له .

مروج الذهب ، جـ٢ ص٣٥٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ٦ ص١٦٥-١٦٦ ، أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ١٨٤ .

(٣) الطبرى تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص ٨٤١ - ٤٨٣

(٤) الخضرى ، تاريخ الدولة العباسية ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٥) كان زعيم المطوعة صالح بن النضر الكنانى غير أن عبد الله بن طاهر تمكن من هزيمته ، وخلفه درهم بن الحسين وعجز هو الآخر عن انتزاع سجستان من الطاهريين إلى أن تمكن أحد المغامرين وهو يعقوب بن الليث الصفار من التقرب من زعيمى الحركة صالح بن النضر ودرهم بن الحسين ، وآلت إليه زعامة الجند . حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى ص ٦٥ .

هو يعقوب بن الليث الصفار ولد فى قرنين بسجستان كان يعمل بصناعة الصفر (النحاس) انضم مع إخوته الثلاثة عمرو وطاهر وعلى إلى جماعة من المطوعة كانت تعمل على مجاهدة الخوارج فى سجستان تحت قيادة صالح بن النضر الكنانى

وهو رجل من أهل سجستان ، وقد نجح فى التغلب عليها سنة ٢٣٧هـ/٨٥١ م فى خلافة المتوكل .
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٧ ص ٦٤ ،
Grousset. T: Histoire de L'Isie, P . 151.

(٦) طبرستان هى البلاد الواقعة جنوب بحر طبرستان (قزوين) ويحدها من الشرق جرجان التى تقع أقصى شمال بلاد فارس ومن الغرب جيلان ويغلب عليها الجبال وأهم مدنها آمد وسارية - وقد بدأ الفتح الإسلامى لها فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وأول من غزاها سعيد بن العاص والى الكوفة وفتح سهل طبرستان . البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٧) الديلم من الشعوب التى سكنت فى الجنوب الشرقى لبحر قزوين ويسمى الجزء الجنوبى من جيلان باسم بلاد الديلم . وترجع علاقة الديلم تاريخيًا بالعراق إلى بداية الفتح الإسلامى للعراق بعد معركة القادسية سنة ١٤ هـ وكان عددهم أربعة أسلموا وأستأمنوا العرب بعد مقتل رستم قائد الفرس وإنضموا إلى صفوف المسلمين وسموا حمراء الديلم أو ديالمة الكوفة . البلاذرى ، فتوح البدان ص ٣٥٨ .

(٨) يقع إقليم جرجان على واد عظيم بين طبرستان وخراسان ويحده جنوبا إقليم خراسان ومن الشرق إقليم خوارزم وغربا بحر قزوين وإقليم طبرستان . ياقوت ، معجم البدان جـ٦ ص ١٧ .

(٩) ينتسب الزيدية إلى زيد بن على بن زين العابدين بن على بن أبى طالب وقد تعهد له أهل الكوفة بالولاء والطاعة إلى أن أعلن رأيه فى صحة إمامة أبى بكر وعمر فنكثوا بيعته وسموا الرافضة ، وقد تعرض لبطش الوالى الأموى فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وظل أنصاره يتمسكون بمبادئه ونشروها فى المناطق التى هاجروا إليها وكان جوهر هذه المبادئ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع المناداة بأحقية أبناء على فى الحكم ويؤمنون بضرورة التقية أى المداراة حتى يتم جمع الأنصار والظهور . ومذهب الزيدية أقرب المذاهب إلى السنة ويجيزون إمامة المفضول ولذلك رفضوا فكرة الإمام المستور وذاع صيت هذا المذهب بين أهل خراسان حين رحل إليها ابنه يحيى حتى وفاة هشام بن عبد الملك وبايعوه إماما إلى أن دبر الخليفة أمر قتله سنة

١٢٥هـ على يد واليه نصر بن سيار . الأصفهانى ، مقاتل الطالبين ص ٤١٠ - ٤١١، ابن طباطبا ، الفخرى فى الأداب السلطانية ص ١١٠

(١٠) هو الحسن بن على الملقب بالأطروش ويلقب أيضا بالناصر الكبير وقد أقام بين الديلم داعيا بعد مقتل محمد بن زيد العلوى ودخل طبرستان واستخلصها من الأمير السامانى ويذكر الشهرستانى " لم ينتظم أمر الزيدية حتى ظهر بخراسان الناصر الأطروش " الملل والنحل ص ٣١٠

(١١) هو زعيم الديلم الذى أستطاع أن يجمع رؤساء الديلم الذين كانوا ينقسمون إلى عصبتين لكل منها رئيس أولها عصبية الجبل ويتزعمها أسفار بن شرويه وعصبية الديلم التى يتزعمها (ماكان بن كالى) وكان السامانيون قد إستمالوا أسفار بن شيرويه بالمال الذى يطلق عليه المؤرخون (الأجعال السامانية) فأساء معاملة العلويين فدبروا أمر قتله بمساعدة كبير قواده مرداويج بن زيار ابن الأثير . الكامل فى التاريخ جـ ص ٦٣

(١٢) يضم إقليم الجبل خمس مناطق رئيسية هى كرمان شاهان ، همذان ، وأصبهان ، والرى ، أما كرمان شاهان فتشمل المنطقة الغربية من إقليم الجبل وتضم عددا من الكور هى الدينور وشهرزور وحلوان ، ويقع إقليم همذان إلى الجنوب من كرمنشاه وعاصمته همذان أما أصبهان فتقع فى الطرف الجنوب الشرقى من إقليم الجبل قرب حافة المفازة الكبرى ، وأشهر مناطق الجبل إقليم الرى وقصبته مدينة الرى التى تعد عاصمة إقليم الجبل . الإصطخرى ، المسالك والممالك ص ٩٥ ، اليعقوبى تاريخ العيقوبى جـ١ ص ١٧٦ .

وقد وصف المقدسى إقليم الجبل وهو يسميه إقليم الجبال بقوله (هذا إقليم حشيشه الزعفران ، وشرب أهله العسل والألبان وأشجار الجوز والأتيان نزيه بهى خصيب وله شان ، به الرى الجليلة وهمذان والكورة النفيسة أصبهان ... وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور وسبع نواح وأدخلنا أصفهان فى العدد .... فأول الكور من قبل الرحاب الرى ثم همذان أصفهان والنواحى قم قاشان ، الصيمر ، كرج ، ماه الكوفه، ماه البصره ، شهرزور .

أحسن التقاسيم ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(١٣) يصف ابن الأثير أحوال الخلافة العباسية فى ذلك العصر بقوله " إزداد أمر الخلافة إدبار ولم يبق لهم من الأمر شئ البته ... وكانت الخلافة قد طرقها الإعلال وغلب عليها الموالى والصنائع – الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٤٩ ، كما أشار إلى ذلك المسعودى بقوله : غلب على الأمر ابن بويه والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهى ، لا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر " مروج الذهب جـ٢ ، ٥٥٢ مسكويه ، تجارب الأمم جـ١ ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

Muir : The Caliphate P. 548.

(١٤) إقليم ما وراء النهر هو الاسم الذى أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة فى حوض نهرى أمودريا Amu- Darya (جيحون) وسيردريا (سيحون) ولم تكن هذه المنطقة وفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان لأن اسم تركستان إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة أى الأصقاع المترامية الأطراف التى تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين التى كان يقطنها الرحل من الترك والمغول . ورغما من هذا فإن بلاد ما وراء النهر التى لم يكن يحميها من غارات الرعاة أية عوائق طبيعة قد خضعت فى معظم الوقت لسيادة القبائل التركية ، ومعلوم أن الحدود السياسية بين إيران وتوزان فى ذلك الوقت كانت عرضه لتغيرات عديده على مر العصور التاريخية ... ومن وجهة النظر العرقية hnographic فإن تلك البلاد التى كانت تقطنها فى أول الأمر شعوب آريه لم تلبث أن تسربت إليها أعداد غفيرة من العنصر التركى فقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى بين الأقطار التى خضعت لسطان الترك .

بارتولد ، فسيلى فلاديميروفتش – تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى نقله عن الروسيه صلاح الين عثمان هاشم – الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٥) ينحدر السامانيون من أسرة فارسية ، أعتنق جدهم سامان بعد اعتناقه الإسلام فى خلافة هشام بن عبد الملك وأطلق على ابنه أسد تيمنا بأسد بن عبد الله القسرى والى خراسان من قبل الأمويين ، كان ، لأسد أربعة أولادهم نوح وأحمد ويحيى وإلياس وترجع ظهور هذه الأسرة إلى عهد المأمون حين ولى غسان بن عباد خراسان فأسند إلى الإخوة الأربعة أقاليم سمرقند وفرغانة والشاش وهراه وتولى نصر بن أحمد بن سامان سمرقند وأستقر بها حتى استيلاء الصفاريين على خراسان عند تلك عهد الخليفة المعتمد لنصر بن أحمد بحكم بلاد ما وراء النهر .

(١٦) استطاع أحمد بن إسماعيل أن يقضى على الصفاريين بعدما أسر سبكا السبكرى غلام عمرو ابن الليث كما أنتزع سجستان من يد المعدل بن على بن الليث الصفار .
بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية جـ٢ ص١١٣ - ١١٤ .

(١٧) بركلمان ، تاريخ الإسلامية جـ٢ ص ١١٧ - ١١٨ ،

Hitti, History of the Arabs . P.463 .

(١٨) بدأ ظهور يعقوب بن الليث الصفار حين التحق مع أخيه عمرو بن الليث فى جيش المطوعة الذين اعتمدت عليهم الخلافة العباسية فى حركات الخارجين عليها فى المناطق الشرقية الممتدة من خراسان حتى الهند ، وقد شجع الخارجين على الخلافة ما كانت تمر به الخلافة العباسية من اضطرابات نتيجة سيطرة الأتراك ، وجاءت الفرصة ليعقوب بن الليث الصفار لإثبات وجوده العسكرى عندما ما تولى زعيم جند المطوعة صالح بن النضر الكنانى فى سجستان وخلفه فى الزعامة درهم بن الحسين. وتمكن من عزل بنى طاهر عن خراسان وطلب من الخليفة العباسى المعتمد على الله أن يقره على ما فتحه من البلاد وبدأ يعقوب بن الليث يقوم بدور المدافع عن الخلافة العباسية وتمكن سنة ٢٥٥ هـ من الاستيلاء على نيسابور وبذلك أصبحت خراسان تحت السيادة الصفارية وفشلت محاولة الخليفة العباسى المعتمد على الله فى تفريق أنصاره وتحدى نفوذ الخلافة وأستعد لمواجهة الخليفة العباسى فى العراق .

الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك جـ٩ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ ويذهب بارتولد إلى القول بأن يعقوب كان فى بداية أمره خارجيا .

بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ص ٣٤٠

(١٩) أبو بكر الصولى ، أخبار الراضى بالله والمتقى لله ص ٦٢ - ٦٣ ، حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ص ٦٩ .

(٢٠) آلت زعامة السامانيين بعد نصر بن أحمد بن أسد بن سامان إلى أخيه إسماعيل الذى استطاع أن يبسط سلطانه على إقليم خراسان بعد أن هزم الصفاريين كذلك تمكن من الاستيلاء على طبرستان وضم الرى إلى حوزته . ابن الأثير ص ٧ ص ١٦٦ .

(٢١) يرجع أصل بنى بويه إلى الديلم ، وقد بدأوا كجنود مغامرين وكان جدهم الملقب بأبى شجاع صيادا فقيرا ، وقد التحق من أولاد بنى بويه على والحسن وأحمد فى جيش ما كان بن كالى الديلمى وأستطاعوا فى وقت قصير أن يصلوا إلى مراكز هامة ، وأنتقلوا إلى خدمة مرداويج بن زيار فولى على بن بويه بلاد الكرج وهى تقع إلى الجنوب الشرقى من همذان فأظهر كفاءة فى إدارة البلاد ثم إتجه جنوبا إلى أصفهان فاستولى عليها . وقد أثارت هذه الانتصارات مخاوف مرداويج فأرسل جيشا بقيادة أخيه " وشكمير " فاضطر على بن بويه إلى التراجع نحو أرجان التى تبعد ٦٠ فرسخا عن كل من شيراز والأهواز ودخل شيراز سنة ٣٢٢ هـ وتمكن أخوه أحمد بن بويه من الاستيلاء على كرمان ، ولما بلغ مرداويج ما أحرزه ابناء بويه من انتصارات عول على القضاء عليهم فأنفذ جيشا إلى الأهواز وحين بلغ ابن بويه نبأ استيلاء مرداويج عليها عمل على بن بويه على كسب رضاء مرداويج فقلده أرجان ثم ثار الجند الأتراك على مرداويج وقتلوه سنة ٣٢٣ هـ ،ولم يعد أمام على بن بويه إلا القضاء على مناوأة منافسه ياقوت فى شيراز ، فاتفق مع أبى عبد الله البريدى على طرده منها ودانت له فارس بالطاعة فأرسل على بن بويه إلى الخليفة يطلب منه اعترافه بسلطانه فى فارس ، ولقب على بن بويه بعماد الدولة ويقول ابن خلكان " كان عماد الدولة سبب سعادتهم التامة وانتشار صيتهم واستولوا على البلاد وملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة " وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٦٤ .

(٢٢) حينما توفى على بن بويه عماد الدولة سنة ٣٣٨ هـ ٩٤٩م انتقل حكم الدولة البويهيه إلى أخيه ركن الدولة وتحولت العاصمة من شيراز إلى الرى ولم يكن ركن الدولة حازما فقد أساء ابنه عضد الدولة الذى تولى شيراز فى حياة عمه عماد الدولة وكان مصدر قلق حين أراد أن يجمع لنفسه السلطة فى إقليم فارس والعراق فحدث النزاع بينه وبين ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة وقد آلت رئاسة الدولة بعد ركن الدولة إلى عضد الدولة ٣٦٦ هـ الذى قام بعد توليه بعام واحد بمحاربة ابن عمه بختيار وقتله ، ثم استمر النزاع بين ابنه صمصام الدولة وإخوته خاصة بهاء الدولة مدة اثنتى عشرة سنة . ابن الأثير جـ٩ ص ٥٣ – ٥٥ ، ٩٠

Harold Bowen : The last Buwayhids P . 232 - 233 .

(٢٣) حكمت إيران بعد سقوط دولة البويهيين دولة الأكراد التى أسسها علاء الدولة محمد بن شمزيار وسمى كاكوية لأنه كان ابن خال والده مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه (وكاكويه هو الخال بالفارسية) وقد دخل فى خدمة البويهيين فى الرى والجبل بجهوده وانتهز فرصة لجوء الأمير البويهى سماء الدولة إليه ليستعين به ضد خصومه فقام بالاستيلاء على همذان وما جاورها وقبض على أمراء الدولة .

عصام عبد الرؤف الفقى ، الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٤٤ .

(٢٤) تشير المصادر التاريخية إلى تحالف بين أهل طبرستان والديلم وقد أدى هذا التحالف إلى أن قوى أمر طبرستان بإعتمادها على هؤلاء الجند الديلمى ، وأرسيت قواعد الهجرة الديلمية التى اتخذت من طبرستان مركزا لدولة امتدت فشملت بلاد الجبل والديلم وجرجان والديلم من الشعوب التى سكنت جنوب شرقى بحر قزوين ، ولم يذكر للديلم دور مميز منذ إسلامهم منذ معركة القادسية لأنهم كانوا يعدون من جملة الموالى ، وقد جاء بعضهم إلى العراق قبل هجرة بنى بويه وارتبطوا بالعراق كقوة لعبت دورا هاما فى الأحداث السياسية خاصة فى مجال المنافسة للعنصر المتسلط على البلاد .

البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٣٥٨ ، مسكوية ، تجارب الأمم . جـ٢ ، ص ٤١ .

(٢٥) ابن الأثير ، الكامل جـ٨ ص٧٧– ٧٨ .

(٢٦) كان للوجود الديلمى بالعراق والمشاركة فى الحكم والسياسة ما أعطى الفرصة للطامعين من ابناء بويه لدخول العراق عسكريا ، فقاموا بنصرة على بن بويه فى فارس حين انسحبوا من جيش المظفر ياقوت وإنضموا إلى جيشه وكتب له النصر بدخوله مدينة أصفهان .

ابن الجوزى ، المنتظم جـ ٦ ص ٣٣٨ ، مسكويه تجارب الأمم جـ٢ص٤١ .

(٢٧) ابن طباطبا ، الفخرى فى الأداب السطانية ص ٢٥١

(٢٨) اعتنق البويهيون المذهب الشيعى ويذكر ابن الأثير أن الديلم " كانوا يتشيعون ويغالون فى التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها " . ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ١٦٢ .

(٢٩) المسعودى ، مروج الذهب ص ٣٩٠ .

(٣٠) ترك أسفار بن شرويه طاعة الإمام الزيدى وانضم إلى السامانيين ، ثم عاد إلى طبرستان ٣١٦ هـ وأساء معاملة الأمراء الزيدية كما أساء إلى جميع العلويين وقتلهم وسير من بقى فى هذه البلاد إلى آل سامان فى بلاد ما وراء النهر على أن أتباعه استاءوا من هذه السياسة وتزعم مرداويج بن زيار الديلمى مؤامراة تخلص منه وقتله . عصام عبد الرؤوف القى : الدويلات الإسلامية فى المشرق ص٤١ .

(٣١) تاريخ اليعقوبى ص ٢ ص ٥٠٨ .

(٣٢) شهدت منطقة سجستان منذ القرن الأول الهجرى حملات عسكرية قام بها الحجاج بن يوسف الثقفى لتأديب الترك فى المنطقة المحاذية لولاية سجستان الشرقية بعد القضاء على خطر الخوارج فى العراق ٧٩ / ٦٩٨م وتولى قيادة هذه الحملة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التى وجهها إلى " بست " وهى إحدى مدن سجستان وكانت قاعدة عسكرية لشن الحملات ضد الأمراء المستقلين فى الشرق .

R. Hartmann

دائرة المعارف الإسلامية جـ٣ ص ٦٢٥ .

(٣٢) كان خروج محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية فى الحجاز على أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ مطالبا بحقه فى الخلافة فاستولى على المدينة المنورة وبعث أخاه إلى -البصرة وهزمه الخليفة المنصور وقتله ولم تفت الهزائم

المتتالية فى عضد العلويين فسرعان ما خرجوا فى خلافة الهادى بن المهدى فى مكة والمدينة بزعامة الحسين بن على بن الحسن عام ١٦٩هـ وبويع الحسين بالخلافة فى المدينة المنورة والتقى فى مكة بالجيش العباسى فى موقعة فخ التى هزم فيها .

النوبختى ، فرق الشيعة ص ٤٤-٤٥ .

(٣٣) الحميرى ، الروض المعطار ص ٥٤٦ .

(٣٤) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسين بن على بن أبى طالب ولد سنة ١٦٩هـ / ويعد من أهم الشخصيات الزيدية وقد أرسله أخاه محمد بن إبراهيم إلى مصر ليكون بعيدًا عن أعين العباسيين فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، وأنتشرت دعوته وجاءته البيعه من أهل مكة والمدينة وأهل الرى وقزوين وطبرستان .

(35) Binyamin Abrahmov: Alkasim Ibn Ibrahim's Argument from design, oriens, Journal of the International Society for oriental research, Brill,1986 Vol. 29-30, P. 257

(٣٦) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ ٤ص ٧٧-٧٨ .

(٣٧) المسعودى / مروج الذهب جـ٤ ص٦٤ ، محمد جمال الدين سرور تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ٢٩و ٣٠ .

Noldke : Sketches from eastren History P.88 .

(٣٨) مسكويه . تجارب الأمم جـ٢ ص٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣٩) كان جيش الخليفة يضم أعدادًا كبيرة من الديلم ففى سنة ٣٢٠ هـ قاتل بهم مؤنس الخادم . ولم يكن ما تعرض له الديلم على يد بن رائق خاتمة وجودهم فى العراق إذ سرعان ما شاركوا بأعداد فى جيش أبى الحسن البريدى الذى استولى على بغداد فى السنة ذاتها فانتقم الديلم من العامة ودخلوا دار الخلافة ونهبوها واستمر الديلم فى النهب والسلب إلى أن تقلد توزون الشرطة ، كما أكد الديلم وجودهم فى البلاد حين انحازوا إلى ناصر الدولة بن حمدان عند سيطرته على بغداد سنة ٣٣١ هـ . التنوخى، نشوار المحاضرة جـ١ ص ٣٢٥ ، ابن الجوزى ، المنتظم جـ٦ ص ٣٣٨.

(٤٠) ابن الأثير جـ٨ ص ٩٥ - ٩٦ .

(٤١) ابن الأثير المصدر السابق جـ ٧ ، ص ١٨٠ .

(٤٢) وصف مسكويه عضد الدولة بقوله" فلولا خلال كانت في عضد الدولة يسيره لا استحسن ذكرها مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه." تجارب الأمم جـ ٦ - ٥١١ وقد ذكر ابن الجوزى أن أكثر عيوب سياسته الرسوم الجائرة التى أستحدثها ونظام احتكار بعض السلع بغية الحصول على المال فاستحدث الرسوم على المبيعات .

المنتظم ص ١٨٤

الثقافة الإسـلامية – تطورها وازدهارها

فى أفريقية الشرقية فى العصور الوسطى

د. سر الختم سيد أحمد العراقى
كلية التربية – جامعة الملك سعود

ظهور الإسلام فى بلاد أفريقية الشرقية – منذ فجر الإسلام – اتصال أفريقية الشرقية بالعالم الإسلامى – الحجاز – الشام – العراق – عمان – مصر – شمال أفريقية – تعريف بالساحل – اتصال البلاد بشعوب العالم الخارجى منذ القدم – الهجرات العربية فى العصور الإسلامية الأولى – هجرة المسلمين إلى الحبشة – هجرات عربية فى زمن الأمويين : سليمان وسعيد – الزيود – الأخوة السبعة – بنهو نبهان – الشيرازيون الفرس – التوسع الإسلامى فى القرنين العاشر والثانى عشر الميلاديين – نشأة وتطور المدن والمراكز الإسلامية – ازدهار اللغة العربية وعلوم الدين – السواحيليون – عوامل انتشار اللغة العربية .

ظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير فى بلاد شرقى إفريقية منذ فجر الإسلام ، الأمر الذى يدعو إلى دراسة الدور الكبير الذى قام به هذا الدين ولغته فى تقدم تلك البلاد وتطورها ، فقد أصبحت عن طريق الإسلام والعلوم الإسلامية العربية عظيمة الحضارة والتقدم ، وسرعان ما شكل الإسلام عادات السكان وطور أحوالهم ، حتى صار مستوى التفكير والثقافة يقارن بنظائره ـ ويفوقه فى الدول المعاصرة فى أوروبا المسيحية خلال فترة العصور الوسطى . وذلك ليس من سرف القول : أن العصور التاريخية الزاهرة لبلاد شرقى أفريقية تقترن بالإسلام .

لقد تطلعت بلاد شرقى أفريقية منذ القدم إلى البلاد الإسلامية فى الشمال والشمال الشرقى من أجل العقيدة والمدنية ، وكان عامل القرب الجغرافى من أهم العوامل التى ساعدت على ذلك الاتصال والالتقاء . لذلك فإن موضوع هذا البحث هو علاج تاريخى للمنطقة الساحلية لشرقى أفريقية والتى كانت مسرحًا لنشاط عربى مكثف مع شعوب تلك المناطق ، أدت إليه الهجرات العربية المتلاحقة ، ثم تبلور عن ذلك النشاط قيام الإمارات العربية فى ساحل شرقى إفريقية فى العصور الوسطى ، ومن ثم نمو وتطور الثقافة والحضارة الإسلامية وازدهارها .

وبلاد الساحل الإفريقى الشرقى ، هى المنطقة الممتدة على طول الساحل من رأس جوردا فوى Gaurdafui فى شمال الصومال إلى رأس دلجادو فى موزمبيق جنوبًا ، وبعبارة أدق هى المنطقة التى تحتل مساحة كبيرة فى شرق أفريقيا . وتمتد بين خطى عرض ٥ شمالاً و١٠ جنوبًا . وهذا التحديد الجغرافى للإقليم يتفق إلى حد كبير مع التحديد السياسى الذى يطلق عليه أفريقيا الشرقية البريطانية مع إضافة كل من رواندا وبورندى(١) . ويمتد المفهوم السياسى لشرقى أفريقيا الذى يشمل الصومال وكينيا وتنزانيا وموزمبيق ليشمل السودان أيضًا . وقد كانت هذه المنطقة من المناطق المتصلة بشمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا منذ القدم ، وكانت تعتبر ضمن بلاد بونت(٢) ، لكن بلاد بونت كما عناها المؤرخون القدامى هى الصومال .

وقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين سكان أرض الزنج وشعوب العالم الأخرى ، ليس الشعوب القريبة جغرافيًا ، ولكن أيضًا الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين واليونان والرومان والمصريين والفينيقيين وشعوب الرافدين أهل الحضارات القديمة

من السومريين والبابليين .فقد تاجرت هذه الشعوب مع بلاد الساحل الشرقى لأفريقية ، وازدهرت هذه التجارة أيضًا مع عربِ جنوبى الجزيرة العربية(٣).

والعرب هم أهم الشعوب والأمم التى اتصلت بتلك البلاد منذ القدم وأبقاهم أثرًا فى تلك البقعة ، وكان ذلك قبل فجر الإسلام بقرون عديدة وساعد ذلك عامل القرب الجغرافى ، ونظام الرياح الموسمية فى المحيط الهندى ، بالإضافة إلى العامل السياسى الذى دفع العرب لارتياد سواحل أفريقيا الشرقية وبعض أجزائها الداخلية ، وهى الأهمية الاقتصادية وما فيها من سلع وثروات . هذا فضلاً عن دور العرب فى نشر الإسلام والثقافة الإسلامية . لذلك يمكن القول بأن الهجرات إلى أرض الساحل الشرقى لأفريقيا ، كانت لأسباب دينية وسياسية . فضلاً عن العامل الاقتصادى الذى كان بارزًا فى جميع الهجرات(٤) .

كانت أول الهجرات التى وصلت هذا الساحل هى هجرة العرب المسلمين إلى الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدينهم . ويرجح أن الرسول ﷺ قد نصح أصحابه بالهجرات إلى الحبشة نظرًا لمعرفة العرب بأرض الحبشة خلال الاتصالات التجارية القديمة(٥) . ومن الواضح أن شرق أفريقيا عرف الإسلام فى حياة الرسول ﷺ . ومن المرجح أن جعفر بن أبى طالب حينما خرج من مكة إلى الحبشة مهاجرًا أسس فى طريقه مراكز للدعوة فى اريتريا وما جاورها بمساعدة الجاليات العربية المستوطنة هناك ، وكان ذلك قبل هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة بنحو ثمان سنوات ، ومن ثم فلا عجب إذا وجدنا أن الصوماليين صاروا فيما بعد من أكبر المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية ، وأصبحت البلاد الإسلامية خالصة(٦) .

ومع ازدهار الإسلام كدين ودولة ، ازداد النشاط البحرى ، وتوافدت على سواحل شرق أفريقيا مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب

وفرس وغيرهم لإنشاء مراكز عربية إسلامية ثابتة . وهذه المرحلة من مراحل انتشار الدعوة الإسلامية فى بلاد الساحل الشرقى تعتبر من المراحل الأولى الدالة على قدم الإسلام بتلك البلاد ، نتيجة الاتصالات المستمرة والمتنوعة التى بدأت فى فجر الإسلام ، ثم تطورت من بعد ذلك(٧) .

بعد ذلك توالت هجرات العرب المسلمين إلى هذا الساحل زمن الخلفاء الراشدين فهناك هجرة بعض المسلمين عقب مقتل عثمان بن عفان لاختلاف المسلمين حول منصب الخلافة ، فهاجر بعض المسلمين فى فترة الاضطراب التى سادت أثناء خلافة على بن أبى طالب إلى ساحل شرق أفريقيا(٨) .

وفى العصر الأموى هاجرت عدة فرق إلى ساحل شرقى أفريقيا من الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وأسسوا لهم دولة صغيرة بالقرب من لامو ، وكان ذلك فى خلال خلافة عبد الملك بن مروان ٥٦ – ٥٨هـ (٦٨٥ – ٧٠٥ م) . وكان لخروج بعض الجماعات على خلافة عبد الملك بن مروان من أبرز العوامل لهجرة بعض العناصر إلى ساحل شرقى أفريقية وقد تمثلت تلك الحركات التى كانت تناهض الخلافة الأموية فى ما يلى :

١ – حركة عبد الله بن الزبير ، والتى بدأت منذ تولية يزيد بن معاوية عام ٦٠ هـ (٦٨٠ م) .

٢ – حركة الخوارج .

٣ – حركة عبد الرحمن بن الأشعث الملقب بأسد الفرات(٩) .

وفى رواية أخرى أن الخليفة عبد الملك عندما تناهى إلى سمعه أخبار تلك الجماعات التى وصلت ساحل شرقى أفريقيا ، أرسل أخاه حمزة لنشر الدعوة الإسلامية ، ومحاولة مد نفوذ الأمويين هناك . وقد نجح هؤلاء

المهاجرين عام ٨٠ هـ (٧٠٠م) فى تكوين مدن تطورت وأصبحت إمارات عربية هامة مثل مالندى وبيت (أوباتا) وممبسة وزنجبار . وهى مدن منتشرة على طول الساحل الشرقى لأفريقيا ، منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا. ويذكر ستيجاند Stigand بأن عبد الملك بن مروان عين حكامًا من العرب المسلمين على هذه الإمارات التى نجح فى تأسيسها ويحكمون فيها نيابة عنه(١٠) . وتضيف الروايات بأن اسم عبد الملك لا يزال يذكر فى تلك الجهات لدرجة أن السكان قد حرفوا اسمه ، فمثلاً ينطقون عبد المالك أو ابن مرانى ... وهكذا ، ومرد ذلك ضعف اللغة العربية وظهور اللغة السواحيلية(١١) .

أما أهم الهجرات التى حدثت فى خلافة عبد الملك بن مروان أيضًا وأبعدها أثرًا وتأثيرًا على الساحل ، فهى هجرة سليمان وسعيد التى لم تختلف الروايات كثيرًا فى بدايتها الحقيقة ، وقد تزعمها شيخان عربيان من عمان من قبيلة الأزد(١٢) . ومن الثابت أن هذه الهجرة تحركت من عمان خلال الفترة من ٧٥ إلى ٩٥ هـ (٦٩٤ - ٧٠٤ م) بقادة سليمان وسعيد ابنى عباد الجلندى من قبيلة الأزد ، وهما من شيوخ العرب الذين حكموا فى عمان فى أيام الدولة الأموية ، اختلفوا مع الخليفة عبد الملك ، لأنه أرسل ولاة من قبله ليحكموا فى عمان نيابة عنه ، ويبعدوا بذلك أبناء عباد الجلندى عن حكم تلك المنطقة . ويهمنا فى هذا المقام أن أفراد هذه القبيلة التى هاجرت إلى الساحل الشرقى لأفريقية بقيادة زعيميها سليمان وسعيد قد طاب لها المقام فى أرخبيل لامو الذى توفرت فيه خصائص هامة منها خصوبة الأرض وصلاحية مينائه العظيم للرسو والإقلاع ، بجانب أعداد العرب الكبيرة التى سبقتهم إلى تلك الجهة ، وهذا بجانب منتجات شرقى أفريقيا من العاج والذهب والصوف

والجلود والتوابل والأخشاب بالإضافة إلى عنصر الرقيق الذى رفع عنهم أعباء العمل الثقيل(١٣) .

وجاءت المرحلة الرابعة من مراحل انتشار الإسلام فى هذا الساحل على أيدى الزيود (الزيدية) فى أواخر الدولة الأموية ، وقد حدثت هجرة هذه الجماعة عقب مقتل زعميهم زيد بن على فى أيام الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، فهاجر هؤلاء إلى الساحل الصومالى ، واستقروا بمنطقة بنادر بالقرب من مقديشو ، ثم توالت هجرات الزيود بعد ذلك ، واتبعوا تعاليم زيد حفيد الرسول ﷺ ، لذا سموا بالزيدية ، وقد حكم الزيدية فى ساحل بنادر ما يقرب من المائتى سنة ، وأصلحوا الأراضى القاحلة وزرعوها ، واستفادوا من مياه نهرى جوبا وسبيلى وأراضيهما الخصبة ، واستطاعوا بمساعدة الرقيق زراعة بعض النباتات التى أرفدتهم بثروات طائلة ، ودرت عليهم أموالاً هائلة . وقد احتفظ الزيود بنقائهم فترة من الزمن ، لعدم اختلاطهم بالسكان الأصليين فى الساحل من بانتو وبوشمن وهوتنتوت وغيرهم ، إلا بعد فترة طويلة من الزمن ، بعد أن اضطروا للزواج من الوطنيات ، واختلطوا لهذا السبب مع قبائل البانتو ، وحتى يومنا هذا توجد قبيلة عربية تفخر بنسبها إلى الزيدية ، وتدعى الانتماء إلى النازحين الأوائل منهم(١٤).

أما هجرة الأخوة السبعة من بنى الحارث ، فهم الجماعة العربية التى جاءت من بعد حكم جماعة الزيدية ، فقد كانت خلال العصر العباسى الثانى ، وهى من الهجرت الهامة فى ساحل شرقى أفريقية ، وتحركت إلى هناك فى بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، فى حوالى عام ٢٩٢ هـ (٩١٣ م) من الإحساء عاصمة دولة القرامطة الذين نشروا الرعب فى أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق . وقد هاجر الأخوة السبعة وجماعتهم

فرارًا من أعمال القرامطة الوحشية ضد المسلمين فى كل مكان . وفى فترة وجيزة استولى الأخوة السبعة على كل ساحل بنادر ، وامتد نفوذهم حتى جنوبى ممبسة ، وربما وصلوا إلى جزيرة مدغشقر . ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح كل الساحل شافعيًا على المذهب (السنى) بعد أن اصطدم الأخوة السبعة بالزيود الشيعة ، الذين اضطروا إلى الانسحاب إلى الداخل . ولا يزال المذهب الشافعى هو المذهب السائد فى بلاد شرقى أفريقيا . أما الزيدية الذين انسحبوا إلى الداخل من الساحل بعد أن أحرق الأخوة السبعة منازلهم وهزموهم فقد وصلوا إلى أودية نهرى جوبا وشبيلى ، حيث اختلطوا مع سكانها ، وتصاهروا معهم ، وتطبعوا بطباعهم ، ونشروا بينهم الدين الإسلامى ، حتى أن الكثير من القبائل الصومالية(١٥) ، اعتنقت الإسلام على أيديهم ، بدليل أن كثيرًا من الصوماليين قد أصبحوا فقهاءًا ووعاظًا(١٦) .

لقد تمكن الأخوة السبعة الذين استقروا على طول الساحل ، من تكوين دولة قوية عاصمتها فى مقديشو(١٧) ، استمرت حتى عام ٣٧٥هـ / ٩٧٥م ، وهو العام الذى وصلت فيه أشهر الهجرات الإسلامية وهى هجرة آل شيراز الفرس بقيادة زعيمهم علىبن حسن الشيرازى ، الذى تمكن من الاستيلاء على كثير من أجزاء ساحل شرقى أفريقية الممتد من مقديشو شمالاً حتى سوفالا (موزمبيق) جنوبًا . وأصبحت كل الإمارات العربية تخضع لسلطان الشيرازيين الذين تمكنوا من تأسيس سلطنة فى ساحل شرقى أفريقية ، عرفت فى التاريخ باسم " سلطنة الزنج الإسلامية " ، أو " إمبراطورية كلوة الإسلامية " نسبة لعاصمتها كلوة (فى تنزانيا حاليًا) ...

واستمر الشيرازيون يحكمون الساحل قرابة الأربعة قرون حتى جاء البرتغاليون عام ١٤٩٧م بقيادة فاسكو داجاما ، وقضوا على سلطنة كلوة ،

بالاستيلاء على كل أجزاء الساحل(١٨) . والشيرازيون الفرس هم من سلالة حاكم شيراز على بن حسن الشيرازى فى زمن بنى بويه الذين سيطروا على الخلافة العباسية فى عصرها الثانى ردحًا من الزمن ، واحتلوا المناصب الكبيرة فى الدولة العباسية ، مثل الجيش والقضاء والإدارة ، والدواوين وغيرها ، وسلبوا سلطة الخلفاء ، كما أصبحوا أصحاب الأمر والنهى ، حتى ضاق بهم الناس وتبرئوا من أعمالهم ، لذلك اضطر أحد الخلفاء العباسيين (القاهر بالله) ، الاستعانة بقوة جديدة هى قوة الأتراك السلاجقة ، الذين تقدموا إلى بغداد ، وتمكنوا من طرد البويهيين عنها(١٩) .

وخلال تلك الهجرات الإسلامية وصلت هجرات أخرى أهمها الهجرة النبهانية التى تحركت من سلطنة عمان وعلى رأسها سليمان بن سليمان بن المظفر فى عام ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) ، وأسست سلطنة قوية فى مدينة بات التى تقع فى كينيا الآن .

أما منطقة القرن الأفريقى التى تسيطر عليها مملكة أكسوم الحبشية منذ قبل الإسلام ، فالمعروف أن الدعوة للدين الإسلامى فى تلك المنطقة قد قامت منذ ظهور الإسلام ، ويمكن أن يؤرخ لدخول الإسلام فى أثيوبيا بهجرة المسلمين الأولى وإظهار النجاشى أرماح (أصحمة) للإسلام ، ثم كثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، وفى ظل ظروف متعددة أخذت مملكة أكسوم طريقها للانحطاط ، وفى نفس الوقت كان الإسلام يسير بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل ، فاعتنقته القبائل التى تسكن شواطئ أرتيريا ، ثم انتشر بين القبائل الناطقة بلغة : التيجرى وفى جزء من قبيلة البلين وفى معظم البجه والجبرته والدناقل (الدناكل). وتكونت على أثر ذلك مراكز استقرار على طول الساحل الشرقى لأفريقية امتدت من

سواكن ومصوع وزيلع على ساحل البحر الأحمر إلى مقديشو ومركا وبراوة وممبسة وزنجبار وكلوة على المحيط الهندى[٢٠] .

وفى الداخل لأثيوبيا امتزج المسلمون بالوطنيين وصاهروهم ، وقامت على أثر ذلك مشيخات إسلامية فى منطقة شوا الشرقية وعدال ومورا وهوبات وجيدايا ، غير أن هذه جميعًا لم تعمر طويلاً ، نظرًا للخلافات والتنافس فيما بينها ، فسرعان ماطوتها أقوى الإمارات الإسلامية فى الوطن الزيلعى وهى إمارة أوفات[٢١] .

ولعل الفترة البارزة فى التوسع الإسلامى فى أثيوبيا ، تقع بين القرنين العاشر والثانى عشر الميلاديين ، فهذه هى فترة التوسع المنظم للإسلام دينا ودولة من ناحية نشر العقيدة وتدعيم سلطان الممالك الإسلامية ، فأصبحت الرقعة الإسلامية الممتدة فى جزء من أفريقيا الشرقية تحيط بالحبشة من الناحية الشرقية وتقابل اليمن فى الجزيرة العربية ، ومن أجل هذا الموضع الجغرافى نعتها المؤرخون بمنطقة " الطراز الإسلامى " لأنها على جانب البحر كالطراز له[٢٢] . واشتهر فى هذا الطراز إمارات سبع أو ممالك سبع وهى :أوفات ، دوارو ، أرابينى ، هدية ، شرخا ، بالى ودارة[٢٢] . وهذه عدا مشيخات الساحل الصومالى التى سبقت الإشارة إليها ، وتعتبر سلطنة أوفات أقوى سلطنة إسلامية قامت فى بلاد الزيلع والصومال بسبب تحكمها فى الطريق التجارة الذى يربط الداخل بميناء زيلع ، وقد أسسها قوم من قريش من بنى عبد الدار أو من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب ، وسلطنه أوفات هى التى تزعمت حركةالجهاد ضد الحبشة المسيحية وقامت بدور كبير فى نشر الإسلام والثقافة الإسلامية فى تلك المنطقة[٢٤] .

على ذلك يمكن القول ، أن المدن والمراكز والإمارات التى أمها أو أسسها المسلمون فى شرقى أفريقية ، ظلت – ولقرون عديدة – مراكز

نشاط ومدنية ، وقواعد لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية فى الساحل وداخله(٢٥) . وارتكزت شهرة تلك المدن والمراكز على أنها وسيطة بين عواصم العالم الإسلامى الكبرى ، وبقية أجزاء أفريقيا المجاورة ، فى نقل الفكر والثقافة الإسلامية ، وقد ساعد على انتشار الإسلام فى هذه البلاد الدعاة والتجار وزعماء القبائل الذين اعتنقوا الإسلام بالإضافة إلى رجال الطرق الصوفية من أمثال القادرية والتيجانية والمرغنية فيما بعد ، كما كان للحج والحجاج الأثر الكبير فى هذا الجانب .

وتطورت تلك المدن الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدنية المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة واليمن وعمان ، هذا بالإضافة إلى مدن شمال أفريقيا الهامة مثل القيروان وفاس وغيرها ، وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة هذه المدن الإسلامية الزاهرة حدود الساحل أمثال : زيلع ومقديشو وبراوه ومركا ولامو وممبسة ومالندى وكلوة وسوفالا ، يضاف إلى ذلك جزر زنجبار وبمبا ومافيا وجزر القمر ومدغشقر، التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ، وظلت الصبغة العربية هى البارزة والمميزة فى هذا الساحل خلال فترة العصور الوسطى . فأسهم العرب فى هذه البلاد بالآداب والعادات التى اتصفوا بها ، وشاعت هذه الآداب بين بقية المجتمعات التى تعيش فى هذا الساحل الأفريقى وفى داخله . ولقد بقيت تلكم الثقافة العربية ، بل ظلت تعيش وتنتشر حتى بعد ذهاب نفوذهم السياسى غداة مجئ الأوروبين للساحل فى القرن التاسع عشر(٢٦) .

والجدير بالذكر أن أعلام المسلمين فى ساحل شرقى أفريقية فكروا بالعقلية العربية الإسلامية وكتبوا باللغة العربية ، وهم فى إنتاجهم ونشاطهم إنما يعبرون عن حضارة عربية إسلامية ، ولا غرابة فى ذلك وهم الذين نبتوا

فى ظل إدارة إسلامية ، وعاشوا فى رعاية الدولة الإسلامية وكنفها ، فالدين الإسلامى عامل هام من عوامل الانسجام بين الشعوب التى تدين به ، والدين الإسلامى فضلاً عن أنه عقيدة ، فإنه كذلك نظام اجتماعىكامل ، ومجموعة من الأخلاق والقواعد والأنظمة التى يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها ، ومن ثم استطاع الإسلام أن يمد أبناءه بجميع مقومات الدول وأساليب الحياة والسياسة والتشريع والحضارة . ولقد أوتى المسلمون قدرة طيبة على تفسير مبادئ الإسلام وقواعده واستخرجوا منها كل ما هو ضرورى للمجتمع الصالح الكامل من مقومات. فالإسلام أثر فى الحياة العقلية للمسلمين تأثيرًا عميقًا ، وبفضله نشأت بين المسلمين وحدة فكرية رائعة وعلوم إسلامية عديدة من أهمها علوم التفسير والحديث والفقه والسير والمغازى . ثم أن الإسلام يحث على النظر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه ، وفى ظواهره المختلفة، فأدى هذا إلى الاشتغال بالعلوم الفلكية على اختلافها وهى الجغرافيا والكمياء والفيزياء والفلك والطب والرياضيات .

لقد كان وما زال المجتمع فى ساحل شرقى أفريقيا يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة فى صفاتها وعادتها وثقافتها ، ولكنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعًا فى بوتقة الحضارة الإسلامية ، واختلطت الدماء والنظم والأذواق اختلاطًا خلاقًا رائعًا ساعد عليه التزواج بين النازحين من العرب وأهل البلاد المحليين ، ومن هذا الاختلاط نشأ جيل جديد ، يحمل ميزات عقلية وجسمانية خاصة ، عرف فى التاريخ باسم العنصر السواحيلى ، ويتكلم لغة واحدة هى السواحيلية ، بجانب العربية ، ويدينون بدين واحد هو الإسلام الذى وحد بين هذه الشعوب المختلفة ، وكون منها - خلال العصور الوسطى - ما يصح أن يسمى أمه واحدة ، لها آداب واحدة ، وثقافة واحدة ، مصير واحد ، يفسر ذلك جهاد المسلمين المتصل على طول الساحل الممتد

من سوفالا جنوبًا حتى مقديشو شمالاً ضد سيطرة البرتغاليين الذين حاولوا ضرب الحركة الإسلامية فى هذه المنطقة والقضاء عليها ، يضاف إلى ذلك ما قام به المجاهد الإسلامى الكبير أحمد بن إبراهيم (الجران) من جهاد ضد الأحباش وأعمالهم الوحشية فى كل من الحبشة والصومال(٢٧) .

والثابت أن علوم الدين قد حظيت بنصيب وافر من العناية والخدمة فى ساحل شرقى أفريقية وقد عنى أهلها بكتاب الله حفظًا وتجويدًا وتفسيرًا ، فقد كان حظهم منها كبيرًا ، وكان نصيب اللغة العربية جزيلاً وافرًا . وازدهرت العربية وعلومها على أيديهم ، وتركت أثرها القوى فى الساحل ، وخاصة حول لامو(٢٨) . وصارت براوة (بالقرب من مقديشو) كجزيرة عربية على ساحل شرقى أفريقيا كعبة المعرفة ، ويأتى إليها طلاب العلم من الأماكن النائية لشهرة علمائها وتفوقهم فى الدين . وقد حملت مساجدها أسماء الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم(٢٩) فاستمر تعلم اللغة العربية وانتشار الإسلام منذ أن تأسست المدن العربية فى القرون الأولى للهجرة . وقد قامت هذه المدن بجهود مضيئة فى نشر الإسلام بين قبائل الجالا الوثنية . كذلك كان لجهود أمراء بات (أوباتا فى كينيا حاليًا) ، الفضل فى نشر الإسلام بين القبائل الوثنية مثل قبائل شانقا التى أخضعها الأمير محمد بن أحمد النبهانى (١٢٩١ - ١٣٣١) ، وبدأ فى نشر الإسلام بينهم(٣٠) . أما كلوة فقد بذل سلاطينها جهودًا فى نشر الإسلام واللغة العربية فى المدن والجزر التابعة لها . وقد حارب السلطان أبو المواهب (٧١٠ - ٧٣٤ هـ / ١٣١٠ - ١٣٣٣ م)(٣١) ، عدة قبائل وثنية من بينها بعض القبائل التى تقطن فى جزر مافيا وبمبا وزنجبار وأجبرها على اعتناق الإسلام . وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة عند زيارته لكلوة - بأن السلطان أبا المواهب كان كثير الغزو لأرض الزنوج الإسلام(٣٢) .

ومن المدهش أنه كان من نتائج حملات البرتغاليين الوحشية ، أن ازداد انتشار الإسلام ، ذلك لأن المسلمين تركوا الساحل أمام تزايد نيران المعتدين ولجأوا إلى الداخل حيث اختلطوا بسكانه وقبائله ونشروا الإسلام بينها ، وأصبح أهلها مسلمين وكانت القبائل العربية التى هاجرت إلى ساحل أفريقيا الشرقية تحمل معها دينها ولغتها العربية ، وكانوا يختلطوا بالسكان وينقلون إلى لغات الساحل الكثير من كلماتهم ، خصوصًا ما كان متعلقًا بأمور الدين . لذلك سار الإسلام واللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الجهاد فى سبيل الله ، ونشر الإسلام ، وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية ، فاحترم المسلم الإفريقى اللغة العربية احترامًا يقرب من التقديس ، لأنها لغة القرآن الكريم ، فبها يؤدى صلاته ، وبها يتلو القرآن ، وبواسطتها يلم بعلوم الدين . وقد نفح المسلمون فى هؤلاء السكان حب الأدب وفنون الشعر ، وخرج من بينهم شعراء وخطباء مفوهون ، وأصبح لهم أدب يعتزون به . وبرز كثير من العلماء والشعراء والأدباء باللسان العربى ، كالفقيه البليغ فخر الدين الزيلعى الذى قدم القاهرة من مقديشو فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ونشر الفقه فيها ، ومات بها ، وله (شرح كنز الوثائق) فى كتاب سماه " تبيين الخافقين فى شرح كنز الوثائق " ، ومن المؤرخين الصوماليين باللسان العربى ، شهاب الدين الملقب بعرب فقيه ، وله كتاب : " فتوح الحبشة " ، ومن الأدباء البارعين عبد الله منير الزيلعى ، وغيره كثير مما كانت كتبهم تحملها الجمال إلى الحكام فى اليمن(٣٣) .

وساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها ، فضلاً عن الجانب الدينى المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الأفريقية فى ساحل شرقى أفريقية ، قد أدعوا الأصول العربية ، وإذا كان هذا الإدعاء لم يظهر

أو لم يعرف إلا بعد انتشار الإسلام واللغة العربية فى تلك البلاد ، فهذا دليل على حرص هؤلاء الحكام على التمسك بكل ما هو شرقى عربى ، لأن الإسلام جاء أصلاً من الجزيرة العربية ، وعلى أيدى العرب ، كما يدل فى نفس الوقت على مدى الترحيب والرضى والقبول التى ظفر به الإسلام ولغته. لقد قال سلاطين مقديشو وممبسة ومالندى وغيرهم أنهم انحدروا أصلاً عن العرب وأن أسلافهم الأوائل جاءوا من الشرق ، ومنهم من قال بالنسب القرشى والعلوى مثل سلاطين أوفات وهدية من دول الطراز الإسلامى(٣٤).

ومن العوامل التى ساعدت على انتشار اللغة العربية فى شرقى أفريقية، هجرة القبائل العربية – التى سبقت الإشارة إليها – إلى تلك البلاد واستقرارها فيها ، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ، فمثلاً مجموعة القبائل العربية المعروفة فى مملكة أكسوم الحبشية باسم (حبشت) ، وهى التسمية التى أطلقها عليها الأثيوبيون ، يقال أنهم وصلوا من اليمن إلى منطقة القرن الأفريقى وكونوا تلك المملكة التى ازدهرت خلال العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى ، ثم أن مصاهرات العرب والفرس وغيرهم من دعاة المسلمين مع القبائل الأفريقية كالجالا والبانتو وغيرهم ، ساعدت على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام فالسواحليون الشماليون – وهم من فروع الزيدية ، يقولون أنهم نتاج المصاهرات بين العرب والصوماليين والجالا ، ومن أجل ذلك قالوا أن لهم أصولاً تتحدر عن عرب الجزيرة العربية . كما أن السواحليين الجنوبيين يقولون الانتماء إلى أسرة الحسن الشيرازى ، ويفخرون بماضى دولة الزنج المجيد(٣٥) . أى أن الدماء العربية أو المستعربة قد اختلطت وامتزجت بدماء أفريقيا السوداء(٣٦) . ويحرص المتكلمون باللغة العربية فى الساحل على الاحتفاظ بها حتى لا تطغى عليها اللغات المحلية ، ولا سيما لغة البانتو كما أن اللهجة السائدة فى الصومال وزنجبار تغلب عليها اللهجة الحجازية(٣٧) .

وهكذا وجدت اللغة العربية تربة خصبة فى بلاد ساحل شرقى أفريقية ، بل ظلت كذلك حتى عصر الاستعمار البرتغالى إذ عندما ، وصل فاسكو داجاما إلى الساحل عام ١٤٩٧ م ، وجد معظم أهلها يتكلم اللغة العربية ، كما وجد القرآن الكريم شريعتهم ، ومما أثار دهشته أنه وجد أن إلمامهم باللغة العربية يفوق إلمام أهل أوروبا الوسيطة باللغة اللاتينية ، كما وجد كذلك أن الكثير يتكلم اللغة العربية بالإضافة إلى لغته الأصلية المحلية(٣٨) .

كذلك وجد البرتغاليون والأوروبيون من بعدهم ، عددًا كبيرًا من المدارس التى تعلم القرآن واللغة العربية فى كلوة وممبسة ومقديشو وزيلع . ففى ممبسة ومالندى ومقديشو وكلوة وسوفالا وجد البرتغاليون ثم الإنجليز من بعد ذلك ، جماعات من القبائل الأفريقية تتقن اللغة العربية وتعنى بإنشاء المدارس الخاصة لتعليم القرآن ولغته .

ورغم الجهود التى بذلها الأوروبيون للقضاء على اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية فى تلك الجهات ، وتحويل أنظار الأفريقيين عن مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة وبغداد وغيرها من عواصم العالم الإسلامى الكبرى ، فإنهم فشلوا فشلاً ذريعًا ، إذ كان المسلمون والمستعربون من الأفريقيين يعمدون إلى إنشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية فى المناطق النائية فى زنجبار وكينيا وتنزانيا .

من أجل هذا لم يخطئ السير توماس أرنولد حين قال منصفًا : " بلغت اللغة العربية وهى لغة القرآن ، درجة عظيمة من الذيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء " ، ثم يردف بقوله " وهذا تقدم كبير فى الحضارة الإفريقية "(٣٩) .

لكن يلاحظ أن اللغة العربية لم تنس القبائل الأفريقية لغتها الوطنية أو تقضى عليها ، بل ظلت هذه اللغات العربية : لغة الدين والثقافة والحكومة

والتجارة . بل أن اللغة العربية تركت أثرها فى جميع اللغات المحلية لدرجة كبيرة ، وظهر هذا الأثر واضحًا فى اللغة السواحيلية أكثر من غيرها من اللغات المحلية ويوجد فى اللغة السواحيلية الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية ، بل أن الحروف العربية استخدمت فى كتابة اللغة السواحيلية منذ زمن مبكر ، واحتفظت اللغة السواحيلية بقيمتها وأهميتها التى اشتهرت بأنها اللغة السائدة Lingua Francea وهى لغة المعاملات المالية والتجارية ، فى مساحات شاسعة تمتد من الصومال إلى زيمبابوى ، بحيث صار الإلمام بها أمرًا ضروريًا لجميع القبائل ، لذلك لم تكتف القبائل الأفريقية بدخولها فى الإسلام ، بل طبعت بطابع عربى ، بسبب انتشار اللغة العربية فى تلك البلاد.

وإذا كانت اللغة العربية قد تركت أثرها فى لغات أوروبا الجنوبية وحتى الشمالية ، كما فى اللغة الإيطالية والفرنسية والبرتغالية والإنجليزية ، بل أن لغة جزيرة مالطة أصولها عربية(٤٠) ، إذا كان هذا واضحًا فى تلك البلاد على قصر أمد الإسلام واللغة العربية بها من الناحية الزمنية فلا شك أن هذا الأثر أوضح وأبرز فى اللغات الأفريقية المحلية التى ظلت شعوبها متمسكة بالدين الإسلامى ومظاهر الحضارة العربية الإسلامية .

ولا يزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة فى بلاد شرقى أفريقية فى شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، فى الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية وحتى فى أسماء النباتات والمدن والحيوان والأعلام ، بل أن هناك من الشعوب الأفريقية فى تلك المنطقة من القارة من يتكلم العربية حتى الآن بجانب لغاته المحلية مثل شعوب بلاد جزر القمر والصومال وأرتيريا وجيبوتى(٤١) .

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية فى شرقى أفريقية بعهود الإمارات الأفريقية الإسلامية ، وقد كانت اللغة العربية الرسمية

السائدة ، واستخدمت فى شتى الأغراض وأوفت بها .استخدمت فى مجال الحكم والإدارة والقضاء ، ثم هى لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامى الخارجى كذلك كانت اللغة العربية هى السائدة فى تسجيل شواهد القبور ، وقد عثر على عدد كبير من المقابر فى مقديشو ولامو وبراوة كتب عليها باللغة العربية(٤٢) .

وقد ظلت اللغة العربية هى لغة التسجيل والتدوين والمراسلات فى العهد والاتفاقيات وغير ذلك سواء فى الساحل أو مع الدول الخارجية . ومنذ فجر التاريخ الإسلامى والقلم العربى هو القلم المعروف فى الساحل دون غيره قبل ظهور الاستعمار فى الساحل . وأصبح الدين الإسلامى أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية(٤٣) .

والمعروف أن أساس الثقافة هى طريقة التعبير أى اللغة ، واللغة العربية اختلطت بلهجات البانتو عشرات القرون وتوالد عنها لغة جديدة هى اللغة السواحيلية . ولما كان العرب والفرس تجارًا كانت نساء البانتو أو الوطنيات يحترفن الرعى والزراعة ، فتعلم أبناؤهم من الآباء الكلمات العربية والفارسية التى لها صلة بالحرب والملاحة والتجارة والسلع المختلفة بالإضافة إلى مفردات الرحلات والفنون والإنتاج وما يتعلق بالثقافة . وأخذوا من أمهاتهم البانتويات المفردات البانتوية التى تتعلق بالزراعة وتربية الماشية ورعيها ، والطعام والشراب ، وبعض أمور الحياة اليومية(٤٤) .

وعلى هذا ظهرت عفويًا لغة جديدة هى خليط من العربية وبعض الفارسية مع اللهجات البانتوية المختلفة وهى اللغة السواحيلية ومن المحتمل أن يكون ثلثا الكلمات السواحيلية من أصل عربى – فارسى ، وما تبقى من ذلك من أصل بانتوى . وهذه اللغة السواحيلية الجديدة عرفت باسم الكى –

ســواحيلى ، وقـد اشتملت فيما بعـد على مفردات اللغـة العربيـة والبرتغاليـة ثم الإنجليزية والهندية . وقد أصبحت اللغـة السـواحيلية لغـة طريفـة للغايـة ، غنية جدًا فى مفرادتهـا ، وجـاءت حركاتهـا الحلقيـة مـن اللغـة العربيـة . وقـد تلطفت هذه الحركات بحيث يستطيع الأوروبى أن ينطقها بسهولة(٤٥) .

وقد أصبحت اللغـة السـواحيلية لغـة التجـارة ، وانتشـرت بسـرعة إلـى داخل أوساط أفريقيا ، ويتكلمها الآن حوالى الخمسـين مليـون نسـمة . وتعتبر اللغة السابعة فى العـالم ، وهـى الآن شـائعة الاسـتعمال فـى بـلاد الصومـال ، كينيا ، يوغندا ، تنزانيا ، موزمبيق وشرق الكونغـو . ولللغـة السـواحيلية أدب خـاص ومتطـور ووفـير المـادة وسـريع الانتشـار ، وأصحبـت كذلـك لغـة المعـاملات التجاريـة والماليـة - كمـا سبق القـول . وبمعنـى آخـر أن اللغـة السـواحيلية هـى اللغـة السـائدة . ورغـم ارتبـاط العنصـر السـواحيلى واللغـة السواحيلية بالدين الإسلامى ، والحضارة العربية والفارسية ، إلا أن الشخصية الأفريقية لهذا العنصر ولغته وهى الصبغة القوية المسيطرة .

وفى مجال التعليم والحركة العلمية عامة - وهو أخصب الميادين إنتاجًا فى المكتبة العربية - كان أساس التعليم العربى الإسلامى فى شرقى أفريقيا ، حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسـلامية وأشـهر مراكـز الدراسات العربية الإسلامية : زيلع ومقديشو ومركة وبراوة وممبسة وكلـوة . ولقد ساعد الازدهار والرخاء التجارى الذى ساد فى إقليم شرقى أفريقيا خـلال العصور الوسطى على قيام نهضة علمية وثقافية شامخة ، فقد كثرت الخلاوى وامتدت منتشرة عبر الساحل ، وزادت حلقات الدرس التى كان يقوم بالتدريس فيها علماء نابهون فـى علـوم اللغـة العربيـة والفقـه والتفسـير حيـث يفـد إليهـم الطلاب مـن أنحاء متفرقة . هـذا ولـم تقتصـر العلـوم الدنينـة علـى الرجـال ،

وإنما امتدت لتشمل النساء أيضًا ، فقد نلن حظهن من القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية وكانت حلقات الدراسة تعقد فى المساجد وفى بيوت الفقهاء حيث يأتى الطلاب فى حماس شديد ، وغالبًا ما تكون الدراسة عقب صلاة المغرب . ومن الكتب التى كانت تدرس كتاب " سفينة النجاة " وكتاب " منجى الطالبين " للنووى ، وكتاب " المقدمات الحضرمية فى فقه السادات الشافعية " لعبد الله بن عبد الرحمن الخضرمى(٤٦) . وليس معنى هذا أن التعليم الدينى كان يقوم على المذهب الشافعى وحده . بل كان الكثيرون يتعاملون مع بقية المذاهب الأخرى : المالكية والحنبلية والحنفية(٤٧) . وكانت حكومات الساحل ترسل البعوث العلمية إلى الحجاز والعراق والشام ومصر لتلقى المزيد من العلوم .

وكان لكل منطقة رباطها الخاص بها(٤٨) ، وبجانب العلوم الدينية كانت تدرس اللغة العربية وآدابها ، وكانوا يعتمدون فى تدريس النحو على الأجرومية وألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل وقطر الندى لابن هشام(٤٩) . ومن الكتب التى اشتهرت عندهم فى التفسير : تفسير الجلالين وهذا من غير شك للمكانة التى احتلتها مؤلفات عبد الرحمن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١هـ – ١٥٠٥ م) أحد الجلالين ، فى تلك البلاد ، وربما أيضًا لأن تفسير الجلالين مختصر .

كذلك كان لابد من دراسة السيرة النبوية ، ولمن يريد أن يكون معلمًا عليه أن يلم كذلك بالتاريخ الإسلامى العام بجانب بعض الدراسات اللغوية والأدبية من شعر ونثر . ومن الكتب التى أقبلوا عليها مقامات الحريرى ، كذلك درست أمهات الكتب فى العلوم الإسلامية المختلفة التى ضمتها مكتباتهم فى كلوة ومقديشو وزنجبار ، كما كانت فى زنجبار وكلوة سوق رائجة للكتب.

ومن هذه المصنفات على سبيل المثال : صحيح البخارى - صحيح مسلم - أصول السبكى - مختصر خليل - ألفية العراقى - الموطأ - شفاء عياض...(٥٠).

وترجع نشأة التعليم الدينى فى بلاد الساحل الأفريقى الشرقى إلى بداية توغل الإسلام إلى هذه البلاد . وذكر بعض المؤرخين أنها ترجع إلى أيام وجود جعفر بن أبى طالب بالحبشة . وظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام . ويبدأ نظام التعليم عندهم بمرحلة الكتاتيب ، ثم مرحلة العلوم العقلية والنقلية . واهتم السلاطين والفقهاء والعلماء بأن يحلوا الدين الإسلامى وثقافته محل الوثنية والمسيحية ، ونجحوا فى ذلك نجاحًا عظيمًا . لذلك ازدهرت الحركة العلمية فى مدن سلطنة الزنج الإسلامية ودول الطراز الإسلامى ازدهارًا عظيمًا ، وأصبحت زيلع وهرر ودكر وأوفات وبربرة ومقديشو وبراوة وكلوة مدنًا علمية مشهورة فى أرجاء الساحل الأفريقى وتنقل الطلاب بين هذه المدن التى اشتهرت بإتقان علمائها علومًا معينة ، حيث اشتهرت هرر بدارسة علوم اللغة والتفسير والحديث ، واشتهرت زيلع بفقه الشافعية . وكانت براوة وبركة ومقديشو كعبة الهداية والمعرفة ، وتكونت الحلقات الدراسية فى الفقه والتفسير والحديث فى المساجد ، وانتظمت دراسة الحديث والتفسير والفقه فى حوالى خمسة وعشرين مسجدًا من مساجد براوة المنتشرة(٥١) . لذلك أعطى المجتمع الإسلامى العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالمًا من علماء الدين واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلم العلمية . وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ، وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية فى مكة والمدينة والقاهرة ودمشق ، فتنوعت الثقافة وازدهرت الحركة العلمية والأدبية ، وتعدد العلماء والفقهاء ، وركز السلاطين إلى الالتزام بخلق الإسلام فى المجتمع ، وفى الإدارة الحكومية ، وأصبح لكل

الدول الإسلامية المطلة على الساحل أو فى قضاة ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد وكتبة ومحتسبون ، مما يستدعى وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية . لذلك كان العلماء والفقهاء ذات وجود مؤثر فى الحياة الثقافية والاجتماعية(٥٢) .

يتضح من هذا العرض السريع ، أن اللغة العربية والثقافة الإسلامية انتشرت على نطاق واسع فى تلك المنطقة خلال فترة العصور الوسطى ، وامتد أثرها وتأثيرها حتى العصر الحديث . فنجد أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية فى جميع تلك البلاد الإسلامية ، فهى لغة الدين والثقافة والتجارة ، ثم هى لغة الحكومة والإدارة والقضاء ، كما أصبحت لغة تخاطب فى كثير من بلاد الصومال وارتيريا وجيبوتى والحبشة وكينيا وتنزانيا وزنجبار مع وجود اللغات المحلية ، ثم هى من بعد ، لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات ... بمعنى أخر كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة Lingua franca كما أن اللغة لم تقض على اللغات المحلية فى شرقى أفريقيا ، وإنما أثرت فيها تأثيرًا كبيرًا. أما وجه التفوق الذى ظفرت به اللغة العربية ، فينحصر فى أن اللغة العربية اكتسبت صفة القداسة فى شرقى أفريقيا – كما فى الصومال وزنجبار – لأنها لغة القرآن الكريم والصلاة والعلوم الإسلامية.

لقد اشتهر فى بلاد أفريقية الشرقية علماء وأدباء نبغوا فى شتى العلوم النقلية والعقلية – نذكر منهم على سبيل المثال – الفقيه عبد الله الزيلعى الذى تولى مناصب إدارية وقضائية فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، والفقيه فخر الدين أبى عمر عثمان صاحب كتاب " نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية " فى القرن السابع الهجرى ، والفقيه شمس الدين على بن عمر الشاذلى(٥٣) . وبرز فى كلوة وممبسة عدد كبير من العلماء

منهم الشيخ سميط الذى تولى منصب قاضى زنجبار فى القرن التاسع الهجرى ، والقاضى على حميدى قاضى قضاة كلوة ، وحسن أمير الشيرازى من علماء الحديث والتفسير فى كلوة(٥٤) . ومنهم كذلك الشيخ على بن إبراهيم نور الدين المفتى الذى قرأ الفقه والفرائض والحساب ، وآدم أبى بكر الجبرتى من علماء اللغة البارزين(٥٥) .

أعطى المجتمع الإسلامى العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالمًا من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلهم العملية . وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ، وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية فى مكة والمدينة والقاهرة ودمشق . ونزحت إليها جميع الفرق والمذاهب المعروفة – آنداك – فى العالم الإسلامى ، كما رحل كثير من أبنائها إلى تلك البلاد ، فتنوعت الحياة الثقافية . وركز السلاطين على الالتزام بخلق الإسلام فى المجتمع ، وفى الإدارة الحكومية ، كما اتخذوا ألقابًا متصلة بالدين كسعد الدين وجمال الدين ومعز الدين وغيرها(٥٦) . كما أصبح العلماء مجموعة ذات وجود مؤثر فى البلاط السلطانى فى الحياة الثقافية والاجتماعية فى كلوة وأوفات وهدية ومقديشو . وقاد العلماء حركات الجهاد كالشيخ محمد أبو عبد الله والشيخ حق الدين الثانى وأحمد بن إبراهيم (الجران) ، كما تولى بعضهم مهمة السفارات كالشيخ عبد الله الزيلعى(٥٧) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية وتعدد العلماء والفقهاء الذين يقومون بأمور الدولة ، وبتدريس الدين واللغة العربية التى تدون بها الدواوين على الطريقة الإسلامية . كما كان لدول الساحل الإسلامية مثل كلوة وأوفات وهدية وأرابينى قضاة ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد

وكتبة ، مما يستدعى وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية ، كما ساعد على ازدهار هذه الدول واتساع رقعتها ، وعظمة ملوكها ، وتفانيهم فى خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية ، وعلى استمرار هجرة علماء الأربعة والأربعين شيخًا من حضر موت فى أيام السلطان " جمال الدين الثانى من سلاطين الطراز الإسلامى ، وقد نزلوا فى مدينة برية عام ١٤٣٠ م ، ثم انتشروا فى مدن الطراز المختلفة(٥٨) . واستطاع الشيخ إبراهيم أبو زرباى أن يشق طريقه إلى مدينة هرر ، وأنشأ فيها المساجد ، وما زال قبره معظمًا فى المدينة إلى اليوم . وبهؤلاء ومن سبقهم من المهاجرين ، وبعلماء هذه الدول ظلت العقيدة والثقافة الإسلامية وقارة بين المسلمين حتى فى أصعب أوقات الشدة التى تعرضت لها هذه الدول فى جهادها ونضالها المستمر ضد حملات المسيحيين الشرسة عليها من وقت لآخر ، وأدى ازدهار الحركة العلمية فى ربوع هذه البلاد إلى تعدد المؤلفات العلمية وكتب الفقه والحديث والتفسير وغيرها من علوم القراءات والأدب والنحو .

ومن أهم ما وصل إلينا منها كتاب " تاريخ عمر ولسمع وإمبراطوريته "(٥٩) . للشيخ " أبو بكر باعلوى " وكتاب فتوح الحبشة لعرب فقيه (شهاب الدين الجيزانى – التى سبقت الإشارة إليه – والراجح أن ندرة وجود مؤلفات العلماء والفقهاء ترجع إلى عاملين : أولهما طريقة الاعتماد فى التدريس والدراسة على اللغات المحلية حيث أن هدفهم الرئيسى فى التعليم أن يتفقهوا فى الدين ، وأن تعلم اللغة العربية ليس غاية فى حد ذاته ، وإنما وسيلة لفهم الدين . أما العامل الآخر فهو أنهم ألفوا وكتبوا فى شتى الفنون ، أو لأن الحروب المدمرة قد أحرقت وأتلفت ما أنتجت قرائحهم(٦٠) .

وتنقل علماء هذه البلاد وطلابهم على طول البلاد الإسلامية وعرضها بحرية وأمان . وظهر فى هذا الجو العلمى الرائع ، علماء من مقديشو وكلوة

وممبسة وزيلع وهرر ، صاروا جهابذة فى العلم : وحازوا على شهرة عظيمة فى محيط الدول الإسلامية ، حيث استقروا بصفة مستديمة فى مصر والشام واليمن والحجاز والعراق . فاهتم بهم كتاب تراجم العلماء المسلمين البارزين فى مجال العلوم الإسلامية المختلفة ، وهم على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ فخر الدين الزيلعى عثمان بن على بن يحيى بن يوسف الزيلعى قدم إلى القاهرة سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) ودرس فيها وأفتى(٦١) . ومنهم أيضًا الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعى الذى لازم مطالعة كتب الحديث إلى أن أخرج أحاديث الهداية ، وأحاديث الكشاف ، وكان يرافقه الشيخ زين العابدين العراقى فى مطالعة كتب الحديث(٦٢) . ومنهم كذلك الشيخ على بن يوسف ابن جبر الدين بن موسى الجبرتى الأزهرى الشافعى المعروف بالجبرتى ، وقد قدم إلى القاهرة حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وقرأ بها القراءات على الشهاب السكندرى والمشمش بن العطار وأخرين ، وسافر إلى دمشق سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) ، وقرأ فيها القراءات على ابن النجار ، ثم رحل إلى بغداد وصحب فضل القادرى من درية الشيخ عبد القادر الجيلانى وليس منه الخرقة وغيرها ، ورجع إلى القاهرة وعقد له ناقوس المشيخة وجلس فى خلوة بسطح الأزهر ، كما كان مقربًا من السلطان المملوكى قايتباى الذى اعتقد فى صلاحه وولايته ، ثم بنى جامعًا فى مدينة أدكو فى مصر عام ٨٧٨هـ (١٤٧٣ م) ، وربما أخذ عنه بعض الطلبة القراءات ، وتوفى عام ٨٩٩ هـ (١٤٩٣)(٦٣) .

الهوامش

(١) رزقانة ، إبراهيم محمد ، صبحى ، محمد صفى الدين محمد صبحى عبد الحكيم ، فايد ، يوسف عبد المجيد : الجغرافيا الطبيعية ، القاه ، ١٩٦٨م ، ص٢٩٢ ، الدناصورى ، جمال الدين : جغرافية العالم (أفريقيا واستراليا) ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص١٠

Jarret,HR: Africa, Oxford, 1965, p. 328

(٢) بونت Paunt أو بنت Punt مشتقة من أصول سامية تعنى أرض الجنوب الأقصى ، ويعتقد أن سكان بونت كانوا ينتشرون حتى رأس حافون بالقرب من سوفالا فى أقصى جنوب ساحل شرقى أفريقة (موزمبيق حاليًا) وقد ذكر المسعودى هذه المنطقة ببلاد حفونى : المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ص١٠٧ ،

حمدى السيد : الصومال ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص٣٦

حوارنى ، جورج فاضلو : العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور الوسطى وأوائل العصور القديمة ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص٣١ ، ٣٤ ، ٣٦

Reusch, R,: History of East Africa, New York, 1961, p. 11 Seq

(٣) تم تفصيل هذا فى مقال نشر لى بمجلة (المؤرخ العربى) العدد ٣١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بغداد ، تحت عنوان : " أرض الزنج والاتصال بحضارات العالم الخارجى منذ القدم " ، ص٢٢٩ - ٢٣٦

Coupland, R.: East Africa and its Invaders, Oxford, 1938, pp. 15-16 = Reusch, Ibid, pp. 17-18

(٤) مجلة كلية الآداب - جامعة أم درمان الإسلامية -، العدد الثانى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م ، موضوع : " أرض الزنج الإسلامية فى العصور الوسطى " ، للباحث ، ص٢٦ - ٢٧ .

(٥) ابن الأثير ، أبو الحسن على محمد الشيبانى (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م) ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص٥١

حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى ، جـ١ ، ص١١٨ ، القاهرة ١٩٦٤م .

هيكل ، محمد حسين : حياة محمد ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م ، ص١١٦

طرخان ، إبراهيم على : الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٢١

(٦) الفناتى، أحمد الحنفى ، الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ، القاهرة ١٣٢١هـ (١٩٠٢م).

حمدى السيد ، نفس المصدر ، ص٣٤٨

(٧) عبد الرحمن زكى ، تاريخ الدول الإسلامية بأفريقيا ،١٩٦١م ، القاهرة ، ص ٤١

حمدى السيد ، المصدر السابق ، ص٣٤٩

(٨) حمدى السيد ، المصدر نفسه ، ص٣٤٩

(٩) الطبرى ،الإمام أبوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص١٦٣ - ١٩٠ ، القاهرة ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩م .

(10) Stigand, C.N; the Land of Zing, London, 1913, pp. 23-30 Seq.

(11) Reusch, Ibid, p. 75

(١٢) مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٠٧

(13) Resch, Ibid, p. 75

(١٤) حمدى السيد ، ص٣٥٠

(١٥) قبائل الجالا من أكبر القبائل فى الصومال فى الوقت الحاضر .

(16) Trimingham, S;: Islam in East Africa, London, 1964, p.4

(١٧) سيد أحمدعلى : مختصر تاريخ العرب ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص٢٦١ - ٢٦٦

ابن الأثير ، المصدر السابق ،جـ٦ ، ص٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ١٧٥ - ٢٩٥

Trimingham, Ibid, p. 4 Seq = Reusch, Op. Cit. pp. 87 - 88

(١٨) أرنولد ، توماس : الدعوة إلى الإسلام (ترجمة) ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ٢٨٧

زكى، عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقية، جـ١، القاهرة، ١٩٦٥، ص٧٧

Enrico Cerului: Encyc . of Islam, Vol. 3; art. Makadishu, p. 165, London, 1934

انظر كذلك: البراوى، راشد : الصومال الكبير حقيقة وهدف ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٩

(١٩) تفاصيل إمبراطوية الزنج ، وردت فى حولية كلوة ، كتبها أحد المسلمين العرب ، واسمه الشيخ محى الدين ، ونكر اسمه عليها ، وسماها : " كتاب السلوى فى أخبار كلوة " ، وهذه الحولية موجودة بمتحف لندن تحت النمرة : OR. 2666

Walker, J; : Encyc. of Islam, art. Kilwa. Vol. 111, London, 1934, p. 116. Freeman & Grenville : the East African Coast, Clarendon press, 1926, p. 63

Stigand : Op. Cit. pp. 22023

انظر كذلك : مجلة كلية الأداب – جامعة أم درمان الإسلامية – ، العدد الثانى ، ص٢٩

(20) Stigand: Op. Cit. p. 104 Seq.

Reusch: Op. Cit; p. 185

أرنولد ، نفس المرجع ، ص٢٨٧

(21) Trimingham,: Op. Cit., p. 62

(٢٢) القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ – ١٤١٨م) ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء –جـ٥ ، القاهرة ، ١٩٠٦م ، ص٣٢٢ – ٣٢٣

(٢٣) العمرى ، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ – ١٣٤٨م) : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ ١ ، القاهرة ١٣٤٢هـ – ١٩٢٤ ، ص ١١ – ١٢

(٢٤) المقريزى ، أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ – ١٤٤١ م) : الإلمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، القاهرة ١٨٩٥ ، ص٢٢

(٢٥) أرنولد ، المرجع السابق ، ص٢٧٨

(26) Freeman & Grenville, Op. Cit; pp. 34-35

Encyc, of Islam : art. Sofala, vol. 24, p. 935. London 1768

Gray, J. History of Zanzibar From the Middle Ages to 1856, London 1962, pp. 1-30

(٢٧) عرب فقيه (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزانى : (تحفة الزمان) أو (فتوح الحبشة) – الجزء الأول – وقد عاصر هذا المؤلف الأحداث والمعارك التى دارت أثناء حركة جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم ووصفها وصفًا دقيقًا. أما الجزء الثانى من هذا الكتاب فلا يزال مفقودًا . فقد قام المستشرقون رينيه باسية بنشر الجزء الأول بالعربية ، وترجمه وحققه بالفرنسية ما بين ١٨٩٧ – ١٩٠٩م . وقد اعتمدنا على النسخة العربية فتوح الحبشة (تحفة الزمان) . التى نشرها رينية باسية والتى أعاد نشرها فهيم محمد شلتوت عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

أما الإمام أحمد بن إبراهيم (الجران) فقد اشتهر فى الأصل بلقب (القرين) أى الأشول ، ويكتب هذا اللفظ محرفًا (جران) كما أطلق عليه مسلمو أثيوبيا لقب (الغازى) لقيامه بحركة الجهاد .

(28) Guillian, M; Documents sur L'histoire, Goegraphic d'Afrique Orientale, Vol. l, p. 33. See also: Reusch, Op. Cit. p. 75

(٢٩) حمدى السيد ، المرجع السابق ن ص٣١٧

(٣٠) إمارة بيت Pate (باتا Patta) ، إمارة عربية ، أنشأها سليمان بن سليمان بن المظفر النبهانى فى بداية القرن السادس الهجرى(القرن الثالث الميلادى) .

انظر :

Stigand, Op. Cit; pp. 29-34

(31) Freeman & Grenville, Op, Cit; p. 39

(٣٢) تحفة النظار ، ص١٩٣

(٣٣) الدمشقى ، شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصارى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بطرسبورج ١٢٨١ هـ – ١٨٦٥ م ، ص١٦٢

انظر كذلك: حمدى السيد ، المرجع السابق ، ص٣٤٦

(٣٤) طرخان ، إبراهيم على : الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٣٧

(٣٥) العقاد ، صلاح ، قاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٢١
(36) Reusch, Op. Cit; pp. 218- 219
اللغة السواحيلية ، تعرف باسم الـ كى سواحى Ki - Swahili كى معناها اللغة - كى سواحيلى معناها اللغة السواحيلية .
(٣٧) العقاد ، وجمال زكريا قاسم ، نفس المرجع ، ص٢١
(38) Duffy, James : portuguese Africa, London, 1961, pp. 31-34 Dames : The Voyage of pedro al Vares Cabral to Brazil and India, London, 1938, P. 78. Sidny R. & Welch, p.d; J.p. Portuguese Rule and Spanish Crown in South Africa, 1851-1641, (Cape Towwn and Johannsburge,1950), P.1681 Seq.
(٣٩) الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤٩ . / محمد محمد أمين ، الصومال فى العصور الوسطى الإسلامية ، بغداد ، ١٩٧٢م ، ص ٦٦ - ٧٤
(٤٠) أرسلان ، الأمير شكيب ، تاريخ غزوات العرب (مترجم) ، مصر ، ١٣٥٢هـ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦

انظر كذلك :

Scott, S.P.,History of the Morrish Empire in Europe, London, 1904, Vol. 11., P.76.
(41) Reusch, Ibid, P.218,Seq.
(٤٢) حمدى السيد ، المصدر نفسه ، ص٣٢٦ .
(٤٣) أرض الزنج الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص٣٣.
(44) Reusch, Ibid, p. 218 Seq.? Also : Stigand, Op. Cit; p. 39
(٤٥) حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٤٠ - ٢٤١ . انظر أيضًا : صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم ، المرجع نفسه ص٢١ وما بعدها.
(٤٦) حمدى السيد ، المرجع نفسه ، ص٣٢٦ إلى ٣٥٣ ، وانظر أيضًا : عرب فقيه : نفس المصدر ، ص٧٥ وما بعدها . انظر : السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ١ ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، ص٢٣٢ ، وانظر : ابن تعزى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق أحمد نجاتى ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٢٢٦ - ٢٢٧

(٤٧) العمرى ، شهاب الدين بن فضل الله ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ٢ ، ورقم ١٨٣ ، ص١١ - ١٢ - ق٣ ، القاهرة ، ١٩٢٤م ، المقريزى ، الإلمام ، ص٦

(٤٨) الشوكانى ، محمد بن على : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، جـ٢ ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ص٤٠٢

عبد القادر شيخ عبد الله: تاريخ التعليم فى الصومال ، مقديشو ، ١٩٧٨م ، ص٢١ - ٢٢

(٤٩) مسالك الأبصار ، جـ٢ ، ورقم ١٨٣ ، الإلمام ، ص٧

(٥٠) السخاوى ، المصدر نفسه ، ص٢٣٢ ، وما بعدها / الشوكانى ، نفس المصدر ص٤٠٢ / السيوطى ، جلال الدين ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جـ١ ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص١٥١

(٥١) حمدى السيد ، نفس المرجع ، ص٣٢٦٠ ، محمد محمد أمين ، أهم مراكز الدعوة الإسلامية فى الصومال ، ص٧٨ - ٨٢

(٥٢) عرب فقيه ، نفس المصدر ، ص١٨ وما بعدها . / جمعا له ، أحمد ، مملكة أوفات الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وآثارها الاجتماعية والثقافية (١٢٠٠ - ١٥٠٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٨٥م ، ص٢١٣ وما بعدها . انظر كذلك : الإلمام ، ص٩ - ٢٠ / الشوكانى : البدر الطالع ، جـ ، ص١٤٢ وما بعدها .

(٥٣) الشوكانى ، نفس المصدر ، جـ١ ، ص٤٠٢٠ / السيوطى ،جلال الدين ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ،جـ١ ، القاهرة (بدون تاريخ) ص١٥١

(٥٤) السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ١ ، القاهرة ١٣٥٣هـ ، ص٢٣٢ / ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف تعزى ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - تحقيق أحمد نجاتيب ، جـ١ القاهرة ١٩٥٦ ، ص٢٢٦ - ٢٢٧ / السخاوى الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص١٦٠

(٥٥) شهاب الدين فضل الله العمرى ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ٢ ، ورقة ١٨٢ - ١٨ ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، ص٤٣١، القاهرة ١٩٧٥م ، ص١٣٤

(٥٦) المقريزى ، الإلمام ، ص٩ / انظر للباحث : معالم الحضارة الإسلامية فى ساحل شرق أفريقيا ، مجلة دراسات أفريقية - المركز الإسلامى الأفريقى ، العدد الثانى ، الخرطوم ، شعبان ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م

(٥٧) السقلانى شهاب الدين أحمد بن حجر السقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ٣ (تحقيق محمد سيد جاء الحكم) ، القاهرة١٩٦٦م ن ص ٦١ ، عبد الرحمن زكى . أفريقيا الإسلامية ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص٣٦

(٥٨) الشوكانى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٠٢ / السيوطى ، نفس المصدر ، جـ١، ص١٥١

(٥٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٥٣

Trimingham, Op. Cit. p. 123

(٦٠) مسالك الأبصار ، جـ٢ ورقة ١٨٥ ، انظر : الإلمام ، ص٧

(٦١) عبد الرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٣٥٨ / أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، جـ٦ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص٧١٠

(٦٢) السقلانى ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٦٤

(٦٣) مسالك الأبصار ، جـ٢ ، ورقة ١٨٣ ، حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص٤٨٧

اللون ونشأة التراث الفنى الإسلامى

د. عصام عرفه محمود
كلية التربية الأساسية – الكويت

مقدمة

للفنان عبر العصور والولايات الإسلامية جهده الفنى وإبداعاته فى شتى مجالات الحياة ، وقد انعكس ذلك جليا على كل ما وقعت عليه أعيننا عن آثار ثابتة وأخرى منقولة .

وقد أضفى الفنان على معظم هذه الآثار ثوبًا رصينة وروحًا جمالية تمثلت فى تلك الألوان(١) التى أبدعها والتى تعكس جهد فكرى وعمق وجدانى ينم عن براعة فى اختيار وخلط وتجاور وتداخل الألوان ودرجاتها المستخدمة ذلك اللون الذى لم يخل منه تكوين من تكوينات فنون الحضارات المختلفة لكنه كان ولا يزال ذو طبيعة خاصة وسمات انفرد بها عن تلك الفنون ، بل كان من العوامل الهامة التى ميزت التكوينات الزخرفية الإسلامية عن غيرها عن تكوينات تلك الفنون المختلفة .

واللون قد أضافه الخالق البارئ المصور عز وجل على مخلوقاته من أجل تمييز ظواهر هذه المخلوقات وإبراز ما فيها من جمال ، توافقت فيه الألوان وتباينت . وتلك المخلوقات بألوانها قد أبهرت عقل الفنان وألهبت وجدانه وكانت مجالا خصبًا لإلهامه ، بل ولإرساء قواعد العلوم التى اختصت بالإبداع اللونى ، وخلط الألوان وخاصة كيمياء الألوان الطبيعية والصناعية وغيرها عبر العصور والولايات الإسلامية المختلفة .

وقد أكدت الدراسات الأثرية أن الإنسان البدائى استطاع أن يصنع بعض الألوان بسحق الأحجار الملونة وإذابتها واستخدامها فى تلوين رسومه التى كانت تبث فيه القوة ضد أخطار الحيوانات والطبيعة .

الأمر الذى يؤكد تمييزه لبعض الألوان وقدرته على التفريق بينها عند الاستخدام ، وهو ما تؤكده كهوف التاميرا فى شمال أسبانيا منذ حوالى ١٢٠ ألف سنة . حيث وجدت أشكالاً تضمنت ألوان من " طباشير وحفر صفراء ، وحجر الدم البنى والأحمر وأكسيد المنجنيز الأسود ، وهذه الألوان كانت تسحق وتمزج بالدهن(٢) ليلون بها رسومه .

أن رغبة الإنسان المستمرة – عبر العصور – فى محاولة تمييز الأشياء عن بعضها ، ربما دفعته إلى تنمية معارفه بالألوان خاصة وأن إدراك(٣) الألوان وتمييزها بالطبيعة يعد بمثابة الخطوة الأولى نحو تصنيفها ومن ثم محاولة تصنيعها – سواء من مواد طبيعية أو صناعية – من أجل توظيفها جماليًا .

أولاً : تمييز وتسمية العرب للألوان :

عرف العرف(٤) بقدراتهم التأملية العميقة وحبهم للبحث عما يكمن فى الكون من جماليات فقد لاحظوا بدقة ما يجوب الكون من حولهم من ظواهر بصرية اختلفت باختلاف الزمان والمكان . محاولين جهد علمهم وصبرهم تفسير هذه الظواهر تفسيرًا علميًا ، وكان من أشد ما لفت أنظار العرب تلك الظاهرة الضوئية المسماة بقوس قزح ، وما ينتج عنها من طبقات لونية متجاورة شديدة التداخل يصعب معها فصل حدود هذه الألوان " " ملاحظين .. الدور الذى يلعبه كل من انعكاس الضوء والرطوبة ، (فبالنسبة لشكل قوس قزح لاحظوا أن ارتفاع الشمس ينبغى ألا يكون زائدًا وأكدوا أنه كلما كانت الشمس فى مستوى أكثر انخفاضًا كان قوس قزح أكبر وأن بلوغ هذا القوس حده الأقصى ... يتم لحظة وجود الشمس فى الأفق(٥) أما الألوان التى ميزوها من أعلى إلى أسفل فهى على التوالى : الأحمر ، فالأصفر ، فالأزرق، فالأخضر ، وميز زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (ت :

٧٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ثمانية ألوان(٦) منفصلة وذكر معظمها بنفس الترتيب وهى : الأحمر ، والأصفر ، والأرجوانى ، والبنى الأحمر ، والبنفسجى(٧) .

ولم يقف القزوينى عند حد ملاحظة هذه الظاهرة الطبيعية من على سطح الأرض ، لكنه شاهدها أيضًا من على قمة جبل حيث يشكل عندها دائرة كاملة تقريبًا(٨) .

كما استطاع كمال الدين الفارسى فى كتابة " تنقيح المناظر " توضيح بعض مظاهر انخداع البصر ، فى مثل تلك الصورة التى تظهر على وجه حجر الطاحون، إذ عندما يصبغ وجه هذا الحجر بألوان مختلفة ويدار بسرعة فإنه لا يبدو عليه سوى لون واحد (اللون الأبيض) نتيجة لامتزاج جميع الألوان وهذه الطريقة سبقت تلك التى توصل إليها نيوتن لمعرفة الكيفية التى يتكون منها الضوء الأبيض من ألوان الطيف والمعروفة باسم " أسطوانة – نيوتن".

ولاشك أن تلك اللمحة التأملية العلمية كانت من أجل تحليل وبحث بعض الظواهر الطبيعية فى مجال الضوء وعلاقته باللون ، وكانت نتاجًا طبيعيًا لما امتاز به العرب من قدرة على تأمل الطبيعة ووصفها بدقة وبيلاغة، انعكس بوضوح على عالم الألوان بصفة عامة ، وما ضمه هذا العالم من مسميات تعددت وبلغت المئات ، وصفًا لمظاهر طبيعية تغيرت بتغير الزمان والمكان ، وتعددت بتعدد هذه المظاهر أو العناصر الطبيعية التى ضمها الكون المنظور أمام المتأمل المسلم والمتمثل بعضها فى السماء بشمسها وقمرها ونجومها ، والأرض بجبالها وصحرائها ونباتاتها فضلاً عن الإنسان والحيوانات والطيور ، وهى عناصر طبيعية كانت ولا تزال مجالا خصبًا لتمييز عشرات من الألوان ومئات من درجاتها ولكن ما يميز العرب هو قدرتهم الفائقة على إعطاء مسميات متعددة لكل ما أمكنهم تمييزه من الألوان . وقد اشتق العرب هذه المسميات من صفات ومظاهر الأشياء حينا ومن خصائصها حينا آخر .

وفى هذه الجزئية الهامة من البحث سوف أتعـرض بالدراسـة لمسـميات الألوان التى تختص بالتراث الفنى الإسلامى دون غيرها مـن المسـميات ، أى تلك المسميات التى تمس جانبًا من جوانب الفنون التشكيلية الإسلامية ، والتـى ربمـا تعكس منطـق المسلمين مـن العـرب وغيرهم علـى إطـلاق مثـل هـذه المسميات اللونية بل ومصادر اشتقاق هذه المسميات التى لا يزال الكثير منهـا مستخدم حتى الآن . فضلاً عما يمكن أن تعكس هذه الدراسة من ثراء العـرب والمسلمين فى مجال تمييز واستخدام وخلط الألوان ، تلـك التـى شـاعت علـى معظم نتاج التراث الفنى الإســلامى بمختلف مجالاته ، مـن أعمـال معماريـة أو تحـف منقولـة ، فعلـى سبيل المثـال قد بلـغ " عـدد الألـوان ودرجاتهـا فـى الجوبلان مثلاً ثلاثمائة وخمسين لونًا "(٩) .

فسوف يتعرض الباحث هنا بالإشارة إلـى مسـميات الألـوان التـى تمـس مختلـف جوانــب الفنــون التشـكيلية الإسـلامية دون غيرهـا . أى دون تلـك المسـميات التـى أطلقهـا العـرب والتـى خلـت مـن **الصفـات المطلقـة** . فهنـاك مسميات لونية اشـتقت مـن صفـات الموصـوف ولا تطلـق إلا عليـه ، كبعـض المسـميات اللونيـة التـى تطلـق علـى أجـزاء مـن جسـم كـائن حـى ، أو علـى مشروب ما دون أن ينسحب هذا على المسـمى علـى غير ذلـك الشئ . فهـى مسميات خاصة اشتقت من خصائص وصــفات الأشياء الموصوفة مثـل لـون "جـوف " فهــو مســمى لا يطلـق إلا علـى " فرس أبيـض البطـن " أو لـون " الحداد " أى لون الثياب المستخدمة فى المآتم ، أو لون الـذرا : وهـو الشـيب فى مقدم الرأس أو " ريم " وهــو الصــبى الأبيض الخالص البيـاض . وهـى مسميات لا تطلق على غير تلك الأشياء فالبحث سوف بالمسميات اللونية التـى تقصد الصفات المطلقة والعامة للألوان والتى تنسحب على مختلف الأشياء .

وقد اختصت بعض المراجـع بتجميـع مسـميات الألـوان مـن مصـادرهـا التاريخية وعلى الرغم مما فيها من تكرار ومسميات مشتركة فيما بينها ، فإنها

مراجع على درجة كبيرة من الأهمية لما فيها من جهد تجميعى للمادة العلمية، توفر الكثير من الجهد على الباحث . حيث ارتكزت بدورها على أهم المصادر التى أشارت إلى المسميات اللونية .

والدراسة التالية تتضمن مسميات الألوان مع ذكر لبعض الملاحظات حول أهمية مسمى اللون فى تأكيد بعض المفاهيم العلمية الخاصة بالقوانين الحديثة للألوان .

أولاً : مسميات اللون الأحمر :

١ – **أحمر باحر** : الشئ الأحمر شديد الحمرة(١٠) . وهو درجة قانية من درجات الأحمر .

٢ – **بقم** : صبغ معروف وهو العندم (وهو) شجر أحمر(١١) . كان يستخرج منه اللون الأحمر النباتى .

٣ – **جرل** : الجريال صبغ يشبه الخمر(١٢) .

٤ – " **جسد** : أحمر من الذهب .. (يتكون من) الزعفران والعصفر "(١٣) وهى درجة ذات بريق شديد .

٥ – " **جمر** : النار المتقدة "(١٤) وهى درجة تميل إلى البرتقالى اشتق اسمها من النار المتقدة .

٦ – " **دمى** : المدمى " ... شديد الحمرة(١٥) . مشتق من اسم الدم .

٧ – " **دهن** : الدهان ... الجلد الأحمر " ، الدهان فى القرآن : الأديم الأحمر الصرف "(١٦) .

٨ – " **ذرح** : ذريحى " : شديد الحمرة (١٧) .

٩ – " **رجا** : أرجوان " ... الحمرة (وهو درجة من الأحمر مماثلة إلى البنفسجى) . وقال الزجاج : " الأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة"(١٨).

١٠ – " **زكر** : زكرية " : شديد الحمرة(١٩) .

١١ - " **شرق**: الشرقى صبغ لونه أحمر "، ويقال:" شرق وجهه خجلاً "(٢٠).

١٢ - " **شقح** : الشقحة لون (يميل إلى) الأحمر أو الأصفر "(٢١) .

١٣ - " **شقر** : الأشقر : فى الصحاح هى فى الإنسان حمرة صافية وبشرة مائلة إلى البياض "(٢٢) .

١٤ - " **صرب** : الصرب الصمغ الأحمر "(٢٣) ، أى درجة من الأحمر مشتق اسمها من من مصدرها النباتى .

١٥ - " **ينع** : يانع : الأحمر من كل شئ "(٢٤) ، أى شديد الحمرة ضارب إلى صفرة .

١٦ - " **صهب** : الصهبة : إذا كان فى الظاهر حمرة وفى الباطن أسوداد ".

١٧ - " **عقق** : عقيق : خرز أحمر "(٢٥) ، وهى درجة من الأحمر مشتق اسمها من اسم حجر كريم يميل لونه إلى البنى .

١٨ - " **فدم** : المشبع حمرة ، وقيل هو الذى حمرته شديدة "(٢٦) .

١٩ - " **قرمز** : صبغ أرمنى أحمر "(٢٧) ، وهى درجة من الأحمر تميل إلى الأزرق قليلاً .

٢٠ - " **القنوء** : شدة الحمرة " أى أحمر قانى(٢٨) .

٢١ - " **كمت** : فيه حمرة وسواد(٢٩) ، وهى درجة من الأحمر تميل إلى البنى قليلا .

٢٢ - " **المصر** : الطين الأحمر "(٢٠) ، وهى درجة من الأحمر مشتق اسمها من اسم الطين الأحمر .

٢٣ - " **مغر** : طين أحمر يصبغ به : ليس بناصع الحمرة "(٣١) ، وهى درجة من الأحمر تميل إلى البنى ومشتق اسمها من اسم الطين الأحمر .

٢٤ - " **نكع** : الأحمر من كل شئ "(٣٢) ، وهى درجة من الأحمر شديدة الحمرة .

٢٥ - " **ينع** : يانع : الأحمر من كل شئ "(٣٣) ، أى شديد الحمرة ضارب إلى صفرة .

ثانيًا : مسميات اللون الأسود :

١ - " **حتم** : الحاتم : الأسود من كل شئ "(٣٤) ، أى هو الخالص النقى شديد السواد .

٢ - " **الحسبة** : سواد يضرب إلى الحمرة "(٣٥) ، كما هو متمثل فى لون السماء لحظة مولد الشروق .

٣ - " **حلك** : شدة السواد كلون الغراب(٣٦) .

٤ - " **دجج** : شدة السواد "(٣٧) ، مثل لون الليل حين يكون القمر محاق .

٥ - " **دسم** : الدسمة : السواد "(٣٨) .

٦ - " **دلم** : الأدلم : شدة السواد من الرجال والأسود والحمير الجبال والصخر "(٣٩) .

٧ - " **رمد** : الأرمد : الذى على لون الرماد "(٤٠)، وهى درجة فاتحة من درجات الأسود .

٨ - "**سحك** : الشديد السواد "(٤١) ، مثل لون الغراب .

٩ - " **سمر** : السمر : منزلة بين البياض والسواد "(٤٢) ، أى درجة من درجات الرمادى الداكن .

١٠ - " **الشهبة** : سواد (يتخلله) بياض "(٤٣) ، كما هو متمثل فى شيب الشعر.

١١ - " **طلس** : الأسود "(٤٤) ، أو كان أغبر إلى السواد .

١٢ - " **قار** : القارة : الصخرة السوداء "(٤٥) ، اسم مشتق من اسم اليابسة .

١٣ - " **القهبة** : سواد يضرب إلى الخضرة "(٤٦) ، أو هو غبرة تعلو أى لون .

١٤ - " **النوبة** : أخذ من سواد شيئًا، ومن بياض شيئًا "(٤٧)، أى بمعنى التناوب.

ثالثًا : مسميات اللون الأبيض :

١ - " **الأملح** : الأبلق : يكون فيه البياض أكثر " (مما هو بالأبلق)(٤٨) .

٢ - " **برص** : بياض يقع فى الجسد . (أو الرجل) "(٤٩) وهو اسم مشتق من إعراض مرضية .

٣ - " **بريق**(٥٠) : شدة لمعان اللون " .

٤ - " **البغث** : بياض يضرب إلى الخضرة ، وقيل بياض يضرب إلى الحمرة"(٥١) وربما يعنى تداخل أى لون مع سيادة الأبيض .

٥ - " **بقع** : الأبقع : ما خالط بياض لون آخر "(٥٢) ، لكن مع عدم تداخل اللونين معًا ، أى يمكن الفصل بينهما، على غير ما هو عليه معنى " البغث ".

٦ - "**بلق** : أبلق: (أى فيه بياض وسواد)، وكل لون خالطه بياض فهو أبلق"(٥٣).

٧ - " **جزع** : مجزع : (أى) فيه بياض وحمرة "(٥٤) ، وهى تطلق على تداخل أى لون مع الأبيض .

٨ - " **جص** : الذى يطلى به " (الجدران) ، فهو اسم مشتق من اسم المادة المستخدمة فى الطلاء .

٩ - " **خلص** : الخالص : الأبيض "(٥٦) ، وما صفا ونصح من الألوان .

١٠ - " **رخم** : حجر أبيض سهل رخو "(٥٧) ، وهو اسم مشتق من مسمى نوع من الأحجار البيضاء .

١١ - " **رضم** : حجر أبيض "(٥٨) وهو اسم مشتق من مسمى نوع من الأحجار البيضاء .

١٢ - " **رمع** : حصى أبيض يتلألأ فى الشمس "(٥٩) ، وهو اسم مشتق من نوع من الحصى الأبيض .

١٣ - " **الزهرة** : البياض النير - النور الأبيض المشرق "(٦٠) والأزهر ، يعنى المضئ المشرق .

١٤ - " **الشربة** : بياض مشرب بحمره ، كالحمرة فى الوجه(٦١) .

١٥ - "**عبل** : صخر أبيض "(٦٢)، وهو اسم مشتق من نوع من الصخر الأبيض.

١٦ - " **عفر** : عفراء : خالصة البياض "(٦٣) .

١٧ - " **قمر** : الأقمر : الأبيض شديد البياض "(٦٤) .

١٨ - " **اللهبة** : بياض ناصع نقى "(٦٥) ، أو إشراق اللون .

١٩ - " **ملح** : الملحة : بياض تشوبه شعيرات " من لون آخر(٦٦) .

٢٠ -" **نمرة** : جبل منه لونان من سواد وبياض "(٦٧)، أو من بياض ولون آخر.

٢١ - " **نوق** : أبيض فيه حمرة يسيرة "(٦٨) .

٢٢ - " **يقق** : شديد البياض ، الناصع "(٦٩) .

رابعًا : مسميات اللون الأخضر :

١ - " **حنتم** : أخضر يضرب إلى الحمرة ، أو سحاب سود ، السواد عندهم خضرة ... والخضرة قريبة من السواد "(٧٠) . ويقصد به الأخضر شديد القتامة والاعتام .

٢ - " **خضرة** : لون الأخضر " . والخضرة عند العرب السواد (الكثرة) وسواء الكثرة خضرتـه "(٧١) " وسـمى سـواد العـراق سـوادًا لكـثرة خضرته"(٧٢) وهى فى ألوان الناس السمرة .

٣ - " **نضر** : الناضر : الأخضر الشديد الخضرة ، وقد يبالغ بالناضر فى كل لون ومعناه الناعم الذى له بريق فى صفائه "(٧٣) أى الخالص من كل شئ.

خامسًا : مسميات اللون البرتقالى :

١ - " **صنب** : الصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزبيب "(٧٤) ، أى مزيـج من الأصفر والأحمر ، أى برتقالى اللون وفى الوسيط أى الذى لونه بيـن الحمرة والصفرة " .

٢ - " **الكهبة** : صفرة تضرب إلى الحمرة "(٧٥) ، أى مائل إلى البرتقالى .

سادسًا : مسميات اللون البنفسجى :

١ – " **بنفسج** : اسم نبات "(٧٦) ، يزرع للزينة ولزهوره ، وعطر الرائحة .

سابعًا : مسميات اللون الأزرق :

١ – " **الزرقم** : الأزرق شديد الزرقة "(٧٧) .

٢ – " **نيل** : الصبغ الأزرق الذى يستخرج من ورق النيل "(٧٨) .

ثامنًا : مسميات اللون الذهبى :

١ – " **دجل** : دجلت السيف : مدهنة وظليته بماء الذهب ، والدجال : ماء الذهب "(٧٩) .

٢ – " **صفر** : الأصفران : الذهب والزعفران "(٨٠) .

تاسعًا : مسمى اللون الأصفر :

١ – " صفر : الأصفراء : الذهب والزعفران "(٨١) ، وهى مسمى للون أصفر براق شديد الأشعاع . وصفر : تطلق على كل من الذهب والنحاس الأصفر .

عاشرًا : مسميات اللون الفضى :

١ – " **الصولجة** : الفضة الخالصة "(٨٢) المصفاة .

٢ – " **فضض** : أى مموه بالفضة أومرصع بها "(٨٣) .

٣ – " **نسك** : النسك سبائك الفضة المصفاة " (٨٤) .

من هذه الدراسة سالفة الذكر ، الخاصة بتمييز وإدراك العرب للألوان وقدرتهم على إعطاء مسمى لكل لون ودرجة .

يمكن استخلاص النتائج التالية :

هذه الدراسة استندت إلى مصادر ومراجع عكست بوضوح الثروة اللغوية التى كانت لدى العرب فيما يختص بمسميات الألوان . هذه الثروة

اللغوية التى تعكس بدورها قدرة العرب على تمييز وإدراك الألوان المختلفة وللوهلة الأولى قد يتوهم الباحث - فى تلك المصادر - أن كل هذه المسميات هى مسميات لعشرات من الألوان . لكن من الدراسة سالفة الذكر يمكن القول بأن هذه المسميات التى أطلقها العرب هى مسميات يمكن تصنيفها إلى ما يلى:

١ - مسميات " ألوان " .

٢ - مسميات " درجات ألوان " .

٣ - مسميات " قيم لونية " كما تسمى بالمصطلح الحديث .

١ - مسميات الألوان وعددها عشرة ألوان هى : أحمر ، وأسود ، وأبيض ، وأخضر وبرتقالى ، وبنفسجى ، وأزرق ، وذهبى ، وفضى ، وأصفر .

٢ - مسميات درجات الألوان وقد تفاوتت أعدادها من لون لآخر وهى كما بالجدول التالى رقم (١) :

م	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
اللون	أحمر	أبيض	أسود	أخضر	فضى	برتقالى	أزرق	ذهبى	أصفر	بنفسجى
عدد الدرجات	٢٥	٢٢	١٤	٣	٣	٢	٢	٢	٢	١

وهى : ٧٦ لون ودرجة .

جدول رقم (١) يوضح عدد الألوان ودرجاتها التى ميزها العرب

وفقًا للمصادر والمراجع التى استخلص منها الباحث مسميات الألوان فى هذا الدراسة ، يستنتج من هذا الإحصاء الخاص بأعداد ودرجات كل لون شاع استخدام مسماه لدى العرب ما يلى :

(أ) استطاع العرب إيداع مسميات لدرجات اللون الواحد ، هذه المسميات اختلفت أعدادها من لون لآخر ، وكان أكثر هذه الألوان شيوعًا فى درجات ألوانه هو اللون الأحمر وأقلها هو البنفسجى ، وفقًا للترتيب التنازلى

بالجدول السابق رقم (١) ، وربما كان السبب فى كثرة عدد مسميات درجات بعض الألوان كما هو (بالأحمر والأبيض والأسود) عن بعضها الأخرى ، هو أن هذه الألوان الثلاثة هى الأكثر استخدامًا وشيوعًا فى حياة العرب اليومية كما وأن هذه الألوان - كما هو واضح من معانى مسميات درجاتها - ذات مصادر اشتقاق أكثر من غيرها ، فقد اشتقت مسمياتها من ألوان الطبيعة والإنسان والنبات والحيوان والصخر والحجارة ، فالأحمر اشتقت مسمياته من ألوان الشجر (بقم ، وعندم) ، والنبات (زعفران وعصفر) ، والنار (جمر)، والدم (دمى) ، والشروق (شرق)، والصمغ الأحمر (صرب)، والطين الأحمر (مصر ، ومضر) ، فضلاً عن بعض المسميات المشتقه من معان لغوية (نكع ، ينع ، ...) .

أما **الأبيض** فقد كثرت أيضًا مسميات درجاته التى اشتقت من ألوان الدواب (برق ، نوق) ، وألوان الجبال (نمره) ، ولون الحصى (حصى)، وألوان الأحجار (رخم ، ورضم ، ورمع ، وعبل) ، ولون القمر (قمر) وغيرها.

أما اللون **الأسود** فقد اشتقت مسمياته من ألوان الليل (حلك) ، والرماد (رمد) ، والقار أو الصخر الأسود (قار) وغيرها .

فهذه الألوان الثلاثة كانت الأكثر شيوعًا من حيث كثرة مسميات درجات ألوانها ، تلك المسميات التى اشتقت من أوصاف أومعانى أو مسميات ما شاع فى البيئة العربية ، وما استهوى فكر ووجدان العربى وجعل منه مصدر اشتقاق مسمياته اللونية .

(ب) أن الألوان الثلاثة التى شاعت درجات ألوانها أكثر من غيرها من الألوان قد تنوعت درجات ألوانها وتدرجت من اللون الشديد الناصع إلى الأقل قوة وحتى الدرجات الداكنة أو المشربه بلون مختلف .

فاللون **الأحمر** قد تعددت درجاته من الأحمر شديد الحمرة مثل (زكر ، وقدم ، ونكع ، وينع) إلى **الأحمر** مثل (شرق ، وصرب ، وعقق) إلى

الأحمر **الأقل حمرة** مثل (شقح وشقر) إلى **الأحمر الداكن** مثل (صهب ، وقرمز ، وكمت ، ومصر ، ومضر) أما إذا كان اللون الأحمر مشرب أو **مخالط لون** آخر فقد أطلق عليه اسم : رجًا أو أرجوان : وهو درجة من الأحمر مائلة إلى البنفسجى ، وشقح : وهو درجة من الأحمر تميل إلى الأصفر ، وأشقر : وهو درجة من الأحمر تميل إلى الأبيض وأصهب : وهو لون ظاهره الأحمر وباطنه السواد ، وعقق : وهو درجة من الأحمر تميل إلى البنى تعبيرًا عن اللون الطبيعى للعقيق . أو كمت أو مضر أو مغر وهو درجة من الأحمر تميل إلى البنى الداكن . وقرمز : وهو درجة من الأحمر تميل إلى الأزرق .

كما تعددت درجات اللون **الأسود** من الأسود شديد السواد مثل (حتم وحلك ودجل ودلم وسحك) إلى الأسود مثل : (دسم وطلس وقار) ، إلى الرمادى مثل : (رمد أو سمر) . أما إذا كان اللون مشرب أو مخالط لون آخر فقد أطلق عليه اسم : الحسبة : وهو سواد يضرب إلى الحمرة ، والقهبة: وهو سواد يضرب إلى الخضرة والشهبة : وهو سواد يتخلله بياض ، وأرمد : أو سمر وهى درجة من السواد رمادية اللون .

وتنوعت كذلك درجات اللون **الأبيض** من الأبيض الخالص شديد البياض مثل : (جص ولهبه وخلص ورخم ورمع ، وعبل ، وزهر ، وعفر ، وقمر ، ويقق) إلى بياض يتخله سواد مثل : (بلق ، ونمر) أو أبيض يشوبه لون آخر مثل : (ملح ، أو أملح ، بقع وبغث وجزع ، والشربه ، ونوق) . أما إذا كان اللون مشرب أو مخالط لون آخر فقد أطلق عليه اسم :

أبلق وهو كل لون خالطه بياض ، وملح : وهو بياض تشوبه شعرات من لون آخر وبغث وهو بياض يضرب إلى الخضرة ، وجزع : وجهى تطلق على تداخل أى لون مع الأبيض وشرب : وهو بياض مشرب بحمرة ، ونوق: وهو أبيض فيه حمرة يسيرة .

(جـ) هناك بعض مسميات الألوان التى تؤكد تواجد جذور لبعض المفاهيم العلمية الخاصة بالقوانين الحديثة للألوان والتى تؤكد تفهم العرب لمعانى ومقاصد هذه المسميات المشابهة للقوانين الحديثة للقيم اللونية والمتمثلة فيما يلى :

١ – **بريق اللون** : وهو ظاهرة لونية تعنى شدة لمعان اللون ، وقد تمثلت هذه القيمة اللونية فى المسميات التالية :

- **بمص** : بصيصا إذا برق(٨٥) .
- **دلص** : الدلامص : اللون الذى له بريق(٨٦) مثل الذهب أو الفضة.
- **زخخ** : شدة البريق : شدة بريق الجمر ، والحرير(٨٧) والماء والسراب.
- **الناضر** : الأخضر الشديد الخضرة ، وقد يبالغ بالنضر فى كل لون ومعناه الناعم الذى له بريق فى صفائه(٨٨) أى الأخضر اللامع .
- **وبص** : الوبيص : البريق و اللمع أبيض وابص وكل براق وابص(٨٩).
- **ومض** : هو لمعان البرق وكل شئ صافى اللون(٩٠) .

٢ – **قوة أو شدة(٩١) اللون** : وهى ظاهرة لونية تعنى شدة نقاء اللون وعدم مخالطته بلون آخر يضعف من قوته وقد تمثلت هذه القيمة اللونية فى المسميات التالية :

- **أديم** : أديم الليل وظلمته ، وأديم النهار : بياضه(٩٢) .
- **دعج** : شدة سواد العين ، وشدة بياض بياضها(٩٣) .
- **الفقع** : شدة البياض ، أو ناصع الصفرة أو شديد الحمرة(٩٤) .
- **نصع** : الناصع : الخالص من ألوان الصافى ، أن العرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها فقالت : أبيض يقق ، وأسود حالك ، وأحمر قانى، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر(٩٥) .

· كما وجد مسمى لونى يعكس بوضوح عكس هذه القيمة اللونية (شدة اللون) أى "ضعف اللون " وهو المتمثل فى :

- **معر** : قلة النضارة وعدم إشراق اللون(٩٦). نتيجة مخالطة لون آخر له.

٣ – **دكانة اللون** : وهى قيمة لونية يجعل من خلالها اللون داكنا وقد تمثلت هذه لقيمة اللونية فى المسميان التاليان :

– " **دعج** : الدعج : شدة سواد العين ، وشدة بياض بياضها "(٩٧) وهو مسمى ربما اقتصر استخدامه على العين فقط إبرازًا لجمالها .

– " **قتم** : القتمه : سواد ليس بشديد ، أو لون قاتم شديد "(٩٨) وهذا المسمى ينسحب استخدامه على كل الألوان .

٤ – **شفافية اللون** : وهى من القيم اللونية التى يعمد الفنان عبر العصور إلى تأكيدها واستخدامها فى أعماله الفنية من أجل أن يجعل اللون يشف عما تحته من ألوان أو أشكال ، وقد تمثلت هذه القيمة اللونية فى المسمى التالى :

– " **شف** : يستشف ما وراءه "(٩٩) سواء كان لون أو ثوب .

كما وجد مسمى يعبر عن نقيض المعنى أى نقيض الشفافيه متمثل فى :

– " **الكدر** : نقيض الصفاء " (١٠٠) ، اى غير شفاف أو معتم .

٥ – **تداخل وخلط الألوان** : وهى قيمة جمالية تزيد من القيم الفنية للعمل الفنى وتهدف إلى تداخل الألوان وخلطها فى الإتحاء المختلفة للعمل الفنى سواء كان لوحة تصوير أو قطعة خام ، أو زجاج ملون أو فى الطبيعة ، وتحقيق هذه القيمة يحتاج من الفنان قدرات ومهارات فنية عالية لإبداع ذلك التداخل أو الخلط بين أكثر من لون ، وقد تمثلت هذه القيمة الفنية اللونية فيما يلى من مسميات :

–" **الابرش**: الشئ الذى فيه ألوان مختلطة أى نقط حمراء وأخرى سوداء"(١٠١).

– " **جدد** : هى الخطط والطرق، يكون فى الجبال بيض وسود وحمر كالطرق"(١٠٢).

– " **خصف** : كل لونين اجتمعا فهو خصيف ، خصف الشيب إذا استوى البياض والسواد "(١٠٣) .

– " **دهم** : مدهامة : خضراء تضرب إلى السواد من شدة الخضرة ، العرب تقول لكل أخضر أسود(١٠٤) كناية عن شدة شيوع الأخضر أو الزرع فى مكان ما .

- " **رقش** : لون من كدره وسوداء ، والرقشاء (هى) الأفعى ، وسميت بذلك لترقيش فى ظهرها وهى خطوط ونقط "(١٠٥) .
- " **رقط** : لون فيه سواد وبياض "(١٠٦) .
- " **شمط** : الشميط : كل لونين اختلطا فهما شميط "(١٠٧) .
- " **المرقوم** : المخطط بسواد(١٠٨) أى لون مخطط بخطوط سوداء مما كان اتجاهها.
- " **قزح** : قيل من القزح وهى الطرائق والألوان التى فى القوس ويقال خطوط من صفرة وحمرة وخضرة "(١٠٩) .
- " **نمط** : ضروب من الثياب المصبغة ، ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة "(١١٠) .
- " **نمم** : رقشة أو زخرفة ، النمة : اللمعة من بياض فى سواد (١١١) .

أى هذا المسمى يتضمن تداخل الأبيض فى الأسود فضلاً عما يعلو هذا التدخل من لمعة .

- " **وشى** : الوشى معروف ، وهو يكون من كل لون ، والوشى فى اللون : خلط لون بلون ، وكذلك فى الكلام (الوشاية) ... أو وشى فى المعدن : منه شئ يسير من ذهب "(١١٢) .

ثانيًا : مصادر استخلاص اللون وتركيبه :

أن المسميات سالفة الذكر وتصنيفاتها تعكس بجلاء تعدد مسميات الألوان ودرجاتها ، لكن يمكن طرح تساؤل هام هو : هل كانت هذه المسميات هى مجرد مسميات لألوان لاحظها وميزها الرائى أو الفنان أو الشاعر العربى؟ أم هى مسميات أمكن الصانع أم الفنان استخلاص ألوانها من مواد طبيعية ، وخلطها وصولاً لادق الدرجات اللونيه التى كان الفنان فى حاجة إليها فى مختلف أعمالها ؟ والحقيقة أنه بالبحث وجد مرجع هام (١١٣) إفاد

كثيرًا فى الإجابة على هـذا التســاؤل وهو المتمثل فى مصـادر الاستخلاص ما كان لدى العرب من ألوان وتركيباتها المختلفة(١١٤) .

وهو الموضح بالجدول التالى رقـم(٢) مـع مقارنـة ذلـك التركيب الـذى كـان شـائعًا بـالعصور والولايـات الإسـلامية ، مـع أقدم تركيـب لهـا لا يــزال معروفًا وقد يرجع إلى عصور ما قبل الإسرات .

وفى هذا الجدول يتغاضى الباحث عن أوزان وكميات المواد الداخلة فى التركيب وكذلك مدة خلطها ، فليس ذلـك هـو موضـوع البحـث ، وسـوف يتـم التركيز على مصادر الألوان ومسميات المواد الداخلة فى تركيبها ، مـن أجـل تكوين مختلف الألوان .

م	اللـــون	تركيبه فى العصور الإسلامية	أقدم أمثلته المعروفة	تركيبه فى العصور القديمة	ملاحظـــات
١	أحمر (قرمزى)	ورق السمان (يشبه ورق الرمان) + ماء + صمغ عربى (١١٥)	من أقدم المواد المعروفة	يتركب من الأجسام الحمراء الجافة لانثى الحشرات القرمزية(١١٦)	أحمر قرمزى يشبه لون الرمان ويعطى لونًا أحمر بإضافة الشبه إليه.
٢	أحمر	الزنجفر (كبريت + زئبق) + صمغ (١١٧)	بالعصور المتأخرة	المغرة الحمراء (من أكسيد الحديد)(١١٨)	كانت تستخدم كثيرًا فى التصوير على جدران المقابر وفى الكتابة.
٣	أحمر	دم الأخرين (شجر صمغى عصارته الدم) + صمغ + ماء	القرن ٣م	(الأرجوانى : من الطحالب البحرية . أو (من الفوة والنيلة البرية)(١٢٠)	كان من أكثر الألوان استخدامًا فى التجميل وبخاصة فى الوجنات والشفاء أو قد كان شائعًا أيضًا لدى اليونان والبيزنطين .
٤	أحمر (للحرير)	البقم (شجرة ساقها حمراء) (١١٩) نبات القوة + شبة(١٢١)		(الأحمر : من نبات حناء الغول ، أو الفوه)(١٢٢)	الفوه : عروق نبات لونها أحمر ثمرتها مدوره حمراء إنها خرزة عقيق لها ماء أحمر يكتب به(١٢٢)
٥	أحمر حسن	ماء عفص + زنجفر + ماء(١٢٤)	الأسرة ١٨	(أحمر قرنفلى) من أكسيد الحديد أو أحمر مع أبيض (١٢٥)	العفص هو شجر البلوط فيتخذ منه الحبر(١٢٦)
٦	أبيض	عفص + ماء + نشا + صمغ عربى(١٢٧)	ما قبل الأسرات	كربونات كالسيوم (مسحوق الحجر الجيرى) (١٢٨)	أو كبريت الكالسيوم (الجبس) الذى تكرر وجوده بالعصر الرومانى(١٢٩)
٧	أبيض	البارون (اسفيداج الرصاص) + (محلول)(١٣٠)	ما قبل الأسرات	ملاط الجبس	كان يستخدم بطانة (أرضية) للتصوير(١٣١)
٨	أبيض رخامى	اسفيداج + ماء صمع (١٣٢)	ما قبل الأسرات	مسحوق الحجر الجيرى أو الجبس	

٩	أسود	ماء عفص أبيض + زرنيخا أصفر + النشاستج (النشا) + ماء النخالة(١٣٤)	حتى العصر القبطى	أشهب قاتم : الجالينا (من خامات الرصاص (١٣٥)	كان يستخدم كحل للعين لدى المصريون القدماء
١٠	أسود للحرير	الذبيب الأسود + ورق الحناء + (محلول)(١٢٦)	الأسرة ٥، ٦، ٧	كربون أو سمتاج أو فحم خشب مسحوق(١٣٧)	
١١	أخضر	عفص أبيض + ماء + زنجار أخضر + خل + صمغ عربى(١٢٨)	من عصر ما قبل الأسرات حتى الأسرة ١٩	الملخيت (من خامات النحاس)(١٣٩)	كان يستخدم كحل للعين لدى المصريون القدماء
١٢	أخضر	زنجار + صمغ + خل عنب + ماء(١٤٠)			
١٣	فستقى	نبات النيل + الهرد (عروق صفر او زعفرن)+ماء الصمغ + قشر الرمان ولا يكثر فيسود (قشر الرمان يسود) اللون(١٤١)			
١٤	فستقى	نبات النيل + الزرنيخ الأصفر +صمغ(١٤٢)			
١٥	وردى	سيلقون (أحمر) + صمغ + بورق (ملح)(١٤٣)			من الألوان التى استخدمها المصريون القدماء فى صباغة الشعر
١٦	مورد	اسفيداج الرصاص (أبيض) + السيفون (أحمر) + خل + صمغ + ماء العفص (شجر البلوط(١٤٤)			

١٧	خمرية (بنفسجى)	سيلقون (أحمر) + نبات النيل (لونه إلى الغبرة والزرقة أى الرمادى) + ماء + الصمغ(١٤٥)	الأسرة ٢٠	باستخدام أحد مركبات المنجنيز(١٤٦)	
١٨	للحرير	فوه + ماء + ايدم(١٤٧)			
١٩	زرقاء	الهرد (مطبوخ) + ماء لصمغ (١٤٨)	الأسرة ٤	من المعادن الطبيعية (كربونات نحاس أزرق)(١٤٩)	استخدام كذلك فى عهد الامبراطورية الرومانية فى تقارير الفريسكو(١٥٠)
٢٠	زوردية	يؤخذ من اللازورد (لون السماء) + ماء العفص + صمغ(١٥٢	٥ هـ/٦١١م	لم يستخدم قبل من اللازورد المسحوق (١٥٢)	
٢١	اللازورد	النيل + زنجار (١٥٣)	الأسرة ١٨	(أزرق) من نبات النيلة البرية(١٥٤)	تركيبها(وجد)مدون على ورق بردى
٢٢	الذهبى	زرنيج (أحمر) + زعفران (أصفر) + ماء(١٥٥)			
٢٣	الذهبى	زعفران + عصفر + صمغ(١٥٦)	الأسرة الأولى	خام الذهب الطبيعى(١٥٧)	الزعفران والعصفرر كانا يصبغ بهما الجلود أيضًا(١٥٨)
٢٤	الذهبى (للحرير)	قشر الرمان + (محلول) (١٥٩)			
٢٥	لون الوحش أصفر	مغرة + اسفيداج (أبيض) + زرنيخ أصفر(١٦٠)	الأسرة ١٢	من العصفر أو من أكسيد الحديد الأصفر البرتقالى(١٦١)	
٢٦	صفراء شديدة الصفرة	الزرنيخ الأصفر + زعفران + ماء الصمغ(١٦٢)			

الجدول سالف الذكر تضمن ستة وعشرون لونًا ودرجة يمكن استنتاج ما يلى منه :

١ - شاع استخلاص المواد الملونة الأساسية - من النباتات أكثر من غيرها . بينما فى العصور القديمة شاع استخلاصها من المعادن وأجسام الحشرات والطحالب فضلاً من النباتات .

٢ - دهانات الجدران بالعصور الإسلامية كانت تتكون من (لون مع ماء مع زلال بيض)(١٦٢/ ١) ، بينما فى عصور ما قبل الأسرات والعصر الرومانى كانت تتكون من (مسحوق الحجر الجيرى أو الجبس (١٦٢/٢) ، كبطانة للرسم عليها .

٣ - استخلص المسلمون مختلف الألوان ودرجاتها من مواد اختلفت عما كانت عليه بالعصور القديمة ، فاللون الأحمر القرمزى (جدول رقم ٢) استخلصه المسلمون من ورق السماق ، بينما فى العصور القديمة استخلص من الأجسام الحمراء الجافة لانثى الحشرات القرمزية .

ودرجات اللون الأحمر : بصفة عامة - استخلصها المسلمون من (الكبريت وشجردم الأخوين المعروف حتى الآن باسم دم الأخوة ، ومن شجر البقم والفوه والزنجفر ، والسليقون) بينما فى العصور القديمة استخلصه من : (أكسيد الحديد ، والطحالب البحرية ، ونبات الحناء أو الفوة الذى ظل مستخدما حتى العصور الإسلامية .

ودرجات اللون الأبيض : استخلصها المسلمون من : (النشا ، الأسفيداج بينما فى العصور القديمة استخلص من : (الحجر الجيرى ، أو الجبس) .

ودرجات اللون الأسود : استخلصها المسلمون من : (الزرنيخ والزبيب الأسود والحناء) ، بينما فى العصور القديمة استخلص من : (جالينا الرصاص أو السناج ، أو فحم الخشب) .

ودرجات اللون الأخضر : استخلصها المسلمون من : (نبات الزنجار الأخضر ، ونبات الهرد ، والزرنيخ الأصفر ، ونبات النيل) . بينما فى العصور القديمة استخلصت من : (خام النحاس) .

واللون البنفسجى : وهو لون لا يتكون إلا بخليط من كل من اللونين الأحمر والأزرق ، فقد استخلصه المسلمون من تركيب السلقون الأحمر مع نبات النيل الأزرق ، بينما فى العصور القديمة باستخدام المنجيز .

ودرجات اللون الأزرق : استخلصه المسلمون من : (نبات الهرد ونبات النيل) وفى العصور القديمة من : (كربونات النحاس ومن حجر اللازورد المسحوق ونبات النيلة) .

واللون الذهبى : استخلصه المسلمون من : (الزعفران والعصفر وقشر الرمان بينما فى العصور القديمة من خام الذهب الطبيعى .

ودرجات اللون الأصفر استخلصه المسلمون من: (الزرنيخ والزعفران)، بينما فى العصور القديمة استخلص من : (العصفر وأكسيد الحديد) .

٤ – استخدم الصمغ العربى فى العصور الإسلامية كوسيلة لتثبت اللون بينما فى العصور القديمة استخدم زلال البيض(١٦٣) ، وكذلك الملح .

٥ – بالعصور الإسلامية كانت درجة اللون تتغير بتغير درجة الحرارة المتعرض لها المواد المستخلصة ، كما كانت تتغير بتغير كمية الأسفيدج (الأبيض) المضاف إليها(١٦٤) .

بينما فى العصور القديمة كان يتم ذلك بإضافة مسحوق كربونات الكالسيوم (الحجر الجيرى) ، أو الجبس .

من ثم فإن تركيب الألوان المستخدمة قد اختلف من فترة زمنية لأخرى كما وقد اختلفت مصادر استخلاصها . لكن يبقى – إلى حد كبير – ثبات فكرة

تعدد المواد المستخدمة كمصادر لتكوين اللون ، سواء كانت هذه المصادر نباتية أم حيوانية أم معدنية. من أجل ضبط درجة اللون المطلوبة، وهى ألوان استخدمت عبر العصور والولايات الإسلامية كمواد على كل من الرق والورق ، أو لصبغ الجلود ، أوالصوف والحرير ، وكذا فى مجالات تلوين المصورات وغيرها .

ثالثًا : الألوان والتميز الاجتماعى :

يستخلص من بعض المصادر التاريخية أن اللون كان وسيلة من وسائل التميز الاجتماعى فيما بين طبقات المجتمع المتمثلة فى طبقات الخلفاء وسادة العرب، والعامة من أفراد المجتمع ، أو فيما بين فئات المجتمع المتمثلة فى القضاة، والخطباء والتجار والكتاب وأهل الذمة، وذلك عبر العصور، والولايات الإسلامية.

وهى ظاهرة – وأن تميزت بها بعض العصور – إلا أنها لم تكن قد ظهرت على عهد الرسول ﷺ . بل كان اللون على ذلك العهد وسيلة للتجمل واستظهار الحالة النفسية الراهنة لحظة استخدامه ، فتذكر المصادر التاريخية(١٦٥) أن عبد الله بن جعفر قال : " رأيت رسول الله ﷺ عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران(١٦٦) ورداء وعمامة " . ولون الزعفران هو الأصفر المائل إلى الذهبى وهو من الألوان التى تعكس على مرتديه سمات الصفاء النفسى والتفاؤل الشديدين . وهو من الألوان التى تتسم بعدم التميز أو الشذوذ اللونى كالأحمر أو الأخضر . فلم يكن ارتداء الرسول ﷺ لمثل هذا اللون يقصد التميز بل بقصد التجمل ، ويؤكد ذلك قول ابن الجوزى(١٦٧) أن الرسول ﷺ : " كان يفضل لبس الخفاف السود ويكره ليس الخفاف الحمر " تأكيدًا للابتعاد عن الألوان الصارخة وعدم التميز .

وظاهرة التميز اللونى الاجتماعى تعنى – ضمن ما تعنى – تميز فئة أو طبقة ما بلون ثابت يميزها عن غيرها من الفئات أو الطبقات داخل

المجتمع ، وهى ظاهرة لم تذكر المصادر تميز الرسول ﷺ بها ، بل كان ﷺ " يرتدى مختلف الألوان دون احتكار للون ما ، ويؤكد ذلك البيهقى(١٦٨) حيث يذكر أن : " المقوقس(١٦٩) أهدى إلى رسول الله ﷺ فيما أهدى قباء وعشرين ثوبًا من قباطى مصر " . لابد وأنها كانت ذات ألوان متعددة غير مقصورة على لون بعينه . وذلك على عكس ما كان عليه سادة العرب من رغبة متعمدة فى تمييز أنفسهم . فقد كان " السادة من العرب يفضل لبس العمائم الصفر " تمييزًا لهم عما شاع فى ذلك الوقت من ألوان مختلفة لهذه العمائم مثل الحمراء(١٧٠) ، أو السوداء(١٧١) ، أو البيضاء(١٧٢) وغيرها من الألوان .

وقد تأكدت ظاهرة اتخاذ اللون كوسيلة للتميز الطبقى أو الاجتماعى فيما بعد عهد الرسول ﷺ حيث يذكر ابن الزبير(١٧٣) : " كان هشام وبنو مروان كلهم يكسون الناس الخز (١٧٤) إلا الأصفر ، والأحمر ، يكسونهم ماسوى ذلك " لأن [illegible] الأحمر والأصفر لأنفسهم [illegible] كان ذلك على مستوى الشام . فقد ورد الأمر ذاته على صعيد العراق ، حيث يذكر الأصفهانى(١٧٥) " أن الحجاج أول من استعمل العمائم المصنوعة من الخز الأحمر ثم انتشرت بعد ذلك بين أهل العراق " .

كما وأن قباء وعمامه الخلفاء والحجاب ورجال الدولة فى المناسبات الرسمية كانت سوداء "(١٧٦) فى العصر العباسى ، وكذلك كان " القضاة والفقهاء يلبسون القلانس المستديرة والفخمة حتى منتصف القرن الرابع الهجرى تمييزًا لهم عن باقى فئات المجتمع ، ثم أبدلت بالعمائم السود المصقولة(١٧٧) استمرارًا لذلك التمييز وتأكيده من خلال إضفاء اللون الأسود. وهو اللون الذى يبدو أنه شاع أكثر من غيره بالعمائم ، فبالعصر نفسه كانت " خلع أصحاب الجيوش وولاة الحروب ، عمامة سوداء"(١٧٨) ، كما شاع أكثر من غيره بطرحه القضاة ، فقد ذكر دوزى(١٧٩) ، " أن اللون الأسود هو الغالب " .

ويلاحظ أنه إذا ما اشترك أكثر من فئة - داخل الدولة - في لون ما فإنها تلجأ إلى التزام اختلاف الشكل ، فقد كانت " قلانس التجار من النوع الطويل ذات اللون الأسود "(١٨٠)، تمييزًا لها عن عمائم الخلفاء وأصحاب الجيوش .

كما وأن الخليفة في العصر العباسي " كان يلبس عند جلوسه خفا أحمر(١٨١) ومما يؤكد أن ذلك اللون الأحمر للخف كان وسيلة لتمييز الخليفة [illegible] أحمر"(١٨٢) [illegible] أن اللون الأحمر على الرغم من شدة إشعاعه ولونه ، إلا أنه كان اللون المحبب لدى الخلفاء العباسيين ، فقد ذكر المسعودي(١٨٣) أن قبيحة زوجة المتوكل العباسي قد أهدت لزوجها دراعة حمراء "(١٨٤) .

وإذا كان اتخاذ لون بعينه وسيلة للتميز الطبقي ، فقد كان العكس صحيحًا أيضًا ، فقد تميزت الطبقات الحاكمة بالثراء الشديد في عدد الألوان المستخدمة حيث " وجد لهشام بن عبد الملك اثناعشر ألف قميص "(١٨٥) ، لابد وأنها تضمنت ألوانًا ودرجاتها لم يخطر تنوعها وجمالها على بال عامة الناس . والأمر ذاته قد تحدثت عنه المصادر ،حيث خلف " هارون الرشيد... بعد وفاته أربعة الأف عمامه "(١٨٦) ، لابد وأنها تضمنت عشرات الألوان ومئات الدرجات . التي أسهمت في إضفاء التميز والبهاء والفخامة على مظهره كخليفة . وكذلك الحال عندما " وجد للسيدة راشدة بنت المعز لدين الله حين ماتت في سنه اثنتين وأربعين وأربع مائه ... ما قيمته ألف ألف وسبعمائه ألف دينار ، وكان في جملة ما وجد في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمته(١٨٧) ألوانًا"(١٨٨).

كما اتخذ من اللون وسيلة لتحقيق التمييز بين المسلمين وبين أهل الذمة عبر العصور والولايات الإسلامية ، فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب

شروطًا تتعلق بملابس أهل الذمة لتمييزهم عن سائر المسلمين ، ومنها أنه " كان لزامًا على المسيحيين أن يلبسوا عمائم زرقاء ، كما يرتدى اليهود عمائم صفراء "(١٨٩) .

كما استمر المبدأ نفسه بالعصر العباسى ، فقد " أمر المتوكل فى سنة ٢٣٦هـ أهل الذمة أن لا يلبسوا العمائم ولا الطلسان المصبوغ وبه رقاع مخالفة للون ثيابهم "(١٩٠) ، وفى سنة ٤٤٨هـ أصدر المحتسب أبو منصور ابن ناصر ... أمره بأن يلبس أهل الذمة العمائم المصبوغات " (١٩١) وقد تكرر الأمر نفسه فى عام ٤٧٨هـ(١٩٢) ، وفى عام ٤٨٢هـ(١٩٣) . كما الزمت المرأة الذمية فى العصر العباسى بأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض(١٩٤) مما يؤكد استخدام اللون كوسيلة لتمييز طبقات وفئات المجتمع عبر العصور بصورة مقصودة من قبل الحكام والمسئولين بمختلف الولايات الإسلامية.

رابعًا : تعدد الألوان ودرجاتها على العمارة الإسلامية المبكرة:

فى هذا الجزء من البحث يتطرق الباحث إلى دراسة اللون دراسة موضوعية ، توضح مدى شيوع بعضها على العمائر الإسلامية المبكرة وإلى أى حد كان للتعدد اللونى أثره فى الدلالة على بعض الظواهر والقيم الفنية الخاصة بمختلف الأعمال الفنية وسوف يتقدم ذلك ذكر شأن هذه الألوان فى القرآن الكريم ، وأثر ذكر ذلك على الانطباع النفسى تجاه مختلف الألوان التى توارث المسلمون آثارها النفسية :

١ - اللون الأحمر :

من الألوان الأكثر شيوعًا على مختلف الآثار عبر العصور لما يحمله هذا اللون من معان وآثار نفسية تنطبع لدى المشاهد ، والمتمثل بعضها فى معانى القوة والاندفاع ، والعواطف الثائرة ، فهو رمز النار ، والغضب والقسوة ويعد من أقدم الألوان التى شاعت علىجدران كهوف الإنسان البدائى.

فضـــلاً عما يعكسه هـذا اللـــون بدرجـاته المختلفة مـن معـانى تعكـس ما تضمنته ألوان النباتـات والزهـور أو النـار والشـروق والشـمس حيـن تقدح وسط السماء ، أو ألوان بعض الأحجار الكريمة . وهى عناصر طبيعية أكدت بمختلف درجات ألوانهـا الأحاسيس والانطباعات تجـاه اللـون الأحمـر ، تلـك الأحاسيس التى توارثها البشر حتى أصبحت شبه موحدة الانطباع .

وفى القرآن الكريم ورد ذكر اللون الأحمر(١٩٥) للدلالة على اختلاف ألوان الثمرات ، وللدلالة على ألوان الطرائق والخطوط التى تكون فى الجبال كالعروق.

وعبر العصور والولايات الإسلامية استخدم اللون الأحمر للدلالـة علـى بعض تلك المعانى سالفة الذكر ، وكان أهم هـذه المعـانى – علـى الإطـلاق – هو استغلال مالدى هذا اللون من قوة وتميز فى مظهره عن كثير من الألـوان غيره ، وهو أمر أثبتته العلوم الحديثة ، حيث ثبت أن اللـون الأحمـر يعـد مـن أقوى الألوان قدرة على الإشعاع(١٩٦) والتميز ولفت الانتباه .

فاللون الأحمر كان أحد الألوان التى استخدمت من أجل أحداث التمييز بيـن المسـلمين وبيـن أهـل الذمـة – كمـا سـلف ذكـره – ذلـك بـارتداء العمـائم الحمراء(١٩٧) على عهد الخليفة عمر بن الخطـاب . كمـا وقد ذكـر أن كتـاب أهل فارس كانوا يفضلون " لبس الخف ذى اللون الأحمر "(١٩٨) ، وذلك دون شك – استغلال لما عرف به اللون الأحمر من التميز الشديد . وهو أمر نجـده قد تكرر حين احتكر الخليفة فى العصر العباسى ارتـداء الخـف الأحمـر بـدار الخلافة حيث كان من غير المرغوب فيـه " دخـول الداخـل إلـى دار الخلافـة بنعل أو خف أحمر لأن الأحمر لباس الخليفة "(١٩٩) ، تلبية لرغبة الخليفة فى تمييز نفسه بذلك اللون شديد الإشعاع والتميز "(٢٠٠) .

٢ – اللون الأسود :

يعد من الألوان التى شاع استخدامها عبر العصور لما يمكـن أن يوحـى به من معان ورموز لكل من الخطيئة أو الحزن أو الظلام أو القوة أو الصلادة

وغيرها ، فضلاً عما يعكسه هذا اللون من معانى تعبر عن السماء لحظة مولد الشروق أو حين يكون القمــر محاقًا ، وعن بعض ألـوان النبـات المـائل منهـا إلى السواد ، أو الطير أو الحيوان أو الإنسـان ، أو حتـى الصخـر والجبـال . وهى عناصر طبيعية أكدت بألوانها الأحاسيس والانطباعات تجـاه معـانى هـذا اللون تلك الأحساسيس التى اتفق عليها البشر ، فضــلاً عمـا ورد حـول بعـض معان مقصودة لهذا اللون بالقرآن الكريم .

فقــد ورد ذكر اللون الأســود(٢٠١) للدلالة على الليــل كظـاهرة كونيـة أو للدلالة على معنى الشر وما سوف يوعول إليه أمر الكافر يوم الدين(٢٠٢).

وعبر العصور والولايات الإسلامية استخدم هـذا اللـون الأسـود للدلالـة على إحدى هذه المعانى أو الرموز ، فقد اتخذ من الأسود لونًا لرايــة الجيـوش أثناء الحروب فى عهد الرسول ﷺ ، خاصة " تلك الرايتان السوداوتان اللتيـن كانتا فى غزوة بدر وهو اللون الذى لا يمكن صباغتـه إلـى لـون أخـر ، رمـز ثبات العقيدة "(٢٠٣) كما كـان " السـواد شـعار بنـى العبـاس ، وكـان أشـياعهم يرتدون به .. وأما بنو أمية فإن شـعارهم البيـاض – وأول مـالبس العباسـيون السواد حين قتل مروان ، إبراهيم بن محمد الإمام ، لبسوه حزنــا عليـه فصـار شعارًا لهم ، وأول رجل لبس السواد عبد الله بن على بن عبد الله بـن عبـاس عم السفاح والمنصور "(٢٠٤)، كما " كانت عادة خلفاء بنى العباس فى السـنتين الثالثـة والرابعـة للهجـرة أن يلبسـوا قلنسـوه محـددة وقبـاء(٢٠٥)، وكلاهمـا أسـود وكذلك كان علم الخلافة أســود، عليه بالكتابة البيضاء" محمد رسـول الله "(٢٠٦).

وعبر العصــور الإســلامية اسـتخدم اللـون الأسود للدلالـة علـى معـانى عديدة ففى العصـر العباسـى كـان اللـون الأسـود هـو المسـتعمل فـى (غطـاء الرأس) ، حتى عهد المأمون . الذى أمر بطرح السـواد ولبـس الخضـرة فـى الأقبية والقلانس والأعلام "(٢٠٧) . كما كـانت الملابـس السـوداء دلالـة علـى الحزن عند الجوارى ، فقد كن " يلبسن السواد أيضًا عند فقد عزيز "(٢٠٨) .

وفى العصر نفسه كان القضاة والفقهاء يلبسون " القلانس المستديرة الفخمه حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ثم أبدلت بالعمائم السود المصقولة(٢٠٩) فضلاً عن أن اللون الأسود (كان) هو الغالب على طرحة القضاء "(٢١٠) . كما شهدت المناسبات الرسمية فى العصر نفسه الزى الموحد للخلفاء ورجال الدولة والمتمثل فى العمامة السوداء(٢١١) .

ونتيجة لشيوع هذا اللون على أغطية الرأس بهذا العصر ، فقد " كانت " خلع أصحاب الجيوش وولاة الحرب عمامة سوداء "(٢١٢) .

ومما يؤكد شيوع هذا اللون بأغطية الرأس العباسية هو استخدامه كلون دائم فى هذه الأغطية مهما اختلف شكلها أو قدر صاحبها ، فلقد " كانت لدى خلفاء بنى العباس ... قلنسوه سوداء(٢١٣) ... أما قلانس التجار فقد كانت من النوع الطويل ذات اللون الأسود " (٢١٤) .

٣ - اللون الأصفر :

من الألوان التى شاعت عبر العصور والولايات الإسلامية بما تحمله من معانى وانطباعات ذاتية لها القدرة على التأثير على عقل ووجدان المشاهد فاللون الأصفر يمثل الضوء إلا أنه أقل منه إشعاعًا ، فالأصفر يعد من أكثر الألوان إشعاعًا لما يتميز به من وضوح وبهاء ، فالأصفر رمز الذهب ، ورمز أشعة الشمس ، وقد اتخذه كثير من الفنانين - عبر العصور - لونًا رئيسيًا فى أعمالهم الفنية رغبة منهم فى إضفاء قوة الإشعاع ، والإضاءة على أعمالهم خاصة إذا ما كانت هذه الأعمال سوف تزين أماكن قليلة الإضاءة .

وقد ورد ذكر اللون الأصفر فى القرآن الكريم تارة فى صيغة " مصفر" أى صفة للون ما ، مثل الأحمر أو الأخضر لكنه مائل إلى الصفرة . كما فى قوله تعالى : ﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفا ألوانه ، ثم يهيج ، فتراه مصفرًا ...﴾(٢١٥) وتارة

أخرى فى صيغة " صفراء " ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾(٢١٦) .

ففى الصيغة الأولى تعنى كلمة " مصفرًا " أنه فقد خضرته ونضارته وحسن رونقة حيث أن الأصل فى رونق ونضارة النبات هو الخضرة ، فقد استخدم اللون الأصفر هنا على عكس ما يتصف به من رونق وقوة إشعاع ، بينما فى الصيغة الثانية فإن كلمة " صفراء " المقرونة " بـ " فاقع لونها تسر الناظرين تعنى ما يتميز به – عادة – اللون الأصفر من شدة الإشعاع والصفرة والنصوع القريب من لون الذهب ، الذى يدخل السرور والاستحسان على كل من يراه .

وعبر العصور والولايات الإسلامية استخدم اللون الأصفر للدلالة على بعض تلك المعانى سالفة الذكر ، وكان من أهم هذه المعانى هو استغلال مالدى هذا اللون من قوة إشعاع شديدة ، وهو أمر أثبتته العلوم الحديثة حيث ثبت أن اللون الأصفر يعد من أكثر الألوان قدرة على الإشعاع(٢١٧) فاللون الأصفر كان أحد الألوان التى استخدمت من أجل أحداث التمييز بين المسلمين وبين أهل الذمة إلى جانب الأحمر سالف الذكر ، وذلك بارتداء اليهود للعمائم الصفراء على عهد الخليفة عمر بن الخطاب(٢١٨) .

٤ – اللون الأبيض :

من الألوان التى شاع استخدامها عبر العصور والولايات الإسلامية لما يحمله هذا اللون من معانى وانطباعات نفسية توارثتها الأجيال تمثلت فى معانى النقاء والطهارة والإشراق والنور والبريق والنصوع ، واكتمال القمر وشدة توهج الشمس ، وموج البحر ، فضلاً عن معان أخرى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر اللون الأبيض للدلالة على بزوغ النهار كظاهرة طبيعية(٢١٩) أو للدلالة على فاعل الخير عند وصف ما سوف يؤول إليه أمر

البشر يـوم الحسـاب(٢٢٠) . فبيـاض الوجـه يـوم الحسـاب كنايـة عـن الإيمـان والنور والهداية .

كما أن الأبيض ارتبط بمعنى الطهـارة والنقـاء ، حيـن أمـر اللـه تعـالى موسى عليه السلام أن يدخل يده فى جيبه لتخرج بيضاء من غير سـواء(٢٢١) تتلألأ نورا .

كما وردت الإشارة دلالة على الضرر البالغ ، عنـد وصـف قدر حـزن يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف عليه السلام(٢٢٢) ، كمـا وردت الإشـارة إلى اللون الأبيض للدلالة على طرائق وتجازيع عروق الجبال(٢٢٣) كظواهر طبيعية تبدو فى بنية الجبل . أو لوصف أجمل ألوان النساء بـاللون الأبيـض بلـون "تشبها بيض النعام "المائل إلى الصفرة ، وهو أجمل درجات الأبيض(٢٢٤).

وعبر العصور والولايات الإسلامية استخدم اللون الأبيض للدلالة علـى بعض المعانى وكان من هذه المعـانى هـو " اتخـاذ أهـل الأندلـس مـن اللـون الأبيض دلالة على الحزن والحداد "(٢٢٥) .

كما ورد فى الحديـث الشـريف مـا يفيد اسـتخدام اللـون الأبيـض رمـزًا للجنة(٢٢٦) ورمزًا لخير الثياب .

٥ – اللون الأخضر :

شاع استخدام هذا اللون عبر العصور لما يحملـه مـن معـانى وتـأثيرات انطبعت لدى المرائى ، حيث توارثها وانتقلت إليه من جيل لأخر ، تمثلت فـى معـانى الخير والرخـاء والجنـة ، وسـواد الخضـرة أى شـيوعها وكثرتهـا ، والنضارة والنمو ، والامل والخصوبة ، فضلاً عن معانى أخـرى ورد ذكرهـا فى القرآن الكريم للدلالة عى الحياة والنضارة(٢٢٧) وهـى حالـة يكـون عليهـا النبات قبل أن يجف أو للدلالة (٢٢٨) علـى أن النبـات المخلـوق رطبـًا يكـون أخضـراً نضـراً . وكـذا التـأكيد علـى إطـلاق اللـون الاخضـر علـى ثيـاب الجنة(٢٢٩) مما دعى لارتباطه مع فكر ووجدان المسلم بالحياة فى الجنة .

وعبر العصور أتخذ من اللون الأخضر رمزا يوحى بالراحة النفسية ويدعوا إلى الصبر ، والارتخاء العصبى والهدوء النفسى .

٦ – اللون الأزرق :

كما استخدم اللون الأزرق وفقًا لما يعكسه من معان وتأثيرات انطبعت لدى الرائى الذى توارثها من جيل لأخر ، وتمثلت فى معانى الحكمة والصداقة والخلود ، كما أنه [illegible] معان خاصة(٢٣٠) ، كذلك [illegible]

[illegible]

والأبيض فى الأندلس وقد ورد ذكر هذا اللون بالقرآن الكريم مرة واحدة ، قال تعالى { ونحشر المجرمين يؤمئذ زرقًا}(٢٣٢) حيث يزرق سواد العين عند من يذهب بصره . كما ورد أنه كان لزامًا على المسيحين أن يلبسوا عمائهم زرقاء من أجل تمييزهم – كأهل ذمة عن سائر المسلمين ، على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وذلك تمييزا عن سائر الألوان التى كان يرتديها المسلمون ، وغيرهم من أهل الذمة اليهود .

العمارة الإسلامية المبكرة :

لمختلف الألوان – سالفة الذكر – دورها الفنى الهام على مختلف الآثار المبكرة ، ذلك الدور الذى اشتق اساسًا من الآثار النفسية والانطباعات الذاتية التى يتركها اللون على مختلف الأعمال حين يضاف إليها ، وهى الانطباعات التى نتجت عن توارث البشر لتأثيراتها ، والتى وجهت وجدان الفنان نحو اختيارها لتحقيق معانى مقصودة ، فعلى الأعمال الفنية المعمارية المبكرة ، سجل اللون العديد من القيم الجمالية التى يهدف الفنان دائمًا إلى تحقيقها فى أعماله عبر العصور ، والتى تخدم ابراز مضمون العمل الفنى وتأكيد مختلف عناصره . فكان للفنان جهده الرائع الذى بذله فى سبيل اضفاء الروح الجمالية المتمثلة فى اللون على مختلف جوانب الأثر ذلك اللون الذى كان له دوره الهام فى تمييز الأعمال الفنية الإسلامية عن غيرها من أعمال فنون الحضارات المختلفة .

وفى هذا الجزء من الدراسة يتبين إلى أى مدى طبق العرب – بعد الإسلام – استخدام الألوان التى عرفوها(٢٣٣) ، وإلى أى مدى تعدى العرب بعد الإسلام حدود ما أدركوه من ألوان عند استخدامها تطبيقـًا على مختلف الأثار المبكرة ، وخاصة المعمارية منها موضع البحث .

بالبحث فى الألوان المستخدمة بالعمائر الإسلامية المبكرة وجد فى قبة الصخرة(٢٣٤) (٧٢هـ / ٦٩١م) (لوحه ١، ٢) بفسيفساء البائكه المثمنة ألوان تتطابق مع قائمة الألوان سالفة الذكر (جدول رقم ١) والخاصة بعدد الألوان ودرجاتها التى ميزها العرب والمتمثلة فى : (أحمر – أبيض – أسود – أخضر – فضى – أزرق – ذهبى – أصفر – بنفسجى) ، فيما عدا اللون البرتقالى الموجود بالجدول رقم(١) وغير الموجود بقبة الصخرة .

ويقول ك[illegible](٢٣٥) عن ألوان فسيفساء قبة الصخرة :

فسيفساء الخضراء والزرقاء والذهبية هى التى ساهمت بتحديد ،
كما وجدت بالاشكال لتوعكد تأثيرها ، وهى ذات درجات كثيرة ، فضلاً عن العديد من درجات الأحمر والفضى والرمادى والبنفسجى والأسود والأبيض .

فالأخضر : ذو ثمان درجات والأزرق المخضر الشفاف استخدم من أجل الربط بين لونى الأزرق والأخضر .

والأزرق ست درجات من الداكن حتى التركواز الفاتح مع درجة وسطى هى أزرق سماوى قوى .

والنيلى Indigo : يلعب دور هام ، فهو يستخدم كخلفية لأشكال الحواف أو الحشوات ، كما وأنه استخدم كمحدد لمعظم الأشكال .

والأحمر : ممزوج بالأسود وبعض درجاته داكنة جداً ، أى بنى محمر .

والبنفسجى : استخدم فى سعف النخيل وفى تحديد بعض الأشكال بصورة نادرة .

والبنى : نقى وشفاف ، واستخدم فقط فى الأشرطة الرئيسية .

والأسود : يستخدم للتحديد ، واحيانًا كظلال للنباتات .

أما الرمادى ، فالسيفساء من هذا اللون ليست مصنوعة من الزجاج بل هى معتمة وداكنة .

والذهبى : (٢٣٦) امتزج دائمًا بالظلال الخضراء ، وقليلا من الأزرق.

والفضى : امتزج دائمًا مع الظلال الزرقاء أو الخضراء وهى أقل استخدامًا من الذهبية .

والمكعبات البيضاء والصفراء والوردية ، هى حجرية كما وأنها أصغر من المكعبات الزجاجية ، والمكعبات الصفراء يتضح فيها سمات الجرانيت وهى مستخدمة كخطوط للتحديد .

وربما كان لطبيعة الموضوعات المستخدمة فى قبة الصخرة أثر كبير فى استخدام هذا الكم من درجات الألوان . حيث أنها موضوعات ذات بعد ثالث وإحساس بالتجسيم ولا يمكن التعبير عن مثل هذه الموضوعات إلا باستخدام العديد من درجات اللون المختلفة .

وفى المسجد الاموى بدمشق(٢٣٧) (٨٨ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٤م) (لوحة ٣) بتكوينات الفسيفساء التى تعلو الدعامة الثانية من الجهة الجنوبية بالوجهة الداخلية لها تعددت درجات الألوان بصورة تفوق ما كانت عليه بقبة الصخرة.

ويقول كريسويل(٢٣٨) : " فى المسجد الأموى ضمن الفسيفساء التى ترجع إلى العصر الأموى والتى جمعتها فىسنة ١٩٢٧ ما يلى من درجات لونية:

الأسود : درجة ظل واحدة ، والأزرق : تسع درجات ظلال ، والأخضر : ثلاث عشرة درجة ظل ، والذهبى(٢٣٩) : ملون على مكعب بنى

داكن جداً وعلى مكعب غير ملون (أى ذهبى على لونـه الأصلـى) ، وعلـى مكعب شفاف .

والفضى : مثل الذهبى (تقريبًا) ، **والأحمر** : مائل إلى البنى والطوبى ولم أجد فى دمشق اللون البنفسجى أو ألون البنفسجى ".

كما تمثلت الألوان فى قصر **المفجر** ، بتكوين من الفسيفساء (لوحـة ٥) يشغل أرضية قاعة الاستقبال بالحمام الكبـير ، والتـى تضـم مسـاحات هندسـية مربعة الشكل دقيقة متكررة ومتبادلـة مـع أخـرى تضخـم شـكل وريـدة ثمانيـة الفصوص والتكوين محاط باطار مجدول . وهو تكوين ربما كان له أثر علـى الفن الحديث التجريـدى البصـرى[٢٤٠] ، Op ART فضـلاً عـن تكويـن أخـر يزين أرضية الحنيه فى غرفـة الاستقبال (لوحـة ٦ ، ٧) يتمثـل فيـه شـجرة تفاح مورقة عن يمينهـا أسـد ينقض علـى غـزال ، بينمـا فـى الجهـة اليسـرى غزالان هادئان[٢٤١] . ولقد تميز هذان التكوينان بألوان متعددة شديدة التقارب فـى درجاتهـا . خاصـة فيمـا تضمنـه التكويـن المجـرد الأول ، وكذلـك ألــوان أوراق الأشـجار التـى تتوسـط التكويـن الثـانى والمتمثلـة فـى درجـات الألـوان الصفراء التى يعقبها درجات الألوان الخضراء ثم درجـات الألـوان الزرقـاء ، وهى مجموعة لونية متضادة تمامًا مع لون الثمار الحمراء .

وفـى قصـير عمـره (٧١٢ - ٧١٥ م) مـن الجـدار الشـرقى للقاعـة الرئيسـية مكسـوا بـالجص مزيـن باللوحـات المشـهورة (لوحـة ٨) فــالألوان مستعملة فوق كسوة من الملاط التـى تبلـغ سـمكها ٣ سـم ..وقـد تـم الحصـول علـى تشـكيلة الألـوان بالشـكل التـالى : الأزرق الـبراق : الصبــغ الــلازردى الطبيعى ، والبنى الغامق : أحمر فاقع على مـا يبـدو مـن أكسـيد الحديـد فـوق طبقة رقيقة من الصبغ الــلازردى ، والبنـى الفـاتح : مركبـات مغريـة تحتـوى على الحديد ، وأصفر داكن : نفس المركبات مخلوطة مع الكلس ، والأخضـر الزرقاوى : أصفر مغطى بطبقة خفيفة من الصبغ اللازردى[٢٤٢] .

وفى حمام الصرخ (٧٢٥ - ٧٣٠ م) على قاعدة عقد " بقايا رصيعة ملونه احتوت على تمثال نصفى بالحجم الطبيعى ولم يكن بالإمكان رؤية أكثر من أحد الكتفين من الرقبة وأذن فيها قرط وجزء من غطاء الرأس . بينما كانت الخلفية صفراء والثوب على الكتف أحمر غامق ، كما أن غطاء الرأس ملون ويمثل قماشا ابيض شفافا واضح الشفافية "(٢٤٣) .

وفى شمال أفريقيا وحول مسجد قرطبة (٢٤١١ هـ / ٨٥٥ م) :

يروى ابن عذارى أن الخليفة الحكم الثانى طلب من امبراطور القسطنطينية أن يبعث له من يتولى صنع الفسيفساء فوق جدار المحراب والقباب ، كما فعل جده الوليد عندما بنى جامع دمشق ، وتحتوى الفسيفساء على كتابات كوفيه .. رسمت فى أشرطة تحف بها الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة .

كما وأن المداخل التى تفتح بالسور الغربى من الأثر (لوحة ٩) ـ ذات واجهات فائقة الجمال والرونق تتمثل فى باب يعلوه قوس على شكل حدوة فرس يحيط به إطار مستطيل ، وفوق هذه المنطقة السفلى ينتظم إطار ثان أبرز ما فيه الأقواس المتراكبه المتكأه على أعمدة دقيقة من المرمر ، ويشغل كل فراغات هذه الواجهة تكوينات زخرفية هندسية يغلب عليها اللونين الأبيض والأحمر القرميدى المتبادلين ، وهو اللون الغالب حتى على مزررات العقود الشائعة بداخل وخارج المسجد كما قد تمثل اللون فى أعمدة الأثر نفسه وذلك فى تلك الأعمدة التى تحمل سقف مسجد الحكم الثانى ، وهى نوعان : أعمدة زرقاء وأعمدة وردية .. وضعت بالتناوب .

وكذلك فى واجهة محراب الحكم الثانى ... (التى) لا تقبل المقارنة مع أى محراب ، وذلك بفضل كسوتها الفسيفسائية الجميلة وزخارفها الدقيقة المحفورة على الرخام والحجارة ، وكتاباتها الكوفية الزرقاء الممتدة على

أرضية ذهبية . كذلك لم تخلو القبة من الترصيع بالفسيفساء الملونة والتى تعد من أروع القباب التى شيدها الحكم الثانى وهى قبة المحراب الرئيسية المكسوة تمامًا بالفسيفساء ، وعناصر زخرفتها نباتية محورة عن الطبيعة ذات ألوان يغلب عليها الأزرق والأخضر والأحمر ، فوق أرضية ذهبية :

وبالجهة اليمنى لمحراب الحكم الثانى (٣٤٥ هـ) تكوين من الفسيفساء يستخدم فيه مكعبات البلور الملون بالأحمر والأخضر والأبيض والأصفر والأسود (مع مكعبات أخرى مذهبة بورق المعدن الثمين ومغشاه بطبقة رقيقة من الزجاج(٢٤٤) .

وفى مسجد سامراء الكبير الذى بناه المتوكل الذىتولى الحكم (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م) ، : يقول المقدسى : أن المسجد نافس مسجد دمشق وأن جدرانه كانت مزخرفة بالمينا ، وقد اقترح هرتز فلد أن هذه الكلمة تعنى الفسيفساء وقد أكدت التنقيبات ذلك لأنه وجد بقايا كثيرة من الفسيفساء الزجاجى ... وكما وجدت آثار فسيفساء مذهبه حول بقايا المحراب "(٢٤٦).

أما عن جامع عمرو بالفسطاط ، فقد " زار المقدسى هذا المسجد (فى عام ٩٨٥ م) هناك نماذج فسيفسائية متفرقة على الجدران ، ويؤكد ياقوت الحموى ذلك لأنه يقول : أن المسجد أعيدت كسوته وطلى بالأبيض عام (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) وازيلت منه كمية كبيرة من الفسيفساء "(٢٤٦) ، التى كانت ولاشك ذات ألوان مختلفة .

كما أضاف الفنان بعض الألوان إلى واجهات العمائر على الرغم من تعمده بقاء ألوان الواجهات الخارجية للأثر - فى معظمها - ألوان حجرية طبيعية ، كى تدوم بدوام أحجار واجهات الأثر . فضلاً عن أنها ذات ألوان فاتحة غير لامعة ، مما أضفىعلى الأثر جمالاً رصينًا ، كما وأن لونها غير اللامع كمداميك حجرية طبيعية - نادرا ما تكون مغطاه بالواح رخام تجعلها عبر الزمان فى مناطق الضوء أو الظل صيفًا وشتاء بديعة المظهر جميلة الهيئة .

ولقد كان لندرة الألوان بالواجهات - عبر العصور والولايات الإسلامية - أثره الكبير فى إبراز وحدة الأثر ككتلة معمارية وقورة المظهر . حيث أن كثرة الألوان بالواجهات الخارجية مع تعرضها الدائم لأشعة الشمس والضوء القوى والغبار والأمطار ، يضعف من جمالها .

غير أن الفنان أضفى على واجهات الأثر من الخارج خطوطًا أفقية كل منها بعرض مدماك من اللون الأحمر المتبادل مع الأبيض ، وهو ما يطلق عليه باللون المشهر ، أو من الأسود المتبادل مع الأبيض ، وهو ما يطلق عليه باللون الأبلق(٢٤٧) .

وقد سبق لهذا الأسلوب أن " استعمل فى العصر البيزنطى (٢٤٨) فى بناء الجدران ، وعندما جاء الإسلام استعمل بكثرة فى الاقواس وأقدم أمثلة كانت بجامع قرطبة (١٥٩ هـ / ٧٧٦ م)(٢٤٩) (لوحة ١٠) وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة اللونية قد ظهرت فى مصر لأول مرة بجامع الظاهر بيبرس (٦٦٠ - ٦٢ هـ ، ١٢٦٢ - ٦٣ م)(٢٥٠) ، حيث استخدام الحجر المشهر.

من ثم يستنتج فى هذا الجزء من الدراسة الخاصة بتعدد الألوان ودرجاتها على العمارة الإسلامية المبكرة ما يلى :-

أن لكل لون من ألوان الطبيعةانطباع نفسى وآثار نفسية لدى الإنسان وقد تأكد هذا الانطباع - عبر العصور - نتيجة توارث الاحساس به أو انتقال ذلك الإحساس من جيل لآخر ، تأثرا بالوان الطبيعة ، فضلاً عما ذكر عنه بالقرآن الكريم ، مما أكد وحدة الانطباع تجاه معانى كثيرة من الألوان .

بالبحث فى الألوان المستخدمة بمختلف العمائر الإسلامية المبكرة ، والمتمثلة فى الجدول رقم (٣) التالى ، فقد وجدت ألوان تطابقت مع قائمة الألوان المذكورة بالجدول رقم (١) ، والخاصة بتعدد الألوان ودرجاتها التى ميزها العرب فيما عدا لونًا واحدا ميزه العرب وغير موجود بمختلف الآثار المعمارية المبكرة وهو اللون البرتقالى .

الأثر / اللون	أحمر	أبيض	أسود	أخضر	فضى	برتقالى	أزرق	ذهبى	أصفر	بنفسجى	نيلى	بنى	موقع اللون من الأثر	الخامة المتسخدمة
ميز العرب	٢٥	٢٢	١٤	٣	٣	٢	٢	٢	٢	١	درجات الأزرق	درجات البنى	–	–
قبة الصخرة	درجات داكنة	✓	تعديل وظل	×	مخضر ومزرق	×	٦	مخضر ومزرق	جرانيت وتحديد	سعف نخيل	تحديد الأشكال	شفاف	البائكة المثمنة	فسيفساء
المسجد الأموى	داكن	×		١٣	داكن وشفاف		٩	داكن وشفاف	×	×	×	×	الواجهة الداخلية للأثر	فسيفساء
قصر المفجر	عدة درجات	×	تحديد	عدة درجات	×	×	عدة درجات	×	عدة درجات	×	×	×	غرفة الاستقبال أرضية الاستراحة	فسيفساء
قصير عمرا	×	×	×	مزرق	×	×		×	داكن	×	×	درجات	جدار القاعة الرئيسية	فريسكو
حمام الصرخ	غامق	شفاف	×	×	×	×	×	×	خلفية	×	×	×	قاعة عقد	فريسكو
مسجد قرطبة	قرميدى						أعمدة وكتابات	أرضية للكتابة	×	×	×	×	بمزررات العقود وفوق المحراب وبالقبة بالجدران	فسيفساء

أن أولى الخامات التى أتاحت للفنان المسلم اضفاء اللون على الأثر هى الفسيفساء متعددة الألوان ، والمتمثلة فى قبة الصخرة .

كما وإن أول المواقع التى أتخذ منها الفنان مكانـًا لاضفاء ألوانه هو البوائك – كما هو مبين فى جدول (٣) – بفسيفساء البائكة المثمنه بقبة الصخرة ، وبالأحجار الملونه بمزررات عقود مسجد قرطبة وفى فريسكو قاعدة عقد حمام الصرخ وكذلك على الجدران الداخلية ، كما هو فى فسيفساء الواجهة الداخلية للمسجد الأموى بدمشق ، وفسيفساء جدار القاعة الرئيسية لقصير عمرا ، وكذلك تمثلت فى الفسيفساء المزينة لما فوق المحراب وعلى قبة مسجد قرطبة ، وعلى جدران كل من مسجد سامرا وجامع عمرو .

كما يلاحظ على الجدول سالف الذكر رقم (٣) ، اختلاف عدد الدرجات اللونية من أثر لأخر ، ويرجع ذلك إلى موضوعات التكوينات الزخرفية المستخدمة بالأثر ، ومدى حاجة هذه الموضوعات إلى درجات لونية ، فضلاً عن تحكم الرؤية الفنية الخاصة بالفنان فى كم هذه الدرجات اللونية عند تصميمه لها ، وهى الروية الفنية الناتجة بدورها عن التأثيرات الفنية التى تأثر بها الفنان فى هذه الفترة المبكرة من استخدام الألوان . كما وأن تعدد درجات اللون الواحد بالتكوين يرجع إلى رغبة الفنان فى تحقيق الربط الجمالى فيما بين مختلف الألوان داخل التكوين ، حيث أن اضفاء الدرجات اللونية المتعددة بالتكوين ييسر الإنتقال الجمالى فيما بين كل لون وآخر ، ويربط بينهما من أجل تحقيق وحدة العمل الفنى ككل .

فضلاً عن أن تعدد إستخدام الدرجات اللونية من قبل الفنان كان بهدف إبراز البعد الثالث ، وتجسيم الكثير من العناصر ، فقد كانت طبيعة موضوعات التكوينات الجدارية الإسلامية المبكرة ، مدنية ، ومعمارية ، ونباتية قائمة على تأكيد وإبراز البعد الثالث وذلك فنيـًا إلا باستخدام الدرجات المتعددة الألوان .

يلاحظ على الجدول السابق رقم (٣) ندرة إستخدام اللون الأبيض وعدم إستخدام اللون البرتقالى ، وربما يرجع إلى شدة ما يعكســه هذان اللونـان مـن ضوء ، بما لا يتوافق مع شدة الإضاءة التى تتميز بها المنطقة العربية .

وما سبق من ألوان ميزها العرب ، واستخدمها المسلمون فـى عمـارتهم المبكرة يمكن القول بـأن مـاميزه العرب مـن ألـوان اسـتطاعوا تنفيذهـا علـى جدران العمائر الأولى .

وبعد ، فلقد أخذت القائمة اللونية فى الإتساع والتطور عندما أخذ الفنـان المسلم فى توظيف ألوانه وفقا للخامات المستخدمة فى تصنيع أدواته واحتياجاته .

وعبر العصور والولايات الإسلامية وصل الفنان والصانع بهـذه القائمـة اللونية إلى مصاف ابداعية راقية فقد لون الأحجار كما هو فى أبلق واجهات المسـاجد ، أو كمـا هـو متمثـل فـى الواجهـات المشـهرة ، كمـا لـون الجـص بالتكوينـات الجداريـة للعمـائر المختلفـة ولـون الزجـاج كمـا فـى المشـكاوات والاوانى ، مبدعًا فيها بألون المينا ، والألوان الشفافة ولـون المعدن كمـا فـى الأوانـى النحاسية والحلـى ، ولـون بمختلـف الاصبـاغ خيـوط النسيج بـالوان متعـددة الدرجـات ، صنـع العديـد مـن أنـواع المنسـوجات والسـجاد ، ولـون الأخشاب كما هو متمثل فى المحاريب والمنابر والسياج والأثاث ، وكـذا زيـن المخطوطات بأزهى الألـوان متعـددة الدرجـات ، المتقاربـة منهـا والمتفاوتـة ، ولـون المنتجـات الخـزفية مـن بلاطـات وأوانـى بألـوان البـريق المعدنـى والترجيج ، كما لون الجلود ، كما هو فى جلود المصاحف وواجهات وخلفيات وكعوب المخطوطات ، كما استخدام الفنـان المصـور أعداداً هائلـة من الألـوان متعدة الدرجات المتوافقة منها والمتضادة فـى المصـورات بمختلـف المخطوطـات حيث أبدع ، وتفنن الفنان المسلم فى تكويـن الألـوان وخلطهـا وابتكـار مـا هـو معتم أو شفاف ، وما هو لامع أو ذو بريق ، بل وفى إبداع المعالجات اللونيـة التى اختلفت من خامة لأخرى ومن عصر وولاية إسلامية لأخرى .

الهوامش

(١) اللون : " هو ذلك التأثير الفسيولوجى الناتج على شبكية العين ، سواء كان ناتجًا عن المادة الصباغية الملونة ، أو من الضوء الملون " يحى حموده ، نظرية اللون ، ص ٧

(٢) د. عائدة سليمان عارف ، مدارس الفن القديم ، ص٢١، ٢٢ ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٢ .

(٣) يقول الحسن بن الهيثم (ت : ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٤١م) حول كيفية إدراك الإنسان للون الضوء :" ومائية (نوعية) الضوء يدركها البصر بالمعرفة فإن البصر يعرف ضوء الشمس ، ويفرق بينه وبين ضوء القمر وبين ضوء النار ...فإدراك البصر لمائية كل واحد من هذه الأضواء إنما هو بالمعرفة كما أنه يؤكد حقيقة هامه حول بداية الإدراك اللونى للإنسان حيث يقول :

" يكون إدراك اللون بما هو لون قبل إدراك مائية اللون " أى قبل نسبة اللون إلى مصدره أى إلى الشمس أو القمر أو البحر أو غيرها " .

كتاب المناظر ، المقالات ١ ، ٢ ، ٣ فى الأبصار على الاستقامة ، ص ٣٣٥ ، ٢٣٦

(٤) كانت الثقافة اللونية لدى العرب متنوعة حين نزول القرآن الكريم ويدل على ذل قوله تعالى: ﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ﴾ (فاطر : ٢٧ ، ٢٨).

٥ - قال أخوان الصفا فى رسائلهم عن قوس قزح : " أما اصباغة التى ترى فهى أربعة مطابقة .. لفصول الزمان الأربعة وهى الصيف والخريف والشتاء والربيع وأما ترتيب ألوانها فإن الحمرة أبداً تكون فوق الصفرة ، والصفرة دونها والزرقة دون الخضرة ، (أى : أحمر ثم أصفر ثم أخضر ثم أزرق) ، فإن وجدت قوسًا أخرى دونها ترتبت هذه الألوان فى القوس السفلى عكس ذلك " جـ٢

(٦) أى بعد إخوان الصفا بحوالى خمسة قرون .

(٧) شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، القسم الثالث ، ترجمة د. حسين مؤنس ، احسان صدقى، مراجعة د. فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ، الكويت ، ديسمبر ١٩٧٨ ، ص٢٠٤

(٨) المرجع السابق .

٩ - عفيف بهنسي ، دراسات نظرية فى الفن العربى، القاهرة، المكتبة الثقافية ١٩٧٤، ص٦

(١٠) د. عبد الحميد إبراهيم ، قاموس الألوان عند العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ ، ص ١٣ ، أبو عبد الله الحسين بن على النمرى ، الملمع ، تحقيق وجيه السطل ، دمشق ١٩٧٦ ، ص ٨٩

(١١) المرجع نفسه ص ٢٠

(١٢) المرجع نفسه ص ٢٩ ، الملمع ، ص١٢ ، ٩٢ ، ٩٦

(١٣) المرجع نفسه ص ٣٢، و " الجسد : الدم اليابس والزعفران .. وكل جمع شديد الحمرة أو الصفرة ، المعجم الوسيط ، جـ١، الطبعة الثانية ، ص ١٢٢

(١٤) المرجع نفسه ص ٣٥

(١٥) المرجع نفسه ص ٨٦

(١٦) المرجع نفسه ص ٨٨

(١٧) المرجع نفسه ص ٩٠ ، الوسيط جـ١ ، ص ٣١٠

(١٨) المرجع نفسه ص ٩٦

(١٩) المرجع نفسه ص ١٠٩

(٢٠) المرجع نفسه ص ١٢٨ ، الملمع ص ٢٥ ، الوسيط ص ٤٨٠

(٢١) المرجع نفسه ص ١٣٠ ، الوسيط ص ٤٨٨

(٢٢) المرجع نفسه ص ١٣١ ، الملمع ص ٣٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، الوسيط ص٤٨٨

(٢٣) المرجع نفسه ص ١٤٢ ، الوسيط ص ٥١١ ، المصريب : هو الصمغ الأحمر

(٢٤) المرجع نفسه ص ١٤٦ ، الملمع ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٧

(٢٥) المرجع نفسه ص ١٧١ ، الوسيط ص ٦١٦ جـ ٢

(٢٦) المرجع نفسه ص ١٩١ ، الوسيط ص ٦٧٧

(٢٧) المرجع نفسه ص ٢٠٣ ، الوسيط ص ٧٣٠

(٢٨) المرجع نفسه ص ٢١٢ حاشية (٥)

(٢٩) المرجع نفسه ص ، الملمع ص ٣٧ ، ٩٣ ، ٩٦ حاشية (١) ، الوسيط ص ٧٩٧

(٣٠) المرجع نفسه ص٢٣٨ ، الوسيط ص ٨٧٣

(٣١) المرجع نفسه ص ٢٤٠ ، الوسيط ص ٨٧٩

(٣٢) المرجع نفسه ص ٤٨ ، ١٤٣ ، الوسيط ص ٥١٣
(٣٣) المرجع نفسه ص ٢٧٤ ، الوسيط ص ١٠٦٧
(٣٤) المرجع نفسه ص ٤٠ ، الوسيط ص ١٥٥
(٣٥) المرجع نفسه ص ٤٤
(٣٦) المرجع نفسه ص ٤٩ ، الملمع ص ٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الوسيط ص ١٩٣
(٣٧) المرجع نفسه ص ٧٦، الوسيط ص ٢٧١
(٣٨) المرجع نفسه ص ٨٣، الوسيط ص ٢٨٣
(٣٩) المرجع نفسه ص ٨٦، الوسيط ص ٢٩٤
(٤٠) المرجع نفسه ص ١٠٦، الوسيط ص ٣٧٢
(٤١) المرجع نفسه ص١١٤ ، الملمع ص ٦٢ ، ٦٤
(٤٢) المرجع نفسه ص ١٢٣ ، الملمع ص ٨ ، الوسيط ص ٤٤٨
(٤٣) المرجع نفسه ص ١٣٣ ، الملمع ص ٣٥ ، ٣٩ حاشية (٤) ، الوسيط ص ٤٩٧
(٤٤) المرجع نفسه ص ١٥٣، الوسيط ص ٥٦١
(٤٥) المرجع نفسه ص ٢١٣
(٤٦) المرجع نفسه ص ٢١٢، الوسيط ص ٧٦٤
(٤٧) المرجع نفسه ص٢٥٨ ، الوسيط ص ٩٦١
(٤٨) المرجع نفسه ص٢٤٣ ، الملمع ص ٧٤
(٤٩) المرجع نفسه ص ٢١٦ ، الوسيط ص ٤٩
(٥٠) الملمع ص ١٤
(٥١) القاموس ص ١٩
(٥٢) المرجع نفسه ص٢٠ ، الوسيط ص ٦٦
(٥٣) المرجع نفسه ص ٢١ ، الوسيط ص ٧٠
(٥٤) المرجع نفسه ص ٣١، الوسيط ص١٢١
(٥٥) المرجع نفسه ص ٣٤
(٥٦) المرجع نفسه ص٦٩ ، الملمع ص ٨٩ ، الوسيط ص ٢٤٩
(٥٧) المرجع نفسه ص ٩٨

(٥٨) المرجع نفسه ص ٩٩، الوسيط ص ٣٥١

(٥٩) المرجع نفسه ص ١٠٦

(٦٠) المرجع نفسه ص ١١١ ، الملمع ص ٢٤

(٦١) الوسيط ص ٤٧٧

(٦٢) المرجع نفسه ص ١٥٩ ، الملمع ص ٥٢ ، ٥٤

(٦٣) المرجع نفسه ص ١٧٠

(٦٤) المرجع نفسه ص ٢٠٨ ، الملمع ص ٥٠ ، ٥١

(٦٥) المرجع نفسه ص ٢٢٩

(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٤٣ ، الملمع ص ٥٧

(٦٧) المرجع نفسه ص ٢٥٦، الوسيط ص٩٥٤

(٦٨) الوسيط ص ٩٦٤

(٦٩) المرجع نفسه ص ٢٧٤ ، الملمع ص ٨

(٧٠) المرجع نفسه ص ٥٤

(٧١) المرجع نفسه ص ٦٦ ، الملمع ص ١، ٢ ، ٨ ، ١٠١ ، ١٠٢

(٧٢)الملمع ص ١٠٢ كذلك " العرب تصف الوانها بالسواد ، وتصف الوان العجم بالحمرة " المرجع نفسه ص ٢ حاشية (١) ، الوسيط ص ٢٤١

(٧٣) قاموس الألوان ص ٢٥٠ ، الملمع ٨ ، ١٠١ ، الوسيط ص ٦٢٩

(٧٤) المرجع نفسه ص ١٤٥، الوسيط ص ٥٢٤

(٧٥) المرجع نفسه ص ٢٣٢

(٧٦) المرجع نفسه ص ٢٢، الوسيط ص ٧١

(٧٧) المرجع نفسه ص ١٠٩

(٧٨) المرجع نفسه ص ٢٥٩

(٧٩) المرجع نفسه ص ٧٧، الوسيط ص ٢٧١

(٨٠) الوسيط ص ٥١٦، الملمع ص ١، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٨٨ ، ٩٩

(٨١) المرجع نفسه ص ١٤٣ ، الملمع ص ١، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٩

(٨٢) المرجع نفسه ص ١٤٤ ، الوسيط ص ٥١٩

(٨٣) المرجع نفسه ص ١٩٣

(٨٤) المرجع نفسه ص ٢٤٧ ، الوسيط ص ٩١٩

(٨٥) المرجع نفسه ص ١٨ ، الملمع ص ١٢

(٨٦) المرجع نفسه ص ٨٥ ، الملمع ص ١٢ ، حاشية (٤) ، ص ١٣

(٨٧) المرجع نفسه ص ١٠٩

(٨٨) المرجع نفسه ص ٢٥٠ ، الملمع ص ٨ ، ١٠١

(٨٩) المرجع نفسه ص ٢٦٤ ، الملمع ١٢ حاشية (٢)

(٩٠) المرجع نفسه ص ٢٧٢

(٩١) راجع فى ذلك : يحيى حموده ، اللون ص ٨

(٩٢) قاموس الألوان ص ١١ ، الملمع ص ٢٣ حاشية (٤)

(٩٣) المرجع نفسه ص ٨٤ ، الملمع ص ٦٦

(٩٤) المرجع نفسه ص ١٩٤ ، الملمع ص ٨ ، ٥٥

(٩٥) المرجع نفسه ص ٨ ، ٨٩

(٩٦) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٩٧) المرجع نفسه ص ٨٤، الملمع ص ٦٦

(٩٨) المرجع نفسه ص ٢٠٠ ، الملمع ص ٩٠

(٩٩) المرجع نفسه ص ١٢٩

(١٠٠) المرجع نفسه ص ٢١٦

(١٠١) المرجع نفسه ص ١٥

(١٠٢) المرجع نفسه ص ٢٩

(١٠٣) المرجع نفسه ص ٦٤

(١٠٤) المرجع نفسه ص ٨٨، الملمع ص ٣٧ ، ١٠٢ حاشية (١)

(١٠٥) المرجع نفسه ص ١٠١

(١٠٦) المرجع نفسه

(١٠٧) المرجع نفسه ص ١٣٢

(١٠٨) المرجع نفسه ص ١٠٣

(١٠٩) المرجع نفسه ص ٢٠٤

(١١٠) المرجع نفسه ص ٢٥٧

(١١١) المرجع نفسه

(١١٢) المرجع نفسه ص ٢٧٠

(١١٣) الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ، المخترع فى فنون من الصنع، دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية ، مؤسسة الشراع العربى ، الكويت ١٩٨٩ ، والملك المظفر يوسف (ت : ٦٩٣ هـ) هو ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن انظر ترجمته فى : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٤١/١٣ ، بيروت ١٩٦٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ٧١/٨ مصر ١٩٧١ ونسخة المخطوطة رقم ٦٠٧٩ ل، المحفوظة فى دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، تاريخ النسخ ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٢٧هـ ، بصنعاء باليمن وهذه المخطوطة على درجة كبيرة من الاهمية إذ أن ما فيها من دراسة تختص بتركيب الاصباغ أو الأحبار تعكس إلى حد كبير ما كان شائعًا بالعالم الإسلامى عبر العصور وحتى وقت نسخه (٧٢٧هـ) بل وعبر كثير من الولايات الإسلامية مثل مصر والشام . فإن الملك المظفر كان مقصوداً من قبل كل مجيد فى صنعته، يتنافس الصناع فى إهداء كل متقن إليه طمعًا فى جوائزه واعطياته، فكان للغرباء من الصناع والعلماء مكانًا مرموقة عنده ، بل عند سلاطين بنى رسول عامة ، إذ لازالت ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام طوائف من ارباب الصناعات لقلة وجودهم فى اليمن . انظر ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ١٥٣ ، ١٥٦، ١٦١ (الجزء الذى نشره أيمن فؤاد السيد) ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ / ٣٦ . الخزرجى : العقود اللؤلؤية ٢٢٥/١٥ ، المرجع المذكور ، حاشية (١) ص ١٨ ، كما وأن هذه المخطوطة قد تعرضت بالشرح والتركيب الكيميائى للداء الكوفى والفارسى والعراقى والمصرى ص ٦٧ - ٧٠

(١١٤) كما وجد مصدر آخر يبحث فى التركيب الكيميائى للألوان والأصباغ ، وهو مخطوطة لأبى بكر المعروف بابن وحشى (ت : ٢٩١ هـ / ٩٠٣م) ، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٧٣١ طبيعة ، وهى رسالة كتبها المؤلف لابنه حول ما شاهده من عمل الصباغين بالبقم والعصفر ، وكيفية استخراج الأصباغ من

هذين الجسدين ، كما جاء فى مقدمة الرسالة ، والرسالة تضم طرقًا كيمائية خاصة بمعالجة البقم للحصول على اللون المطلوب منه حيث ذكر بها أن البقم " ينقعونه فى الماء نقعًا ثم يطبخونه بالنار طبخًا رقيقًا ... ثم يصبغون بذلك الماء ، وكذلك يعملون بالعصفر ... متطرقًا صاحب الرسالة إلى الطرق الدقيقة المرحلية المتتالية التى ينتج عنها الصبغ المراد استخدامه على الثوب وهو " الصبغ (الذى) ينتقل بالماء ... فيطير الماء ويبقى الصبغ عند جفاف الثوب المصبوغ فقد ذكر ما يسمونه " الصباغون التشبيب ، وهو إدخال الشب على الثوب المصبوغ (ليثبت) الشب الصبغ ، كما ذكر استخدام البقم للتثبيت بدلا من الشب حيث قال : " فاما العصفر (عند استخدامه) فإن البقم يقوم مقام الشب لأنه لابد له (أى العصفر) من التثبيت .

كما ذكر بالرسالة ما يفيد اتصال المؤلف بمختلف الاقطار لاستقاء المعلومات ، حيث ذكر " لقد أخبرنى بعض أهل هذه الصناعة ببلدة من بلدان الشام أنه عمل اكسيرا معدنيًا والقاه على الزئبق الملقوم (المزود) بالرصاص ... " من أجل الحصول على لونه أو صبغ محدد .

(١١٥) الملك المظفر يوسف بن عمر ، المخترع فى فنون من الصنع ، الكويت ١٩٨٩ ص٧٦

(١١٦) الفريد لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، الطبعة الثالثة ص٦٤

(١١٧) المخترع ، ص ٨١

(١١٨) المواد ، ص ٥٦٥

(١١٩) المواد ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٥

(١٢٠) المخترع ، ص ٨٢

(١٢١) المخترع ، ص١٦٧

(١٢٢) المواد ، ص ٢٤٢ ، ٥٦٣

(١٢٣) المخترع ، ص ١٦٣ ، حاشية (١)

(١٢٤) المرجع نفسه ص ٧٨

(١٢٥) المواد ، ص ٥٦٣

(١٢٦) المخترع ، ص ٦٧ حاشية (٦)

(١٢٧)المرجع نفسه ص ٧٨

(١٢٨) المواد ، ص ٥٦٧

(١٢٩) المرجع نفسه

(١٣٠) المخترع ، ص ٨٨

(١٣١) المواد ، ص ١٢٥

(١٣٢) المخترع ، ص ٨٠

(١٣٣) المواد ، ص ٥٦٧

(١٣٤) المخترع ، ص ٧٢

(١٣٥) المواد ، ص ١٣٩

(١٣٦) المخترع ، ص ١٦٧

(١٣٧) المواد ، ص ٥٥٨

(١٣٨) المخترع ، ص ٧٧

(١٣٩) المواد ، ص ١٧٩، ٥٦٤

(١٤٠) المخترع ، ص ٨٠

(١٤١) المرجع نفسه ص٧٩

(١٤٢) المرجع نفسه ص ٨٢

(١٤٣) المرجع نفسه ص ٧٦

(١٤٤) المرجع نفسه ص ٧٧

(١٤٥) المرجع نفسه ص ٧٩

(١٤٦) المواد ، ص ٣٠٧

(١٤٧) المخترع ، ص ١٦٨

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٨٠

(١٤٩) المواد ، ص ٥٦١

(١٥٠) المرجع نفسه

(١٥١) المخترع ، ص ٨١

(١٥٢) المواد ، ص ٥٦٢

(١٥٣) المخترع ، ص ٨١

(١٥٤) المواد ، ص ٢٤٥
(١٥٥) المخترع ، ص ٧٥ ، ٧٦
(١٥٦) المرجع نفسه ص ٨٢
(١٥٧) المواد ، ص ٣٦٣
(١٥٨) المخترع ، ص ١١٧
(١٥٩) المرجع نفسه ص ١٦٥
(١٦٠) المرجع نفسه ص ٨٣
(١٦١) المواد ، ص ٢٤٦
(١٦٢) المخترع ، ص ٨٠
(١٦٢/ ١) المخترع ص ٨٦
(١٦٢/ ٢) المواد ص ١٢٥
(١٦٣) المرجع نفسه ص ١٥
٨٣

(١٧٧) انظر المرجع السابق ص ٩١

(١٧٨) الصابى ، رسوم ص ٩٣

(١٧٩) المعجم ص ٢١٤

(١٨٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٤ ص ٤٨

(١٨١) المرجع السابق ص ٩٠

(١٨٢) المرجع نفسه ص ٧٥

(١٨٣) المسعودى ، مزوج الذهب جـ٤ ص١٢٠

(١٨٤) دراعة :" جبة مشقوقة المقدم " ابن سيدة ، المخصص ، جـ٤ ، ص ١٣٦

(١٨٥) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ص ٢١١ ، القرن الخامس الهجرى ، مراجعة صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤ حققه د. محمد حميد الله .

(١٨٦) المرجع نفسه ص ٢١٤- ٢١٥

(١٨٧) يقال ثوب مصمت إذا كان لا يخالط لونه لون . الصابى ، رسوم

(١٨٨) ابن الزبير ، الذخائر ص ٢٤١

(١٨٩) ماير ، الملابس المملوكية ص ١١٥ ، ١١٦

(١٩٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ١١ ، ص ٣٦

(١٩١) ابن الجوزى ، المنتظم جـ ٨ ، ص ١٧١

(١٩٢) المرجع نفسه ص ١٧ جـ ٩

(١٩٣) المرجع نفسه جـ ٦ ص ١٤٣

(١٩٤) ابن الجوزى ، الحمقى والمغفلين ص ١٦

(١٩٥) فى قوله تعالى :﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ...﴾ فاطر (٢٧)

(١٩٦) حموده ، اللون ص ١١

(١٩٧) ماير ، الملابس المملوكية ص ١١٥

(١٩٨) التنوخى ، المحاضرة جـ ٨ ص ١٠٢٧

(١٩٩) الصابى ، رسوم ص ٧٥ ، ٩٠

(٢٠٠) اللون الأحمر كان من أكثر الألوان استخدمـًا فـى رسـوم المخطوطـات كـانت تلك الرسومات البسيطة التى كان يؤديها الناسخ بنفس الكمية التى يكتـب بـه ، لـم تلبث أن تطورت بمرور الزمن ودخلتها الألوان فإلى جانب الاسود استعمل الأحمـر والأصفر والأخضر بكثرة والرومانى وفى بقلة كما يتضح من أثار الاشمونى والفيوم التى ترجع إلـى أواخر الثالث وأوائل الرابع الهجرى ، والحلوجى ، المخطوط العربى ١٩٧٨ ، ص ٢١٠

(٢٠١) فى قولـه تعـالى : ﴿ وكلـوا واشـربوا حتـى يتبين لكـم الخيـط الأبيـض مـن الخيـط الأسود من الفجر ﴾ البقرة (١٨٧)

(٢٠٢) فى قوله تعالى :﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه } آل عمران .

(٢٠٣) زهير أحمد ، المورد ، وزارة الإعلام ، العراق ، المجلـد الخـامس ، العـدد الثـالث ص ١٩٣٦ ، بغداد ص ٤١

(٢٠٤) الصابى ، ص ٧٤ حاشية (١)

(٢٠٥) القباء : كلمة فارسية الأصل ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، المرجع نفسه ص ٤٨

(٢٠٦) المرجع نفسه ص ١٥ ، حاشية (٢)

(٢٠٧)الطبرى ،تايخ ، جـ١٠ ، ص ١٠٨

(٢٠٨) التنوخى ، الفرج جـ ٢ ، ص ٣٩٣

(٢٠٩) انظر الصابى ، الرسوم ص ٧٨

(٢١٠) دوزى ، المعجم ص ٢١٤

(٢١١) راجع الصابى ، الرسوم ص ٩١

(٢١٢) الصابى ، رسوم ص ٩٣

(٢١٣) المسعودى ، مروج الذهب جـ ٤ ، ص ٢٢

(٢١٤) الطبرى ، تاريخ جـ ٤ ، ص ٤٨

(٢١٥) الزمر ٢١ ، الروم ٥١ ، الحديد ٢٠

(٢١٦) البقرة ٦٩

(٢١٧) حموده ، الألوان ص ١١

(٢١٨) ولقد ذكر أن الملابس الصفراء كان يطلق عليها الملابس الممصرة أى المصبوغـة بالمصرة وهى العصفر ... فلونهـا اصفر ، فـإذا وضـع فـى الخـل أحمـر بـه وسـمى معصفراء . الشابشتى ، الديارات ص ١٦٠

(٢١٩) فى قوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيـط الأسـود من الفجر ﴾ البقرة ١٨٧

(٢٢٠) فى قوله تعالى ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ آل عمران ١٠٦

(٢٢١) فى قوله تعالى ﴿ أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء .... ﴾ أخر الأية الكريمة القصص ٣٢ ، النمل ١٢ ، طه ٢٢ ، الأعراف ١٠٨ ، الشعراء ٣٣

(٢٢٣) فى قوله تعالى ﴿ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ يوسف ٨٤

(٢٢٣) فى قولهِ تعالى : ﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفـًا ألوانها ومن الجبال جدد بيض ...﴾ إلى أخر الأية الكريمة ، فاطر ٢٧

(٢٢٤) فى قوله تعالى : ﴿ كانهن بيض مكنون ﴾ الصافات ٤٩

(٢٢٥) دوزى ، المعجم ص ٢٦ ، ٣٥٠

(٢٢٦) قال رسول الله ﷺ :" خلق الجنة بيضاء ، وخير ثيابكم البيض ، تلبسونها فى حياتكم ، وتكفنون بها موتاكم " (البخارى ، صحيح ، باب البرانس) .

(٢٢٧) فى قـوله تعـالى : ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴾ يس ٨٠

(٢٢٨) فى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا ... ﴾ لأخر الأية الكريمة ، الأنعام ٩٩ ، يوسف ٤٣ ،٤٦

(٢٢٩) سورة الكهف ٣١ ، الرحمن ٦٤ ، ٧٦

(٢٣٠) فقد استعمل البابليون اللون الازرق لطرد الارواح الشريرة من مدينة بابل . د . شمس الدين فارس ، المنابع التاريخية للفن الجدارى فى العراق المعاصر بغداد ١٩٧٤

(٢٣١) المعجم ص ٢٦ ، ٣٥٠

(٢٣٢) سورة طه ١٠٢

(٢٣٣) راجع جدول رقم (١) الخاص بعدد الألوان ودرجاتها التى ميزها العرب ، فلقد كانت مصر خاضعة للتأثيرات المصرية القديمة والبيزنطية ، كما خضعت الشام للتأثيرات الهلنستية لفترة تقارب الألف عام منذ ايام الإسكندر الأكبر وحتى الفتح العربى ، بينما كونت العراق وفارس منطقة خاضعة للتأثير الفارسى .

(٢٣٤) لقبة الصخرة أهمية عظيمة فى أنها أقدم أثر معمارى عربى إسلامى يحمل تاريخه ٧٢هـ (وبه) تكوينات زخرفية من الفسيفساء الزاهية الألوان ذات مسطحات تبلغ مساحاتها أكثر من ألف متر مربع " د. أحمد فكرى ، قبة الصخرة عالم الفكر ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ١٧ ، ٢٨

(235) E.M.A, Vol.,1 Part I,p. 309.

(٢٣٦) من الأمثلة المبكرة لاستخدام اللون الذهبى فى العمارة الإسلامية ماوجد على بعض الجدران فى قصير الحير الغربى من خسب منقوش فقد عثر على قطع منها تحتفظ ببعض الرسوم الملونه والمذهبة د. عفيف بهنسى الشام ، لمحات أثارية وفنية دار الرشيد ، العراق ١٩٨٠ وفيما يختص بعلاقة هذا اللون الذهبى بأهم لون مرتبط به جماليًا وعمليًا على مختلف الأثار المعمارية والمنقولة وهو اللون الأزرق ، فقد حاول جرومان فى :

أن يرد ارتباط الذهبى باللون الأزرق إلى أصوله ، فذهب إلى أن أباطرة الرومان كانوا يستعملون الرق الأزرق ، والبنفسجى فى كتابة الوثائق الرسمية بالذهب وأن مراسلاتهم مع الخلفاء العباسيين فى بغداد والامويين فى قرطبة كانت بنفس الطريقة . وذهب أيضًا إلى أن ارتباط اللون الاصفر باللون الأزرق وجد منذ القدم فى مصر وبلاد مابين النهرين ونقله الطولونيون إلى مقرهم حينما جاءوا إلى الحكم ، د. عبد الستار الحلوجى المخطط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى ، جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٧٨ ، ص١١٢

وجدير بالذكر أن البابليين استعملوا اللون الأزرق لطرد الأرواح الشريرة من مدينة بابل د. شمس الدين فارس المنابع التاريخية للفن الجدارى فى العراق المعاصر ، وزارة الأعلام ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٤٢ .

(٢٣٧) تقول فأن برشم :" نظراً لأن العمارة الإسلامية بالشام - عند نشأتها - كانت قد تميزت بوضوح عن العمارة البيزنطية ، فإن جميع الدلائل تدفعنا للاعتقاد بأنه كان فى الشام أيضًا مدارس لتعليم الفسيفساء ، ولعل ثمة مصانع الفسيفساء .. وأننى اعتقد جازمه أن العرب اعتمدوا على عمال الفسيفساء المحليين فى الشام ، لكن بصفة عامة فإن موضوعات الفسيفساء الإسلامية تعد امتدادا لما كانت عليه الموضوعات الرومانية والبيزنطية ، فقد امتاز الفن الأغريقى المتأخر والفن الرومانى بالفسيفساء الحجرية ذات الموضوعات التصويرية وأكثر ما استخدمت فى الرسوم على الأرض بينما أمتاز الفن البيزنطى بالفسيفساء الزجاجية التى استعملت فى رسوم الجدران والقبوات د. زكى محمد حسن ، فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦٤٣.

(238) E. M. A, Vol l, p. 364 - 365

(٢٣٩) الفصوص (المكعبات) المفضضه والمذهبة ، قد صنعت بوضع الذهب أو طلاء الفضة على صفحة الفصوص الزجاجية ثم غطيت بطبقة رقيقة من الزجاج الشفاف لحفظ الذهب والفضة . ويلاحظ أن هذه الفصوص - بشكل خاص - كانت ترجع مائلة نحو الأرض كى تنعكس ألوانها على عينى المشاهد فيظهر بريقها ، د . عبد القادر الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سوريا ، ص ٨٥

(٢٤٠) من أهم الفنون الحديثة التى أسسها الفنان السويدى فيكتور رمازاريللى فى النصف الثانى من القرن العشرين بالسويد ويتضمن تكوينات هندسية متدرجة فى الصغر من مركز التكوين إلى محيطه وبالعكس تعلوها درجات لونيه متدرجة ربما تأثرت بمثل هذه التكوينات الإسلامية المبكرة .

(241) Creswell, E. M. A. Fig . 306, plate 109.

(٢٤٢) ك . كريسويل الأثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دار قتيبة ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٢٣ .

(٢٤٣) المرجع نفسه ص ١٤١

(٢٤٤) راجع عبد العزيز الدولاتى ، مسجد قرطبة وقصر الحمراء ، دار الجنوب للنشر ، تونس ١٩٧٧ ص ٣٠ ، ٤١ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٥

(٢٤٥) ك . كريسويل ، الأثار الإسلامية الأولى ، ص ٣٦٥

(٢٤٦) المرجع نفسه ص ٣١٢

(٢٤٧) تمثل أول تبادل لونى بالمداميك عند أعادة بناء الكعبة (حوالى ٢٥٠ هـ / ٨٦٤م) حيث كانت فى شكل مداميك من الخشب والحجارة ، الأزرقى أخبار مكة ، جـ١ ، طبعة مدريد ، تحقيق رشدى صالح ص ١٦٤ وربما كان لذلك أثره فى أن صارت هذه الظاهرة من مميزات العديد من واجهات العمائر الإسلامية وان كان التبادل اللونى قد نتج عن تبادل خاصتى الخشب والحجارة إلا أنه بعد عمد الفنان المعمار إلى تلوين مداميك الحجارة من أجل تحقيق التبادل اللونى .

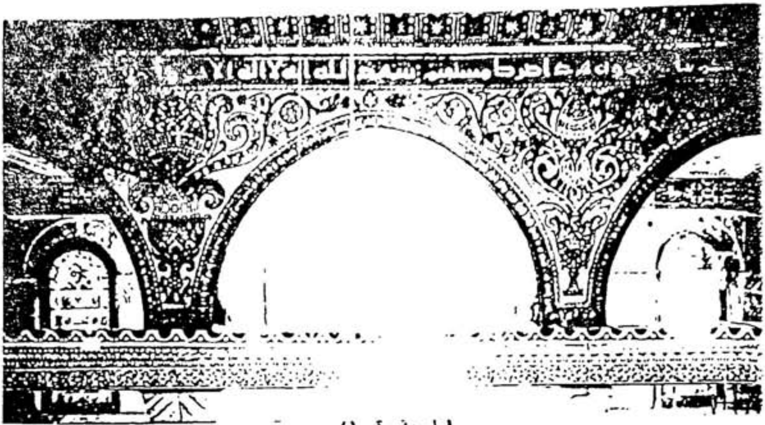
(٢٤٨) وبصفة عامه كان استعمال اللون على عمائر العصر الدورى بهدف إبداع مختلف تفاصيل الأثر وتأكيد كل من العناصر الغائرة والعناصر البارزة ، وتصحيح ما يمكن أن يحدثه تأثير اسقاط الضوء من انحرافات منظورية بالأثر يمكن أن تسببها ظلال

العناصر المختلفة للأثر عند سقوطها على بعضها البعض فاللون كان وسيلة لمعالجة تراكم الظلال الساقطة من أجل ابراز جماليات مختلف العناصر . كما استعمل المعمار الأغريقى اللون فى أضيق نطاق وفى مواقع لا يمكن فيها الاستغناء عنه ، التقوية أو تهيئة تاثيرها ففى معبد يوجين باثينا كانت واجهة الفرنتون باللون الأزرق وزيد أن الأعمدة بالاصفر (Ocre) والتكنه بالاحمر ، والحوائط الخلفية باللون البنى الغامق للأحمر والألوان جميعًا كانت غير لامعة فكانت الألوان فى مناطق الضوء فاتحة وفى مناطق الظل غامقة التضاد بين الألوان والمبالغة فى زيادة الأعماق .

عن : د. يحيى حموده ، نظرية اللون ، ص ١١٩ ، ١٢٠

(٢٤٩) د. أحمد الجلالى ، التأثيرات الإسلامية فى عمارة الغرب ، ص٢٨ مجلة عاديات حلب ، ١٩٦٥ ، جامعة حلب

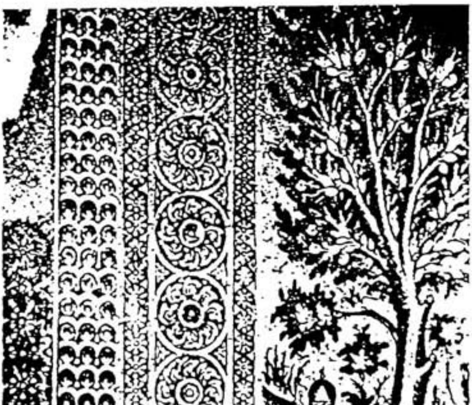
(٢٥٠) د. محمد عبد العزيز مرزوق ، مسجد الظاهر بيبرس ، ص ١٠٠ ، والمجلة التاريخية ، مجـ ٣ ، ١٩٥٠



(لوحة رقم ١)

القدس - قبة الصخرة - الرواق المثمن - الجانب الغربى - الوجه الداخلى

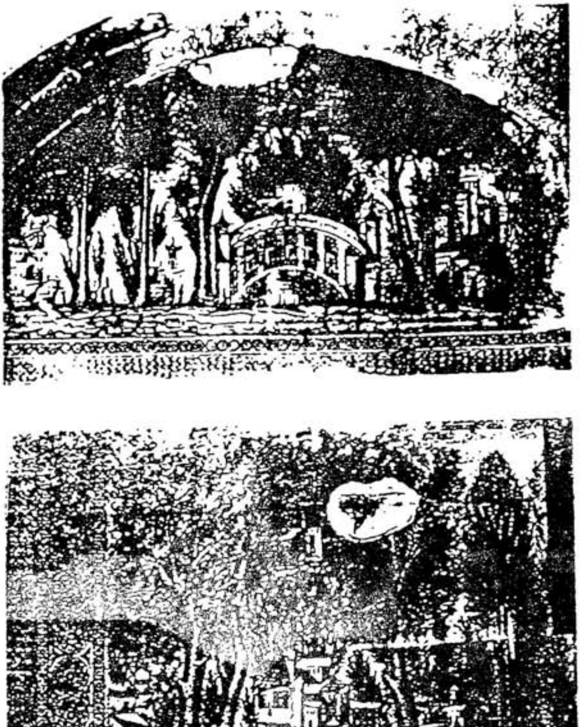
ك . كريزويل ، العمارة الإسلامية الأولى ، ص٥



(لوحة رقم ٢)

دمشق - المسجد الكبير - الطرف الأيسر لزخرفة الفسيفساء تحت الرواق الغربى

المرجع نفسه ، ص١٨



(لوحة رقم ٣)

دمشق - المسجد الكبير - الفسيفساء تحت الرواق الغربى

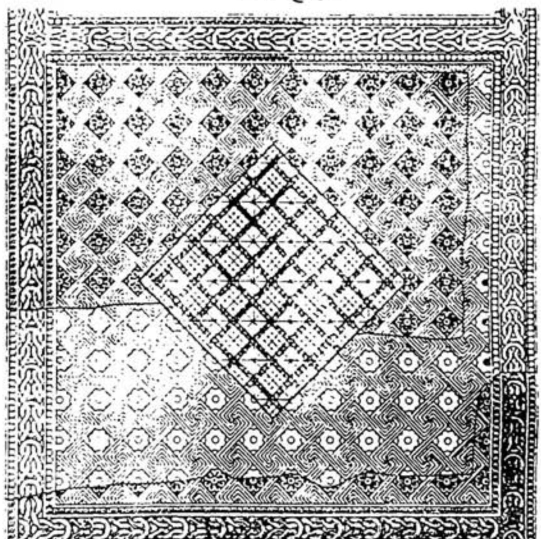
المرجع نفسه ، ص١٩



(لوحة رقم ٤)

قصير عمرة ، تكوين ملون من الفريسكو

المرجع نفسه،



(لوحة ٥)

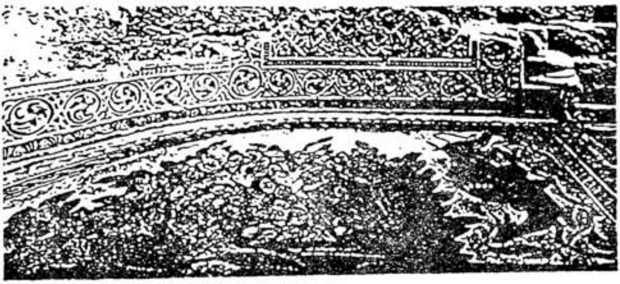
قصر المفجر ، تكوين هندسى ، بقاعة الاستقبال ، الجدار الجنوبى

Creswell, E.M.A: Part1, vol. 1, fig. 603



(لوحة رقم ٦)

قصر المفجر ، تكوين ملون ، بأرضية الاستراحة



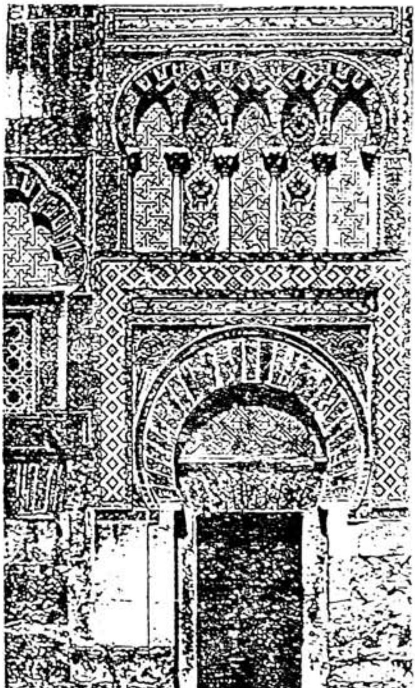
(لوحة رقم ٧)

قصر المفجر ، تكوين ملون ، بأرضية الاستراحة

Creswell, E.M.A: Part1, vol. 1,Plate.109



(لوحة رقم ٨)
قصير عمرة - صورة أعداء الإسلام



(لوحة رقم ٩)
جامع قرطبة ، تكوينات ملونة بأحد المداخل الدولانى ، جامع قرطبة ص٤٤



(لوحة رقم ١٠)

جامع قرطبة - أروقة المصلى

ك. كريسويل ، العمارة الإسلامية الأولى ، لوحة ٤١

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

المصادر العربية :

- القرآن الكريم
- ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن الاتابكى :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة ،١٩٣٠.
- ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على :
أخبار الحمقى والمغفلين ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٥
تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ، تعليق محمد منير الدمشقى ، مطبعة النهضة ، مصر ، ١٩٢٨ .
- ابن رسول ، الملل المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول :
المخترع فى فنون من الصنع ، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، مؤسسة الشراع العربى ، الكويت ، ١٩٨٩ .
- ابن الزبير ، القاضى الرشيد بن الزبير :
الذخائر والتحف ، تحقيق د. محمد عبد الله ، الكويت .
- ابن سيدة ، ابو الحسن على بن إسماعيل :
المخصص ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٧ .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى :
عيون الأخبار ، وزارة الثقافة والإرشاد ، القاهرة .
- ابن الهيثم ، الحسن ، كتاب المناظر ، حققها عبد الحميد صبره ، الكويت السلسلة التراثية ، ١٩٨٣ .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم :
لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٤ .
- أبو بكر ، المعروف بابن وحشى (ت : ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م):
(مخطوطة فى التركيب الكيميائى للأصباغ والألوان) ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، رقم ٧٣١ طبعة .

- الأزرقى ، أخبار مكة ، جـ١ ، طبعة مدريد ، تحقيق رشدى صالح .
- الأصفهانى ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الكاتب :
الأغانى ، تحقيق لجنة مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٣٤٥ - ١٣٨١ هـ .
- إخوان الصفا :
رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، دار صادر ، بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧
- البخارى ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم :
صحيح البخارى ، مطبعة دار الطباعة .
- التنوخى ، أبو على المحسن بن على القاضى :
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ ، جـ ٨ ، نشر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، مطبعة الترقى ، مجلد ١٠٠.
- الخالد ، أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد :
فقه اللغة وسند العربية، تحقيق مصطفى السقا وأخرون ، القاهرة ، ١٩٣٨
- الشابشتى ، أبو الحسن على بن محمد :
الديارات ، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة دار المعارف، بغداد ، ١٣٨٦هـ
- الصابى ، أبو الحسن هلال بن المحسن :
رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العانى، بغداد ١٣٨٣هـ.
- الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك ، المطبعة الحسينية المصرية .
- القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على :
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، مطبعة دار الكتب المصرية .
- المسعودى ، أبو الحسن على بن أبى الحسين بن على :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
- النمرى ، أبى عبد الله الحسين بن على :
الملمع ، تحقيق وجيه السطل ، دمشق ، ١٩٧٦ .

المراجع العربيـة :

- إبراهيم أنيس ، وآخرون :
المعجم الوسيط ، دار المعارف الطبعة الثانية، ١٩٧٢.
- أحمد فكري :
قبة الصخرة ، عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٠ .
- أحمد مختار عمر :
اللغة واللون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٨٢.
- دوزى ، رينهارت :
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، العراق، ١٩٧١.
- زكى محمد حسن :
فنون الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١ .
زهير أحمد :
المورد، وزارة الأعلام، العراق، المجلد الخامس، العدد الثالث ، بغداد ١٩٧٦.
- شاخت ، وبوزورث :
تراث الإسلام ، القسم الثالث ، ترجمـة د. حسين مؤنس وأخرون ، عالم المعرفة ، الكويت ، ديسمبر ١٩٧٨.
- شمس الدين فارس :
المنابع التاريخية للفن الجدارى فى العراق المعصر،وزارة الأعلام،بغداد، ١٩٧٤.
- عائد سليمان عارف :
مدارس الفن القديم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- عبد الحميد إبراهيم :
قاموس الألوان عند العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .
- عبد الستار الحلوجى :
المخطوط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى، جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٧٨

- **عبد العزيز الدولامى :**
مسجد قرطبة وقصر الحمراء ، دار الجنوب للنشر ، تونس ١٩٧٧ .
- **عبد القادر الريحاوى :**
العمارة العربية الإسلامية ، خصائصها وآثارها فى سوريا ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ .
- **عفيف بهنسى :**
دراسات نظرية فى الفن العربى ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ، ١٩٧٤.
(الشام ، لمحات أثارية وفنية ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨٠) .
- **كريسويل . ك :**
العمارة الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، تعليق أحمد غسان ، دار قتيبة ، دمشق ، مطبعة خالد بن الوليد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ .
- **لوكاس ، الفريد :**
المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى إسكندر وأخرون ، وزارة التربية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .
- **ماير :**
الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢.
- **يحيى حموده :**
نظرية اللون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

المراجع الأجنبية :

- **Creswell (K.A.C.) :**
Early Muslim Architecture, Vol. l, part l, Oxford, 1952 - 59.
- **Grohmann A., Arnoldth :**
Islamic Book, Germany, 1929

النفوذ السلجوقى فى حوض البحر الأسود
فى أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى
(٦٠١ - ٦٢٢هـ / ١٢٠٥ - ١٢٢٥ م)

د/ علي بن محمد عودة الغامدي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعـــــد :

قبل الحديث عن النفوذ السلجوقى فى حوض البحر الأسود أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، الذى يعد بحق ذروة نفوذ دولة سلاجقة الروم فى هذا البحر ، والذى ظل خارج دائرة النفوذ الإسلامى إبان العصور السابقة لقيام دولة سلاجقة الروم ، يجدر أن نشير باختصار إلى أهم المحاولات التى قام بها الأتراك السلاجقة للاستقرار على السواحل الجنوبية للبحر الأسود خلال النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، والقرن السادس الهجرى / النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، والثانى عشر الميلاديين ، وموقف الدولة البيزنطية من تلك المحاولات ، لأن ذلك مهد الطريق لسلاجقة الروم لبسط نفوذهم على السواحل الجنوبية للبحر الأسود فى أوائل القرن السابع ومن ثمة فتح ميناء سغداق (سوداق) الواقع فى شبه جزيرة القرم على السواحل الشمالية لذلك البحر .

إذا كان الأتراك السلاجقة وقبائل التركمان قد توغلوا فى غاراتهم وفتوحهم فى أعماق الأناضول بعد معركة ملاذ كرد (مانزيكرت)

٤٦٣هـ/١٠٧١ م ووصلوا غربًا إلى مدينة نيقية وفتحوها سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م(١) ، فإنهم لم يهملوا المناطق الشمالية للأناضول . فطوال عهد الأمبراطور البيزنطى ميخائيل Michael السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨ م) شن الأتراك غاراتهم على المناطق الساحلية للبحر الأسود وامتدت تلك الغارات من هرقلة Herracleia البنطية حتى طرابيزون بما فيها مصب نهر الهاليس (قزل ارمق) وبدأ الأتراك فى الاستقرار فى المناطق الساحلية بأعداد كبيرة نسبيًا خلال عهد الامبراطور نقفور الثالث بوتانياتس Nicphorus Botaniates (١٠٧٨ -١٠٨١م) وأصبحت معظم المناطق الساحلية فى أيديهم(٢) .

وفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م قام الأمير التركى خارتكين وتوغل شمالاً وفتح جاجنجرى وقصطمونية ، وهما من المناطق الخلفية الواقعة جنوب ساحل البحر الأسود ، ولما علم أن مبلغًا كبيرًا من الذهب يعود للخزانة الامبراطورية قد أودع فى سينوب الواقعة على الساحل تقدم إليها وانتزعها من البيزنطيين(٣) . ومن جانبه تمكن كمشتكين بن دانشمند من الاستيلاء على مدينة نكسار القريبة من ساحل البحر حيث تقع إلى الجنوب الغربى من طرابيزون ، ومن ثمة بدأ يتطلع إلى السيطرة على طرابيزون(٤) . حيث يفهم مما كتبته حنه كومنين أن طرابيزون قد وقعت فى وقت سابق بأيدى الأتراك ثم أستردت منهم قبل أن يطرد والدها الامبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨١ - ١١١٨ م) ثيودور غابراس Theodore Gabras من القسطنطينية حيث ذهب الأخير إلى طرابيزون واستقل بها وأقام بها دوقية استمرت قائمة بعد وفاته ولم يجد خلفاؤه غضاضة فى التحالف مع الترك ضد القسطنطينية(٥) . كما قام الأمير التركى منجوجك غازى - الذى أسس الإمارة المنجوجكية فى أرزنجان - بشن الغارات على سواحل البحر الأسود بالتعاون مع الدانشمنديين(٦) .

ولم يستقر الوضع - على سواحل البحر الأسود - على وتيرة واحدة بين الأتراك والبيزنطيين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى حيث كان ينجح الأتراك أحياناً فى إحراز مكاسب عديدة على حساب البيزنطيين ، وَلكن سرعان ما يعاود البيزنطيون الهجوم المضاد ويسترجعون المناطق التى فقدوها(٧) .

أما فى القرن السادس الهجرى ، فبعد مقتل السلطان قلج أرسلان الأول سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م ، وما ترتب على وفاته من نتائج سيئة على أحوال السلاجقة وأتراك الأناضول ، فقد مال ميزان القوى - مؤقتاً - لصالح البيزنطيين الذين اتخذوا زمام المبادرة وشرعوا فى مهاجمة الأتراك على جميع سواحل الأناضول ، بما فيها السواحل الشمالية المطلة على البحر الأسود ، وتمكن البيزنطيون من طرد الأتراك من تلك السواحل(٨) . غير أن ذلك الانتصار الذى أحرزه البيزنطيون افتقر إلى الديمومة والثبات . إذ سرعان ما نهض الأتراك الدانشمنديون بقيادة غازى بن كمشتكين بن دانشمندالذى تمكن سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م من استمالة أحد القادة البيزنطيين ويدعى كاسيانوس Kasianus ، وكان يتولى بعض المناطق المطلة على البحر الأسود ، فسلم لغازى عدداً من الحصون المهمة على الساحل مقابل اقطاعه بعض الممتلكات داخل بلاد الدانشمنديين ، الأمر الذى أثار حفيظة الامبراطور يوحنا كومنين Johen Comnenus (١١١٨-١١٤٣م)فقرر استرداد تلك الحصون ، وقاد بنفسه حملة عسكرية لتحقيق ذلك الغرض وسار عبر سواحل البحر الأسود ، وشرع فى التأهب للانقضاض على أملاك الدانشمنديين غير أن انشقاق أخيه الأصغر السيباستوكر اتور اسحاق The Sebastocrator وتمرده ضده وانضمامه إلى ابن دانشمند حال بين الامبراطور وبين تحقيق هدفه فعاد أدراجه إلى القسطنطينية(٩) .

ولم يستسلم الامبراطور حنا كومنين لذلك الفشل بسبب تمرد أخيه ، فقاد حملة أخرى سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م وسار بحذاء ساحل البحر الأسود ثم تقدم جنوبًا صوب قسطمونية التى اتخذ منها غازى بن دانشمند قاعدة للإغارة على المناطق الساحلية وحاصرها فاستسلمت له كما انتزع حصنين أخرين عنوة وأخذ معه أسرى كثيرين وعاد بهم إلى القسطنطينية(١٠) غير أن الأمير غازى بن دانشمند سرعان ما استغل عودة الامبراطور إلى عاصمته فهاجم قسطمونية واقتحمها عنوة وقتل حاميتها البيزنطية(١١). ولكن الامبراطور يوحنا كومنين انتهز فرصة وفاة غازى بن دانشمند سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م والنزاع الذى اندلع بين أبنائه ، فقاد حملة أخرى لاسترداد قسطمونية وفرض عليها حصارًا طويلا حتى انتزعها سنة ٥٣٠هـ /١١٣٦م(١٢) . والمتأمل فى قصة ذلك الصراع حول قسطمونية يلحظ أنها أصبحت كالكرة يتقاذفها الجانبان البيزنطى والتركى ، مرة يستولى عليها البيزنطيون ، وكرة ينتزعها الأتراك . ومرد هذا الصراع على قسطمونية أنها تقع إلى الجنوب الغربى من أشهر الموانئ البيزنطية على سواحل البحر الأسود وهو ميناء سينوب ، حيث تشكل بالنسبة للبيزنطيين خط الدفاع الخلفى الذى يحمى سينوب من الوقوع فى قبضة الأتراك ، فى حين تشكل للأتراك القاعدة المتقدمة التى يمكن الانقضاض منها على أروع الموانئ التجارية على ساحل البحر الأسود الجنوبى وهو ميناء سينوب .

ويذكر ابن العبرى غارة قام بها الملك محمد الدانشمندى أمير ملطية إلى بعض سواحل البحر الأسود وذلك سنة ٥٣٤هـ / ١١٣٩م وأنه " سار إلى قاسينوس وهى على ساحل بحر بنطس - البحر الأسود - فغزاها وأجلى أهلها جميعًا وباعهم عبيدًا "(١٣) . بيد أنه لم يرد فى المصادر تحديد المقصود

بتلك البقعة التى سماها ابن العبرى قاسينوس ولعله يقصد بذلك الحصون التى تنازل عنها القائد البيزنطى كاسيانوس – المشار إليه آنفًا – لغازى بن دانشمند مقابل بعض الاقطاعات داخل ممتلكات الدانشمنديين . وعندئذ قرر الامبراطور يوحنا كومنين قيادة حمله جديدة عبر سواحل البحر الأسود لاخضاع دوق طرابيزون قسطنطين غابراس ، الذى طالما تمرد على السيطرة الامبراطورية وتحالف مع الدانشمنديين ، ومن ثمة الزحف جنوبًا نحو العاصمة الدانشمندية نكسار والاستلاء عليها . وتحرك الامبراطور سنة ٥٣٤هـ /١١٣٩م ونجح فى اخضاع دوق طرابيزون ، واتجه إلى نكسار فحاصرها ، وجرت معارك طويلة وعنيفة بين البيزنطيين والأتراك ، وكادت نكسار تسقط بيد البيزنطيين ، إلا أنه حدثت ظروف مشابهة لتلك التى حدثت إبان حملة الامبراطو السابقة سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م فقد انشق عن الامبراطور هذه المرة ابن أخيه حنا اسحاق وهرب إلى الدانشمنديين وتسبب – مثلما حدث من أبيه قبل عشر سنوات – فى فشل هذه الحملة بعد أن أدى ذلك إلى حدوث اضطراب فى الجيش البيزنطى فقفل الامبراطور عائدًا إلى القسطنطينية مكتفيًا بإعادة السيطرة البيزنطية على سواحل البحر الأسود وبقيت قوة الأتراك فى داخل الأناضول على حالها(١٤) .

وفى سنة ٥٥٢ هـ/١١٥٧م قام أمير سيواس غازى بازان وزحف إلى سواحل البحر الأسود وفتح بافرا Bafra ويونى Unye فرد الامبرطورمانويل كومنين Manuel (١١٤٣ – ١١٨٠م) بإرسال حملة بقيادة الكسيوس جيفار دوس Alexius Giphardos ، وتمكنت الحملة من استرداد بافرا ويونى ، وعادت بذلك السيطرة البيزنطية على سواحل البحر الأسود الجنوبية(١٥) .

وصفوة القول :إننا إذا دققنا النظر فى قصة ذلك التنافس بين الأتراك والبيزنطيين على الهيمنة على سواحل البحر الأسود إبان النصف الثانى من

القرن الخامس الهجرى ، ومعظم القرن السادس الهجرى حتى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م نجد البيزنطيين قد نجحوا فى الاحتفاظ بسيطرتهم على الموانئ المهمة على ذلك البحر رغم فقداتهم المؤقت لبعضها . وهكذا لم يتمكن الأتراك من الحصول على منفذ دائم على ذلك البحر . وفى سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م حقق قلج أرسلان الثانى نصرًا ساحقًا على البيزنطيين فى معركة ميريوكيفالون(١٦) . ولم يعد بمقدور الدولة البيزنطية بعد ذلك القيام بهجمات مضادة ضد الأتراك مثلما كانت تفعل فى السابق ودخلت فى طور الانحطاط والتدهور(١٧) .

ومن الواضح أن سلاجقة الروم أدركوا منذ ذلك الحين أهمية بلادهم كمركز لتجارة العبور بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فبدأوا العمل للحصول على منافذ بحرية على سواحل البحر الأسود فى الشمال والبحر المتوسط فى الجنوب .

على للرغم من قيام قلج أرسلان الثانى بتقسيم مملكته بين أبنائه الأحد عشر طبقًا للتقاليد والأعراف التركية القديمة ، وما نجم عن ذلك التقسيم من منازعات بين أولئك الأبناء(١٨) ، فإن المنازعات لم تمنع أولئك الأبناء من القيام بفتوحات جديدة سيما على سواحل البحر الأسود ، حيث تمكنوا من فتح ميناء سامسون Samsun الواقع إلى الشرق من ميناء سينوب وأدخلوا بعض المناطق المجاورة على الساحل تحت إدارتهم . فقد أشار المؤرخ البيزنطى خونياتس Choniates إلى أن هذه المناطق تتبع ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان (٥٩٢-٦٠٠هـ/١١٩٥-١٢٠٣م) فى معرض حديثة عن الهجمات التى قام بها الامبراطور البيزنطى على ميناء سامسون بغية استردادها من ركن الدين(١٩) ، دون أن يشير ذلك المؤرخ إلى كيفية فتح السلاجقة لهذا

الميناء . ويرجح كاهن أن فتح سامسون حدث سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م(٢٠) ، وهذا يعني أنها فتحت خلال حكم غياث الدين كيخسرو للفترة الأولى (٥٨٨ - ٥٩٢هـ/١١٩٢ - ١١٩٥م) .

وقد انتهز الامبرطور البيزنطي الكسيوس الثالث Alexius (١١٩٥ - ١٢٠٣م) فرصة انشغال السلطان ركن الدين سليمان بالمنازعات الداخلية فأرسل أسطولاً إلى البحر الأسود مكونًا من ست قطع بحرية بقيادة أمير البحر قسطنطين فرنكو بولوس Konstantin Frankopulos بهدف ظاهرى هو انتشال حمولة إحدى السفن التي غرقت في غيرسون Giresun بينما كان الهدف المبيت هو الانقضاض على ميناء سامسون ونهب السفن الراسية فيها . ونجحت الخطة فهاجمت المراكب البيزنطية سفنًا كانت على وشك الرسو في ميناء سامسون ، وكانت تحمل سلعًا في طريقها إلى القسطنطينية نفسها ، وهو مايشير إلى ازدها الحركة التجارية في ميناء سامسون فنهب البيزنطيون شحنات تلك السفن ، وأسروا بعض أصحابها ، وقذفوا البعض الآخر في البحر ، فشكا التجار الذين بقوا على قيد الحياة إلى الامبراطور الكسيوس الثالث نفسه ، ولكنهم لم يجدوا أذنًا صاغية فرفعوا شكواهم إلى السلطان ركن الدين سليمان الذي أرسل رسالة إلى الامبرطور البيزنطي يحمله مسؤولية ما حدث ويطالبه برد البضائع واطلاق الأسرى ، وطلب من الامبراطور عقد اتفاقية جديدة بينهما . وقد أدرك الاميرطور خطورة الموقف ، وأن في مقدور السلاجقة الرد باعتداءات أشد وأعنف ، فقرر عدم الدخول في مشكلات جديدة معهم ، وألقى بمسؤولية ما حدث على عاتق قائد الاسطول فرنكو لوس ، وجرى توقيع اتفاقية بين الجانبين ، تعهد فيها الامبرطور بدفع جزية سنوية للسلاجقة ، وتعويض التجار الذين نُهبت أموالهم وذلك بدفع مبلغ خمسة آلاف

جوهر فضى وخمسين مينة Mnae (رطل) من الفضة ، كما بعث الامبراطور إلى ركن الدين باريعين حلة من الحرير المصنوعة للاستخدام الامبراطورى الخاص(٢١) .

وإذا كان فتح سامسون قد منح سلاجقة الروم منفذًا ضروريًا على ساحل البحر الأسود ، فإن تلك السيطرة على سامسون لم تستمر سوى عشر سنوات ، إذ لم يلبث السلاجقة إبان فترة حكم الطفل قلج أرسلان الثالث ابن سليمان (٦٠٠-٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢٠٥م) أن فقدوا ذلك الميناء المهم سنة ٦٠٠هـ ١٢٠٤م ، ففى تلك السنة - كما هو معروف - استولت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية وما ترتب على ذلك من نتائج خطيرة . ومن أهم تلك النتائج المتعلقة بسواحل البحر الأسود المجاورة لسلطنة سلاجقة الروم أن بلدوين الأول (٦٠٠-٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢٠٥ م) الامبرطوا اللاتينى فى القسطنطينية حاز شريطًا من الأرض الساحلية فى آسيا الصغرى أمتد من ساحل بحر مرمرة حتى هرقلية البنطية على سواحل البحر الأسود ، لكنه لم يلبث أن فقد الشريط بعد هزيمته الساحقة أمام قيصر البلغار فى شعبان ٦٠١هـ/ابريل ١٢٠٥م(٢٢) . وبذلك زال خطر المواجهة المباشرة بين دولة سلاجقة الروم والامبرطورية اللاتينية على سواحل البحر الأسود .

وقامت فى طرابيزون امبراطورية قام بتأسيسها الكسيوس الأول كومنينوس الكبير Alexius I Comnenus - الذى تسميه المصادر الإسلامية كيرالكس -(٢٣) وأخوه داود وهما ابنا مانويل كومنينوس ابن الامبراطور اندرونيكوس الأول Andronicus I (١١٨٣-١١٨٥م) وكان والدهما مانويل ابن عم لثمار Thamar ملكة الكرج . وقد ساعدتهما عمتهما ثمار على الانفراد بحكم طرابيزون على الساحل الجنوبى للبحر الأسود . وقد استرد الكسيوس

الكبير ميناء سامسون من السلاجقة سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م عن طريق أحد أتباعة ويدعى ثيودور جابراس Theodor Gabras، وبفضل مساعدة ثمار قام الأخوان الكسيوس وداود بحملة توسع نحو الغرب ، واستطاع داود أن يمد ممتلكاته غربًا من سينوب إلى منطقة بافلاجونيا بما فيها هرقلة البنطية ، في حين سيطر أخوه الكسيوس على كل المنطقة االساحلية الواقعة بين سينوب وطرابيزون ومد نفوذه شرقًا حتى القوقاز(٢٤) .

وهكذا فقد السلاجقة خلال فترة حكم الطفل قلج أرسلان الثالث بن سليمان الاتصال بسواحل البحر الأسود لحساب امبرطورية طرابيزون . ولم يقتصر نفوذ داود كومنين على ذلك بل شرع في التوسع غربًا حتى وصل قرب منطقة نيقوميديا المقابلة للقسطنطينية في غرب أسيا الصغرى ، وكان هدفه توطيد مركز الكسيوس لتدعيم ادعاءاته باعتباره الامبراطور الشرعي للبيزنطيين بعد سقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين . وهذا التوسع لداود أوقعه في صراع مع لاسكاريس الأول امبراطور نيقية حيث تصدى هذا الأخير لقوات داود وأعادها إلى الوراء ، وسيطر لاسكاريس على بعض سواحل البحر الأسود المتدة فيما بين نيقوميديا وهرقلة البنطية(٢٥) .

وحين تمكن السلطان كيخسرو بن قلج أرسلان (٦٠١-٦٠٧هـ/ ١٢٠٥-١٢١١م) من الوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية مرة ثانية سنة ٦٠١هـ/١٢٠٥م)(٢٦) أدرك مدى الضرر الذي أحدثته سيطرة امبرطورية طرابيزون على السواحل الجنوبية للبحر ، الأسود بحيث أصبحت دولة السلاجقة دولة داخلية لاتطل على البحر فحاول فتح طرابيزون نفسها سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م لكنه أخفق في ذلك وظلت الطرق مقطوعة بين دولة السلاجقة ومياه البحر الأسود الأمر الذي عاد بأفدح الضرر على الحركة

التجارية عبر تلك البلاد . وقد ذكر ابن الأثير ذلك فقال " : وفيها تجهز غياث الدين خسروشاه - كيخسرو - صاحب بلاد الروم إلى مدينة طرابزون ، وحصر صاحبها لأنه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه برًا وبحرًا ، ولم يخرج منهم أحد إلى بلاد غياث الدين ، فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس ، لأنهم كانوا يتجرون معهم ، ويدخلون بلادهم ، ويقصدهم التجار من الشام والعراق ، والموصل ، والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير ، فحيث لم ينفتح الطريق تأذوا أذىً كثيرًا فكان السعيد من عاد إلى رأس المال "(٢٧) .

ويمكن أن نخرج من هذا النص بعدد من الحقائق هى :

(أ) أصبحت دولة سلاجقة الروم مركزًا مهمًا لتجارة العبور الدولية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب . وأصبحت مدينة سيواس سوقًا دوليًا يجتمع فيه التجار من أماكن وبلاد مختلفة وفيه يجرى تبادل السلع .

(ب) كانت دولة سلاجقة الروم حتى ذلك الحين (٦٠٢هـ/١٢٠٦م) تعتمد على ميناء طرابيزون فى المتاجرة مع الأمم الشمالية مثل الروس والقفجاق والكرج ومع الأمم الواقعة غربى البحر الأسود مثل اليونان واللاتين وغيرهم ، ولم يكن لدولة سلاجقة الروم ميناء على ساحل ذلك البحر - بعد خسارة سامسون - ولا شك أن امبراطورية طرابيزونَ كانت تجنى الكثير من الأرباح جراء الرسوم التى كانت تأخذها من تجار السلاجقة والشام والعراق والجزيرة وغيرهم .

(جـ) أن فى مقدور امبرطورية طرابيزون فرض حصار اقتصادى قوى على دولة سلاجقة الروم إذا ما ساءت العلاقات بين الجانبين . الأمر الذى أدرك خطورته سلاطين السلاجقة ، فبدأوا فى تخطيط سياستهم الحربية وفقًا

لمصالحهم التجارية ، فعملوا - كما سنرى بعد قليل - على فتح منافذ بحرية ذات مواقع خاصة بهم على سواحل البحر المتوسط فى الجنوب وعلى سواحل البحر الأسود فى الشمال .

(د) كانت طرابيزون تحتاج بدورها للتجارة مع سلاجقة الروم لأن ذلك من مقومات حياتها الاقتصادية ، وليس بمقدور طرابيزون مواجهة السلاجقة فى ميادين القتال البرى الذى يتفوق فيه الأتراك ، ولذلك كانت طرابيزون لا تمانع أحيانًا فى الاعتراف بسيادة دولة السلاجقة وهو ما يفهم من عبارة ابن الأثير " كان قد خرج عن طاعته " ، أو بعبارة أخرى كانت المصالح متبادلة بين الجانبين رغم تدهور العلاقات بينهما سنة ٦٠٢هـ/١٤٠٦م . وإذا دققنا النظر لفحص الأسباب التى حدت بسلاطين سلاجقة الروم للعمل بجد على إيجاد منافذ بحرية لدولتهم- بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفًا - نجدها تتركز فيما يلى:

أولاً : إن تربع السلطان غياث الدين كيخسرو الأول على عرش سلاجقة الروم (٦٠١-٦٠٧هـ/١٢٠٥- ١٢١١م) يمكن اعتباره بداية العصر الذهبى لدولة سلاجقة الروم(٢٨) ، إذ أصبحت هذه الدولة فى أوائل القرن السابع الهجرى / أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، دولة قوية مستقرة منظمة ، الأمر الذى أدخل عنصرًا جديدًا فى تجارة الشرق الأدنى ، فبدأت تنمية الثروات المنجمية فى أرجاء الدولة كالحديد والنحاس والفضة ، وحجر الشب ، والتى كانت تتناقص فى الدول المجاورة ، بالإضافة إلى الإنتاج الكبير من الملح والزعفران والصدف والأخشاب ، بحيث أصبح فى مقدور هذه المنتجات تغذية تجارة مهمة ، مع تجارة العبور المارة عبر السلطنة . كما أخذت حياة البلاط وكبار رجال الدولة وحاشيتهم تتطور فضلاً عن الطبقة المثقفة بحيث أصبح هناك سبب لاستيراد المنتجات البعيدة الغالية الثمن(٢٩) .

ثانيًا : تضافرت عوامل عديدة لتزيد من أهمية دولة سلاجقة الروم في تجارة العبور ، فمن المؤكد أن اجتياح الكومان Coumans – وهم من العناصر التركية الوثنية – للسهوب الجنوبية لأراضى روسيا ، زاد من أهمية الخطوط البحرية القديمة بين البحر الأسود ونهر الفولغا مع بلاد البلطيق ، وجرى تبادل تجارى على نطاق واسع بين بلاد البلطيق والشواطئ الشمالية للبحر الأسود حيث استوردت تلك الشواطئ الفراء بكميات كبيرة من بلاد البلطيق ، وصدرت اليها السمك المجفف ، ووجد الفراء طريقه إلى بلاد سلاجقة الروم ومنها إلى سائر البلاد الإسلامية الجنوبية ، إضافة إلى أن سيطرة الكومان على تلك السهوب الواسعة من حدود بيزنطة غربًا إلى إقليم خوارزم شرقًا جعلهم المصدرين الكبار للمماليك حيث تجند معظم الجيوش منهم . كما أن قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام مكنها من التوسع في شراء المماليك بفضل الموارد المصرية الكبيرة ، فأصبحت سلطنة سلاجقة الروم هي نقطة الوصل بين بلاد الشام ومصر وبين البلاد المصدرة للرقيق شمالي البحر الأسود . ومما زاد أهمية سلطنة سلاجقة الروم في هذه التجارة أن البلاد المحيطة بها كانت محفوفة بالمخاطر بحيث لا يمكن للدولة الأيوبية الركون اليها في استيراد الرقيق ، فالطريق البحرى عبر القسطنطينية أضحى خطرًا بعد سيطرة الصليبيين على القسطنطينية سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م) وهم العدو الأول للدولة الأيوبية . كما أن الطريق البرى عبر القوقاز تجتاز بلدانًا ممزقة بسبب الحروب لذلك أصبح أفضل طريق تجارى هو الذى يربط مصر بحرًا بميناء انطالية في جنوب آسيا الصغرى ثم عبر البر إلى موانئ البحر الأسود الجنوبية ومنها إلى شمالى ذلك البحر(٣٠) إضافة إلى أن مصر كانت تعانى تقليديًا من حاجتها إلى الخشب والحديد ، وكانت الأناضول – التى تقوم عليها سلطنة السلاجقة – هى أقرب نقطة يمكن أن تزودها بها(٣١) . ولذلك

كله أدرك السلطان كيخسرو الحاجة للوصول إلى بلاد القرم وشمالى البحر الأسود دون الاضطرار للمرور بالأراضى الخاضعة للقوى النصرانية . وكانت الخطوة الأولى التى اتخذها كيخسرو هى اكتساب الميناء الجنوبى للأناضول وهو ميناء انطالية .

قرر السلطان كيخسرو فتح ميناء أنطالية سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م فزحف إليها مستغلاً شكاوى الأقلية المسلمة فيها ، والذين اشتكوا من سوء معاملة الفرنج لهم ، حيث قام حاكم المدينة الدوابراندينى Aldobrandini بمصادرة ممتلكات وبضائع عدد من التجار الاسكندرانيين الذين كانوا يتاجرون حينذاك مع العاصمة السلجوقية قونية . وعندما جاء السلطان كيخسرو لفتح المدينة وحاصرها تدخلت المملكة اللاتينية فى قبرص ، التى كانت تحت حكم آل لوزجنان Lusignans ، وكانت تلك المملكة تتطلع إلى احتلال ذلك الموقع التجارى المهم ، الذى لايبعد إلا بمسافة ابحار يوم واحد من الميناء القبرصى الشمالى سيرينا Cyrenia ، وأقنع سكان انطالية القلقون على مصيرهم الدوابراندينى بأن يستنجد بالوصى على عرش قبرص لكى يساعدهم على صد الهجوم السلجوقى . وكان ملك قبرص هيوالأول ما يزال قاصرًا فى الثانية عشرة من عمره ، وكانت المملكة القبرصية تدار بشكل مؤقت من قبل الوصى عليه ، زوج أخته ، والتردى مونتبليارد Walter de Montbeliard الذى قرر مساعدة الأنطاليين وأبحر فى جمادى الأولى ٦٠٣هـ/ يناير ١٢٠٧م من سيرينا باسطول يحمل قوة بحرية مع ٢٠٠ مقاتل من المنشأة ، فى وقت كان الهجوم السلجوقى قد بدأ على انطالية ، حيث أحاط بها الجيش السلجوقى وفرض عليها حصارًا طويلاً بقيادة السلطان نفسه ، وقامت الفرقة الفرنجية على شكل كتيبة متراصة بالإندفاع على المحاصرين الذين أخذوا

على حين غرة وبدأوا فى الانسحاب . وتخلى السلطان كيخسرو عن الحصار وعسكر بعيدًا عن المدينة لمدة أحد عشر يومًا ، ونفذ خطة أخرى انصبت على تدمير المحصولات والحقول التابعة لانطالية ، ومنع المؤن من الوصول إليها . وعانى محيط انطالية من تدمير سئ على أيدى الأتراك ، الأمر الذى أفضى إلى سخط متزايد بين النبلاء الفرنج واليونانيين من أهل أنطالية الذين جاءت ثروتهم بشكل رئيسى من الأراضى الخصبة التى يمتلكونها خارج المدينة . وسرعان ما أدركوا أن القوات البحرية التى قادها مونتبليارد لم تحقق شيئًا محسوسًا لأنقاذهم ، وأن عليهم أن يستسلموا للسلطان لكى يتجنبوا الإبادة الشاملة فى حال سقوط المدينة عنوة . وفى تلك الأثناء وقع الشقاق داخل المدينة بين الفرنج واليونانيين بشأن الطريقة التى ينبغى الاستسلام بموجبها للسلطان ، وتفاقم الخلاف ، وأدى إلى القتال بين الجانبين ، الأمر الذى أقنع مونتبليارد بالإنسحاب والعودة باسطوله إلى قبرص ، فاستدعى اليونانيون السلطان الذى جاء بجيشه وحاصر المدينة مرة ثانية حتى افتتحها فى شعبان ٦٠٣هـ / مارس ١٢٠٧م(٣٢).

وجاء فتح انطالية وما ترتب عليه من نتائج تجارية مهمة بالنسبة لدولة سلاجقة الروم ، أهمها الاتصال المباشر مع عالم البحر المتوسط ، ليضيف حافزًا جديدًا لسلاطين سلاجقة الروم لفتح منفذ بحرى لهم على سواحل البحر الأسود . وإذا كان السلطان كيخسرو لم يحقق هذا الهدف لأنه أراد أولاً أن يمد نفوذه غربًا إلى سواحل بحر إيجه وبحر مرمرة الأمر الذى أدى إلى نشوب الحرب مع امبرطورية نيقية فقتل كيخسرو فى المعركة التى خاضها ضد لاسكاريس الأول امبرطوار نيقية(٣٣) ، فإن هدف الوصول إلى البحر الأسود قد تحقق على يدى ابنه السلطان عز الدين كيكاوس (٦٠٨ - ٦١٦ هـ/١٢١١ - ١٢٢٠م) .

تطلـع عـز الديـن كيكـاوس لبسـط نفـوذ السـلاجقة علـى مينـائى سـينوب وسامسون على ساحل البحر الأسود ، وذلك لتأمين حركة التصدير والاستيراد وتحريـر التجـارة مـن الخضـوع للتهديـدات المفاجئـة . ذلـك أن الصـراع بيـن لاسكاريس الأول امبراطور نيقية والكسـيوس الكبير امـبراطور طرابـيزون ، قـد اتخذ من ساحل البحر الأسود ساحة له ، وأضحى ذلك النزاع يهدد الأمـن والاستقرار على حدود دولة سلاجقة الروم الشمالية بيـن فينـة وأخـرى الأمـر الذى يعود بأسوأ الأثر على سلامة الطرق التجارية العالمية ويعوق التجار من الوصـول إلـى الشـمال(٣٤). وكـانت أخـر جـولات ذلـك الصـراع أن تمكـن لاسكاريس من طرد داود كومنينوس – شقيق الكسيوس – من ميناء هرقلـة البنطية وأماسرا Amasra ، وكانت السيطرة على تلك المنطقة من قبل أى من القوتين اليونانيتين يشكل تهديدًا لدولة سلاجقة الروم(٣٥) .

وتضيف المصادر السجلوقية أسبابًا أخرى لفتح سينوب وسامسون حيث تشير إلى أن حاكم طرابيزون انتهز فرصة الـنزاع الـذى نشـب بيـن الأخويـن كيكاوس وكيقباذ عقب مصرع والدهما كيخسرو سـنة ٦٠٧هـ/١٢١١ م وأنـه استضعف كيكاوس وأمن جانبه فأوقف تسليم الجزية التى كان يدفعها لوالـده ، ثم شرع فى الإغارة على ممتلكات دولة سلاجقة الروم المجـاورة لطرابـيزون مثـل سيواس وغيرها وأنه طمع فيها . فوصلت الشكاوى من أهل البلاد الذيـن وقعت عليهم الغارات ومن حرّاس الحدود إلى السلطان كيكاوس ، وقد وصلت رسالة حراس الحدود إلى السلطان كيكاوس وهو فى محفل ملكـى مـع أمرائـه وحاشيته ، فلما فتح الرسالة المختومة وجد فيها الخبر بأن " كـيرالكس تكفـور جانيت قد بالغ فى الجنابة وتوغل فى حدود ممالك السلطان وأحدث الكثير مـن التخريب والدمار(٣٦) " .

ورغم أن السلطان كيكاوس قد استبد به الغضب عندما قرأ الرسالة إلا أنه كتم غضبه حتى لا يفسد متعة أصحابه . وفى اليوم التالى استدعى أمراءه وقادته ، وعرض عليهم الأمر ، فغضبوا لتلك الاعتداءات ، وأبدوا للسلطان الرغبة فى الانتقام من الأعداء ، وأعلنوا استعدادهم لتنفيذ أوامره . فسأل السلطان الأمراء الذين رأوا سينوب ويعرفونها عن كيفية فتحها ، فأجابوه بأن سنيوب قلعة فى غاية الحصانة والمنعة ، وأنه لا سبيل إلى فتحها والاستيلاء عليها بالقوة ، إلا أن يرسل إليها السلطان فى " هذه السنة " ٦١١هـ/١٢١٤م جمعًا من الجيش فيخربون سوادها وقراها ويحرقون غلات أهلها ومزروعاتهم الواقعة خارج أسوار سينوب ، ويمنعون عنهم الميرة الواصلة إليهم من البحر حتى تضيق عليهم الحال . ثم يسير إليها السلطان فى السنة التالية ويحاصرها ويضيق على أهلها ، فبهذه الطريقة يمكن أن تستسلم سينوب ، وأكد أولئك الأمراء للسلطان أنه لا يمكن فتحها إلا بالمطاولة ومداومة الحصار ، بسبب حصانتها وتلقيها الامدادات عن الطريق البحر . وبعد مناقشة استقر رأى السلطان وامرائه على هذه الخطة ، وتقرر العمل على تنفيذها(٣٧) ، مما يشير إلى حرص السلطان على فتح سينوب ، ذات الموقع الفريد على الساحل الجنوبى للبحر الأسود ، مهما كلفه ذلك من ثمن .

وكان أن أرسل السلطان كيكاوس عدد من الأمراء مع عساكرهم نحو سينوب فقدموا أمامهم الجواسيس الذين علموا أن الكسيوس كومنين(كيرالكس) حاكم طرابيزون وسينوب خرج للصيد فى البرارى القريبة من سينوب فى عدة قليلة من أصحابه ، فعاد الجواسيس واخبروا قادتهم بالخبر فانتخب الأمراء جماعة من الرجال الشجعان وأمروهم بالانقضاض على الكسيوس . وفى رواية أخرى أنهم كانوا ٥٠٠ من التركمان ، فساروا إليه وباغتوه مع رجاله بينما كانوا يأكلون ويشربون وقتلوا بعض رجاله وأسروه مع من بقى

على قيد الحياة من أصحابه وكان داود شقيق الكسيوس ضمن القتلى ، ثم حملوه مع أصحابه إلى الأمراء الذين أرسلوا على عجل يبشرون السلطان بأسر امبرطور طرابيزون ويطلبون منه أن يأمرهم بأمره . ولما وصل الخبر للسلطان سُر سرورًا عظيمًا وأيقن بفتح سينوب فأمر بقية جيوشه بالتوجه نحو سينوب لفتحها (٣٨).ولما اقترب السلطان بجيشه من سينوب أمر بإحضار الكسيوس فلما أُحضر مقيدًا أمامه ، طيب قلبه وعامله بلطف وكياسه ، ووعده باطلاق سراحه بشرط أن يرسل إلى أهل سينوب يأمرهم بتسليمها إليه . فاختار الكسيوس أحد أصحابه الأسرى ، فأمر السلطان بفك قيده ، وأمره سيده الكسيوس بالذهاب إلى سينوب وابلاغ أهلها بوجوب تسليم المدينة للسلطان فسار إلى سينوب وأبلغ أهلها بأمر ملكهم ولكنهم لم يذعنوا إلى التسليم ، وقالوا فى الجواب : " إن كيرالكس التكفور لو كان أسر أو قتل ، فله أولاد يصلحون للتكفورية فننصبهم ولا نسلم البلد إلى المسلمين "(٣٩) . فأمر السلطان كيكاوس بعودة الرسول مرة أخرى إلى أهل سينوب ، من باب إلزامهم بالحجة ، ولكن بدون جدوى . فأمر السلطان جنوده بأن يطوفوا بالتكفور الكيسوس كومنين (كيرالكس) وهو يرسف فى قيوده الثقيلة حول أسوار سينوب ، وأن يشرعوا فى الضغط عليه أمام أعين أهل سينوب ، فإما أن يسلموا المدينة أو يقضى عليه ، وقام الجلادون بتعذيبه حتى ارتفعت صرخاته وأخذ يصرخ ويردد مخاطبًا أهل المدينة " أيها الكفرة لأجل من تبقون المدينة وهم سيقتلوننى ، وسيأخذونكم أسرى مقيدين بالقهر والقسر فما جدوى المقاومة " فكان تأثيره فيهم كتأثير الرُخاءفى الصخرة الصمّاء ، على حد تعبير ابن البيبى(٤٠) .

وعمل السلطان على اشعار أهل سينوب بالتصميم على فتح سينوب فأوعز إلى أحد أمرائه ويدعى بهرام ، فتقدم من جهة البحر مع ألف رجل وقطعوا كل الاتصالات بين المدينة والبحر ، وأشعلوا النيران فى السفن

الراسية فى الميناء وقتلوا كثيرًا من ملاحيها اليونـانيين والفرنـج . وعلـى هذا النحـو احدث الحصـار أزمة شـديدة داخل سينوب واشـتدت الضائقة بالمدينـة مما أدى إلى انهيار الروح المعنوية لأهل سـينوب وعسـاكرها(٤١). . ثـم أمـر السلطان مرة أخرى بتعليق الكسيوس كومنين (كيرالكس) مقلوبًا على مـرأى ومسمع من أهل سينوب وشرعوا فى عصره حتى فقد الوعى ، فلما لمس أهل سينوب عزم السلاجقة وتصميمهم على فتح المدينة سيما وقد قطعـوا اتصالها بـالبحر ، وحـالوا دون وصـول الأمـدادات إليهـا ، فصـاحوا ، وطلبـوا عـودة رسول التكفور إلى المدينة للتحدث معه ، وحين دخـل الرسـول للمـرة الثالثـة قالوا له " لو أقسم السـلطان ألا يقتـل التكفـور وسـمح لـه بالذهـاب سـالمًا إلـى ولايته وأعطانا الأمان على أرواحنا وأهلنا وأموالنا وأطفالنا وسمح لنا بالذهاب حيث نريد فإننا نسلم المدينة "(٤٢) .

ولما عاد مبعوث التكفور وأبلغ السـلطان بعـرض أهـل سـينوب ، أقسـم السلطان كيكاوس فى حضور التكفـور الكسـيوس كومنيـن (كـيرالكس) وفـى حضور المبعوث الذى عاد إلى سينوب حاملاً المواثيق والأمان لأهلها فسكنت نفوسهم واطمأنوا ، وطلبوا علم السـلطان كعنـوان أمـان ، فحمـل جماعـة مـن أصحـاب التكفـور كـيرالكس (الكيـوس كومنيـن) ومـن أصحـاب السـلطان السناجق إلى المدينة ونصبوها على أسـوارها يـوم السـبت ٢٦جمـادى الآخـرة ٦١١هـ/٣يناير ١٢٢٤م(٤٣) .

وفى اليوم التالى ٢٧ جمادى الآخرة / ٤ يناير ١٢١٤م دخـل السـلطان كيكاوس إلى سينوب فى احتفال مهيب ، حيـث ركبـت عسـاكره ووقفت قبالـة المدينة فى صفوف منتظمة . وخرج أعيان المدينة ووجهاؤها بصحبة الأمراء الذين تسلموا المدينة فى اليـوم السـابق ، وقبلوا الأرض أما السلطان ، وكان

السلطان راكبًا والتكفور كيرالكس (الكسيوس كومنين) يسير على الأقدام فى خدمة ركاب السلطان بوصفه تابعًا ، فسلم أعيان المدينة مفاتيحها للسلطان ، واستمال السلطان بعضهم وخلع عليهم الخلع ، وعادوا إلى منازلهم لاحضار النثار الذى ينثر بمناسبة دخول السلطان ودخل السلطان فى موكبه إلى المدينة . وجلس على العرش ، وأقيمت الاحتفالات وترك السلطان التكفور واقفًا مدة ثم أمره بالجلوس فى مكان أعلى من سائر أمراء الدولة ، وبالغ فى اكرامه وتطييب خاطره ، وأمضى السلطان يومًا كاملاً فى سرور وسعادة ، محتفلاً بانتصاره الكبير(٤٤) .

وفى اليوم التالى ٢٨ جمادى الأخرة ٦١١هـ/٥يناير ١٢١٤ م استدعى السلطان كيكاوس التكفور كيرالكس (الكسيوس) وطلب منه التوقيع على معاهدة التبعية التى أعدها نظار الديوان لكى يطلق سراحه ويأذن له بالعودة إلى طرابيزن . ولم يجد التكفور مناصًا من التوقيع على المعاهدة والإذعان بالتبعية للسلاجقة ، ودفع الجزية المقررة . وقد نصت وثيقة المعاهدة على التالى: " أتعهد أنا كيرالكس للسلطان الغالب عز الدين كيكاوس، إذا أعطانى الأمان وحفظ حياتى وترك لى ولأولادى ملك جانيت ما عدا سينوب وأعمالها ومضافاتها ، فعلى أن أدفع له كل سنة اثنى عشر ألف دينار ذهب ، وخمسمائة رأس من الخيل ، وألفين من البقر وعشرة آلاف رأس من الغنم ، ومن البضائع التى تجلب إلى الخزينة كل عام خمسين حملاً من كل نوع وصنف ، وخمسة أحمال من التحف ، ترسل على ظهور حيواناتى وأن أنصر السلطان بالجند فى حالة الاحتياج إليهم بقدر ما استطيع فى وقت طلب المدد ، وقد شهد على هذا كل من حضر من أماثل الطرفين من قائم وقاعد "(٤٥) .

وبعد التصديق على المعاهدة أدخلت الوثيقة إلى الخزينة السلطانية لحفظها ، مما يشير إلى أنه كان لدى سلاجقة الروم أرشيف خاص بالخزانة

السلطانية لحفظ الوثائق والأوراق الرسمية . ثم أمر السلطان بالخلع والملابس الموشاة بالذهب ، وقلنسوة وفرس أصيلة فأهداها للتكفور كدليل على تبعيته للسلطان ، كما أهدى السلطان بعض إتباع التكفور الكسيوس الهدايا ، وأمر بإعطائهم خيولاً من الأسطبل السلطانى ، وأمرهم بأن يمتطوها ، كما أمر التكفور بأن يمتطى صهوة جواده ، وكان التكفور طويلاً نحيل الجسم ، وما أن وضع السلطان قدمه فى الركاب حتى بادر التكفور وأخذ الغاشية(٤٦) من الركابى ووضعها على كتفه ومشى بها ليدلل على تبعيته للسلطان ، كأنه لا يعدو أن يكون أحد غلمانه من الركاب دارية ، فلما سار بالغاشية مسافة أمره السلطان بأن يعيد الغاشية للركابى ويركب هو حصانه ففعل ذلك وسار مع السلطان جنبًا إلى جنب ، يتجاذبان أطراف الحديث ، وبعد نزهة لمدة ساعة على أطراف الساحل ، عادا إلى سينوب ، وبعد أن تناولا الطعام معًا ، أذن السلطان للتكفور بالمغادرة ، وأخبره أنه يستطيع أن يصطحب معه من يريده من أتباعه ، وبعد أن ودعه ركب سفينة مع أصحابه وأبحر صوب طرابيزون(٤٧) .

ويمكن أن نستنتج من نص المعاهدة والمبالغ الكبيرة التى التزم إمبراطور طرابيزون بدفعها لدولة السلاجقة حقيقة أخرى وهى أن تلك المقادير الكبيرة من الجزية سوف تزيد من قوة وثراء دولة سلاجقة الروم ، وبالتالى لابد لحاكم طرابيزون أن يفرض رسومًا كبيرة على مرور التجارة عبر مملكته لتوفير تلك المبالغ وخاصة التجارة القادمة عبر البحر الأسود عن طريق الروس والقفجاق والكرج والبنادقة ، وهذا سيجعل الكثير من التجار يفضلون الموانى السلجوقية الواقعة على البحر الأسود مثل سينوب الأمر الذى يزيد من ازدهار حركة التجارة وزيادة الدخل لدولة سلاجقة الروم من ناحية أخرى .

وقد ظل أباطرة طرابيزون من هذا الوقت وحتى الغزو المغولى لسلطنة سلاجقة الروم سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م يدفعون الجزية لسلاجقة الروم ، فعندما عدد المؤرخ الفرنسى فانسنت دى بوفا Vincent de Beauvais - فى القرن الثالث عشر الميلادى - الممالك التابعة لسلطان سلاجقة الروم ذكر من بينها حاكم طرابيزون ، وأنه ملزم فى حالة الحاجة وعند الطلب بتقديم مائتين من ذوى الحراب و ١٢٠٠ من العساكر للسلاجقة ، وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابن البيبى فى نصوص المعاهدة(٤٨) .

ومكث السلطان كيكاوس فى سينوب وشرع فى أسلمة وتتريك المدينة ، فأرسل أوامره إلى كل إنحاء دولته وطلب أن يجرى فى كل مدينة اختيار الأشخاص الأغنياء من ذوى المكانة والنفوذ ، وأن يرسلوا إلى سينوب ، وفى حالة لم يبد أحد الأغنياء الرغبة فى الانتقال إلى سينوب بسبب أملاكه وعقاراته، فتشترى تلك الأموال غير المنقولة والعقارات بعد رضائه وموافقته باسم الخزينة الخاصة (خزينة السلطنة) وتدفع له قيمتها كاملة . وعلى هذا انتقل إلى سينوب الرجال من ذوى العقل والدراية والخبرة والأموال ، والأسر الثرية من سائر أطراف الدولة السلجوقية . كما استقدم السلطان إلى سينوب العلماء والفقهاء ، وأصحاب الحرف ، والأيدى العاملة الماهرة بأعداد كبيرة من البلاد الإسلامية . وجرى هدم الكنائس وبنيت فى مواضعها المساجد ، وعين القضاة ، والمؤذنين ، والخطباء ، والمعرفين ، ورتب الحراس من الرجال الشجعان المشهورين لحراسة المدينة وحفظها ، وأنشأ فى سينوب ، المدارس والخانات وسائر التنظيمات الدينية والتجارية ، وجعل فى سينوب صفوة العساكر وخيرة القادة لحفظ ذلك الثغر المهم والدفاع عنه(٤٩) .

أما أهل سينوب الأصلين فقد سمح لهم بالمغادرة مع أسرهم وأموالهم وسائر أثقالهم ورحلوا إلى طرابيزون . ومن قَبِلَ منهم الذمة فقد مكث فيها

أما اللاجئون الذين فروا من المدينة أثناء المعارك والفتح فقد أعادهم النواب إلى أماكنهم(٥٠) .

ونظرًا لأهمية سينوب التجارية والسياسية وحرصًا على تأمينها والحيلولة دون وقوعها مرة أخرى فى قبضة قوى معادية ، ولضمان الاحتفاظ بمنفذ دائم على سواحل البحر الأسود ، فقد أصدر السلطان كيكاوس أوامره بإعادة بناء القلعة والأسوار ، وأمر أمراءه وقادته بالإسهام فى البناء من أموالهم الخاصة ، فتولى أولئك الأمراء أعمال الانشاء والبناء . وقد اكتمل العمل بعد ثمانية أشهر من بدئه وتم الانتهاء منه فى ربيع الأول ٦١٢هـ / يوليه ١٢١٥م ، ولا تزال الكتابات المنقوشة على آثار أسوار سينوب تحمل أسماء أولئك الرجال الذين أسهموا فى تلك العمارة وعددهم خمسة عشرة رجلاً(٥٠) .

عهد السلطان كيكاوس بولاية سينوب لأمير أرمنى ، كان قد اعتنق الإسلام ، وصار فى خدمة السلطان ، يدعى هيثوم Hethoum ، ويبدو أن ذلك كان بدافع الحرص على تطوير تجارة الاستيراد والتصدير عبر ميناء سينوب ، لأن هيثوم كان مؤهلاً بشكل أفضل من أى تركى للتعامل مع التجار النصارى الذين كانوا يترددون على سينوب(٥١) .

وبسبب فتحه لهذا الميناء المهم على ساحل البحر الأسود تلقب السلطان عز الدين بلقب " السلطان الغالب سلطان البر والبحر "(٥٢) ، ويبدو أن اختيار كيكاوس لهذا اللقب هو شعوره أنه لم تعد هناك قوة فى آسيا الصغرى تضارعه . فإمبراطورية نيقيه فى الغرب كانت تدفع له الجزية(٥٣) ، وها هى طرابيزون ذات الهيمنة والنفوذ الواسع فى حوض البحر الأسود تخضع له وتدفع له الجزية وتدين له بالتبعية . وبعد أن نظم كيكاوس سائر أمور سينوب

وانتظمت أعمال الإنشاء والأعمار فى المدينة ، فقل عائدًا إلى سيواس وخلع على الأمراء الذين أسهموا فى الفتح وأذن لهم بالعودة إلى بلدانهم وأعمالهم ، وامتلأت المدينة بالتجار ورجال الأعمال ، وبدأت عمليات التصدير والاستيراد مع كافة القوى التجارية المتعاملة مع موانئ البحر الأسود(٥٤) .

لقد كان فتح سينوب نقطة تحول كبرى فى تاريخ دولة سلاجقة الروم ، حيث أصبحت عقب ذلك أهم القوى التجارية والسياسية المطلة على ذلك البحر . ويصف كاهن فتح سينوب بأنه كان النصر العظيم الذى تحقق فى عهد كيكاوس ، حيث أوجد للسلاجقة منفذًا دائمًا على ساحل البحر الأسود(٥٥). وأصبح الأتراك يملكون أفضل قاعدة بحرية على الساحل البونتيكى Pontique (ساحل البنطس) لمراقبة البحر الأسود(٥٦) . وهكذا دخلت سلطنة سلاجقة الروم فى علاقات تجارية واسعة مع روسيا والقفجاق وغيرهم من الأمم الواقعة إلى شمال وشرق البحر الأسود . أما المستعمرات الهلينية القديمة على الشاطئ الشمالى للبحر الأسود فقد انفصلت عن القسطنطينية ، عقب الحملة الصليبية الرابعة وارتبطت بطرابيزون بسبب حاجتها للتبادل التجارى معها ، حيث صدرت إلى طرابيزون العبيد والفرو ، واستوردت منها الأقمشة القطنية والحريرية والتوابل الشرقية ، وبعد أن فتح السلاجقة سينوب ، وأصبحت طرابيزون تدفع لهم الجزية فقد شاركوا فى تلك التجارة مع المستعمرات الهلينية الواقعة على الشاطئ الشمالى للبحر الأسود(٥٧) .

أما ميناء سامسون الواقع إلى الشرق من سينوب فلم تشر المصادر إلى كيف آل إلى السلاجقة ، والراجح أنها كانت من البلاد المضافة إلى سينوب التى سلمها الكسيوس كومنين (كيرالكس) إلى كيكاوس بموجب المعاهدة

التى تحدثنا عنها آنفًا ، إذ تشير المصادر بعد ذلك سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م إلى أن سامسون ضمن البلاد التى أغار عليها روم طرابيزون فى تلك السنة(٥٨). وهذا يعنى أن سلطنة سلاجقة الروم أصبحت تملك جزءًا كبيرًا من الساحل الجنوبى للبحر الأسود يمتد من شرق سامسون إلى غرب سينوب .

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت سينوب مقر القاعدة البحرية للأسطول السلجوقى الذى أنشأه عز الدين كيكاوس فى البحر الأسود(٥٩) . ولم يرد فى المصادر ذكر عن كيفية بناء الأسطول السلجوقى فى سينوب على ساحل البحر الأسود ، إلا أنه يمكن الافتراض أن الرجال اليونانيين من ذوى الخبرة فى مجال صناعة السفن وأعمال البحر الذين كانوا فى سينوب وأعمالها ومضافاتها قد جرى استخدامهم والافادة من خبرتهم فى هذا المجال ، فضلاً عن أن السفن التى كانت فى سينوب ونجت من الدمار أثناء الحصار قد آلت إلى الفاتحين الجدد . وقد أشار ابن سعيد المغربى إلى أن هناك دار لصناعة السفن فى سينوب ، وكانت الجبال الواقعة إلى الجنوب بين سينوب واماسيا تشتهر بغابات الصنوبر الكثيفة حيث يجرى قطع الأخشاب من تلك الغابات ، وتنقل بواسطة مجارى نهرى النهر الأحمر (قيزيل ارماق) والنهر الأخضر (يشيل ارماق) حتى مدينة سينوب حيث توجد ترسانة صنع السفن(٦٠) .

من المعروف أن المؤرخين نادرًا ما يتحدثون عن التجارة والحالة الاقتصادية طالما ظلت عادية ومنتظمة لأن ذلك يعتبر من الأمور المعتادة لدى الناس . لذلك يركز المؤرخون على الحوادث السياسية والوقائع الحربية والأمور الغريبة . وهذا يزيد من صعوبة البحث فى تاريخ التجارة والاقتصاد، إلا إذا حدثت ظروف سياسية والحقت الضرر بالتجارة والاقتصاد ، عندئذ قد يتطرق المؤرخ للحديث عن ذلك الضرر مما يلقى بعض الضوء على النواحى

الاقتصادية . ومن حسن الطالع فيما يتعلق بموضوعنا هنا ، أن يتحدث ابن الأثير فى معرض حديثه عن غارات المغول على بلاد الروس والقفجاق عن أثر تلك الغارات على التجارة فى حوض البحر الأسود ، الأمر الذى يصور حجم التجارة التى كانت قائمة فى حوض هذا البحر خلال هذه الحقبة بين السواحل الجنوبية الخاضعة لسلاجقة الروم وطرابيزون والقسطنطينية وبين السواحل الشمالية حيث أمم القفجاق والروس وغيرهم ، وذلك فى حوادث سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م عندما بلغت غارة المغول ميناء سغداق[٦١] (كريميا Crimea) الواقع فى شبه جزيرة القرم على الساحل الشمالى للبحر الأسود - وهذا الميناء يقابل مينائى سينوب وسامسون السلجوقيين ، وما ترتب على تلك الغارة من نتائج تمثلت فى الانقطاع المؤقت للتجارة بين سغداق (سوداق) والموانئ السلجوقية فقال : " وأقام التتر فى بلاد قفجاق ... وصلوا إلى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادتهم ، فإنها على بحر الخزر (البحر الأسود) والمراكب تصل إليها . وفيها الثياب فيشترى قفجاق منهم ، ويبيعون عليهم الجوارى والمماليك والبرطاسى والقندر والسنجاب ، وغير ذلك مما هو فى بلادهم ، وبحر الخزر هذا هو بحر متصل بخليج القسطنطينية . ولما وصل التتر إلى سوداق ملكوها ، وتفرق أهلها منها، فبعضهم صعد الجبال بأهله وماله ، وبعضهم ركب البحر وسار إلى بلاد الروم التى بيد المسلمين من أولاد قلج أرسلان "[٦٢] . ثم يواصل ابن الأثير حديثه عما فعل التتر بالروس والقفجاق سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م فيقول : " ... ثم أن التتر ظفروا واستظهروا ، فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد أن اثخن فيهم التتر ... وتبعهم التتر يقتلون وينبهون ويخربون البلاد حتى خلا أكثرهم ، فاجتمع كثير من أعيان تجار الروس وأغنيائهم ، وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر إلى بلاد الإسلام فى عدة مراكب . فلما قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم ، فغرق إلا أن الناس

نجوا ، وكانت العادة جارية أن السلطان له كل مركب ينكسر ، فأخذ من ذلك شيئًا كثيرًا ، وسلم باقى المراكب ، وأخبر من بها بهذه الحال "(٦٣) . ثم يتحدث ابن الأثير عن عودة التتر إلى بلادهم وزوال الأزمة الاقتصادية التى حدثت وعودة التجارة بين بلاد سلاجقة الروم والروس والقفجاق عبر مياه البحر الأسود فيقول : " ... فساروا إلى سقسين عائدين إلى ملكهم جنكزخان ، وخلت أرض قفجاق منهم ، فعاد من سلم منهم إلى بلادهم وكان الطريق منقطعًا مذ دخلها التتر ، فلم يصل منهم شئ من البرطاسى والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل من تلك البلاد ، فلما فارقوها عادوا إلى بلادهم ، واتصلت الطريق ، وحملت الأمتعة كما كانت "(٦٤) .

ويتضح من حديث ابن الأثير الحركة التجارية الحيوية والمهمة التى كانت قائمة بين دولة سلاجقة الروم وبين الروس عبر ميناء سغداق الواقع فى شبه جزيرة القرم . وإذا كان ابن الأثير قد ذكر أهم ما يرد إلى سلطنة سلاجقة الروم ومنها إلى الشام والعراق من بلاد الروس والقفجاق من سلع مثل الرقيق والبرطاسى(٦٥) وفراء حيوانات السنجاب والقندر وغيرها ، فإنه لم يشر إلى الصادرات التى كانت تصدرها دولة سلاجقة الروم إلى بلاد الروس والقفجاق عبر مدينة سغداق وإنما اكتفى بالقول إنها مدينة قفجاق ومنها مادتهم . وهذا يعنى أن ذلك الميناء كان الميناء الرئيسى للروس والقفجاق وعبره يستوردون سائر المنتوجات والسلع التى لا تنتجها بلادهم . وفى هذا إشارة إلى اعتمادهم على البلاد الواقعة على السواحل الجنوبية للبحر الأسود وعلى رأسها سلطنة سلاجقة الروم التى تصدر إليهم تلك المواد المهمة لحياتهم . كما يتضح من حديث ابن الأثير عمق العلاقات التجارية وتطورها بين سلاجقة الروم والروس والقفجاق عبر مياه البحر الأسود ، حيث اختار اللاجئون بلاد سلاجقة الروم اعتمادًا على الصلات القائمة بين

الجانبين . كما أن أعيان تجار الروس اختاروا أيضًا اللجوء إلى بلاد سلاجقة الروم وفضلوها على إمبراطورية طرابيزون والإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ، وهذا يدل على أن مصالح الروس وعلاقاتهم التجارية كانت مع سلاجقة الروم أوثق وأعمق منها مع طرابيزون أو القسطنطينية وغيرها. وهذا يشير من ناحية أخرى إلى قوة النفوذ السياسى والتجارى لسلاجقة الروم فى حوض البحر الأسود سيما على سواحله الجنوبية والشمالية .

وكيفما كان الأمر فقد بلغ النفوذ السلجوقى فى حوض البحر الأسود ذروته زمن السلطان علاء الدين كيقباذ (٦١٦ - ٦٣٤هـ / ١٢٢٠ - ١٢٣٧م) ، وهو أعظم سلاطين سلاجقة الروم ويعتبر عهده أزهى عصور الأناضول وأكثرها عظمة(٦٦) . ولا ترجع عظمة السلطان كيقباذ وشهرته إلى الازدهار الاقتصادى والنشاط التجارى والمعمارى الذى تعهده وطوره فى دولته فحسب بل إلى الفتوحات الكبيرة التى قام بها فى مختلف اتجاهات الأناضول حتى وصفته بعض الدراسات الحديثة بـ " جستنيان السلجوقى"(٦٧). وأكثر تلك الفتوحات جرأة وأبعدها طموحًا ، الحملة البحرية الكبيرة التى أرسلها السلطان كيقباذ فيما وراء البحر الأسود لفتح مدينة سغداق (كريميا Crimea) على سواحل شبه جزيرة القرم فى أقصى شمال ذلك البحر سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م أى بعد أحد عشر عامًا من فتح سينوب . وهذا يشير إلى العمل العظيم الذى تم خلال تلك الفترة ، وهو بناء أسطول ضخم قادر على تحدى كافة القوى المطلة على ذلك البحر ونقل آلاف المقاتلين بمعداتهم وأسلحتهم ومؤنهم من الشاطئ الجنوبى للبحر الأسود إلى الشاطئ الشمالى وفتح مدينة سغداق الميناء المشهور فى شبه جزيرة القرم والمنفذ الرئيسى للروس والقفجاق على سواحل البحر الأسود وتحويله إلى مدينة إسلامية ، ومن ثمة الوصول مباشرة إلى تجارة الرقيق والفراء وغيرها مباشرة دون

وسيط والتحكم فى تلك التجارة مع كافة البلدان التى كانت تعتمد على ميناء سغداق مثل طرابيزون والقسطنطينية .

يذكر ابن البيبى سببًا لفتح سغداق وهو أن ثلاثة تجار جاءوا إلى حضرة السلطان علاء الدين كيقباذ يشكون إليه ما تعرضوا له من مصادرات ومضايقات على أيدى القفجاق وأهل سغداق ، وعلى أيدى ملك أرمينية الصغرى ، وعلى أيدى الفرنج على السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ، وأن السلطان لما سمع أنباء تلك المظالم استبد به الغضب والضيق وأمر على الفور بمساعدة أولئك التجار وخاطب كبار رجال الديوان قائلاً : " الروم إن لم تُغْزَ غزت ، إنه مثله مشهور "(٦٨) وقرر على الفور إرسال ثلاثة جيوش فى وقت واحد أحدها إلى مملكة أرمينية الصغرى فى قيليقية وآخر إلى السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ، أما الجيش الثالث - وهو الذى يهمنا هنا - فإلى شبه جزيرة القرم بواسطة أسطوله فى البحر الأسود ، لفتح ميناء سغداق . وقد ذكر ابن البيبى فى روايته أن السلطان أشار أثناء حديثه إلى أمرائه أنه لم يترك غزو تلك البلاد والأمم قبل ذلك إلا رحمة منه ، وأنهم إذ لم يقدروا تلك النعمة ، وألحقوا الضرر بالتجار السلاجقة فإنه لابد من معاقبتهم وإخضاعهم وإعادتهم إلى صوابهم(٦٩). ويرى الأستاذ عثمان توران أن من أسباب تلك الحملة أيضًا الأضرار التى حدثت لمدينة سغداق أثناء غارة المغول عليها سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م فضلاً عن محاولات روم طرابيزون الاستقرار فى هذا الميناء(٧٠) .

أمر السلطان أمير تخوم قصطمونية حسام الدين جوبان(٧١) بقيادة الحملة البحرية المتجهة إلى سغداق ، وكان حسام الدين جوبان زعيمًا للتركمان الأوج الذين اشتهروا بالبسالة وشدة المراس . وقد نقلهم الأسطول السلجوقى من سينوب صوب سغداق فى شبه جزيرة القرم ، ولما رأى أهل سغداق سفن الأسطول السلجوقى وهى تتقدم نحوهم مثل الغابة ، أرسلوا على

عجل مركبًا يحمل رسولاً إلى حسام الدين جوبان ليظهر الطاعة للسلطان ويتذلل له ، ويسأل عن سبب إرسال هذا الجيش الكثيف عبر البحر " فإذا كان قد ظهر فتور فى دفع الجزية ورسم العبور فيمكن سداد ما علينا من غرامة " وذكر رسول أهل سغداق أنه إذا كان هدف الحملة السلجوقية هو الروس وليس أهل سغداق فإنهم على استعداد للانضمام إليهم والقتال تحت لوائها(٧٢). وهذا يشير إلى سوء العلاقات بين سكان هذا الميناء الشهير والروس خلال هذه الحقبة .

وقد عرض رسول أهل سغداق على القائد السلجوقى دفع جزية سنوية مقدارها خمسين ألف دينار مقابل عودة الحملة من حيث أتت ، ولكن حسام الدين جوبان رفض هذا العرض وأصر على فتح ميناء سغداق ، وأعلن للرسول فى حضور كبار رجاله ومقدميه على ظهر سفينة القيادة أنه " ما قاد هذا الجيش لكى يقايض سوق القتال بذهب كاسد وأنه لن يسلك طريق الفشل بسبب القول الفاسد لكل رسول وقاصد ، وكل من يلوى عنقه عن أمر السلطان فسوف يجعل طوق عنقه ربـاق الخذلان وأما من أدخل رأسه فى دائرة الطاعة فلن يذوق منه إلا لذة المن والسلوى "(٧٣) ثم تلى قول الله تعالى : ﴿ أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا . وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى وسنقول من أمرنا يسرا ﴾(٧٤) . وهذا يدل أن لدى القائد حسام الدين جوبان أوامر صارمة من السلطان بوجوب فتح سغداق وضمها لسلطنة سلاجقة الروم وعدم الاكتفاء بالخضوع الشكلى ودفع الجزية . لأن السيطرة المباشرة على سغداق يعطى سلاجقة الروم هيمنة مطلقة على تجارة البحر الأسود ، ويجعل سائر القوى الأخرى فى هذا البحر مثل طرابيزون والبنادقة واللاتين فضلاً عن الروس والقفجاق تحت رحمة

السلاجقة ويجبرهم على الخضوع لنفوذهم السياسى والتجارى على سواحل هذا البحر .

وقد أرسل أهل سغداق فى الوقت نفسه رسولاً يستنجد بخان القفجاق الذى أرسل بدوره يستنجد بملك الروس ، وحشد خان القفجاق من قبائل الروس والقفجاق والترك من أهل مدينة سقسين(٧٥) نحو عشرة آلاف مقاتل لنجدة أهل سغداق الذين انتظروا الجواب الذى سيعود به رسولهم من لدن حسان الدين جوبان(٧٦) .

أرسى الأسطول السلجوقى ونزلت العساكر على اليابس بالقرب من سغداق ، وأقاموا معسكرهم وبثوا كشافتهم حوله ، وأمضى أفراد الجيش ليلة استراحوا فيها من عناء الرحلة البحرية ، وفى الفجر جاء أحد فرسان الكشافة السلجوقية ليخبر الأمير حسام الدين جوبان باقتراب جيش القفجاق وحلفائهم ، فأمر القائد حسام الدين جيشه بالتأهب لمنازلة جيش العدو ، وأمر بقرع الطبول ، وارتداء الدروع ومواجهة هجمة جيش العدو الأولى بصفوف متراصة صابرة لمعرفة طريقة قتالهم حتى كسر حدة الهجوم الأول ، فإذا عرف جيش السلاجقة أسلوب وخطة جيش العدو أمكن القيام بعد ذلك بهجوم مضاد . وقد نجحت تلك الخطة فى قتال اليوم الأول ، وتكبد جيش القفجاق وحلفائهم خسائر كبيرة وانفصل القتال عند حلول الظلام . وفى اليوم التالى عاود القفجاق الهجوم ، فباغتهم جيش السلاجقة بهجوم مضاد سريع وحصد الكثير من قوات العدو ، وحلت الهزيمة الساحقة بالقفجاق ، ومن بقى على قيد الحياة لاذ بالفرار وحاز الجيش السلجوقى غنائم وافرة(٧٧) . وقد أجبرت تلك الهزيمة خان القفجان على إرسال الهدايا وقبول التبعية للسلطنة السلجوقية ودفع خمسة آلاف دينار كفدية مع تقديم الهدايا(٧٨) .

وقد فتت تلك الهزيمة التى حلت بالقفجاق فى عضد ملك الروس الذى رأى من مصلحته عدم المجازفة بقتال القوات السلجوقية فانتخب رسولاً ذا هيبة وعقل ليحمل رسالة أرسلها إلى الأمير حسام الدين جوبان يدعو فيها بطول البقاء للسلطان علاء الدين كيقباذ ، ويذكر فيها خوفه ورعبه من جيش السلطان ويتنصل من حماقة القفجاق الذين قاتلوه ، ويعلن تبعيته للسلطان كيقباذ، ويتوسل إلى الأمير حسام الدين أن يعتبره مملوكًا للسلطان يتولى أمر بلاده من قبله ، ويطلب من الأمير حسام الدين أن يتشفع له لدى السلطان لقبول تبعيته وخضوعه . وبعث ملك الروس مع رسوله هدايا كثيرة من الخيول والفراء والجلود ، والكتان الروسى ، وعشرين ألف دينار(٧٩) .

وعندما اقترب المبعوث الروسى من معسكر الجيش السلجوقى ، ودقق النظر فى هيئة الجند وتنظيماتهم ارتاع لما رآه من الضبط والربط وحسن التنظيم ، وهمس يردد " يا رب الأرباب " ، ولما علم الأمير حسام الدين جوبان بوصول مبعوث ملك الروس أمر باستقباله بالحفاوة والإكرام ، وأن ينزل فى خيمة خاصة ، وبعد أن أقام ليلة واحدة أرسل فى طلبه ، وأمر بتزيين خيمة القيادة بكل مظاهر الأبهة التى لا يعرفها الروس ، وأن يصطف عدد من الجنود الشباب وقد لبسوا السلاح ، وأن تنتظم خيول الحراسة بالطوق واللجام بمحاذاة خيمة القيادة ، وأن تنتظم فيالق الجيش فوجًا فوجًا وهى فى كامل أسلحتها فتقف فى كل ناحية ، وقد وضعت الرماح على الأكتاف . وقد مكث المبعوث الروسى زمنًا عند باب الخيمة وقد أدهشه وأرعبه ما رآه بأم عينيه، ثم دخل إلى حضرة الأمير حسام الدين جوبان فوضع رأسه على الأرض متذللاً ، وسلم الرسالة والأموال والتحف ، فأخذها منه ووزعها فورًا على الجيش . واستبقى الرسول عنده ثلاثة أيام ، واستشار امراءه فى قبول عرض

الملك الروسى ، فأشاروا عليه بقبولـه علـى أن يعـرض الأمـر علـى السـلطان كيقباذ ، وعند ذلـك استدعى المبعـوث الروسـى وأخـبره بقبـول عـرض ملـك الروس وأذن له بالعودة إليه ، بعد أن زوده بالخلع والهدايا ، وبخلعة سـلطانية خاصة وقلنسوة سلطانية ، وسلمه رسالة للملك الروسى ، ثـم أرسـل بعـد ذلـك أموالاً وغنائم كثيرة إلى سينوب وقصطمونية(٨٠) .

وحين سمع أهل سغداق بهزيمة جيش القفجاق وحلفائهم ، ومهادنة ملـك الروس وخضوعه للسـلاجقة ، فـت ذلـك فـى أعضـادهم بيـد أن رأى الشـباب المتحمس مـن سـكان المدينـة الداعـى إلـى المقاومـة والقتـال تغلـب علـى رأى المطـالبين بالاستسـلام ، وشـرعوا فـى الاسـتعداد وتجهـيز سـائر الذخـائر والأسلحة(٨١) .

أمـا الجيـش السـلجوقى فجـاء إلـى سـغداق وحاصرهـا فلمـا ضـاق أهـل المدينة بالحصار ، اندفع شباب المدينة عبر الأبواب لقتال الجيش السـلجوقى ، وجرت اشتباكات بينهم وبين العساكر السلاجقة ، وبعد أن عـادوا حيـن حلـول الظلام وضع حسام الدين جوبان خطة قتالية لليـوم التـالى تتمثـل فـى الارتـداد والتظاهر بالهزيمة حتى يخرج أكبر عدد من المقاتلين مـن داخلِ المدينـة فـى أثر جيوشه فى حين تكون هناك كمائن فى الخلـف تطـوق المهـاجمين وتقطـع عليهم خـط الرجعـة ثـم ينعطـف الفرسـان عليهـم ويجـرى خـوض المعركـة الحاسمة . ونفذت الخطـة بإحكـام حتـى تـم اسـتدراج قـوات أهـل سـغداق إلـى خارج المدينة ، وانعطفت العساكر السـلجوقية عليهـم وأعملـت فيهـم السـيوف حتى امتلأت المناطق المحيطة بالمدينة بدمائهم وجثثهم ، وحلت بأهل سـغداق هزيمة ساحقة(٨٢) .

وعاد الجنود السـلاجقة إلـى معسـكرهم بعـد أن قتلـوا بضعـة آلاف مـن شباب سغداق فى ميدان المعركة . وأدرك كبار السـن ووجهـاء سـغداق مـدى

الحماقة التى ارتكبوها بالانسياق خلف الشباب المتحمس الذين راحوا ضحية إصرارهم على القتال ، فقرروا التذلل للجيش السلجوقى ، وأرسلوا سفارة مكونة من عدة أشخاص عرفوا بالخبرة وطول التجربة إلى قائد الجيش السلجوقى حسام الدين جوبان ، فلما أذن لهم بمقابلته قبلوا الأرض تذللاً وخضوعًا ، وتقدموا إليه بالتأسف على ما حدث ، واعتبروا ما حدث من مواجهة مع القوات السلجوقية ضربًا من ضعف الرأى وفساد التصور ، وأنه كان يجب عليهم الخضوع والاستسلام منذ البداية ، وطلبوا قبول عذرهم وخضوعهم له ، وحثوه على العفو عنهم ، والاقتداء بأمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى قال : " إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للقدرة عليه "(٨٣) . وأظهر أعضاء السفارة استعداد أهل سغداق للخضوع المطلق للسلاجقة وتأدية كل ما يلزمونهم به من خراج ، ودفع كل ما يفرضونه عليهم من جزية ، وأن يتحلموا دفع كل أموال التجار السلاجقة الذين اشتكوا للسلطان وفقدوا أموالهم فى ساحل سغداق ، وأعلنوا قبولهم للخضوع للحاكم الذى يعينه على مدينتهم وخدمته بإخلاص وصدق نية ، وإخلاص طوية . وبعد أن استمع حسام الدين جوبان لحديث سفراء أهل سغداق ، أجاب بأن ما حدث من قتال كان سببه تهور شباب أهل سغداق الذين أصروا على القتال فراحوا ضحية رأيهم الطائش ، وأخبرهم أنه لن يبت فى طلبهم إلا بعد رفع الأمر للسلطان كيقباذ ، وطلب منهم الانتظار حتى يأتى جوابه ، ووعدهم بالتشفع لدى السلطان ليقبل خضوعهم ويمن عليهم بالعفو(٨٤) .

عاد أعضاء الوفد إلى المدينة وأخبروا أهلها بما جرى بينهم وبين قائد الجيش السلجوقى ، ومكثوا طوال الليل يجمعون الهدايا ، حتى اجتمعت منها خزانة ضخمة من الخيول ، والرقيق ، والتحف ، والفراء ، والمنسوجات ، وغير ذلك لتقديمها لقائد الجيش السلجوقى . وأمر حسام الدين جوبان عساكره

بلبس السلاح لاستقبال أعيان سغداق ، وجلس فى خيمتـه مـع كبـار قادتـه فـى انتظارهم ، لكن ما أن فتحت الأبواب حتى اندفع أهل سـغداق كبـارًا وصغـارًا واختلطوا بالجنود وقدموا لهـم الهدايـا والأمـوال التـى حملوهـا ، فـامر الأمـير حسـام الدين جوبـان علـى الفـور بتجهيز سـفينة سـريعة لكـى تنقـل " أخمـاس الخـاص السلطانى " مـع الهدايـا الأخـرى فـى صحبـة رسـول ليبشـر السـلطان بالفتح(٨٥) . فلما وصـل الرسول إلى السلطان كيقباذ وبشره بفتح لؤلؤة القـرم " سـغداق " وهزيمـة القفجـاق وخضـوعهم ، ومهادنـة ملـك الـروس ، أظهـر السلطان الفرح والسعادة ، فأمر بإطلاق سراح المسجونين ، وأمر التاجر الذى تعرض للمصادرة فى سغداق بالعودة مع الرسول لتسلم أمواله ، كما بعث مـع الرسول شكره لقائده حسام الدين جوبان وسائر الجنود الذين ساهموا فـى ذلـك الفتح الجليل ، كما بعث بالخلع السلطانية ، للقائد وسائر القادة الذيـن معـه من خزانة ثياب السلطنة . وأظهر السلطان قبول شفاعة حسـام الديـن جوبـان فـى أهل سغداق ، وقبول خضوعهم للسلطنة ، ولكنه اشترط على أهـل سـغداق أن يحـل المحـراب والمنبر وشـريعة المصطفـى محمـد ﷺ شـعارًا وقانونًـا محـل الوثن والناقوس ، وأن يعيدوا كل ما فقده التـاجر السـلجوقى فـى تلـك البـلاد . ولما وصل أمر السلطان وقـرئ علـى رؤوس الاشـهاد فـى سـغداق ، عـوض التاجر عن كل درهم فقده بدينار . ثم أقام الجيش عرضًا عسكريًا فى سـغداق، وأقيم أثناء العرض منبر ووضع المصحف فوق طبـق ذهبـى ، فحملـه الأمـير حسام الدين جوبان على رأسه ، وأخذ راية السلطان بيده ودخل وسـط المدينـة بكل أبهة وجـلال ، وأذن المـؤذن فـى مكـان عـال ، وجـرى تحطيـم النـاقوس المعمول به عند النصارى ، وأقيمت شعائر الإسلام . واشترك الجنود فى بناء مسجد جامع وأتموه فى مدة وجيزة ، ثم عين الأمير مؤذنًا وقاضيًـا وخطيبًـا ، وأخذ من أبناء كبار أعيان سغداق رهائن لضمان ولائهم ثـم انتخـب أحـد قـادة

الجيش مع فرقة عسكرية لحماية سغداق ، وجهز سفنه وعاد بجيشه عبر البحر الأسود إلى حضرة السلطان ، وذلك سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م(٨٦) .

لقد اعتد السلطان علاء الدين كيقباذ بهذا الفتح الجليل وتلقب عقب ذلك بلقب سلطان البحرين والبرين(٨٧) ، والمقصود بالبرين بر آسيا الصغرى وبر القرم شمال البحر الأسود ، أما المقصود بالبحرين فهما البحر المتوسط والبحر الأسود .

إن قصة هذه الحملة على سغداق ، تظهر لنا - من ناحية - التفوق البحرى للسلاجقة فى مياه لبحر الأسود ، بحيث لم يعد هناك قوة بحرية يمكن أن تهدد الأسطول السلجوقى وتحول بينه وبين نقل جيش كبير بكامل عدته وعتاده إلى الساحل الشمالى لهذا البحر . وتظهر - من ناحية أخرى - الخبرات العسكرية التى اكتسبتها الجيوش السلجوقية فى صراعاتها العديدة مع البيزنطيين والأرمن والفرنج وغيرهم من القوى ، بحيث لم تتمكن قوات الروس والقفجاق وأهل سغداق من مضارعة تلك الخبرات العسكرية وبدت خططهم وطريقة قتالهم بدائية وساذجة أمام جيش السلاجقة فحلت بهم الهزيمة ولم يعد لهم مناص من الخضوع والتبعية .

وقد دام حكم السلاجقة المباشر لسغداق زهاء خمسة عشر عامًا حتى سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م ، حين غزا المغول تلك المناطق مرة أخرى(٨٨) . على أن أثر فتح السلاجقة لسغداق لم ينته بغزو المغول فقد ظلت مدينة إسلامية بعد الاجتياح المغولى إذ يذكر أبو الفدا الذى تحدث عنها بعد نحو قرن من فتحها بأن أهلها مسلمون(٨٩) . وهذا يدل على أهمية تلك الحملة البحرية التى أدخلت هذه المدينة إلى دائرة الإسلام .

وهكذا بلغ نفوذ سلاجقة الروم فى حوض البحر الأسود قمته سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م زمن السلطان علاء الدين كيقباذ ، حيث أصبح السلاجقة

يسيطرون على أجزاء واسعة من السواحل الجنوبية لهذا البحر بالإضافة إلى ميناء سغداق على شبه جزيرة القرم ، وإذا تأملنا القوى الأخرى المطلة على البحر الأسود لا نجدها تتمتع بمثل هذا النفوذ ، فالبنادقة أصحاب النفوذ القوى فى القسطنطينية كان اعتمادهم على المتاجرة مع السلاجقة على سواحل هذا البحر ، حيث قد جرى عقد اتفاقات تجارية بين الجانبين(٩٠) . كما أن طرابيزون وإمبراطورية نيقيه كانتا تدفعان الجزية لدولة السلاجقة ، كما أشرنا آنفا ، الأمر الذى أدى إلى ازدهار التجارة السلجوقية وتدفق الثروات على سلطنة سلاجقة الروم . ويبدو أن سيطرة السلاجقة على سغداق عاد بأسوأ الضرر على تجارة طرابيزون(٩١) وحرمها من المتاجرة المباشرة مع الروس والقفجاق إلا بواسطة التجار السلاجقة أو الخضوع للرسوم التى يحتمل أن السلاجقة فرضوها على تجارتها عبر ميناء سغداق .

الهوامش

(1) Turan : Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks in Cambridge History of Islam, Vol. IA Camb. 1980 PP.231- 235.

(2) Vryonis , Jr, Speros : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and Process of Islamization From the Eleventh through the Fifteen Century. London 1971 .p .160

(3) Anna Comnena : The Alexiad, tr E.R.A.Sewter, London ,1969.p.237.

(4) Turan , Osman : Selcuklular Zamaninda Turkiye , Istanbula , 1996 p. 125; Irene, Melikoff : La Gesta de Melik Danismend, Tom I .Paris, 1960.p. 108; Casanova, p: La Numismatigue des Denichmendites. Revue Numismatigue 1894 - 1896 , Tirge apart Paris .1896.p.27.

(5) Anna Comnena :The Alexiad , p.625; Turan Anatolia in the period of Seljuks and Beyliks.p.237.

(6) Turan : Anatolia in the period of Siljuks and Beyliks , p.237.

(7) Vryonis : op .cit.p.161 - 162.

(8) Turan: Anatolia in the period of Siljuks and Beyliks,p.239.

(9) Michel le Syrien : Extrait de la Chronigues, traduit en Francais par Chabot, Paris, 1905 .Vol , 3 , p . 230; Cinnamus , John : Epitome Historiarum , C.S . H . B .Bonn , 1836 pp. 14 - 15'51 , Nicetas , Choniates : A Comineatus Historia , C. C H . B Bonn, 1835 pp. 27- 28 , Chalandon , Ferdinand : Les Comnene II Jean II Comnene (1118 1143) et Manuel I Comnene (1143 - 1180) Paris , 1900 - 1912 .p 81 .

(10) Cinnamus op . cit . p. 15 ; Choniates : op cit . pp. 28 - 29 ; Michel Le Syrien : op.cit. p.233

أبو الفرج ابن العبرى : تاريخ الزمان ص ١٤٥

(11) Cinnamus : op.cit.p.20 ; Michel Le Syrien : op. cit. Vol. 3 p. 234; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 172 .

(12) Cinnamus : op.cit.p.20 ; Vryonis : op. cit. p. 119; Ostrogorsky, George : History of the Byzantine State, translated by Joan Hussey, Oxford, 1968.

(١٣) ابن العبرى : تاريخ الزمان ص١٥٤ وانظر أيضًا :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 176.

(14) Cinnamus : op. cit. pp. 24 - 27; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 176 - 177 ; Cahen, Claude : Pre Ottoman Turkey, translated From the Franch by J. Jonis William. London, 1968. p. 96.

(15) Cinnamus: op. cit. pp. 135; Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 200 - 201.

(١٦) عن معركة ميريوكيفالون . انظر : مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول ١٤٠٩هـ ص ١٢١ - ١٥٠ .

(17) Turan: Anatolia in the Period of Seljuks and Beyliks, p. 243.

(18) Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 216 - 217.

(19) Choniates: op. cit. o.540.

(20) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 117.

(21) Choniates: op. cit. pp. 540 - 541 ; Finaly, G. . History of the Byzantine and Greek empires, London, 1952. pp. 273 - 275 ; Osman, Turan: Selcuklular resme Vesikalar. Ankara, 1958. pp. 122 123; Savvides, G. C. Alexis : Byzantium in the near East : its relations with the Seljuk Sultanate of Rum in Asia Minor, the Armenians of Cilicia and Mongols. A. D. C. 1192 - 1237; Kentpon, Byzantinon Epeynon AAONIKH 1891., p. 85.

(22) Villehardouin, Geoffrey: La Conqueste de Constantinople par les Barons Francais associez que Venitians L'an 1204. Translated by Sir Marzials. London. 1965. pp. 85 - 86; Savvides: op. cit. p. 53.

(٢٣) انظر ابن بيبى : الأوامر العلائية ص١٤٧ : مختصر سلجوقنامه ص٥٦ ؛ منجم باشى المولوى : صحائف الأخبار ورقة ٥٧٥ ب .

(24) Savvides: op. cit. pp. 60, 66 - 68; Angold: A Byzantine Governement in Exule, 1204 - 1261, Oxford, 1975; Ostrogorsky, George: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussy, Oxford, 1968; The Cambridge Medieval History, Vol. IV, the Byzantine Empire, part I, Byzantium and its neighbours, Cambridge Univeraity Press 1979.

(25) Savvides: op. cit. p. 68 ; Ostrogorsky: op. cit. p. 426.

(٢٦) عن وصول كيخسرو إلى العرش مرة ثانية انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp. 268 - 278.

(٢٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ص٢٤٢ .

(28) Turan: Antaolia in the period of Seljuks and Beyliks, p. 245.

(29) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(30) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(31) Cahen: Le Commerce Anatolien, p. 91.

(32) Niktas Chonites : op. cit. pp. 664 - 665 ; Savvides : op. cit. pp. 86 - 89; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp283 - 284 ; Cahen : Le Syrie du Nord, p. 626; Sayr, I. M. : The Empire of Salcuqids of Asia Minor, Journal of Near Eastern Studies, Vol. 10 - 11 (1951 - 1952) pp. 268 - 280, p. 270.

(33) George Acopolita: Opera. Ed. Heisenberg, Leipzig 1903, p.17; Wittek, P. The Rise of the Ottoman Empire. London, 1938. pp. 16 - 31.

(34) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 303.

(35) Ibid.

(٣٦) ابن البيبى : الأوامر العلائية ص١٤٦ – ١٤٧ ؛ منجم باشى المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٥ أ ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٥ . والملاحظ على هذه المصادر أنها تطلق اسم جانيت على طرابيزون ، كما تطلق لقب التكفور على صاحب طرابيزون . ويذكر حسن الباشا أن لقب تكفور كان يطلق على متملك سيس فى عصر سلاطين المماليك . الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ص٢٣٣ . وقد ذكر أنطون صالح اليسوعى فى تعليقه على كلمة تكفور ، أنها لفظة أرمنية تعنى ملك ، انظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالح اليسوعى ص٤٤٨ حاشية رقم (٢) . ونجد هذه المصادر المختصة بسلاجقة الروم تطلقه على صاحب سيس – ملك الأرمن – وعلى إمبراطور طرابيزون على حد سواء ، فتقول : تكفور جانيت لصاحب طرابيزون – وتقول تكفور الأرمن لملك أرمينية الصغرى انظر ، على سبيل المثال : ابن البيبى ص١١٤ – ١١٩ ، ١٦٢ ؛ منجم باشى المولوى ؛ صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٤ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٥٠ – ٥٣.

(٣٧) ابن البيبى : الأومر العلائية ص١٤٧ – ١٤٨ ؛ منجم باشى المولوى : صحائف الأخبار ورقم ٥٧٥ أ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٥ – ٦٦ ؛
Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 303.

(٣٨) ابن البيبى : ص١٤٨ - ١٤٩ ؛ منجم باشى : ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٦ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye pp.303 - 304 ; Ali Sevim, Yasar Yucel : Turkiye Tarihi, Fetih, Selcuklu ve Beylikler Danemi Turk Tarih Kurumu Yayilari - Ankara 1989. p. 150 ; Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 413 .

(٣٩) ابن البيبى : ص١٤٩ - ١٥٠ ؛ وانظر أيضًا : منجم باشى ، ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٧ - ٦٨ .

(٤٠) ابن البيبى : ص١٥٠ - ١٥١ ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٨

(41) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 304; Ali Sevim : op. cit . p. 150.

(٤٢) ابن البيبى : ص١٥١ ؛ منجم باشى ، ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٨

(٤٣) ابن البيبى : ص١٥١ - ١٥٢ ؛ منجم باشى ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٨ ، والسنجق : لفظ تركى كان يطلق أصلاً على الرمح ثم أطلق على الراية التى تربط به ، وكانت السناجق تحمل فى مراكب السلطان . انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ ص٨ ، جـ٥ ص٤٥٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٣ ص٢٥ حاشية رقم (١) .

(٤٤) ابن البيبى : ص١٥٢ ؛ مختصر سلجوقنامة ص٦٩ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye p. 304.

(٤٥) ابن البيبى : ص١٦٣ ، وانظر أيضًا مختصر سلجوقنامه ص٦٩ الذى ذكر أن المبلغ الذى يتعين دفعة ١٠٠٠٠ دينار ذهب ، والمعروف أن صاحب هذا المختصر ينقل عن ابن البيبى ، وانظر أيضًا :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 304.

(٤٦) الغاشية هى سرج من أديم مخرزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، كانت تحمل بين يدى السلطان عند ركوبه فى المواكب والاحتفالات والأعياد ، يحملها أحد الركاب دارية رافعًا بها يديه ويلفتها يمينًا وشمالاً .

انظر : القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ ص٧ ، ١٢ ، والركاب دارية هم الموكلون بحمل الغاشية بين يدى السلطان فى تلك المناسبات ، صبح الأعشى جـ٤ ص٧، ١٢.

(٤٧) ابن البيبى : ص١٥٣ – ١٥٤ ؛ منجم باشى : ورقة ٥٧٥ ب ؛ مختصر سلجوقنامه ص٦٩ – ٧٠ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305.

وقد أشارت بعض المصادر العربية باختصار إلى قصة وقوع التكفور فى قبضة السلطان وتسليمه للسلطان بلاد لم يدخلها المسلمون من قبل أبدًا ولكنها أخطأت فى اسم التكفور فظنته لاسكاريس صاحب نيقية . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ١ ص٢٢٥ ؛ أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص١١٦ ؛ ابن الوردى جـ٢ ص١٩٧ .

(48) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305.

نقلاً عن :

Vincent de Beauvais, Miroir Historiale, Terc. J. de. Vigny, Paris 1531, bahis CXLIV.

(٤٩) ابن البيبى: ص١٥٤ك منجم باشى المولوى: ورقة ٥٧٥ ب؛مختصر سلجوقنامة ص٧٠؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 305; Ali Sevim : op. cit p. 150.

(٥٠) أما أولئك الأمراء والرجال الذين أسهموا فى بناء أسوار قلعة سينوب فهم : زين الدين بشار صاحب ولاية نكيدة ، وأبو بكر بديع الدين بن قايماز صاحب سيمرة ، وحسام الدين يوسف أمير ملطية وكبار رجالها ، ورئيس شرطة قيصرية بهاء الدين قوتلوغجه ، والأمير عماد الدين أياز ، وجلال الدين قيصر ، وسراج الدين عمر ، وحاكم سيواس مبارز الدين بهرام شاه بن قايماز ، وأمير أماسية مبارز الدين عبد الله بن على ، وصاحب خوناس ومنطقتها أسد الدين أياز ، وصاحب هرقلة شجاع الدين أحمد بك ، وصاحب قيرشهر وأق سراى سيف الدين إل دينز . وباستثناء ما هومؤرخ فى سنة ٦١٥هـ فإنهم قد أنهوا هذه الانشاءات فى ربيع الأول وربيع الآخر عام ٦١٢هـ الموافق يوليه ١٢١٥ هـ وقد سجلت الكتابات اسم المعمارى مسعود بن ارتق القيصرى ، والمعمارى سيواستوس ، والخطاط نجم الدين يواش القيصرى .

نسبت إلى كيقباذ بسبب شهرته الواسعة وجهوده الكبيرة فى الإعمار . وإذا عرفنا أن عز الدين كيكاوس قد فتح سينوب وبنى بها مسجدًا فمن الممكن أن يكون هذا المسجد من انشائه رغم أنه ينسب إلى كيقباذ ، ويدل على ذلك المدرسة التى بناها كيكاوس والتى تحمل كتابة مكسورة ومهشمة وضاع منها التاريخ وبقت منها عبارة (أبو الفتح عز الدين) انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 306; Combe (Et.) Sauvaget (J.) Wiet (G.) : Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, 15 vols, Le Caire, 1931. vol 10, 3760 - 3774; Ulkutasir, Sinop'ta Selcukliere aid tarihi eserler, Tarih ve Arkeologye,dergisi V, pp. 120 - 131, 142.

(51) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 123.

(52) Ali Sevim : op. cit. p. 150; Repertoir, vol. 10. 3761.

(53) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 299.

(54) Ibid. p. 307.

(55) Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 122.

(56) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 94.

(57) Ibid.

(58) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 361.

(59) Turan : Anatolia in the Period of the Seljuks and Beyliks, p.246.

(٦٠) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ص١٩٥ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 339, Cahen : Pre Ottoman Turkey, p. 158.

(٦١) سغداق (أو صوداق) مدينة فى ذيل جبل وأرضها محجر وهى مسورة على شط بحر القرم وهى فرضة للتجار يقابلها من الجنوب ميناء سامسون وأهلها أخلاط من الأمم والأديان بسبب أهميتها التجارية . انظر ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ص٢٠٣ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢١٤ - ٢١٥ .

(٦٢) ابن الأثير : الكامل جـ١٢ ص٣٨٦ .

(٦٣) نفسه ص٣٨٨ .

(٦٤) نفسه ص٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ وانظر أيضًا الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، الطبعة الثانية والستون ٦١١ - ٦٢٠ هـ ص٤٤ - ٤٥ .

(٦٥) البرطاسى : نوع من الفراء يجلب من مدينة برطاس إلى الشمال من بحر قزوين والبحر الأسود ، يقول عنهم ياقوت الحموى : إنهم متاخمون للخزر ولأهل برطاس لغة ليست بتركية ولا خزرية . معجم البلدان مادة برطاس .

(66) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 325.

(67) Sauvides : op. cit. p. 152.

(٦٨) ابن البيبى ، ص ٣٠٠ - ٣٠٣ . وانظر أيضًا : مختصر سلجوقنامه ص١٥٥ - ١٥٦ ؛ منجم باشى المولوى : ورقة ٥٧٩أ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٦٩) ابن البيبى ، ص٣٠٣ - ٣٠٤ .

(70) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧١) اكتسب حسام جوبان مكانة عالية فى خدمة دولة سلاجقة الروم ، وكان مشهورًا بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده ، وقد اكتسب الاحترام فى كل أرجاء الدولة بسبب رعايته للعلماء والشعراء والأبطال ، وكان يشترى المماليك القفجاق القادمين من الشمال بالإضافة إلى جنوده التركمان يرعاهم ويعلمهم ثم يرسلهم للغزو ، ونظرًا لإخلاصه فى الخدمة ظل أولاده من بعده يلون أمر قصطمونية ويحافظون عليها . انظر :

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧٢) ابن البيبى ، ص٣١٠ - ٣١١ ؛ مختصر سلجوقنامه ، ص١٥٦ - ١٥٨ .

(٧٣) ابن البيبى ، ص٣١١ - ٣١٢ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٥٨ - ١٥٩ .

(٧٤) الكهف : آية ٨٧ - ٨٨ .

(٧٥) ذكر القزوينى أن سقسين بلدة من بلاد الخزر عظيمة آهلة ، ذات أنهار وأشجار وخيرات كثيرة ، ذكروا أن أهلها أربعون قبيلة من الغز : آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٩٩ .

(٧٦) ابن البيبى ص٣١٣ - ٣١٤ ؛ مختصر سلجوقنامه ، ص١٥٨ ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧٧) ابن البيبى ، ص٣١٤ - ٣١٩ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٥٩ - ١٦١ .

(78) Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٧٩) ابن البيبى ، ص٣١٩ - ٣٢٠ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٢ ؛ منجم باشى ، ورقة ٥٧٩ ب ؛

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٨٠) ابن البيبى ، ص ٣٢٠ - ٣٢٣ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٢ - ١٦٤ .

(٨١) ابن البيبى ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٥ ؛ منجم باشى المولوى ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٨٢) ابن البيبى ، ص٣٢٤ - ٣٢٦ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٥ - ١٦٦ ؛ منجم باشى ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٨٣) ابن البيبى ، ص٣٢٦ - ٣٢٨ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٦ - ١٦٧ .

(٨٤) ابن البيبى ، ص٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٧

(٨٥) ابن البيبى ، ص٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٧ - ١٦٨

(٨٦) ابن البيبى ، ص٣٣٠ - ٣٣٣ ؛ مختصر سلجوقنامه ص١٦٧ - ١٦٨ ، منجم باشى ، ورقة ٥٧٩ ب .

Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 359.

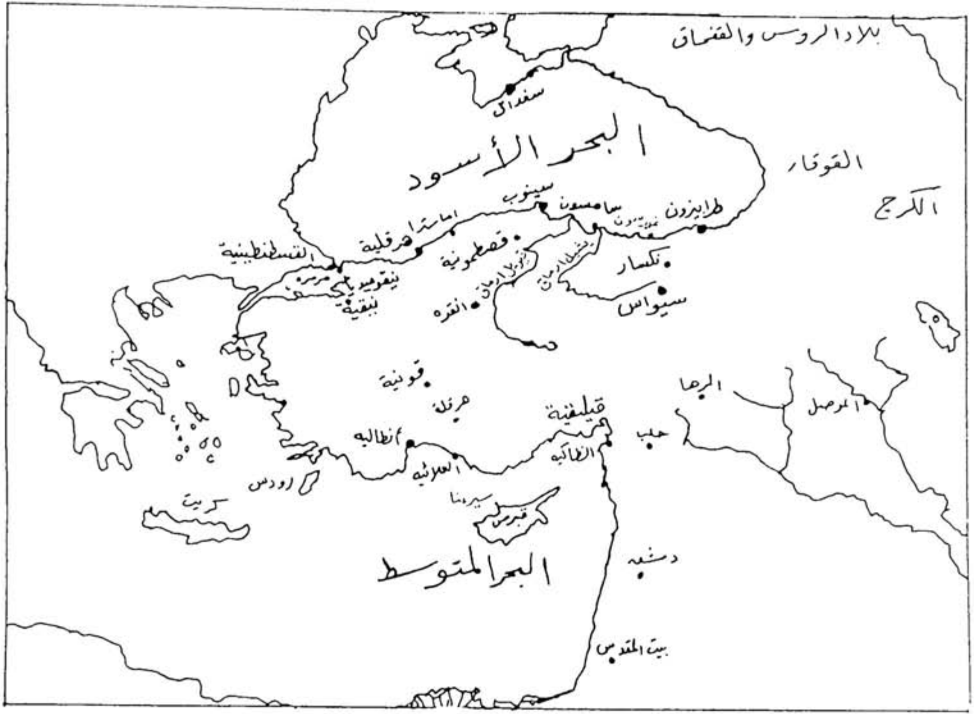
(87) Repertoire, vol. 10, 4130.

(88) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 95; Turan : Selcuklular Zamaninda Turkiye, p. 358.

(٨٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢١٤ - ٢١٥ .

(90) Cahen : Le Commerce Anatolien, p. 96.

(91) Ibid, p. 95.



خريطة تبين النفوذ السلجوقي في حوض البحر الأسود في اوائل القرن ٧هـ/١٣م

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م عن طبعة ليدن ١٨٥١ - ١٨٧٦م .

- ابن البيبى (الحسين بن محمد بن على المنشئ الجعفرى ، ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) : كتاب الأوامر العلائية فى الأمور العلائية ، أنقرة ١٩٥٦م .

- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨م.

- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبعة الثانية والستون ، تحقيق بشار عواد معروف ، شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدى عباس ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى المغربى ، ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠م .

- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ) :

١ - المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢ - تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠م .

- القلقشندى (أبو العباس بن على ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءًا ، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

- مختصر سلجوقنامة ، من مؤلفات القرن السابع الهجرى ، لمؤلف مجهول ، ترجم له من الفارسية وقدم له وحرر حواشيه محمد السيد جمال الدين ، الدوحة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

- منجم باشى المولوى (أحمد بن لطف الله المولوى الشهير باسم منجم باشى ، كان حيًا سنة ١١١٦هـ) : صحائف الأخبار فى وقائع الأعصار ، مخطوط ، مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ١٢٥٤/١ .

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ٣ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

- ابن الوردى (زين الدين عمر بن المظفر بن أبى الفوارس ، ت ٧٤٩ هـ): تتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠ م .

ثانيًا : المصادر والمراجع الأجنبية :

- **Acropolita, George :** Opera. Ed. Heisenberg, Leipzig, 1903.

- **Ali, Sevim, Yasar, Yacel :** TurKiye Tarihi, Fetih, Selcuklu ve Beylikler Donemi Turk Tarih Kurumu Yayinlari Ankara, 1989. pp. 130 - 165.

- **Angold :** A Byzantine Government in Exile, 1204 - 1261, Oxford, 1975.

- **Anna Comnena :** The Alexiad of Anna Comnena, translated by E. R. A. Sewter, London, 1969.

- **Cahen, Claud :** 1. Pre Ottoman Turkey, translated from Franch by J. Jonis William, London, 1968.

  2. Le Commerce àL'epoque Au Debut du XIII Siecle Au Turcobyzantina et Oriens Christianus, London, 1974

3. La Syrie du Nord à L'Epoque des Croisades, Paris, 1940.

- **Combe (Et.),Sauvaget (J.), Wiet (G.) :** Repertoire Chronlogique d'Epigraphie Arabe, 15 Vols, Le Caire, 1931.

- The Cambridge Medieval history, vol IV, Byzantine Empire, Part I, Byzantium and its Neighbours, Cambridge University Press, 1979.

- **Casanova. P :** La Numismatique des Danichmendites, Revue.

Numismaitque 1894 - 1896, Tirage apart, Paris, 1896.

- **Chalandon, Ferdinand :** Les Commene II Jean II Comnene (1118 - 1143) et Manuel I Comnene (1143 - 1180) Paris, 1900 - 1912.

Cinnamus, John : Epitome Historiarum, C. S. H. B. Bonn, 1836.

- **Finy, G :** History of the Byzantine and Greek empires, London, 1952.
- **Irene, Melkoff :** La Gesta de Melik Danismend, Tom I. Paris, 1960.
- **Michel Le Syrien :** Extrait de La Chronigues, Trduite en Francais Par Chobot, Vols 4, Paris, 1905.
- **Nicetas, Choniates :** Acominetus Historia, C. C. H. B. Bonn, 1835.
- **Ostrogorsky, George :** History of The Byzantine State, translated by Joan Hussy, Oxford, 1968.
- **Savvides, G. C. Alexis :** Byzantium in the Near East : its Relations with the Seljuk Sultanate of Rum in Asia Minor, the Armenians of Cilicia and the Mongols, A. D. C. 1192 - 1237 Kentpon Byantinon Epeynon OEEEAAONIKH 1981.
- **Sayr. I. M. :** The Empire of the Salguqids of Asia Minor, Journal of the Near Eastern Studies, Vols, 10-11 (1951 - 1952) PP. 268 - 280.
- **Turan, Osman :** 1- Anatolia in the Period of Seljuks and Beyliks in Cambridge History of Islam, Vol. IA, Cambridge, 1980.

2. Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1996.
3. Turkiye Selcuklular resme Veskalar, Ankara, 1958.

- **Vasiliev, A. A. :** History of the Byzantine Empire, 324 - 1453, 2 Vols, Madison, 1976, 1978.
- **Villehardouin, Geoffery :** La Conqeste de Constantinople Par Les Barons Francais Associezque Venitians L'an 1204, translated by Sir Marzials, London, 1965.
- **Vryonis, Jr, Speros :** The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and process of Islamization From the Eleventh through the fifteenth Century. London, 1971.
- Ulkutasir, Sinop'ta Selcukilere aid tarihi eserler, Tarih ve Arkeologye dergisi, v, pp. 120 - 131, 142.
- **Wittek, P.:** The Rise of the Ottoman Empire, London, 1938.

المرحلة الأولى من مراحل استرداد السودان

معــركة دنقلة (١٣١٤ هـ / ١٨٦٩م)

د/ عمـر سـالم عمـر بابكـور

كلية الشريعة - جامعة أم القرى

قامت الثورة المهدية بهدف القضاء على الحكم الأجنبى فى السودان - وكان مقتل غوردن (Gordon) فى عام ١٣٠٣ هـ الموافق ٢٦ يناير ١٨٨٥ الموافق ١٣٠٣م واستيلاء الثوار على الخرطوم(١) بمثابة القضاء على الإدارة المصرية الخالصة فى السودان - وبذلـك فتح المجـال أمـام بريطانيـا لتحقيق أهدافها التى رسمت بدقة عندما تهيأت الظـروف الدوليـة المناسبة لهـا . ولمـا كانت مصلحة بريطانيا - التى كانت تحتل مصر عام ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م قد قضت عليها بعدم التدخل فى مسألة السودان لذلك أمرت مصر بالانسـحاب من السودان بحجة عجزهـا ماليـًا وحربيـًا عن مقاومـة تيـار الثـورة المهديـة الجارف(٢) . وعندما تقلص النفوذ المصـرى عن السـودان أصـرت بريطانيـا أيضـًا على أن يتقلص هذا النفوذ عن مصوع وزيلع وبربره وهرر مع أن هذه كلها نقط بعيدة لم تستطع الثورة المهدية الوصول إليها(٣) وبذلـك فتـح المجـال بين الأعوام ١٣٠٠هـ - ١٣١٠ هـ ، ١٨٨٢ - ١٨٩٢م أمام الدول الأوربيـة الاستعمارية لاقتسام أملاك مصر السابقة فى السودان ، وهـى تلـك الأراضـى التى عجزت حكومة الخليفة عبد الله التعايشى عن المحافظة عليها وكانت هذه الدول هـى بريطانيـا وإيطاليـا وفرنسـا والحبشـة - فقد أسـس الإيطـاليون فـى السـودان الشـرقى وسـاحل البحـر الأحمـر مستعمرة إريتريـا وعلــى السـاحل الأفريقى المطل على المحيط الهندى مستعمرة الصومال الإيطالى ، واسـتولت

الحبشة على هرر وأنشا الفرنسيون عند باب المندب مستعمرة الصومال الفرنسى وأخذوا يتوغلون فى إقليم بحر الغزال من جهة الغرب بينما أنشأ البريطانيون مستعمرة الصومال البريطانى التى تطل على خليج عدن(٤) واستطاعت بريطانيا أن تضم أجزاء من مديرية خط الاستواء مثل (أونيورو Unyoro) وغيرها إلى محمية أوغندا التى أقامتها بموجب معاهدة عام ١٣١١هـ الموافق ٢٩ مايو ١٨٩٣(٥) وتمكن (اليوبولد الثانى Leopold II) ملك بلجيكا من تعديل حدود ولاية الكنغو الحرة بعد عقد اتفاق مع بريطانيا وضم منطقة كبيرة من بحر الغزال تقع بن خطى ٣٠ ، ٢٥ درجة شرقاً وخطى عرض ١٠، ٤ درجة شمالاً وتمكن من استئجار (حاجز لادو Lado Enctave) وتقدر هذه المساحة بحوالى ١٢٠,٠٠٠ كليو متر مربع فى أقصى الجنوب الغربى من السودان(٦) .

ومنذ عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ رأت بريطانيا أن مصالحها فى أفريقيا قد أصبحت مهددة وخاصة بعد أن ظهرت مطامع فرنسا الاستعمارية فى جنوب السودان وبدأت فى تجهيزحملة للزحف إلى هناك بقيادة مارشان Marchand على رأس كتائب من السنغاليين لرفع علم فرنسا على كل منطقة يمر عليها(٧) .

ولقد ظلت سياسة بريطانيا خلال انتهاجها خطة الدفاع ضد الثورة المهدية تشمل الدفاع عن حدود مصر الجنوبية والدفاع عن سواكن فى الحدود الشرقية وتأمين هذه الجهات(٨) .

وعندما قررت بريطانيا انتهاج خطة الهجوم وتبنى سياسة استرجاع السودان كان هناك من الظروف الدولية والعوامل الداخلية فى كل من مصر والسودان ما يمهد لها النجاح فى ذلك وعلى ذلك يمكن اعتبار معركة

(توشكى) عام ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م بداية للمرحلة التى تجمعت فيها الأسباب التى ساعدت الحكومة البريطانية على التفكير بصورة جدية فى استرجاع دنقلة أولاً ثم استرجاع باقى السودان(٩) بعد أن كان (افلين بارنج Sir E.Baring) الذى أصبح فيما بعد (اللورد كرومر Lord of cromer يقول : (إن هناك صعوبات كثيرة تحول دون استرجاع السودان أهمها أن المالية المصرية عاجزة عن تحمل نفقات الفتح وأنه من المتعذر إيجاد العدد الكافى من الموظفين المصريين المدربين للقيام بأعباء الحكم والإدارة فى السودان عند استرجاعه وأنه من المتعذر استخدام موظفين بريطانيين فى هذه البلاد(١٠) ولعل نظرة الحكومة البريطانية نحو سياستها وموقفها من احتلال مصر كان من بين هذه العوامل ، فقد كانت بريطانيا تنظر إلى مسألة الاحتلال على أنها إجراء مؤقت ولكنها فى ذلك الوقت صارت تنظر إلى مسألة الاحتلال كإجراء مستديم أو على الأقل كإجراء سوف يطول أمده كثيرًا عن المدة التى كانت مقدرة له ، ولا يسعها فى ذلك الوقت أن تترك السودان بين أيدى حكومة ضعيفة لا تلبث أن تغير عليها الدول الطامعة فى السودان فى عصر التسابق على اقتسام أفريقيا ، ففى الشرق إيطاليا ، وفى الغرب فرنسا وبلجيكا ، كما كانت بريطانيا ترفض فكرة ترك السودان بين أيدى حكومة قوية معارضة تهدد سلامتها وأمنها واقتصادها بأن تتحكم فى مياه النيل ويكون قدرتها - أكثر من حكومة الخليفة عبد الله التعايشى - السيطرة على توزيع مياه النهر بالطرق الفنية والهندسية المجهولة للدولة المهدية(١١) .

ولما كانت بريطانيا تعتبر نفسها مسئولة عن إخلاء السودان وما نجم عن تنفيذ هذه الخطة من مقتل غوردون وضياع السودان ولذلك قررت أن تقوم باسترجاع هذه البلاد لتلك العوامل المختلفة وللانتقام لمقتل الجنرال غوردون(١٢) .

وكان أيضـًا من بين هذه العوامل مطالبة فريق من السودانيين للحكومـة المصرية بالعمل على إنقاذ البلاد من طغيان الخليفة عبد اللـه التعايشـى . فقد أرسل (بارنج) إلى رئيس الوزارة البريطانيـة فـى عـام ١٣٠٥هـ الموافـق ٤فبرايرعام ١٨٨٧م ترجمة (عريضة) من أخ لألياس باشا أمـير الجعلـى - وكان الياس باشا قد انضم إلى المهدى واستحثه علـى فتـح الأبيـض - يطلـب فيه بإلحاح مساعدة الحكومـة المصريـة فـى إعـادة النظـام القديـم وكـانت هـذه العريضة تحمل توقيعات عدة مشايخ وبعض أعيان كردفان كما أن صالح بـك زعيم الكبابيش أبـدى اسـتعداد القبـائل للمقـاومة وذلـك فـى رسـالته لمديـر دنقلة السابق(١٣) .

وعندما تزايدت الأطماع الاستعمارية للدول الأوربية فـى أفريقيـا ظهـر الخطر جليـًا أمام بريطانيا ومصالحها هناك فقد أخذ البلجيك يتوغلون فى إقليم بحر الغزال لزيادة أملاكهم هناك .

وبدت رغبة فرنسا الملحة فى التوغـل فـى أفريقيـا الوسـطى والوصـول إلى حوض النيل وضم إقليم بحر الغزال بصفة خاصة إلى أملاكها الأفريقية . كما زادت أطماع إيطاليا بعـد استيلائها علـى مصـوع وتوغلـت فـى السـودان الشرقى وأبدت رغبتها فى الاستيلاء على كسلا وكانت بريطانيا لا تطمئن إلى أطماع إيطاليا هناك - ولكن هزيمة الإيطاليين الساحقة فـى معركـة (عـدوه) فـى عـام ١٣١٤هـ الموافق أول مـارس سـنة ١٨٩٦م حسـمت ذلـك الموقـف تمامـًا(١٤) ففى هذا اليوم الـذى اندحـرت فيـه الجيـوش الإيطاليـة علـى أيـدى الأحباش أحست إيطاليا بالخطر الذى يتهددها من جـانب الحبشـة ومـن جـانب الدولة المهدية وخاصة أن الأنصار لـم ينسـوا أن الإيطـاليين قـد أجلوهـم عـن كسلا واحتلوها منذ عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٤م ولابد وأن يأخذوا بثـأرهم

ويسترجعوا مدينتهم[١٥] وخشيت ايطاليا أن يتفق الأنصار مع الأحباش لتصفية الجيوش الإيطالية في جبال أرتيريا ثم تصفية المستعمر الأوربي في هذه المناطق من أفريقيا ، لذلك قامت ايطاليا بطلب المساعدة من الحكومة البريطانية للقيام بعمليات حربية في السودان لتخفيف الضغط عن جيوشها في كسلا[١٦] .

ولما كانت بريطانيا - حتى ذلك الوقت - قد رسمت سياستها في أوربا على أساس تكون بمنأى عن المعسكرين المتنافسين وهما التحالف الثاني ويتكون من فرنسا وروسيا والتحالف الثلاثي ويتكون من ألمانيا والنمسا وإيطاليا - وكانت الأسلحة التي استخدمتها الحبشة في هزيمة ايطاليا قد تسلمتها من فرنسا وروسيا وكانت بريطانيا لم تستطع أن توفق في حل المشاكل القائمة بينها وبين روسيا على الشرق الأدنى من جانب وفي خلافات مستمرة مع فرنسا على مصر في الجانب الآخر - لذلك قررت بريطانيا أن تستجيب لطلب إيطاليا بعد أن أبدى إمبراطور ألمانيا رغبته في أن تبدى بريطانيا شعوراً طيبًا نحو معسكر التحالف الثلاثي بإنقاذ ايطاليا من خطر الأنصار في كسلا[١٧] . وصدرت لذلك الأوامر من لندن إلى الجنرال (نولس Knowles) قائد قوات الاحتلال البريطانية في مصر خلال يومي ١٢ ، ١٣ مارس الموافق ١٣١٤هـ بضرورة التقدم إلى السودان لاحتلال دنقلة وقام هذا الجنرال بدوره في نقل الأوامر إلى كل من اللورد كرومر والسردار (كتشنر H.Kitchener)[١٨] .

وكان تعيين كتشنر شيئًا طبيعيًا فقد عرف البلاد خير أحوالها عندما كان ضابط الاتصال بين غوردون وحملة الإنقاذ وعندما كان محافظًا لسواكن وأثناء تجهيز حملة الاسترداد ، وجمع البيانات والمعلومات عن السودان كما

أن تعيينه لا يثير ضجة أو غبار فهو يحتل مركزاً ممتازاً فى الحكومة المصرية كسردار للجيش المصرى ، فيمكن أن يضطلع بإدارة السودان فوق قيادته للجيش(١٩) .

كما أن القرار لن يكون له تأثير على طريقة تسيير البلاد فى المستقبل فليس من الضرورى أن تحدد الحالة السياسية بتوسع ويمكن أن تؤخذ فى الاعتبار هذه المواضيع فى فترة لاحقة - لكن حرصت إنجلترا على أن تشرح للخديوى ووزارته أن البرنامج الذى حددته الحكومة الإنجليزية يؤكد أن حكومة جلالة الملكة لابد أن يكون لها صوت قوى فى كل المواضيع المتصلة بالسودان(٢٠) .

وإنه يمكن أن تقدم أية نصيحة تناسب الحكومة المصرية بخصوص شئون السودان التى سوف(٢١) .

وكان بداية حكم اللورد كتشنر انتقامًا من السودانيين لمقتل غوردون باشا وقد شمل انتقامه حرمة الموتى مثل نسفه لقبة الإمام المهدى ونبشه لقبره وقد تحدثت الصحافة العالمية بما فيها صحافة إنجلترا نفسها بأن ذلك كان عملاً غير إنسانى ولكن كتشنر برر عمله ذلك بأنه أراد سحق الثقة المطلقة من جماهير الأنصار فى قدرة المهدى وقداسته حيًا وميتًا ، ولكن هذا التبرير لم يكن معقولاً كما أن ذلك لم يكن وحدة هو الانتقام بل أن كتشنر قد أعلن إباحة أم درمان لجنده فنهبوا وسلبوا وفتكوا وقتلوا وهتكوا الأعراض لمدة ثلاثة أيام(٢٢) .

وكان على قمة الحكم لورد كتشنر ثم وينجت الذى قاد البلاد لمدة سبعة عشر عامًا تالية إلى الاستقرار والرخاء وقد ساعده فى ذلك سلاتين أحد خبراء السودان الذين اكتشفوا مجاهلها عام ١٢٩٦هـ - ١٨٧٨م ، وكان

حاكما لدارفور قبل الثورة المهدية وأسر وهرب وعين في المخابرات المصرية في عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦م وكانت لمعرفته بأحوال الشعب سواء من العرب أو السود قيمة كبيرة لقيادته وعمله(٢٣) .

وعندما أقتنع كرومر بسلامة قيام حكومة مشتركة في السودان كتب مذكرة وضح فيها الاحتمالات التي بدت له والتي يجب أن يتخذ فيها قرار وتمنى إلا يغيب عن الذهن تأثير سياسة السودان على السياسة المصرية(٢٤).

أصدر كتشنر منشوراً للمدريرين حدد فيه أغراض إدارته وورد فيه إن استئصال الدراويش لجذور النظام القديم للحكومة أتاح فرصة لقيام إدارة جديدة أكثر اتساقًا مع تطلبات السودان ، ومن ثم يتعين النظر بعين الاعتبار والعناية واللوائح الضرورية وإصدارها وفق الحاجة إليها ، ولكن يتعين علينا ألا ننظر إلى صياغة ونشر القوانين باعتبار أن ذلك هو السبيل الوحيد لتطور وإصلاح الحكومة في البلاد(٢٥) .

وكانت إنجلترا في حاجة إلى الأموال المصرية لسد عجز الميزانية السودانية وقد سبق أن اختلق لورد كرومر أسبابًا واهية يتعلل بها في عدم تحمل الخزانة الإنجليزية نصيبها في النفقات لأنه كان يعلم يقينًا أن الحكومة الإنجليزية أن أقدمت على المساهمة في هذه النفقات سوف تثير عليها ضجة في مجلس العموم ، وأن الرأي العام الإنجليزي لا يوافق على قيام حكومته بإنفاق أموال الدول في بلد غريب ولو كان هذا البلد من مستعمرات التاج(٢٦).

وأوضح كرومر : لم تكن لندن تدير دفة الأمور في مصر ، بل كانت السلطة كلها في يد المتصلين بالحوادث بها - وكان ذلك نظامًا سليمًا ، القصد منه تجنب الأخطاء الكبيرة التي تترتب على النظام المركزي ، ولكن هذا النظام كانت تشوبه بعض العيوب ، منها أن السلطات الإنجليزية في لندن

لم تكن واقفه تمامـًا على حقيقة الأمور فى مصر ، فهى تعتقد مثـلاً أن الميزانية المصرية فى حالة انتعاش وازدهار ، وبذلك ينبغى أن تتحمل نفقات استرداد دنقلة على أساس أنه عمل يهم مصر وحدها ،ولم يدخل فى تقديرها ، أن مفتاح الخزانة المصرية يخضع لرقابة دولية ، وإنه لايمكن صرف أى مبلغ دون موافقة المندوبين فى صندوق الدين(٢٧) .

وكان من الطبيعى أن يصوت مندوبو إنجلترا ودول التحالف الثلاثى لتأيد الصرف وأن يعترض على ذلك مندوبا فرنسا وروسيا ، وبذلك يكون قد وفق على الصرف بأغلبية أربعة صوات ضد صوتين ، فلجأ المندوبان المعارضان إلى المحاكم المختلفة على أساس ضرورة صدور الموافقة على الصرف بالإجماع من ناحية ومن ناحية أخرى أن وجود الصرف غير المادية من رصيد الاحتياطى العام ينبغى أن تخصص لأشغال عمومية ذات صبغة دائمة وليس من أجل تمويل حرب .

وكان هذا الاعتراض على صرف مبلغ نصف مليون جنية الذى سحبته الحكومة المصرية من رصيد الاحتياطى أجراء ضعيفـًا وسوف يتحول فيما بعد لمصلحة إنجلترا إذ أنها سوف تكون فى واقع الأمر هى الدولة الوحيدة التى تحملت نفقات الحملة ، وبذلك خلقت لها – فى رأى البعض – حقـًا فى السيادة على السودان(٢٨) .

وكان الاعتراض على الصرف ، هو الأجراء الوحيد الذى عرف الوزير الفرنسى برتيلو Berthelot كيف يبدى به مقاومة لمشروع الحملة ، مع أنه إذا أراد جديـًا الأقدام على أمر مؤكد ومحدد، لبات لزامـًا عليه أن يعارض بالواقع فكان فى وسعه أن يطالب روسيا – حليفة فرنسا المخلصة والدولة العثمانية بالتحرك معـًا أو أن يدخل فى مفاوضات مع (مليك) فتتدخل فرنسا

فى هذه المرة على مسرح البحر الأحمر ، أى أنه كان ينبغى على الوزراء الفرنسية فى هذه الأونة أن يقدموا فى القارة السوداء على سياسة عمل وتصميم لمقاومة مشروعات إنجلترا(٢٩) .

ومهما يكن من أمر ، فإن قرار المحكمة الابتدائية بالقاهرة صدر فى ٨ يونيو ١٨٩٦م - ١٣١٤هـ وهو يدعو الحكومة المصرية إلى تسديد مبلغ خمسمائة ألف جنية الذى سحب بطريقة غير قانونية ، وتأيد الحكم استئنافيًا فى ٢ديسمبر من نفس العام من المحكمة المختلطة الاستئنافية بالإسكندرية ، وكانت تتألف من دائرتين كل منهما من ثمانية قضاه ، خمسة من الأجانب وثلاثة من المصريين وقد تصادف أن عرضت القضية على الدائرة التى لا تضم قضاة من الإنجليز ، فهى تتألف من ثلاثة أعضاء مصريين وخمسة أعضاء يمثلون اليونان وروسيا والمانيا وإيطاليا .

ولا أعلم رأى كل من المستشارين الثمانية فى هذه القضية ،ولكن كرومر اتهمهم - بالتلميح - بالانصياع لأوامر دولهم فيقول :

" إن قضاة محكمة الاستئناف - أو على أية حال الغالبية منهم - لم يكن فى استطاعتهم التخلص من تيار الكهرباء السياسى الذى كان جو مصر مشحونًا به فى ذلك الوقت"(٣٠) .

وكان تشرشل أكثر صراحة فقال أن القضاه كانت تصلهم الأوامر من الدول التى يمثلونها(٣١) .

ويدافع كرابيتية Crabites وهو قاضى سابق بالمحاكم المختلطه عن موقف المستشارين فى الدائرة الاستئنافية فيقول إنهم استوحوا فى إصدار الحكم ضمائرهم فحسب ، ويرى أنه لو حدث فعلا أنهم كانو يتلقون الأوامر

من حكوماتهم ، لكان من المحتمل أن يصدر القرار فى صالح إنجلترا بأغلبية خمسة أصوات (وتمثل مندوبى مصر والمانيا وإيطاليا) ضد صوتين (ويمثلها مندوبًا فرنسا وروسيا) أما صوت مندوب اليونان فكان مشكوكًا فيه .

وعزا كرابينية رأى كرومر إلى ضيقة بمعارضه المحاكم المختلط لسلطاته المطلقة ، إذ كان لا يميل أن يعارضه أى شخص(٣٢) .

وفى السادس من ديسمبر ، اى بعد صدور حكم الدائرة الاستئنافية بأربعة أيام ، تسلم مندوب صندوق الدين مبلغ ٥١٥ ألف من الجنيهات ، وفى الحال التجأ كرومر إلى حكومته لتحل محل الصندوق فى تقديم الاعتماد المطلوب .

وبالفعل أعلن أن الخزانة البريطانية قدمت قرضًا لمصر يبلغ ثمانمائة ألف من الجنيهات بفائدة قدرها ٢.٧٥ ٪ ووافق البرلمان على القرض(٣٣) . ولم تتردد الحكومة الفرنسية فى أن تقدم احتجاجًا للحكومة المصرية ردا على هذا الأجراء ، ولكن هذا الاحتجاج لم يمنع من اتمام العملية .

ففى ٨ فبراير أعلن (هانوتو) تصميم فرنسا على عدم الاعتراف بأى مساس بالحقوق القائمة أو مصلحة مصر ذاتها أو الاتفاقيات الدولية بصفة خاصة.

وقد آثار عدم جدية هذا الاعتراض من جانب الوزير الفرنسى عاصفة من اللوم فى بلاده ولم يكن غريبًا أن يعلن وزير الخزانة البريطانية فى البرلمان اعتماد المبلغ المطلوب ويقول على سبيل الدعاية التى شاركه فيها أعضاء المجلس ، أن هذه الخدمة المقدمة لمصر ، ليس لها بالتأكيد اى أثر فى تقصير مدة الاحتلال .

ويرى بعض المؤرخين الإيطاليين أن اعتراض فرنسا على الصرف الذى ادى فى النهاية إلى مساهمة إنجلترا فى نفقات دنقلة ، خلق لها حقًا فى السيادة على السودان(٣٤) ، فى حين يرى بعض المؤرخين الفرنسيين أن

بريطانيا لم تقدم القرض للحكومة الخديوية لكى تضع يدها على السودان ، فإن اشتراكها فى السيادة على السودان - الذى ادعته لنفسها فيما بعد - جاء نتيجة لعمل آخر مستقل تماما عن هذا القرض(٣٥) .

وقد اجتمعت الوزارة المصرية فى عام ١٣١٤هـ الموافق ١٣ مارس ١٨٩٦م ، ووافقت على الحملة وهى لم تكن تملك أن تفعل غير ذلك ، وفى اليوم التالى صدر قرار باستدعاء الاحتياطى ولم تستخدم فى هذه الحملة سوى قوات مصرية وسودانية(من الجنوبيين) تعمل تحت أمرة ضباط بريطانيين .

وكان كتشنر يعد العدة منذ أربع سنوات لهذه الحملة ، ومع ذلك فقد كاد أن يفقد ثمار هذه الجهود التى بذلها طوال هذه المدة حين كتبت جريدة (البول مول جازيت) فى ٢٤ مارس ١٨٩٦م الموافق ١٣١٤هـ تدعو بألا يعهد بالقيادة إلى الكولونيل الشاب بل إلى أحد الضباط الكبار من ذوى الخبرة ، ولكن لم يكن لذلك أى أثر فإن السردار كان يتمتع بثقة لورد كرومر والحكومة البريطانية معًا(٣٦) .

فكرومر كان يرى أنه شاب نشيط يكرس كل همه ووقته لعمله ، وخبير بالشئون العسكرية فى السودان ، ومدققا لا يترك أى شئ للصدفة ومقتصداً(٣٧) .

وقد تقرر أن تشترك القوات المصرية وحدها فى القتال على أن تعسكر كتيبه مشاة بريطانية تحت قيادة الكولونيل (هنتر Hunter) فى وادى حلفا ، وكان يعاون كتشنر ضابطان قدما له خدمات جليلة ، الأول (الكولونيل / رندل Rundel) رئيس هيئة الأركان ، والثانى (الميجر / ونجت Wingate) رئيس المخابرات وكانت له خبره كبيرة بالمسائل السودانية ، فهو صاحب كتاب (المهدية والسودان المصرى) الذى نشر عام (١٣٠٩هـ - ١٨٩١م)، والذى ألقى الضوء على الأوضاع القائمة وقتئذ فى السودان ، ومنذ ذلك

الوقت عمل دون كلل أو ملل فى الكشف عن الوضع العسكرى والسياسى والاقتصادى للمهدية ، وذلك بفضل التقارير الضافية التى كانت تصله من العملاء المتعددين والتجار والصناع والمتسولين بل والنساء فى أم درمان ، هذا وكانت هناك أيضًا صداقة شخصية متينة تربطه بالسردار(٣٨) .

وبالرغم من أن الحكومة البريطانية هى التى أصدرت الأمر بالزحف على دنقلة فإن العمليات العسكرية تمت تحت إشراف كتشنر بوصفه سردار الجيش المصرى واتفق على أن يتصل بالمعتمدية الإنجليزية فى القاهرة (لورد كرومر) ليتلقى منها الإوامر أى لم يكن له أى اتصال بالحكومة المصرية أو البريطانية .

وكانت كل طلبات السردار من رجال ومهمات وأموال ومؤن : تجلب عن طريق المعتمدية ، وكانت مهمة كرومر هو التأكد من أن هذه الطلبات قد أجيبت(٣٩) .

ولم يكن هناك شك فى أن الحرب منذ بدايتها سواء فى تجريده دنقله أو ما تبعها من عمليات لاسترداد السودان ، كانت حرب مواصلات ونقل وتموين(٤٠) ، لذلك فإن أهم مشكلة صادفت السردار هى وصول الإغذية والمؤن أثناء الزحف من دنقلة وقد قال (دوق ولنجتون) يوما أن جيشًا تعوزه المؤن خيراً منه العدم(٤١) .

ومشكلة الاتصال بين مصر والسودان قديمة ، فكان ربط القطرين بخط حديدى يقطع المسافة بين القاهرة والخرطوم فى ٥ أيام حلما يراود الحكام ، فسعيد باشا آمن بهذه الفكرة إيمانًا عميقًا ولم يحل دون تنفيذها سوى العقبات المالية ، وفى عهد خليفته إسماعيل ، امتد الخط الحديدى بين وادى حلفا وسرس ، ويبلغ طوله / ٣٣ ميلا وقد تكلف حوالى نصف مليون جنية ، وغردون لما تولى حكمدارية السودان عام ١٢٩٦هـ - ١٨٧٨م هو الذى أشار على الخديوى بوقف العمل به لأن من رأيه أن السكك الحديدية نبات لا يصلح للنمو فى السودان(٤٢) .

ومع ذلك فإن هذا النبات (العديم الفائدة) قد لعب دورًا هامًا فى انقاذ حملة الإنقاذ البريطانية فى(١٣٠٢/١٣٠٣هـ-١٨٨٤/١٨٨٥م) فاستخدم فى نقل القوات المنسحبة شمالاً ومعها آلاف اللاجئين الذين فروا من دنقلة أمام غزو المهدية.

وفى ربيع عام (١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م) ، بينما كانت مسألة الاحتفاظ بالسودان أو إخلائه موضعًا للمناقشة ، امتد الخط الحديدى جنوبى سرس حتى بلغ قلعة عكاشة على مسافة ٨٦ ميلاً جنوبى حلفا .

ولما تقررت حملة دنقلة ، عكف كتشنر على دراسة مشكلتى النقل والتموين من حلفا أو أية قاعدة أخرى على النيل ، وإيجاد حل لهما ، وكان فى ذهنه من بادئ الأمر أن يعد خطا حديديًا من كورسكو إلى آبار المرات أى على طول طريق القوافل القديم ومثل هذا الخط بعيد عن النيل وبذلك يأمن شر العطب الذى قد يصيبه على أيدى المهديين ، فضلاً عن أنه كان يشق أراضى قبيلة العبابدة الموالية للحكومة . ثم يمتد الخط بعد ذلك من آبار المرات إلى أبى حمد مفتاح العمليات العسكرية فى شمالى السودان ، وكان قد تم فعلاً مسح المنطقة الممتدة بين كورسكو وآبار المرات فى خريف عام (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) ، ولكنه سرعان ما تخلى عن هذا المشروع بعد قرار الزحف على دنقلة ، وركز كل جهده فى مد خط حلفا - سرس جنوبا ، ولم يكن الخط يمتد فى الواقع إلى أبعد من سرس ، فالمسافة بين سرس وعكاشة تبلغ حوالى ٥٥ ميلاً ، كان الخط فيها فى حالة سيئة للغاية بعد أن أتلفه الدراويش الذين اقتلعوا القضبان الحديدية واستخدموا الفلنكات الخشبية فى الوقود(٤٣) ومن ناحية أخرى استغل سكان القرى الواقعة بين حلفا وعكاشة بقايا الخط من قضبان وفلنكات وصواميل ومزالج فى تشييد بيوت لهم ، ولم يعد يصلح للعمل من ثمان قاطرات كانت تعمل بالخط سوى

قاطرتان فقط ، بالإضافة إلى ثلاثين عربة كانت فى حالة يرثى لها فضلاً عن أنه لم تكن هناك أيدى عاملـة مدربـة أو ورش للإصلاحـات أو مخـازن للعدد والآلات(٤٤) .

ولم يكن كتشنر متلهفًا على القتال قبل أن ينتهى من مـد الخـط الحديـدى لذلـك كـانت قواتـه موزعـة بيـن ثـلاث معسـكرات كبيـرة فـى حلفـا وسـرس وعكاشة ، وقد قضى شهر إبريل بطوله فى الإشراف على مد الخط الحديدى.

وفى نفس الوقت بدأت الكتائب المصرية – السودانية تتقدم نحو الجبهـة من مصر وسواكن ، ويبدو أن عثمان دقنه – لما رأى خروج حاميـة سـواكن للانضمام إلى قوات السردار أراد أن ينتهز الفرصة لاسترداد طوكر ، فظهـر أمام (اركويت) فـاصدر السـردار أمـره إلـى (لويـد باشـا) محـافظ سـواكن وسيدنى بك قومندان طوكر بأن يلتقيا بقواتهمـا عنـد خوررونـترى علـى مسـافة ٢٢ ميلاً من سواكن لطرد عثمان ، ولكن الخطـة لـم تنفذ كمـا رسـمت ، فقد وصل (سيدنى) إلى الخـور فـى ١٦ إبريـل ليشـتبك وحـده مـع عثمـان الـذى حاصره من كل جانب . ثم استدار إلى الإمدادات القادمة من لويد باشـا فـاوقع بها الهزيمة(٤٥) .

لما وصلت أنباء هذه الحملة إلى مسامع الخليفة ، بادر بإرسال إمـدادات إلى محمد بشارة عامل المهدية فى دنقلة منذ (١٣١٣هـ - ١٨٩٥م) وكـانت تتألف من الجعليين والبقارة . وكان تحت امرته حوالى عشرة آلاف مقاتل من الهبانية والدناقلة والحمر والجعليين والجهادية السود . وقد وصفه (سلافلين) فى تقرير له رفعه إلى إدارة المخابرات ، بأنه صغير السن لا يتجاوز الثلاثين من عمره ، ومع ذلك كان نشيطًا وعادلاً ومحبوبًا وذا خبرة بشئون القتال منـذ أن كان يعمل معاونًا لمحمود أحمد عامل المهدية فى الغرب(٤٦) .

وقد شرع ود بشارة فى إرسال الإمدادات إلى أمير المهدية فى الشمال حمودة إدريس الذى تقدم على رأس حامية سورادة إلى كوشة فاحتلها فى ٢ إبريل ثم إلى فرنكة ، ووضع يده عليها فى الثامن والعشرين من نفس الشهر . وبعد ثلاثة أيام أى فى أول مايو ، خرج حمودة بطريق الصحراء وفى نيته أن يسحب حامية عكاشة إلى الصحراء ويوقع بها ، فلما علم السردار بخروجه من فركة أمر القائمقام (برن مردوخ) قائد السوارى بالخروج لصده ، فلقيه فى منتصف الطريق بين عكاشة وفركة ورده على أعقابه .

واتهم أمراء المهدية حمودة بالتخاذل مما اضطر معه ود بشارة إلى أن يستأذن الخليفة فى استبداله ، وفى ٢٨ مايو تولى القيادة العامة القائد المجرب عثمان محمد عيسى الشهير بعثمان أزرق ، واصله دنقلاوى ، من أم نوباوية ولد ونشأ فى الأبيض ، وقد قسم عثمان جيشه إلى أربعة أقسام ، وجعل على كل ربع أميرًا ينتمى إلى نفس القبيلة التى تؤلف الربع ، فكان حمودة إدريس يقود الربع الأول (من الهبانية) بينما كان الربع الثانى ويتألف من الدناقلة والحمر تحت قيادة كرم الله كرقساوى ، وقاد محمد الأمين بن عبد الحليم مساع الربع الثالث وهو من الجعليين أما الربع الأخير فهو القسم الوحيد المسلح ببنادق (رمنجتون) ويتألف من الجهادية السود بقيادة يوسف عنقرة من البقارة ، أما بقية الأرباع فكانوا مسلحين بالسيوف والحراب وبعض البنادق . وقد أعد عثمان أزرق القوة للدفاع عن فركة ، وهى بلدة صغيرة على ضفة النيل كان أهلها قد هجروها مع حملة لورد ولزلى فرارًا من الدراويش ، وحولت بمرور الزمن إلى مجموعة من الخرائب والأطلال . وبادر عثمان إلى وضع الهبانية والجهادية على الأكام الواقعة شمالى البلدة ، بينما تركز الجعليون فى الخرائب الشمالية من البلدة والدناقلة والحمر فى جنوبه .

وكان معنى ذلك أن قبع المهديون فى مراكزهم دون أن يبذلوا أى نشاط للإغارة – مثلاً – على القوافل التى تمد عكاشة بالمؤن ، أو قطع خطوط المواصلات بينها وبين سرس .

وقد بلغ من دقة عمل رجال المخابرات العاملين تحت امرت (ونجت) أن بيانا بتوزيع قوات المهدية فى فركة ، وأسماء الأمراء والقوات التى يقودونها طبقاً لترتيبات عثمان أزرق قد وزع على ضباط الجيش المصرى قبل أن تبدأ المعركة ، فى حين كان المهديون من ناحية أخرى يجهلون كل شىء عما يدور فى المعسكر الأخر أو عن نية أعدائهم .

وقد استطاع السردار أن يمد الخط الحديدى بمعونة الملازم الشاب جيروارد(٤٧) Girouard ووصل الخط إلى أبار امبيقول فى ٢١ مايو وهى على مسافة ٣١ ميلاً إلى الجنوب من سرس وتبعد عن عكاشة ٢٢ ميلاً .

وقد حاولت دوريات عثمان التى وصلت إلى الآبار أن تعطل العمل فى الخط الحديدى ، بحيث لم يجد السردار بدا من طرد المهديين فى فركة .

وقد خرج عثمان بنفسه فى ٦ يونيو يستطلع مواقع أعدائه فى عكاشة فلم ير أثرًا لأية فركة فعاد أدراجه إلى فركة .

وقد ترتب على انتصار فركة أربعة نتائج هامة :

أولاً : سيطر الجيش المصرى على خمسين ميلاً من الوادى .

ثانيًا : أثبتت العناصر المصرية جدارتها لتحمل المسئولية .

ثالثًا : تحطيم قوة المهديين على الحدود .

رابعًا : اجتازت حملة منطقة (بطن الحجر) الوعرة ، وبات الطريق ممهدًا وصالحًا أمام القوات النظامية والأسلحة الحديثة(٤٨) .

وعلى الرغم من أن الشطر الشمالى من مديرية دنقلة يكون بذلك قد أصبح فى أيدى السلطات الأنجلو مصرية ، إلا أنه كانت هناك قوة كبيرة للمهديين فى عاصمة الإقليم (العرضى) تحت قيادة محمد بشارة ووكيله مساعد قيدوم ، وكان الأول مصممًا على الاحتفاظ بما تبقى من المديرية بأى ثمن ، أما السردار فقد نقل معسكره إلى كوشة ، ولكنه قبل أن يغادر فركة أرسل منشورًا إلى أهالى السودان ، وقد وصلت منه نسخ إلى بشارة فى (العرضى) والخليفة عبد الله فى أم درمان ، وقد جاء فيه :

" ... وقد اتضح لكم أن تلك الدعوى لم تكن من المهدية بشئ بل هى ثورة دموية أفضت إلى ملك جائر يتولاه الآن عبد الله التعايشى الذى عزل كل أمير من غير أهله وولى أهله ، فاستبدوا بكم ، ولما رأت الحكومة سوء مصيركم ، أرسلت الآن جنودها الجرارة لانتشالكم من وهدة الضلال ... وبعد أن كان (عبد الله) رجلاً مسكينًا لا يملك شروى نقير ، استأثر بأموال الرعية كلها وسكن القصور المشيدة واتخذ نساء المؤمنين سرارى له ... ، وقد سجن الخليفة شريفا واهان الخليفة وأولاد المهدى وقتل إبراهيم عدلان وأقارب المهدى مثل عبد القادر ومحمد عبد الكريم والقاضى أحمد والحسين ود الزهرة أماتهم جوعًا ... ولما رأى (عباس حلمى الثانى) أن جرائم هذا الطاغية تزداد يومًا فيومًا ، أخذته الشفقة على المسلمين المظلومين ، فأرسل جيوشه المظفرة تهدم أركان دولة التعايشى وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة ... وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برد أملاككم وهو يدعوكم إلى اسقبال جيوشه بالترحيب ، فإذا قبلتم الدعوة وعرفتم قيمة الأنعام كنتم أنتم الرابحين الناجين ، وإلا فالويل لمن رفض نعمة ربه ، وكرم خديوينا وباسمه لى الرجاء الوطيد أن أراكم قريبًا طائعين ومعضدين الحكومة الخديوية والسلام .

الإمضاء : كتشنر قائد جيش حملة السودان وسردار الجيش المصرى .

ونخرج من هذا المنشور بحقيقتين : الأولى أن السلطات الأنجلو - مصرية كانت تقف تمامًا على ما يدور داخل الدولة المهدية، والفضل فى ذلك يرجع إلى التقارير التى قدمها الأسرى الأوربيون الذين فروا من أم درمان قبل تحرك الحملة من أمثال روسينيولى وسلاطين واروفالدر وغيرهم هذا فضلاً عن التقارير الأخرى التى كان يبعث بها عملاء المخابرات فى السودان.

والحقيقة الثانية : أن هذه السلطات كانت لا تزال تأمل فى أن تقوم ثورة داخلية تقلب حكومة الخليفة ، وتعلن ولاءها للخديوى ، وبذلك توفر عليها الجهد والأموال والأنفس .

ولكنها فيما يبدو نسيت عاملين على جانب كبير من الأهمية **الأول** : أن الخليفة كان يقبض على زمام الأمور بيد من حديد ، بالإضافة إلى أنه كان لديه جهاز جيد للمخابرات يمكن بواسطته الوقوف على كل ما يجرى فى البلاد بحيث أن أية محاولة لقلب الحكومة ، كان من السهل عليه كشفها فى حينها.

الثانى : أن جيش السردار ، ولو أنه كان يضم عناصر إسلامية من المصريين والسودانيين إلا أن القيادة كانت فى أيدى ضباط مسيحيين من الإنجليز ، وكان معنى ذلك إن المهديين إنما يخوضون معارك الجهاد فضلاً عن الذود عن الديار ضد الغزاة الأجانب .

وأعقبت معركة (فركة) فترة طويلة من الانتصار بسبب الحاجة إلى تأمين المواصلات وتقويتها قبل استئناف الزحف وإتمام المرحلة الطويلة الباقية للوصول إلى (العرضى) ، وقد وضع السردار خططه على أساس الاستفادة من النيل والطريق البرى معًا ، خاصة وقت الفيضان حيث يمكن للوابورات عبور الشلالات .

فقد كانت هناك فى حلفا ٤ وابورات مدرعة هى تمـاى والمتمـة والتيـب وأبو طليح بالإضافة إلى ثلاثة أخرى هى عكاشة ودال وخبير ، وكـانت كلهـا تعمل فى الدوريات على طـول النيـل بيـن أسـوان وحلفـا خـلال الأعـوام التـى أعقبت انسحاب حملة لورد ولزلى (١٣٠٣هـ ١٨٨٥م) ، وكـان كتشـنر قـد أوصى بصنع ثلاث وابورات أخرى حديثة فى إنجلترا ، على أن تفك أجزاؤها وتشحن بالسكك الحديدية إلى كوشة حيث يمكـن تجميـع هـذه الأجـزاء وإنـزال الوابورات فى النيل لتنضم إلى بقية الأسطول النهرى .

وكان معنى ذلك الانتظار وصول الخط الحديدى إلى كوشة من ناحيـة ، وارتفاع منسوب المياه وقت الفيضان من ناحية أخرى ، فيستطيع السـردار أن يتخذ من كوشة قاعدة لمواصلة الزحف لأن النهر من كوشة إلى كرمـا جنوبًـا صالح للملاحة وقت الفيضان ، وهى مسافة يبلغ طولها مائة ميلاً(٤٩) .

وقد واصلت كتيبة السكة الحديد عملها الشاق فى مد الخط الحديدى فـى أشد شهور الصيف حرارة ، حتى لقد بلغت درجة الحرارة ١٢٥ درجة فهرنهيـت فى الظل ، وقد انضمت إليها أربعة كتائب أخرى من الجيش لمعاونتها .

وبينما السردار فى انتظار وصول الخط الحديدى إلى كوشة لكى تتدفـق معه المؤن والقوات ، إذ بوباء الكوليرا الذى انتشر فى القاهرة فى يونيو يصل إلى معسكر الجيش المصـرى فـى فركـة فـى أوائـل يوليـو ، ولمـا كـان وبـاء الدوسنتاريا قد تفشى بيـن صفـوف الجنـود مـن قبـل فقـد صـار معسـكر فركـة موبوءا أضف إلى ذلك أن جثث الضحايا التى دفنت على عجل ، لـم تلبـث أن تعفنت ، وباتت تنتقم من الأحياء(٥٠) .

فنقل الجنود إلى وسط الصحراء بعيدًا عن المعكسر ، حيـث أقـاموا فـى أكواخ من القش فى درجة حرارة بلغت ١٣٠ درجة فهرنهايت فى الظل .

وقد فتكت الكوليرا بحوالى تسعمائة جندى ، وقبل أن تزول تمامًا فى العاشر من أغسطس كان وباء التيفود قد تفشى أيضًا .

غير أن هذه الأوبئة لم توقف العمل فى الخط الحديدى الذى كان يسير بخطى حثيثة فوصل إلى عكاشة فى ٤ أغسطس ، وبينما الجميع فى انتظار وصول الوابورات ، وقعت كارثة لم تكن فى الحسبان ، وكانت كفيلة بأن تعطل زحف السردار عامًا كاملاً إذ هبت الأعاصير والزوابع فى منطقة يندر سقوط المطر بها ، وهى ظاهرة لم تحدث منذ خمسين عامًا ، فهطلت الأمطار بغزارة لدرجة أن السيول جرفت فى المدة بين ٢٧ ، ٣١ أغسطس سبعة عشر ميلاً من الخط الحديدى بين ارارات وسرس ، كما أعطبته فى عدة أجزاء أخرى ، وبات الموقف يهدد بالخطر فالنهر سوف ينخفض فى مدى أسبوعين ، وبذلك لن تتمكن الوابورات من عبور الشلالات ، إلا أن إصلاح الخط الذى قدر له الخبراء ثلاثة أسابيع - تم فى أسبوع واحد ، فانتهى العمل فيه فى ٦ سبتمبر بعد أن عمل فيه خمسة آلاف جندى ، واشترك معهم كتشنر بنفسه(٥١) .

ولعل قائدًا ما لم يلق من سوء متاعب وصعوبات وعقبات كما لقى السردار فى حملة دنقلة ، فبالإضافة إلى الزحف فى صحراء شديدة الجدب ، وفى أشد شهور السنة حرارة ، وانتشار الأوبئة التى فتكت بألف من الجنود ، وهطول الأمطار فى منطقة لم تر المطر طوال خمسين عامًا وما ترتب عليها من سيول أعطبت الخط الحديدى ، يشاء الحظ أن يتأخر فيضان النيل فى ذلك العام عن موعده ، وبذلك تعطل مرور الوابورات فوق شلالات حلفا إلى الثانى من أغسطس ، وأخيرًا حدث أن الوابور الجديد الذى وصل حديثًا من إنجلترا بعد أن تم تجميع أجزائه وإنزاله فى الماء فى كوشة انفجر فيه السلندر وظل فى الحوض مدة من الزمن لإصلاحه .

ولما أصبح كل شئ معدا للقفزة التالية ، كان فى نية السردار أن يتقدم إلى (أبى صارى) على مسافة ٥٥ ميلاً جنوبى كوشة ، ثم يركز قواته فيها، وقرر أيضًا أن يخترق الصحراء مباشرة دون حاجة للسير بمحاذاة النيل لتجنب ثنية النهر فيما بين كوشة وأبى صارى ، وبذلك يوفر ما لا يقل عن نصف المسافة .

ولم يتوقف بشارة من ناحيته مكتوف اليدين ، فاهتم برفع الروح المعنوية فى جنوده التى انحطت بعد هزيمة فركة ، فإنه ادعى أن وباء الكوليرا قد قضى على الجيش المصرى بأكمله فيما عدا السردار وبعض قواده، ثم عمد إلى المبالغة فى تضخيم الخسائر التى لحقت بالأعداء بسبب السيول.

وكان موقف ود بشارة فى الحقيقة بالغ الحرج ، فإن إمكانياته كانت ضعيفة ومحددة ، فهو يقود جيشًا لا يزيد عن ٩٦٠٠مقاتلاً يبدى تقاعسًا شديدًا ، بحيث أن الدوريات المهدية لم تمس أعمدة البرق أو الأسلاك بسوء ولو أن الخط الحقيقى كان ممتدًا تحت الشاطئ وبمياه النيل(٥٢) .

وبادر السردار بترحيل العساكر جنوبًا ، فأرسل اللوائين الثالث والرابع إلى أبى صارى فى ٥ سبتمبر ليلحقا باللوائين الأول والثانى بها ، كما استدعى الأورطة الإنجليزية المعسكرة فى حلفا ، وأرسلها فى الوابورات بعد أسبوع ، وسار وراءها فى النيل .

وفى ١٣ سبتمبر اجتمع الجيش والوابورات فى (دلقو) وقد زحف الجيش برًا بمحاذاة النيل مع الوابورات حتى وصل أبى فاطمة جنوبى شلاك حلك فى ١٨ سبتمبر وقد تمكنت الوابورات من عبور هذا الشلال ، بسلام عدا وابور (التيب) الذى ارتطم بصخرة جنوبى الشلال وتعذر اخراجه منها .

ولما وصل السردار (فريق) فـى منتصـف المسـافة بيـن أبـى صـارى وكرمه وذلك يوم ١٥ سبتمبر ، وصلته الأنباء بأن ود بشارة لم ينتظر وصـول كتشنر إليه كما فعل حمودة إدريس فى فركة من قبل ، بل غادر دنقلة وزحـف شمالاً حتى الخفير ، وهى على الضفة اليسرى للنيل فى مقـابل كرمـة ، وقيل أنه سحب حامية كرمة ليعزز بها قواته فى الحفير .

وكان هذا (التكتيك) العسكرى لمحمد بشـارة جديـرًا بالإعجاب لأنـه أدرك أن السردار ليس فى مقدوره الاسـتيلاء علـى دنقلـة دون عبـور النهـر ، لذلك قرر أن يقلل من قيمة التفوق الهـائل لعدوه فـى الرجـال والسـلاح ، بـأن يهاجمه أثناء عبوره النهر من مراكزه الحصينة .

وقد وصل الجيش المصرى إلى كرمة فى صباح ١٩ سبتمبر ، فوجدها خاويـة علـى عروشـها ، وتطلـع الجنـود إلـى الضفـة المقابلـة حيـث عسـكر المهديـون فـى مواقـع حصينـة ، وقـد غلبـت عليهـم روح التحـدى والعنـاد ، وارتفعت روحهم المعنوية بعد وصول تعزيزات تبلغ سبعمائة مقاتل من أم درمان.

وبدأت الوابورات والمدفعية تمطر مواقع الدراويش بوابـل مـن النـيران لعدة ساعات دون جدوى ، وبات واضحًا أنها عجزت عن إسكات الدراويش .

واضطر كتشنر إلـى قلب خططـه رأسًا على عقب ، فقـرر أن يلجأ إلـى الحيلة، وأصدر أوامره إلى الوابورات بأن تتخطى خطوط الأعداء بأقصى سـرعة دون أن تحاول إطلاق النار عليها على أن تسترها ثلاث بطاريات من المدفعية .

وقع الاختيار على كتشنر لقيادة حملة دنقلة للأسباب التالية :

١ – ثقة الحكومة البريطانية فيه .

٢ – ثقة اللورد فيه وتزكيته له للقيام بهذا العمل(٥٣) .

٣ - حسن أسلوبه وقيادته وتنظيمه للأمور بكفاءة عالية .

٤ - يعتبر من أكثر الشخصيات معرفة بأهل البلاد وأحوالها سبق خدمته فيها .

٥ - قدرته على مواجهة الأخطار وإيجاد الحلول اللازمة لها .

وكان القرار المبدئي يتعلق باسترداد دنقلة فقط ، وتقرر أن يعاون الكولونيل راندل Rundel كتشنر كرئيس لهيئة أركان الحرب والمايجور ونجت كرئيس للمخابرات لخبرته الكبيرة في الشئون السودانية وأن يكون كرومر والسردار كتشنر مسئولين أساسين عن العمليات مع اقتصاد دور السلطات العسكرية في إنجلترا على إيداء النصح والإرشاد ، كما كان على السردار كتشنر أن يأخذ الأوامر الذي كانت مهمته هي التأكد من أن طلبات السردار كتشنر من أموال ومهمات قد أجيبت من قبل الحكومة المصرية(٥٤).

أن الخطة التي وضعت للسيطرة على مديرية دنقلة تعتمد في الأساس الأول على تأمين عمليات النقل والتموين وهو أهم عنصر من عناصر الخطط العسكرية لتحقيق النصر وضمان وصول المؤن والعتاد اللازم للحملة ، ولذا تقرر مد خط حديدي من حلفا يسير جنوبًا من حلفا مع الحملة كلما احتلت بعض الأراضي السودانية كما عمد كتشنر إلى الاقتصاد في النفقات لأنه كان يدرك تمامًا أن النفقات المالية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى اعتراض بريطانيا ولذلك أخذ ينظر إلى المصروفات بغاية العناية في حدود الاقتصاد الممكن .

وضع كتشنر لنفسه خطة هجومية على أن تتقدم طلائع القوات إلى منطقة أمامية يتم تموينها عن طريق الهجانة ثم يتبع ذلك مد الخط الحديدي إلى هذه النقطة ويركز كتشنر قواته في هذه المراكز كنقطة وثوب للمرحلة التالية(٥٥).

ولا شك فى أن هذه الاحتياطـات البالغـة الدقـة مـن قبـل كتشـنر – تـدل على أنه استفاد من الأحداث السالفة التى صـاحبت عمليـات اسـتيلاء المهدييـن على السلطة فى السودان ، وقد راعى كتشنر الظروف الطبيعية كفيضان النيل حيث يرتفع منسوب المياه فوق الجنادل ويمكن جر الزوارق والسفن بـالمؤن ، وبذلك يمكن السيطرة على النهر ونقل المؤن ، ولذلك بـدأ زحـف الجيـش فـى عام ١٣١٤هــ الموافق أول مـايو ١٨٩٦م ، وقـد بلـغ تعـداد القـوات الزاحفـة حوالى عشرة آلاف مقاتل(٥٦) .

واستطاع الجيش المصرى أن يحتل عكاشة فى عام ١٣١٤ هـ الموافـق ٢٠ مارس ١٨٩٦م ويعد هذا أول اشتباك فعلى بين الدراويش وقـوات الحملـة بقيادة كتشنر(٥٧) .

وقد وصـف المراسـل الحربـى لجريـدة المقطـم هـذه المعركـة فجـاء فـى تقريره – وهو من أدق التقارير الحربية التـى كتبـت عـن هـذه المعركـة – أن سعادة السردار كتشنر ومرافقيه ساروا إلى عكاشة لانقاذ الحامية والحصون ، فلما وصلوا إلى عكاشة جاءتهم الأخبـار بـأن ٢٥٠ فارسًـا ونحـو ألـف هجانـة وراجل من الدراويش على مسافة ستة أميال من عكاشة جنوبًا متجهيـن شـرقًا ولا يعلم أن كانوا قاصدين الهجوم على عكاشة أو على نقطــة أرى مـن النقـط الأمامية ، وأنهم مسلحون جميعًا بالأسلحة النارية ، فأصدر سيادته فـى الحـال أوامره إلى كومندان عموم السوارى المصرية أن يسير لمقابلتهم(٥٨) .

واتخذ السردار الطريق الصحراوى وأيضًا طريق النيـل ، وتـابع عمـال السـكك الحديديـة المصرييـن والجنـود العمـل فـى مـد خـط السـكة الحديـد فـى ظروف قاسية من الحـر والجفـاف معرضيـن لهبـوب الأعـاصير الصحراويـة وأخذ السردار يواصل الزحف حيث اسـتطاع الوصـول إلـى فركـة (Fifket)

فى عام ١٣١٤ هـ الموافق ٧ يونيو ١٨٩٦م ، وفيها باغت قوة من الدراويش قوامها ثلاثة آلاف مقاتل وتمكن من هزيمتهم وقتل ما يقرب من ألف وأسر ستمائة وفر الباقون . وقد جاء فى تقرير المراسل الحربى للمقطم عن حملة فركة لقد هاجم سعادة السردار كتشنر فركة بغتة بجنودنا المظفرة وكانت فيها قوة عظيمة من الدراويش ثلاث آلاف وأربعة فأثخن منهم ، وفرق شملهم تمزيقًا وولى ، بقى حيًا منهم الأدباء وغنمت جنودنا المظفرة خيولهم ومهماتهم وانطلق السوراى فى أسر الفارين - ويأمل أن يكون الفوز العظيم الضربة القاضية على العدو فى مديرية دنقله وستصبح فركة نقطة جيشنا الأمامية الآن(٥٩) .

وبذلك تنفس كتشنر الصعداء هو ومعاونوه حيث الامتحان الأول وكسب الجيش الجديد أولى معاركه بعد أن كان يعانى من القلق قبل المعركة .

وقد شرح كتشنر خطته فى معركة فركة فقد قام بتقسيم القوات إلى ثلاثة الآيات .

(أ) جناح الألاى الأول حيث اتخذ طريق النيل مسارًا .

(ب) جناح الألاى الثانى وقد اتخذ سفح جبل فركة مركزًا له .

(جـ) جناح الألاى الثالث حيث اتخذ وسط السهول فى فركة موقعًا له .

وقد أعطى كتشنر أوامر للجناح الثالث بالاشتباك مع الدراويش بحكم موقعه فى الوسط على أن يكون الجناحان الأول والثانى بمثابة مركز مراقبة للجناح الثالث وحمايته .

ومن خلال معركة فركة يتضح لنا أن كتشنر استطاع أن يوزع القوات التى تحت قيادته بصورة جيدة من حيث اتخاذ مواقعها ، فهو يختار المواقع

وفى عام ١٣١٤ هـ الموافق سبتمبر ١٨٩٦م استأنف قوات السردار زحفها فوصلت إلى (كرمه) بينما تحصنت قوات الدراويش فى الحفير على الضفة الأخرى للنهر ، فقد كان ود بشارة يأمل فى أن يهاجم الجيش أثناء عبوره ليقضى على ميزة التفوق العددى - ولكن نجح كتشنر فى ضرب تحصينات الدراويش فى الحفير ، كما استطاعت الوابورات أن تعبر الحفير إلى الجنوب فى إتجاه دنقلة مما أقلق الدراويش فأخذوا مراكزهم فى الحفير فى الليل مرتدين إلى دنقلة(١) .

وأمام زحف الجيش المصرى وقبل أن يطوق الجيش مدينة (دنقلة) ذاتها انسحب الأمير محمد ود بشاره إلى المتمة عبر الصحراء ليكون بعيداً عن العدو الذى يتفوق عليه عددا وعدة تاركاً دنقلة ليحتلها الجيش فى عام ١٣١٤ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٨٩٦م حيث رفع العلم المصرى على بناية المديرية وتم استرجاع ضواحى المديرية حتى مروى(٢) .

وبذلك أصبحت هناك حاميات متمركزه فى دنقلة والخندق ودبه وكروتى ومروى(٣) كما بات واضحاً أن استرجاع إقليم دنقلة قد أزال الأخطار التى كانت تهدد مصر وتهدد مستعمرة أريتريا الأيطالية من ناحية الدراويش .

وقد أنعم الخديوى على كتشنر (باشا) بالنيشان العثمانى من الدرجة الأولى بمناسبة هذا الأنتصار ، كما أمر بمنح مكافأه للجنود على بسالتهم هذه، كما أرسل الخديوى برقية تهنئة للسردار والضباط وأنعم الخديوى بنياشين أخرى على ستين ضابط من ضباط الحملة من مصرين وإنجلتز ، كما صدرت الأوامر الخديوية بعمل ميداليات من الفضة لتوزيعها على الجنود تذكاراً للانتصار وسميت هذه الميداليات بميداليات السودان(٤) .

الاستراتيجية كالشواطئ من ناحية وقمم المرتفعات من ناحية ثانية حتى يتمكن من كشف أية تحركات للعدو وإجهاض خططه الحربية وذلك بالمناوشة في الوسط ، وهذا يدل على قدرته العسكرية النـدرة فـى التخطيط التـى كـان يتمتع بها كتشنر ، وقطع الطريق على الدراويش وعدم تمكنيهم من الهجوم .

ومدنا مراسل المقطم بمعلومات عن المعارك التالية لسقوط فركة فذكر وبعد أن تمكن جيشنا من السيطرة على فركة طارد الدراويش الفارين من المعركة حتى بلغوا سوودة قبلى فركة بثلاثين ميلاً فوجدوا فيها قومًا من الدراويش فقاتلوهم وبددوا شملهم وفتحوا البلدة ، واستحوزوا على كل ما فيها من أعيره وذخيرة ومهمات ، وأسروا نحو مائة من الدراويش ووضعوا فيها أورطة من البيادة للمحافظة عليها .

وبذلك أصبح الطريق إلى دنقلة مفتوحًا أمام الجيش الزاحف .

ونلاحظ هنا أن كتشنر التزم الحرص والحيطة والدقة فى تقدمه صوب الجنوب لأنه كان كما سبق أن ذكرنا - لا يريد أن يصاب جيشه الزاحف بنكبة من النكبات التى لازمت الحملات السالفة التى واجهت قوات المهدية ، هذا مع ملاحظة أن الدولة المهدية كانت فى هذا الوقت قد استقرت فى السودان منذ زمن وأصبحت لها حاميات ثابته فى المواقع التى واجهها الجيش المصرى بقيادة كتشنر .

الخاتمة

أهم النتائج التى توصل إليها الباحث :

يرى الباحث أن معركة دنقلة انحصرت الأعمال الرئيسية فيها على الجنود المصرين فالجنود المصرين هم الذين أظهروا بسالة واضحة فى المعارك التى خاضوها ضد قوات المهدية لكن لا شك فى أن السياسة البريطانية لها الفضل فى تحويل الجيش المصرى الجديد من جيش صغير أعد للأعمال البوليسية فحسب إلى قوة حربية لها القدرة على خوض غمار الحرب وتحقيق الانتصارات الباهرة كما تحقق فى دنقلة .

وقد امتدح كتشنر الجيش المصرى فى تقرير له عن حملة دنقلة قال فيه وجدت الجيش المصرى متصفًا بصفات البسالة والأقدام والصبر على الشدائد والمكاره ومع تمام المحافظة على النظام وقد أظهر رجاله من الهمة والنشاط فى كثير من الأعمال الشاقة والأحوال الصعبة الشئ الذى يؤهله لكل مدح ، حتى كان بعض الجنود المصريين يخفون ما ينطون عليه من مرض ونصب ولا يالون بتقيح أقدامهم من المشى ليلحقوا بأخوانهم الذين سبقوهم إلى ساحة القتال .

وقد انحصرت الأعمال الرئيسية للأنجليز فى تجريده دنقلة فى نشاط القواد والضباط الأنجليز فكان منهم كتشنر قائد عموم الحملة ورئيس أركان الحرب بالأضافة إلى مدير قلم المخابرات وحكيمابشى ومدير المهمات ومدير حملة النقل وأركان الحرب التلغراف وقواد الفرسان والطوبجية والهجانة والمشاة وقادة اللواءات جميعًا .

وباحتلال الإنجليز دنقلة انتهت المرحلة الأولى من مراحل استرداد السودان ووجد كتشنر أنه لا يمكن الزحف جنوب دنقلة – حيث كانت

التعليمات الصادرة إليه أن يحتل دنقلة فحسب فعاد إلى إنجلترا يطلب من حكومته السماح له بالأستمرار فى الزحف جنوبًا خاصة أن قواته باتت فى خطر حيث أنها تبعد عن الحدود المصرية بمسافات طويلة ، وكان يخشى من تعرض القوات إلى مباغته الدراويش ومعاودة الهجوم على القوات المتمركزة فى المناطق التى كانت قواتهم (أى قوات الدراويش) تحتله من قبل هذا إلى جانب خوفه على خطوط المواصلات التى أقيمت وكلفت الجنود العناء الشديد.

لذلك سعى كتشنر بعد عودته إلى إنجلترا إلى إقناع حكومته بالاتجاه صوب الجنوب خاصة أن منطقة دنقلة كما ذكرت منطقة مكشوفة وستتعرض لهجمات يهدد المنطقة وهو التوسعات الفرنسية صوب الجنوب .

وبانتهاء المرحلة الأولى من مراحل استرداد السودان تتضح عدة حقائق .

- قام السردار كتشنر بعملية الفتح بصورة نشطة لم يتوقعها الدراويش.
- أظهر كتشنر مدى نجاحة كقائد وذلك بحرصه أولا على تدريب القوات المصرية التى كانت تحت قيادته وكفاءتها القتالية ومدى قدرتها على الانتشار السريع .
- رأى كتشنر ضرورة مد السكك الحديدية ليسهل له تموين الجيش ويضمن سرعة الحركة ولعل هذا كان من الدروس التى تعلمها الإنجليز من الحروب السابقة ضد المهديين أثناء وجود غوردن فى الخرطوم .
- أظهر كتشنر براعة عسكرية كما أظهر كفاءة فائقة فى التخطيط للمعارك وكذلك فهما واضحًا والمامًا بالظروف المحلية والدولية المرتبطة بالمناطق التى تدور فيها رحى الحرب .
- أظهرت عملية الفتح مدى التنافس الاستعماري للسيطرة على أجزاء القارة الأفريقية واستغلال مواردها وبرزت الأطماع فى حوض النيل .

- أظهرت عملية الفتح أيضًا الأطماع الإنجليزية فى تحقيق حلم رودس من الكاب إلى القاهرة .

- أبرزت عملية الفتح وعى الشعب المصرى وإدراكه أن استعادة السودان فى ظل الأحتلال البريطانى لمصر سيؤدى لوقوع السودان تحت السيطرة البريطانية وإلى تثبيت أقدام الاحتلال فى مصر .

- ترتب على عملية الفتح تغير معالم الحدود حيث أصبحت الحدود التى تمتد فى دراو إلى سرس - من دراو إلى عكاشة وسميت المديرية الجنوبية باسم مديرية النوبة وعين الأميرالاى كوكرين بك محافظًا عليها - وأما مديرية دنقلة فأصبحت تمتد من عكاشة وتنتهى إلى مروى وأصبح هنتر باشا محافظًا عليها .

الهوامش

(1) Allen, B. M. Gordon and the Sudan, London, 1931, p.p. 431-432
Compton, p., the last days of General Gordon, London .p.p. 103 - 181

(٢) مكى شكبيه : السودان فى قرن ، الخرطوم ، ١٩٦٤ م ، ص٢٧٢

(٣) زاهر رياض : السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الأستقلال (١٨٢١ - ١٩٥٣) القاهرة ١٩٦٦ - ص ١٤٦

(٤) الشاطر بصيلى معالم تاريخ السودان وادى النيل، محمد فؤاد شكرى مصر والسودان تاريخ وحدة النيل السياسة فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٨م ص ٢٢٤ - ٢٣٢

(٥) محمد فؤاد شكرى المرجع السابق ص ٤٥٨ - ٤٥٩

(٦) محمد صبرى : الأمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٦

Collins ,R.O. : King Leopold, England and the Upper Nile, London, 1962, pp. 109- 115

(7) Wright, p. : conflict on the nile London 1891p. 111 - 118 p.123 - 140

(8)Cromer, The earl of Modern Egypt, Vol .II, New York, 1908 pp. 68 -62

(٩) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٨٥

(10) Churchill, W., : The river war, Vol . II. London, 1899 p. 173

(١٠) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٣٩٢ - ٣٩٣

(11) Churchill, W. : OP. cit Vol . London 1899 . p 173

(١١) محمد فؤاد شكرى المرجع السابق ص ٤٨١ - ٤٨٢ وهناك تقرير من إدارة المخابرات يثبت أن عبد الله ود سعد زعيم الجعلين - كان هو أيضًا يطالب الحكومة المصرية باسترجاع السودان .

Inteigence Report, Egypt . No. 444 Halfa 29.3.1895 p.II university of Khartoum Libray, The Sudan Collection .

(١٢) محمد سعيد القدال : المهدية والحبشة دراسة فى السياسة الداخلية والخارجية لدول المهدية القاهرة ص ١٤٦ - ١٤٧

(13) Intelligence Repot Egypt No 44. 1894 P. Iop . cit .

(14) Atteridge , A. : Towads Khartoun . London , 1897 ., p.p. 50 - 51

(15) Mowat , G. : The new Cambridge Modern History , London Vol. XII pp. 119 - 124

(١٦) ولد اللورد هوارتيو هربرت كتشنر عام ١٢٦٨هـ - ١٨٥٠ م وقد التحق بالجيش المصرى فى عام (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢) ، وعين حاكمًا على البحر الأحمر (١٣٠٤ - ١٣٠٦) (١٨٨٦ - ١٨٨٨) ثم أصبح جنرالاً بين (١٣٠٦ - ١٣١٠) (١٨٨٨ - ١٨٩١) ورقى إلى وظيفة سردار الجيش المصرى بين عامى (١٣١٠ - ١٣١٧) (١٨٩٢ - ١٨٩٩) وأصبح حاكمًا عامًا للسودان وكان قاسيًا فى الأقتطاع من مرتبات الجنود ووصف بأنه لا يبدى أهتمامًا نحو جنوده ونادراً ما كان يتحدث إليهم وكان ضباطه يجاملونه بأن يطلقوا شواربهم على غرار شاربه الطويل ولم يجرؤ أحد منهم قط على مناقشة قرارته .

التفاصيل الكامل عن شخصية كتشنر ، يرجع إلى :

التجانى عامر : السودان تحت الحكم الثنائى (١٨٩٨ - ١٩١٨) الخرطوم ١٩٧٥ م ص ، ٧٧ وما بعدها .

حسن مكى محمد أحمد : مجلة المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم . العدد الخامس الخرطوم ١٩٨٣ ، ص١٧

(١٧) مكى شبيكة : السودان فى قرن (الخرطوم ١٩٦٤) ، ص ٤٦٩ .

(١٨) انظر المقال الذى نشرته مجلة (ايفنتج ستار) عن وضع السودان بين مصر إنجلترا . دار الوثائق المصرية . محفظة رقم ١٠٥ ، السودان .

(19) Muddathir Abd Al Rahim : Imperialisn and nathionalism in the Sudan 1899 - 1956 (Oxford, 1969) p.29

(٢٠) يواقيم رزق مرقص : تطور نظام الإدارة فى السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول. القاهرة ١٩٨٤ ، ص١٢

(21) Holt,p: A modern History of the Sudan (London , 1961) p. 111

(22) Macmichael; H.: Anglo - Egypt Sudan (London 1934) , P,82

(٢٣) عبد الرحمن عبد الله السعدى : تاريخ السودان (الخرطوم ١٩٧٢) ص ٢٢ ، عبد الحميد محمد الإسكندرانى : قصة بريطانيا فى السودان ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٦٧

(٢٤) عبد الحميد محمد الإسكندرانى : مرجع سابق ، ص٦٥

(٢٥) انشئ صندوق الدين اصلاً فى ٢مايو ١٨٧٦ الموافق ١٢٩٤هـ ، وكان يتألف من ثلاثة أعضاء (فرنسى ، نمساوى ، أيطالى) ثم انضم أليهم عضوا إنجليزى فى سنة ١٢٩٥ هـ الموافق ١٨٧٧ م ثم أخران : روسى وألمانى فى سنة ١٣٠٣ الموافق ١٨٨٥ م .

انظر : Milner , England in Egypt , London 1892 , p. 53

وفى بداية الأمر كان هؤلاء المندوبون مجرد محصلين لبعض الإيرادات وهم فى الواقع الممثلون للدائنين أكثر منهم ممثلين لدولهم والدليل على ذلك أن لندن ترددت عدة أشهر قبل أن ترشح مندوبا إنجليزيًا وبمرور الوقت لم يعد هؤلاء المندوبون مجرد محصلين للأيرادات نيابه عن الدائنين بل تحولوا إلى أوصياء بالنيابة عن دولهم يقومون بمراقبة تنفيذ الإتفاقيات المعقودة التى تنظم مالية مصر ، وبهذه الطريقة باتوا يمارسون بعض السلطات التشريعية حتى لقد أصبح صندوق الدين بمثابة (دولة داخل الدولة) Imperun in Imperiun بحيث لو شامت الحكومة - مثلا تخفيف الضرائب، بات لزاما عليها أن تنال موافقة الصندوق لأن مثل هذا الأجراء من شأنه أن يؤثر على حصيلة الضرائب من المديرات المخصصة لحملة السندات وهذه الحصيلة لا يمكن المساس بها دون موافقة الصندوق وكان القصد من هذا التضيق تجنب الوقوع فى الأفلاس ولما استقرت المالية المصرية اقترح المستشار المالى سيراد جار فنست Vincent بأن يخصص الفائض من الميزانية للاحتياطى ويتراكم هذا الفائض عاما بعد عاما يصبح للخزانة رصيد يمكنها الاستعانة به فى أية أزمة تنشب مستقبلا ووافقت الدول على هذا الإقتراح وصدر به دكريتو ١٢ يوليو ١٨٨٨ - ١٣٠٦ هـ ونصت المادة الثالثة فيه على أن هذا الاحتياطى يصرف فى وجوه الصرف غير العادية Extra ordinary Expenditure بموافقة سابقة من صندوق الدين وكان القصد من ذلك تجنب تبديد الاحتياطى فى أية أعمال ذات صبغة عادية ولكنه من ناحية أخرى أدى إلى زيادة سلطة مندوبى صندوق الدين انظر :

Cradites, P. The Winning of the Sudan London, 1934 pp 7 - 10.

(26) Neri , I ., la Qustione del Nilo, Roma, p, 107.

(27) Ibid

(28) Croner, Op, Cit ., Vol. II, p. 91.

(29) Churchil,. Op,. Cit, I. p. 176.

(30) Cradites, Op. Cit., I11 - 7 .

(31) Cromer, Op.Cit., Vol, ii, p. 92; Theobold The Mahdiya, London 196; 19514, p Elgood, The transit of Egypt, London, 1908; p. 130.

(32) Neri, Op. Cit., p.107.

(33) Charles - Roux, F., L'Egypte de I'Occupation anglaise al'Lindependence Egyptienne, paris, 1940 .

(34) Holt, Op. Cit., 2II .

(35) Cromer, Op. cit., vol1, p, 87 .

(36) Dehrain, Op. Cit, pp. 460 - 1 .

(37) Arthur, G., Life of Kitchener, London., 1920. vol. p. 190 .

(38) Cradites, Op. Cit., p. 123; Theobold, Op. Cit., p. 196 .

(39) Cromer, Op. Cit., vol. II, p. 89 .

(40) Longfiel, d, The growth of Sudan communications in the angle Egyptan Sudan from within. ed. by Hamiton, London., 1935, pp. 311 312

(41) Atteridge, A., Towards Khartoum, London, 1897. p. 53 .

(42) Theobold, The Mahdiya, London, 1951, p. 199

(43) Theobold, Op. Cit., P. 199 .

(٤٤) نعوم شقير : المرجع السابق ص ٥٧٣

(45) Ibid, p. 190 .

(٤٦) وهو كندى من أصل فرنسى بدأ حياته مهندسًا فى canadian pacific Ral ways ثم التحق بالكلية الحربية وتخرج فى سلاح المهندسين الملكى ، وقد ذلل الملازم

الشاب العقبات التى صادفته فجلب الفلنكات من مصر وتركيا ، وصنع مسامير ربطها فى ورش القاهرة والإسكندرية وجند ثمانمائة رجلا تألفت منهم كتيبة السكك الحديدية التى دربت على العمل .

(47) Cradites, Op. Cit., p. 136 .

(٤٨) نعوم شقير : المرجع السابق الجزء الثالث ص ٥٨١ – ٥٨٢

(49) Longfield, Op. Cit., p. 315 .

(50) Churchill Op., Cit., vol. I, p. 239

(51) Longfield, Op. Cit., p. 316 .

(52) Churchill, : Op. Cit., I, p; 263 .

(53) F. O 44/ 781Cromer to Salisbury (19 March 1896)

(54) Holt ., The mahdist state in the Sudan, Oxford 1958 p. 211

(55) Theobold A. B. : Op. Cit. P. 198 .

(٥٦) شوقى عطا الله الجمل : المرجع السابق ص ١٥٦

(٥٧) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٥٠٥

وانظر على الخريطة المرفقة خط سير الحملة من وادى حلفا إلى عكاشة ثم فركة .

(٥٨) جريدة المقطم : عدد ١ مايو ١٨٩٦ م .

(59) Churchill : Op. Cit, p.

(٦٠) نعوم شقير : المصدر السابق ص ٨٦٨ وكذلك انظر موقع كرمه والخفير على الخريطة.

(61) Alfred and Sword : The Egyptian Sudan. Its Loss and Recovery (London 1898) p. 137 .

(٦٢) شوقى عطا الله الجمل : المرجع السابق ص ١٥٧

(٦٣) عبد الرحمن زكى : الأوسمة مجلة الجيش المجلد السابع العدد ٢٩ إبريل (القاهرة ١٩٤٥ م) ص ٣٥٨ .

الملاحق

(١)

من كتشنر إلى قائد جيش الاحتلال بشأن احتلال دنقلة

قاتلنا الدروايش فى مراكزهم فقاومونا إلى أن هجمنا عليهم ففروا هاربين فطاردتهم السوارى والهجانة والطوبيجية الفرسان وبارجتان وقد استوليت على دنقلة ورفعت علم الحضره الفخيمه الخديوية على بناء المديرية القديمة وهو خرب الآن وقد غنمنا من الأعداء ستة مدافع مقدارًا عظيمًا من الذخيرة وسلم إلينا كثيرون من الأمراء الكبار ومنهم ولد النجومى وكثيرون من الأمراء . رجال الجهادية السودانية .

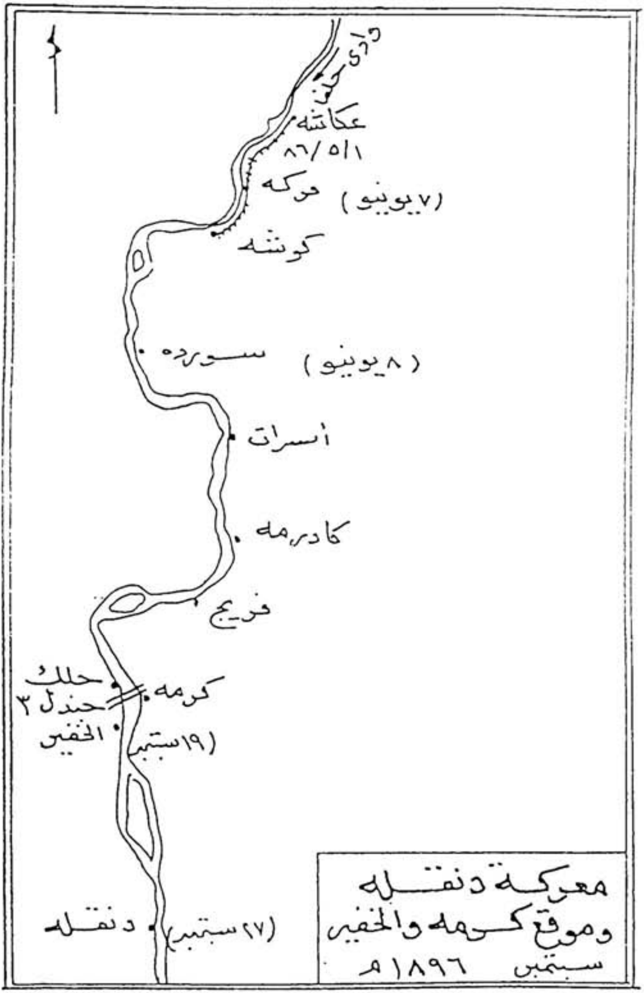
F.O. 407/183

(٢)

من كتشنر إلى قائد جيش الاحتلال بشأن هزيمة . الدراويش فى أم دابية .

أن طلائع (كشافة) الوادى كانت عائده من أم دابيه فى ٢١ جارى بعد الظهر وكان قوم من الدراويش كامنين فى أكمنة هناك فهاجموها بغته وانتشب القتال بين الفريقين وانهزم الدراويش وعاد (المصريين) وقد قتل ثمانية منهم رحمه الله عليهم وجرح سبعة وأن القتال وقع بين قوة عظيمة من الدراويش وبلك من الفرسان وأورطه من المشاه أمس صباحًا على بعد أربعة أميال من رأس الهودى فأرسل عدد من الفرسان وبطارية من المدافع الراكبة لانقاذ العساكر المصرية فاستظهروا على العدد وتقهقر الدروايش مسافة أميال عن أبادير بعد أن قتل جماعة منهم وجرح آخرون ولم يخسر المصريون أحد .

F.O. 407 212



وادي حلفا
عكاشه
٨٦/٥/١
فركه
(٧ يونيو)
كوشه
سورده
(٨ يونيو)
أسرات
كادرمه
فريج
حلك
كرمه
جندل ٣
الحفير
(١٩ سبتمبر)
دنقله
(٢٧ سبتمبر)
معركة دنقله
وموقع كرمه والحفير
سبتمبر ١٨٩٦م



خريطة توضح خط سير
الجملة من وادى حلفا إلى
عكاشه ثم فركه

المصادر والمراجع

أولاً الوثائق :

وزارة الخارجية البريطانية :

F.O 44/781

F.O 407/183

F.O 407/212

ثانيًا : المراجع العربية :

١ – إبراهيم الأسيوطى : السودان الشقيق ، القاهرة ١٩٦٤ م .

٢ – الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة .

٣ – بواقيم زرق مرقص : تطور نظام الإدارة فى السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول القاهرة ١٩٨٤

٤ – التجانى عامر : السودان تحت الحكم الثنائى ، الخرطوم ١٩٧٥ م .

٥ – زاهر رياض : السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ – ١٩٥٣ القاهرة ١٩٦٦

٦ – شوقى عطا اللـه الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٧ – عبد الحميد محمد الاسكندرانى ، قصة بريطانيا فى السودان ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٨ – عبد الرحمن عبد الله السعدى تاريخ السودان ، الخرطوم ١٩٧٢ م .

٩ – محمد سعيد القدال : المهدية والحبشة دراسة فى السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية ، القاهرة .

١٠ – محمد صبى : الأمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٤٨ م .

١١ – محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٨ م .

١٢ – مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، الخرطوم ١٩٦٤ م .

١٣ – نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، القاهرة ١٩٠٣ م .

ثالثًا : الدوريات :

١٤ – حسن مكى محمد أحمد : مجلة المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم ، العدد الخامس الخرطوم ١٩٨٣ م .

١٥ – عبد الرحمن زكى : الأوسمة ، مجلة الجيش ، المجلد السابع العدد ٢٩ إبريل ، القاهرة ١٩٤٥ م .

١٦ – جريدة المقطم العدد الأول مايو ١٨٩٦ م .

١٧ – جريدة المقطم العدد السابع يونيو ١٨٩٦ م .

١٨ – جريدة المقطم العدد الثامن أغسطس ١٨٩٦ م .

١٩ – جريدة المقطم العدد التاسع يونيو ١٨٩٦ م .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

1. Arthur, G.,life Kitchener, London, 1920 .
2. Alferd and Sword., The Egyptin Sudan. Its loss and Recovery , London , 1898
3. Allen, B., Gordon and the Sudan, London , 1931 .
4. Atteridge, A., Towards Khartoum , London , 1897 .
5. Cradites p., The winning of the Sudan London , 1934 .
6. Charles - Roux , F., I'Egypte de l'accupation angylaise al'independence Egyptienne , Paris , 1940 .
7. Collins , R.,King leopold, England and the upper Nille , London, 1962 .
8. Ghur chill , W., The River war , London , 1899 .
9. Compton , P., The last days of general Gordon , London .
10. Cromer., The Earl of Modern Egypt , New york , 1908
11. Deherain, H., Le Soudan perdu et Reconquis, Pairs , 1940 .
12. Elgood ., The Transit of Egypt, London , 1908 .
13. George, A., Life of lord Kichener, London , 1920
14. Holt , p. Amodern History of the Sudan , London 1961.
15. Holt , R., The Mohdist state in the Sudan , Oxford 1958
16. Long field, The growth of Sudan Communications in the Anglo - Egyptian Sudan from withn , London , 1935 .
17. Mawat,G., The new Combridge modern history , vol . xii London .
18. Milner, England in Egypt , London , 1892.
19. Muddathir abd Al Rahim ; Imperialism and Nationalism in the Sudan 1899 - 1956 , Oxford, 1969.
20. Macmichael , H., Anglo - Egyptian Sudan , London , 1934 .
21. Neri, I., question del nilo , Roma, 1939 .
22. Theobald., The mahdiay, London , 1951.
23. Wrigt , P., Conflict on the Nile , London , 1891.

الإدارة المالية فى مصـــر
فى عصـــر البطالمة

د. محمد فهمى عبد الباقى
كلية الآداب – جامعة القاهرة

أولاً : الإدارة المالية فى مصر قبل البطالمة :

لكى نتعرف على أصل الإدارة المالية فى مصر فـى عصـر البطالمـة ، لابد أن نلم أولاً بالمعروف عـن هـذه الإدارة فـى مصـر فـى عهـد الفراعنـة . والحقيقة أن الوثائق الإدارية الباقية من الدولتين القديمـة والوسـطى قليلـة جـدًا والأقل من هذا القليل هو الذى يساعدنا علـى معرفـة شـكل الإدارة الحكوميـة وتطورها فى مصر . وأول ما نلاحظه فى هذا المجال الدور الذى لعبه رجال البـلاط فـى اتخـاذ القـرارات والإجـراءات الإداريـة هـذا إلـى جـانب ابتكـار المصريين لكثير من الألقاب فى مجال الإدارة وسيكون تركيزنا هنا على دور الحكومة فى المجال المالى ، آملين وضع الأساس الصحيح للإدارة المالية فـى عصر البطالمـة . فيظهـر أنـه كـان مـن الأعمـال الهامـة للحكومـة هـو تعيين وتحصيـل المـوارد الأساسـية اللازمـة لاحتياجـات البـلاط الفرعونـــى وكذلـك مشـروعاته الداخليـة والخارجيـة . والمـوارد الأساسـية أتـت – كمـا فـى كـل العصـور – من الزراعة ، ونجد أنهـم قسـموا الأراضـى الزارعيـة إلـى ثلاثـة أقسـام وهـى : أرض مملوكـة للتـاج ، وأرض المؤسســات الدينيـة ، وأخـيرًا الأرض المملوكة للأشخاص . هذا إلى جانب الموارد الأخرى التى تـأتى بعـد الزارعة . وأنشأوا ثلاث إدارات كبرى رئيسية لإدارة الدخول المتنوعة وهى: " قسـم رأس الجنـوب " و" مكتب إدارة الميناء " و" الخزانـة " ، لكـن لابـد أن نشير هنا أن الضرائب لم يكن دورها واضحًا فى وثائق هذه الفترة(١) .

ومن وثائق الدولتين القديمة والوسطى نجد أن المصريين أجروا إحصاء عامًا للماشية كل عامين(٢) ، وتعدادًا للأشخاص بالمنزل(٣) ، وأنهم أحصوا موارد المياه المختلفة(٤) ، والسبب فى ذلك على ما اعتقد هو الرغبة فى تحديد إيرادات الدولة التى تجبى من الناس والماشية والأراضى ، وهذا يعنى معرفة المصريين القدماء وسيلة التعداد فى ضبط الإيرادات وتحديد التزامات الأفراد ، ولم تتساهل الإدارة فى تنفيذها ، ففى بردية من الأسرة الثالثة عشر ، تبين أن المصريين الذين لم ينفذوا واجباتهم الإلزامية سجنوا ، ثم حولوا إلى العمل فى مزارع الدولة ومعسكرات العمل وفاء لما عليهم من التزامات مالية معينة(٥) .

كان على رأس الإدارة المدنية فى عصر هاتين الدولتين شخص هام يلقب بالوزير Vizier ، ويخضع للملك مباشرة ويتلقى منه التوجيهات التى يحولها إلى تعليمات تنفذها الإدارت المختلفة وكانت مسئولياته عن الاقتصاد والإدارة والقضاء ، ولابد أنه وجدت شبكة من المندوبين الرسميين ووكلاء الحكومة منتشرين فى طول البلاد وعرضها ، يتخذون الوسائل الإدارية الكفيلة لتحصيل المقدار المقرر للإيراد حتى من المؤسسات الدينية أو المزارع الخاصة(٦) .

كان ذلك فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، فإذا انتقلنا إلى الدولة الحديثة نجد أن معالمها الإدارية ازدادت وضوحًا ، فتشكلت الإدارة المركزية من أربع وحدات مستقلة هى :

إدارة الأراضى الملكية ، وإدارة الجيش والأسطول ، والإدارة الدينية ، والإدارة المدنية ، وكان لهذه الإدارات فروع فى الأقاليم لتحقيق الفعالية والاستقرار ، ويرأسها موظفون يختارهم ويعينهم الملك(٧) .

ويهمنا من هذه الإدارات " الإدارة المدنية " ، التى تولى رئاستها وزيران ، اختص أحدهما بالشمال والآخر بالجنوب ، ولهما سلطات قضائية وشرطية ، ولكن مجالهما الأرحب كان فى الشئون المالية ، حيث خضع لهما كل من : " المشرف على الخزانة " و" رئيس إدارة الضرائب " و" المشرف على الشون " و" المشرف على الماشية " . ويعنى ذلك أن الإدارة المدنية كانت تضم أربع إدارات مالية كبرى(٨) .

وإذا كان منصب الوزارة تولاه اثنان بسبب ازدياد المسئولية ، إلا أن المناصب الأدنى بقيت دون ازدواجية ، كالمشرف على الخزانة ، والمشرف على الشون والمشرف على الماشية ورئيس إدارة الضرائب . وكان شاغل هؤلاء تنظيم الحياة الاقتصادية ، وتجميع الإيرادات وتخزينها ، وكان خضوعهم مباشرة للوزير ، والذى كان له مندوبين فى الأقاليم : يتابعون سلوك الموظفين ، ويكتبون التقارير ويرفعونها إلى الوزير الذى كان له الحق فى رفعها للملك(٩) ، وخاصة أن الملك هو مصدر جميع السلطات ، وهو الذى أولى السلطة لممثليه وهم الموظفون سواء فى الإدارة المركزية أو الإدارات المحلية . وبدورهم مارسوا المتطلبات العملية لكل وظيفة(١٠) .

اعتمدت الإدارة المركزية فى العصر الصاوى على شخصية الملك الذى كان له دور إيجابى فى تصريف الشئون الرسمية ، فنجده يدير القضاء ويفحص مرسومًا بخصوص شكوى ويكافئ الأمين الكفء . لكن ليس معنى ذلك اختفاء " منصب الوزارة " بل استمر ، وإن كانت اختصاصاته لم تكن واضحة كما فى العصر السابق ، وظهرت وظائف مدنية ذات أهمية فى المجال المالى والاقتصادى فى مقدمتها " المشرف على المزارع " الذى عاونه " قياس الأرض " ثم المشرف على الشونة ويعاونه : " كاتب الحسابات "(١١).

وعندما خضعت مصر للاحتلال الفارسى نجد أنه لم يحدث تغييرًا فى طريقة الحكم المصرية ، وقد حل الفرعون الفارسى محل الفرعون المصرى ولذلك استمرت الإدارة مركزية فى البلاد وعلى رأسها الحاكم الفارسى الذى يلقب بالـ " ساتراب " " Satrap " واتخذ من منف عاصمة له ، وكان يختار من الأقربين فى الأسرة المالكة . وواجبه الأهم فى مصر هو ضمان تحصيل الضرائب بالإضافة إلى جمع كل ما يحتاجه الأمبراطور الفارسى . وقد وضع " الساتراب " تحت رقابة شديدة من الأعوان المندسين فى مجلسه ، وعن طريق إرسال مفتشين سنويًا إلى مصر ، وأهم الموظفين فى الإدارة المركزية كان الموظف الملقب بالـ Frasaka أو Patifrasa وهو يعنى الباحث أو المحقق ، ثم المستشار Chancellar الذى كان يعاونه مجموعة من الكتبة الملقبين بالكتبة الملكيين ، وقد وجد المصريون فى مكتبه ، ربما لقيامهم بعمليات ترجمة الوثائق الآرامية - اللغة الرسمية للأمبراطورية الفارسية - إلى المصرية . وكان يوجد إلى جانب ما سبق وظيفة المشرف على الخزانة Overseer of Treasury وكان مقرها " منف " وقد تولاها " مصرى " .

على العموم كانت سياسة الفرس بالنسبة للإدارة تسير على مبدأ " ذرهم يفعلوا " Laissez Faire ، وساعد على ذلك التشابه الشديد بين النظم المصرية والنظم الفارسية فلم تحدث تغييرات هامة فى درجات الموظفين كبارهم وصغارهم فى عهدهم ، بل احترموا التقاليد الإدارية المصرية ، لذلك لم يجد المصريون أية مشكلة إدارية بعد طرد الفرس عام ٤٠٤ ق.م .

كان " الإقليم " هو أساس الإدارة المحلية فى العصر الصاوى ، وقد بلغ عدد هذه الأقاليم أربعين . كان على كل واحد منهما (نومارخ) ، ويتولى تصريف أمورها المختلفة وخاصة ما يتصل بالقضاء والاقتصاد ودروه فى

المجال الاقتصادى واضح من وثائق هذه الفترة وكان يحق له فرض الضرائب . وقد ساعده جيش من الكتبة يعرفون بكتبة الإقليم . وكانوا على درجة عالية من الكفاءة ويهتمون أيما اهتمام بسجلات الإدارة المحلية . وتحت سيطرة رئيس الإقليم رئيس الشرطة ورجاله ، وكانت الشرطة تعتمد على المرتزقة فى إنجاز أعمالهم ، ثم انقسم الإقليم إلى عدد من المراكز الهامة ، كان يتولى رئاستها " مايور " أى رئيس المدينة . ومعه كاتب المدينة الذى كان كل عمله فى الضرائب(١٢) .

ثانيًا : الإدارة المالية فى عصر البطالمة :

١ – فى القرن الثالث ق.م :

ثم نأتى للفترة البطلمية فنجد أنهم حافظوا على نظام الحكم المصرى ، مثلما حافظ عليه الفرس ، لأنه الأنسب لإدارة مصر ، وخاصة أن نظم الحكم المركزية لم يكن للمقدونيين خبرة فيها . لذلك استمدت الإدارة المالية البطلمية أصولها من النظم المصرية القديمة(١٣) ، وكان من الطبيعى أن يقوم البطالمة بتعديلات فى هذه النظم ، لتغير ظروف مصر السياسية ، وتبعًا لطبيعة حكمهم العسكرى فى أول أمره ، ثم لا ننسى أنهم أدخلوا العملة ، وقد صحب ذلك تغييرات أكيدة فى الإيرادات وفى طريقة جبايتها . وكان أول تغيير ملحوظ – فى رأى – هو أن البطالمة جمعوا كل ما يتصل بالمال والاقتصاد فى إدارة واحدة مقرها الأسكندرية ولها الهيمنة على فروعها الإقليمية ، ويرأسها موظف يلقب بالديوكتيز وساعده موظف أقل درجة منه يعرف باسم بالاكلوجستيز ، إلى جانب ما كان فى الإدارة من موظفين أقل درجة.

ولنبدأ الآن بإلقاء الضوء على الإدارة المالية المركزية . وهى تتكون كما سبق من الديوكتيز والاكلوجستيز .

يعتبر الديوكتيز (διοικητής) رئيس الإدارة المالية المركزية ، ويخضع للملك مباشرة ، ويستمد منه نفوذه وسلطانه الذى لا يحد(١٤) حيث يصوغ تعليماته فى شكل مراسيم رسمية . وتوجد فى إدارته جميع المراسلات والسجلات الخاصة بمالية مصر ، وكذلك عدد من الكتبة وأمناء الخزائن الذين يساعدونه فى تسجيل وضبط كافة الإيرادات العينية والنقدية ، هذا إلى جانب أنه المسئول عن حراسة خزانة الملك والغلال والزيت والنبيذ للأسكندرية والأقاليم(١٥) . وإلى الديوكتيز ترسل المسائل المالية المستعصى حلها على الموظفين ، حيث يتخذ فيها القرار المناسب(١٦) . لذلك ازدحمت إدارته بمراسلات متعددة وقرارات مختلفة متباينة أرهقته حتى أنه نبه فى إحدى رسائله (أن لا ترسلوا إلى الملك رسائل مطولة ولا فى كل الأغراض ، ولكن من الضرورى والمُلح ... أن تكون مختصرة قدر المستطاع ...)(١٧) .

ويتولى الديوكيتيز مراقبة الأيكونوموس ، رئيس الإدارة المالية فى الإقليم فى القرن الثالث ق.م ويتلقى تقاريره الحسابية الشهرية والسنوية عن الملتزمين(١٨) ، ويحدد أسعار السلع المحتكرة(١٩) ، بل يحدد أسعار جرار النبيذ الفارغة(٢٠) ، ويشرف على بيع الضرائب للملتزمين(٢١) ، وله حق توجيه اللوم لو انخفض الإيراد عما هو مطلوب ، أو فى حالة رفع السعر المقرر للمواد المحتكرة(٢٢) .

ويراقب مراقبة دقيقة إيرادات كل إقليم ، ويطلب توضيح أى خطأ توضيحًا دقيقًا(٢٣) ويحق له تخفيض أو رفع الإيجارات(٢٤) ، والضرائب(٢٥) ، ويراقب الأراضى الزراعية ، ويبحث سبب بوار أى أرض(٢٦) ، ويتلقى الشكاوى ويتخذ فيها رأيًا(٢٧) ، ويصدر تعليماته بخصوص الزارعة ويحدد قوائم السخرة ويوزعها بالعدل(٢٨) .

وتولى الديوكتيز اختبار وتعيين الموظفين الماليين(٢٩) ، وإن كان فيما يبدو لم يكن له حق تعيين الموظفين الكبار . وعليه مراقبتهم كبارًا كانوا أم صغارًا . تبعًا لقواعد المراقبة والضبط ، ويتأكد من نزاهتم ، عن طريق جولات تفتيشية حرة يقوم بها أو يرسل عنه مندوبين(٣٠) ، وإذا ثبت إهمال أحدهم فله الحق فى عقابه بغرامة مالية(٣١) .

هكذا كانت سلطات الديوكتيز واسعة ، مما حدى البعض إلى تعريفه بلقب " وزير المالية " نظرًا لسيطرته على المال والاقتصاد فى مصر . ويزيد البعض إلى تشبيهه بالوزير فى العصر الفرعونى وأنه dja(٣٢) وإذا كنا لا نرفض التشبيه الشائع ، إلا أننا لا نرى أنه dja ، فبالبحث عن لقب الوزير الفرعونى وجدنا أنه " ثاتى " ( ) ، ولم يكن من بين ألقابه لقب dja وإنما dja هذا هو اسم لوزير مصرى من الدولة القديمة(٣٣) .

أما مساعد الديوكتيز فهو الاكلوجستيز . فهو أقل منه درجة(٣٤) ، وتولى أعمالاً أساسية فى الإدارة المالية المركزية بمهام أمين الخزانة ، وأشرف على إيراد الولايات ، وحقق سجلات أمناء المخازن ، وقنن أعمالهم، وهو الذى يوزع موظفى البنوك الملكية ويراجع حساباتهم الشهرية(٣٥) ، ويراجع كذلك حسابات المشرف على الشون (السيتولوجيوس) ، ويتسلم الضرائب العينية(٣٦) ، ويعمل على زيادة إيجار الأراضى المؤجرة ومواجهة العجز فى الإيراد(٣٧) وبصفة عامة كان الاكلوجستيز مديرًا لإدارة الأملاك العامة بالدولة(٣٨) .

وباختصار تمثلت الإدارة المركزية فى اثنين من كبار الموظفين هما :

الديوكيتيز والاكلوجستيز وعدد من الموظفين أقل درجة مثل : أمناء الشون ، أمناء الخزائن ، الكتبة ... إلخ ، والديوكيتيز وجه المالية فى الدولة

البطلمية لا فى مصر فقط بل فى ممتلكاتها الخارجية أيضًا عن طريق موظفين محليين . وقد ألمحنا لازدياد مسئوليات الديوكيتيز ، وقيامه بكل المسائل التفصيلية ، مما حدا البعض بوجود " ديوكيتيز محلى " فى كل إقليم يخضع مباشرة " للديوكيتيز المركزى " وأصبح هذا الآن من نافلة القول ، حيث ثبت وجود " مساعد ديوكيتيز " منذ القرن الثالث ق.م(٣٩) ، ويبدو أن اختصاصاتهم تنحصر فى الإشراف على الإدارات المالية فى الأقاليم ، وكان لكل واحد منهم عدد من الأقاليم يتولى الإشراف عليها(٤٠) .

أما عن الإدارة المالية فى أقاليم مصر خلال القرن الثالث ق.م . فنجد أنه يوجد فى كل إقليم مصر مجموعات ثلاث هم : الإداريون والماليون والكتبة . والموظفون الإداريون هم الذين يمثلون السيادة الملكية فى الأقليم ، ومن ناحية أخرى لهم دور فى الماليات ، حيث كان لهم دور فى تحصيل الدخل كل فى إقليمه المحدد له .

أما الموظفون الماليون فهولاء أشرفوا وأداروا ماليات كل إقليم ، سواء كانت إيرادات نقدية أو عينية ، وانشغلوا بالالزامات الضريبية وتحصيلها ، بينما كان الكتبة يقومون بعمل الإداريين والماليين معًا وكتابة التقارير .

أولاً : الموظفون الإداريون :

كان هؤلاء الموظفون على رأس الإقليم ، ويتقدمون الموظفين الماليين ومن الطبيعى أن يكون البدء بتعريفهم . فهم بالضرورة الأكثر معرفة وإدراكًا للإدارة المدنية ، وهذا يسهل لنا معرفة تلقائية تحصيل الضرائب ، وخاصة العينية.

وأود أن أوضح : أن النومارخ والطوبارخ ما هما إلا موظفان خصوصيان للأراضى والأقاليم الملكية . وسلطاتهم محددة أساسًا بمناطقهم

كان ذلك فى القرن الثالث . ق.م . حيث كان الحاكم المدنى فى الإقليم غير موجود لأن الاستراتيجوس وهو الحاكم العسكرى فى القرن الثالث ق.م كان نفوذه واسعًا وممتدًا فى المجالين المدنى والعسكرى . وعندما تطور الاستراتيجوس إلى حاكم مدنى فقط وتولى إدارة الإقليم أصبح نفوذ الموظفين الملكيين كبيرًا .

كانت مصر مقسمة إلى أقاليم – كما سبق القول – سماها اليونان " نومارخيات "(Vóμos) ، وكان يتولى إدارتها الأستراتيجوس(٤١) ويوجد بها " نومارخ " (Voμáρχηs) الذى لم يكن رئيسًا للنورماخية بل كان يشرف على توزيع المحاصيل(٤٢) ، وكان يوجد خمسة نورماخيين فى إقليم أرسينوى على الأقل(٤٣) ، ويبدو أنه له دورًا فى دائرة اختصاصه كمدير للأراضى(٤٤) .

ويرسل النومارخ تعليماته إلى أقسام الولاية التى كان يعرف الواحد منها باسم الطوبارخية ، وكان يتولى الواحد منها طوبارخ(Toπáρχηs) وهم بدورهم يرسلونها إلى القرى (Kẃμη) التى فى دائرة مركزهم ويتولاهم شيوخ القرية ، وربما تولى الطوبارخ والكومارخ إدارة الشرطة فى خلال القرن الثالث(٤٥) . وكانا يتوليان أيضًا مراقبة الزراعة والسدود والقنوات ، وكرسوا وقتهم كذلك للضريبة العقارية ، وساهم الطورباخ فى الإشراف على مسح الأراضى الزراعية والضريبة العقارية المعروفة باسم υπερ τοπου. بينما قام الكومارخ بالإشراف على سجلات أمناء الشون وتوقيعاتهم عليها(٤٦) .

ثانيًا : موظفوا الإدارة المالية :

كان رئيس الإدارة المالية فى الإقليم هو الأيكونوموس Oἰkovoμos مسئولاً عن الإيرادات سواء عينية أو نقدية ، وعاونه موظف يسمى

ἀντιγραφεύςالذى كان ملازمًا للأيكونوموس ويساعده فى جميع الأعمـال[٤٧] فيتولى الإيكونوموس الإشراف على الرى وتنظيـف القنوات وإنشـاء الجسـور والسـدود ، والإشـراف الفنـى علـى الـرى ومسـائله[٤٨] . كمـا يتولـى الايكونومـوس الإشـراف علـى الأراضـى الملكيـة[٤٩] ، وأراضـى الحيـازات العسكرية - خاصة أثناء غياب أصحابها[٥٠] - وعلى أراضى الضياع[٥١] ، والأراضى الخاصة . وكان الايكونوموس فى مجال الأراضى الملكية له دور واسع ، فهو مسئول أولاً عن تأجيرها عن طريق المزاد[٥٢] ، أو الإجبار على زراعتها فى حالة عدم وجود مزايدين[٥٣] ، ثم كان عليـه حمايـة المزارعين الملكيين[٥٤] ، ومراقبتهم[٥٥] ، ويتولـى الايكونومـوس تـأجير الآلات للفلاحين الملكيين وغيرهم[٥٦] ، ويشرف علـى توزيـع التقـاوى[٥٧] . ويتولى تنفيذ تعليمات الحكومة الخاصة بالزارعة بصفة عامـة[٥٨] والخاصـة بزراعة الحبوب الزيتية بصفة خاصة حيث يتولى تحديد المساحة المطلوب زراعتها ، ويحدد لها نوع المحصول من هذه الحبوب[٥٩] ، ويتولى الإشراف على المراعـى[٦٠] ، وحظـائر الماشية[٦١] ، وكذلك يقوم بحصـر الماشـية الخاصة بالملك والأفراد[٦٢] ، ويشرف كذلك على تربية النحل[٦٣] ، ويتولـى الإشراف على زراعة الأشجار[٦٤] ، بل يقوم أيضًا ببيع الأشجار[٦٥] .

والأيكونومـوس يتولـى مسئولية صناعـة المنسـوجات وأهمها الكتـان ، والصوف ، حيث كان يتمم على عدد الأنوال[٦٦] ويتابع جـودة الإنتـاج[٦٧] ، ويدفع للعمـال أجورهـم[٦٨] ، بحيث يصنعون القدر المطلوب تمامًـا[٦٩] ، ويضبط حسابات الأنوال[٧٠] ، وكان كذلك بالنسـبة إلى صناعـة المنسـوجات الصوفيـة والحبـال[٧١] ، وفـى صناعـة الزيـت فهـو المسئول مسئولية كاملـة عنهـا[٧٢] ؛ هـو والانتجرافيـوس ، ويمـد المصـانع بـالقدر التـى تحتاجـه مـن

الحبوب الزيتية(٧٣) ، ويراقب إنتاجها(٧٤) ، ويختم آلاتها ويمنع أى نوع من استخراج الزيت سرّاً(٧٥) .

وكان يسجل المزارعون للعنب أنفسهم أمام الايكونوموس مثبتين أسمائهم ، والقرية التى منها ، والمقدار المنتج فى مزارعهم(٧٦) . ويشرف الايكونوموس على صناعة النبيذ(٧٧) ، ويحدد المقدار الذى يأخذ منهم ، ويعطى الملتزم كشوف بأسماء المزارعين كل على حدة ومقدار الإنتاج ، ومقدار الضريبة(٧٨) ، ويتولى الايكونوموس فحص النبيذ(٧٩) ، والإشراف على نقل مقدار الضريبة إلى المستودع الملكى ، أو يقرر ضريبة بديلة يدفعها المزارعون بديلاً عن النقل(٨٠) . وعليه أن يبحث عن باعة للزيت ويبيع لهم حق بيعه فى مزاد عام يرسى على من تقدم بأعلى سعر(٨١) ، وينظم حسابات الملتزم ويدققها(٨٢) ، ويشرف أيضًا على مصانع الزيت الخاصة بالمعامل المنتجة لزيت السمسم(٨٣) ، ويزور هذه المصانع ويرقمها بخاتمه(٨٤) .

كانت الضرائب النقدية تجبى عن طريق الالتزام . والالتزام يعنى أن يباع حق ضمان جباية الضرائب لمن يدفع أكثر . لذلك كانت العملية غير سهلة . ويتولى الايكونوموس مسؤلية المزاد فى إقليمه(٨٥) ، حيث يسجل الراغبون فى الاشتراك فى الالتزام أسمائهم لديه(٨٦) ، ويتولى هو فحصها لحذف غير الصالح منهم(٨٧) ، وعليه أن يقدم كفيلاً ضامنًا للسداد(٨٨) ، وإذا لم يقدم الكفيل يلغى المزاد الأول ويجرى المزاد ثانية(٨٩) ، بشرط أن لا تخسر الخزانة عن المبلغ المتفق عليه سابقًا ، لكن إذا حدث ذلك يتحمل الملتزم السابق هذا الفرق(٩٠) ، والايكونوموس يتسلم تعهدات الضامنين مكتوبة(٩١) ، ويتحقق من صحة البيانات التى قدمها الكفيل(٩٢) ، وشارك الايكونوموس مع الملتزم والانتجرافيوس فى اختيار المحصلين وتحديد

مرتباتهم التى تسدد عن طريق الايكونوموس(٩٣) ، والايكونوموس أيضًا هو المسئول عن تحصيل الضرائب المتأخرة(٩٤) .

ويتولى الايكونوموس الأشراف على مديرى الخزائن فى القرى والمركز والعاصمة وكذلك المصارف(٩٥) ، وهو الذى يحدد ضريبة " الأبومييريا "(٩٦) ويشرف على تحصيلها(٩٧) ، ويتعقب المتهربين منها(٩٨).

كان دور الايكونوموس خلال القرن الثالث ق.م غير محدود فى تحصيل الضرائب العينية ، مثلما كان فى القرن الثانى ق.م ويبدو أن النومارخ والطوبارخ والكومارخ كان دورهم رئيسيًا فى تحصيل هذا الجانب من الايرادات وربما تولى الأشراف عليهم وخاصة من الناحية المالية . فكان عليه أن يضبط الإيرادات من القمح والغلال ، ويسهر على تحصيل المتأخرات والإشراف على التكاليف(٩٩) .

بينما انشغل الملتزم وموظف البنك فى تحصيل الإيرادات النقدية شهريًا كان الإداريون فى الأقاليم والسيتولوجوى يتولون الإيرادات العينية فى نفس الوقت(١٠٠) .

تولى الملتزم بلا شك تحصيل الضرائب النقدية ، وكان منطقيًا أن يكون ضمن رجال الإدارة المالية نظرًا لأهمية الدور الذى يقوم به ، لكن لم يكن كذلك لأن له نظامًا خاصًا ، فهو عليه تحصيلها وليس عليه حراستها ، وعليه أن يكتب تقارير عما تم تحصيله ويرسله إلى الايكونوموس ، ويسلم كل ما حصله إلى البنك الملكى(١٠١) -

لقد عرفت مصر منذ عهد البطالمة المبكر البنوك الخاصة (ἰδιωτικός Τράπεζα)(١٠٢) التى ظهرت فى الأسكندرية ومدنا أخرى ، وكانت هذه

البنوك تحمل خصائص البنوك الموجودة فى بلاد اليونان فى ذلك الوقت ، ثم ظهرت البنوك الملكية (Baσιλikos tpáπεςa) منذ عهد بطليموس الثانى ، وفى عام ٢٥٩ ق.م ظهر الإلزام فى البنوك(١٠٣) .

وموظفوا البنوك الذين كانوا يشترون عملهم عن طريق المزادات التى كانت تجرى على نسق تلك الخاصة بالضرائب ، لم يكونوا ضمن الموظفين الرسميين وإنما كانوا خارجهم(١٠٤) ، لكنهم أشد ارتباطًا بالدولة ، ويختلفون عن البنوك الخاصة التى كانت عبارة عن شركات خاصة واضحة(١٠٥) .

كان يوجد بنك فى عاصمة الإقليم تخضع له البنوك الأخرى الموجودة فى الإقليم أى أن البنوك فى الإقليم تمثل وحدة بنكية واحدة ، يتولاها موظف واحد ، وهو الذى يختار ويرسل الموظفين إلى القرى ذات الأهمية أو البعيدة عن العاصمة . ويبدو أن من تولى الوظيفة البنكية هذه لم يكن يشترط عليه جنس معين ، لكن لابدأن اليونانى كان مفضلاً لو وجد(١٠٦) ، وكانت هذه البنوك تأخذ كل ما يرد إليها من مال ضريبى عن طريق الممولين أو الملتزمين ، أو متأخرات أو غرامات . وتقوم البنوك بدورين فى وقت واحد وهما التحصيل والصرف(١٠٧) .

أما عن الضرائب المتأخرة فيتولى تحصيلها موظف خاص فى كل إقليم يعرف باسم" براكتور أكسينكون" πpáκτωρ των ξενikῶν كان يتولى كافة الديون الخاصة بالدولة . ولكنه لم يكن مسئولاً عن الضرائب العينية المتأخرة(١٠٨).

تولى تحصيل الضرائب العينية مجموعة من المحصلين يعرفون باسم (سيتولوجوى) وهم أمناء الشون (σιτόλογos)(١٠٩)، (واينولوجوى οἰνόλογos) أمناء مخازن النبيذ...إلخ ، وهم تحت أمرة الايكومونوس والمعلومات التى لدينا

تخص (السيتولوجوس) وهم أمناء الشون . حيث كان يوجد فى عاصمة كل إقليم (سيتولوجوس) الذى يناظر موظف البنك (Τραπεξιτης) فى عاصمة الإقليم وله مندوبون فى كل القرى(١١٠) ، كان عمله الرئيسى تحصيل الضرائب العينية ، ولم يكن يحصل الغلال فقط (والغلال كانت المحاصيل الحبية كالقمح والشعير والذرة والكتان) ، بل أيضًا كل الأنواع العينية كالخروع والقرطم وكذلك التبن(١١١) . وكان إلى جانب ذلك يقرض الفلاحين التقاوى لتعليمات الملك وتحت إشراف الانتجرافيوس(١١٢) . ويقوم السيتولوجوس بعمل حساب عن المديونيات والتكاليف اليومية ، ويعمل حسابات عن كل شهر (μηνίατα)(١١٣) وكان كذلك يقوم بحفظ غلال الأفراد(١١٤) .

وأخيرًا نأتى إلى جماعة الكتبة ، وكان دورهم هو عمل رقابى لكلا النوعين من الموظفين السابقين ، حيث كان الكاتب الملكى والكاتب الطوبارخى والكاتب القروى يعملون على المراقبة والضبط العام والمالى وباستمرار يقومون بكتابة التقارير ، ليس فقط عن الضرائب النقدية بل أيضًا الضرائب العينية . ويتحقق الديوكيتيز عن صحة ما يكتبونه . ولسوء الحظ أن معلوماتنا عن هؤلاء فى هذا القرن غير كافية ، وإن كانت معلوماتنا عن الكاتب الملكى أكثر من النوعين الآخرين(١١٥) .

٢ : الإدارة المالية فى القرنين الثانى والأول ق.م :

لابد أن استقرار البطالمة فى مصر واندماجهم وارتباطهم ارتباطًا وثيقًا بها قد نتج عنه تغييرات فى الجهاز الحكومى ، وبالتالى فى جهاز الإدارة المالية ، وقد يكون من أسباب ذلك أيضًا أن الممارسة العملية فى إدارة مصر، نتج عنها تغيير وتبديل كذلك . وإذا أردنا أن نضع بداية لهذا التغيير

فلا نستطيع إلا وضع بداية تقريبية وهى نهاية القرن الثالث ، وخاصة أن هذه التغييرات قد تكون تدريجية أيضًا أى أنها لم تأت دفعة واحدة . واستمر هذا التغيير خلال النصف الأول من القرن الثانى ق.م .

أما عن التغييرات التى جرت فى الإدارة المركزية فهى محدودة ، وحيث بقى الديوكتيز والأكلوجستيز يكونان أساس الإدارة المركزية بالأسكندرية ونلاحظ فقط أن سلطات الديوكتيز فى القرن الثانى ق.م . إزدادت ، كرئيس أعلى للإدارة المالية فى مصر ، وخاصة فى مجال القضاء المالى ، ففى بردية من عهد سوتير الثانى نجد مرسومًا (١١٤ ق.م) يمنع أى موظف له اختصاصات قضائية أو أى موظف آخر من أن يتلقى الشكاوى ضد المرؤسين فى الإدارة المالية ولا يجبرهم على الظهور ، ولا يتخذ فى حالتهم أمرًا بل ترسل الشكاوى ضدهم إلى وزير المالية(١١٦) .

أما عن الإدارة المالية بالأقاليم فقد حدث فيها تغييرات كثيرة . فإن اختصاصات هيبوديوكيتز (uποδιοικηtηs) ظهرت أكثر مما هو فى القرن الثالث . وأصبح يظهر فى صورة الموظف الأعلى فى الإدارة المالية الذى لا يخضع إلا للديوكتيز ، وكانت دائرة اختصاصه تتسع لتضم عددًا من الأقاليم إليه وهناك من الدارسين من يرى أن مصر قسمت إلى ثلاث دوائر اختصاص كبرى تبعًا لتقسيم مصر إلى مصر السفلى والوسطى والعليا ، وكان على رأس كل منها هيبوديوكتيز ، ولكن نشك ولا نسلم بهذا الأمر لسببين أولهما :

أن الهيبوديوكتيز لم تكن دائرة اختصاصه ثابتة فيما عدا منطقة طيبة والتى كان لها منذ القرن الثالث قبل الميلاد هيبوديوكتيز واحد(١١٧) . بينما المناطق الأخرى التى تشمل مصر الوسطى ومنها مديريات : أرسينوى

- ممفيس - أفروديتى - هيراكليوبولس التى ذكرت فى الوثائق ، ولم تذكر بقية المديريات فى هذه المنطقة(١١٨) ، إلى جانب أن اختصاص الهيبوديوكتيز لم يكن محددًا بمديريات معينة ثابتة . وثانيًا : أننا نجد أن الهيبوديوكتيز "٠دوريون" كان مخصصًا لمنطقة غرب الدلتا(١١٩) ، وهذا يعنى أنه كان يوجد هيبوديوكتيز لشرق الدلتا على الأقل .

وامتدت سلطة الهيبوديوكتيز إلى الأداريين ، وموظفى المالية والكتبة حيث كان عليه أن يعلم الجميع بتعليمات الديوكتيز ، والإشراف على تنفيذها(١٢٠) ، وكان فيما يبدو - يجمع المسئولين فى كل إقليم على حدة فى مجلس واحد لأعطائهم تعليمات الديوكتيز ويبين الغرض منها(١٢١) ، وكانت له اليد الطولى فى إدارة الأرض الملكية ، ويحقق فى حالات السخرة(١٢٢) ، ويسهر على تنفيذ القوانين التى تحدد عمل الوظائف ومدة كل منها(١٢٣) ، ويشرف كذلك على إجراء الإحصاء(١٢٤) ، وتولى اختيار مساحى الأرض لما لهم من مهمة أساسية فى عمل مسح الأراضى فى مصر(١٢٥) ، أما دوره فى إدارة الضرائب فيبدو أنه أشرف على بيع الالتزامات ، ونفذ فيها تعليمات الديوكتيز(١٢٦) .

ولم يكن هذا يعنى أن الإدارة المالية فى أقليم أو مديرية ذابت وإنما بقيت لكل مديرية إدارتها . فأصبح الاستراتيجوس هو رئيس الإقليم يتولى الإدارة المدنية والقضاء والمال والشرطة والجيش وغير ذلك من مصالح ، ولكن كان لكل إدارة من هذه الإدارات رئيس يتولى تصريف أمورها . وكانت الإدارة المالية تخضع لمدير الدخول (ὁ ἐπὶ τῶν προσόδων) ، ويخضع له الأيكونوموس والكتبة والإداريون(١٢٧) .

يعتبر الأستراتيجوس هو المدير المالى الرئيسى فى الإقليم ، وكان فى القرن الثالث ق.م رجل عسكرى ، وأعطته عسكريته قوة نفوذ فتدخل فى الاختصاصات المدنية والقضائية . ثم أخذ الأبستراتيجوس يحل محله فى المجال العسكرى ليتفرغ هو لما عداها من مسئوليات ، وكانت اختصاصاته المالية فى القرن الثانى ق.م تتمثل فى حل المشاكل المباشرة باعتباره أعلى موظف فى الإقليم ، وكان يمثل نوعًا من السلطة على المرؤسين له ، كل فى اختصاصه ، ولتداخل الاختصاصات وكثرتها كان الأستراتيجوس يحول الصعوبات التى تواجهه فى الإدارة المالية أيضًا إلى الهيبوديوكتيز أو إلى موظف الدخل ، وكان أحيانًا يطلب من مرؤسيه معلومات وافية دقيقة عن شئ ما قبل أن يتخذ فيها أمرًا ، وكان ذلك بسبب تزايد اختصاصاته وتشعبها(١٢٨).

كان موظف الدخل (ὁ ἐπὶ τῶν προσόδων) أعلى موظف فى الإدارة المالية بالإقليم . وكثيرًا ما اختلط الأمر بينه وبين الأستراتيجوس ، وكان هو خاضعًا لأوامر الأستراتيجوس وتمتد سلطاته إلى الضرائب المالية والعينية ، وخاصة العينية حيث كان يسهر لضبطها ، ويعمل على أن لا يكون لها متأخرات كبيرة(١٢٩) ، ويوجه الشرطة لحراسة المحاصيل ، ويختار ويشرف على مندوبيه(١٣٠) ، وله دور واضح فى فحص وتقنين المقاييس المحلية وذلك بإشراف الإستراتيجوس ، وبالتعاون مع الكاتب الملكى الذى يقوم بتسجيلها(١٣١) ، ويبدو أنه يقوم باختيار الموظفين الذين يأتمرون بأمره ، ولهم أهمية مثل الأيكونوموس ، ولكن هذا لا يلغى حق الديوكتيز فى التعين(١٣٢) .

أما عن الأيكونوموس فأصبح - بدلاً من واحد كما كان فى القرن الثالث - اثنان يتوليان عملين مميزين ، أولهما وهو ايكومونوس

المال (Oikovoμos ἀργυρικῶν) فيتولى تحصيل الإيرادات النقدية ، بينما الثانى وهو ايكونوموس الغلال (Oικovoμos σιτικῶν) فيتولى الإيرادات العينية(١٣٣) .

وقد يبدو أن السبب فى ذلك هو تزايد الأعباء ، وإنشاء وظيفة " المشرف على الدخل " وقد أدى هذا التطور إلى انخفاض أهمية الايكونوموس(١٣٤) .

وايكونوموس المال نجد أنه تولى كل الأعباء الخاصة بالأيكونوموس فى القرن الثالث المرتبطة بالضرائب النقدية ، وما يتبعها - كما سبق - من الالتزام وضبط الملتزمين(١٣٥) .

وأما ايكونوموس الغلال فاختص بكل ما يتصل بالضرائب العينية ، وكان عليه العمل الأساسى فى إدارة الأراضى الملكية ، بل يعتبر المدير الرئيسى لأراضى الدولة فى الإقليم . وذلك لكثرة أعمال الأستراتيجوس وتشعبها ، فكان هذا الأيكونوموس يتولى حراسة المحاصيل تحت إشراف موظف الدخل ، وبمساعدة رئيس الشرطة ورجاله ، ويتولى اختيار الأشخاص المرموقين عندما يكل إليهم عملاً ما(١٣٦) ، ويتولى كذلك كل ما يتصل بأعمال السخرة فى الأرض الملكية(١٣٧) . ويعتنى بالرى ويشرف على تطهير القنوات ويتحكم فى المصاريف الخاصة بالسدود(١٣٨) . ويرسل تعليماته إلى الطوبارخ والكومارخ والسيتولوجيوس(١٣٩) .

والطوبارخ هو مدير المركز (τοπαρχης) والمركز يحتوى على مجموعة من القرى - كما سبق القول - وكان لكل قرية " كومارخ " يخضع للطوبارخ . وكان هؤلاء يتولون المسئولية الخاصة بالأراضى كل فى دائرة اختصاصه ، فهو يعتبر موظفًا للأرض ، لكن له مسئولياته فى الإدارة المدنية

ويهتمون أيضًا بأراضى الكليروخيات ولا يخضعون للايكونوموس وإنما للاستراتيجوس والنورماخ(١٤٠) .

وإذا كانت معرفتنا عن الطوبارخ محدودة ، فإن معلوماتنا عن الكومارخ أفضل ، فهو يعتبر مدير القرية ، ومن إدارى وموظفى الدولة ، وعليه أن يتولى مباشرة الأراضى الزراعية أو البائرة(١٤١) . ويشكل لجنة : منه ومن كاتب القرية وشيوخها بعمل " الدورة الزراعية " ويسهر على بذر التقاوى والتفتيش على الحقول(١٤٢) . والقنوات والسدود ، ويطمئن على وجود وسائل الرى وعلى توزيع المياه بين الأراضى ، مانعًا اغتصابها بدون وجه حق(١٤٣) ، ويتولى أيضًا ضبط الضرائب العينية ، حيث كان يؤشر على حسابات السيتولوجيوس الذى يحصل القمح فى القرية ، وشاركه فى ذلك كاتبها(١٤٤) . وينشغل بتحصيل المتأخرات(١٤٥) .

أما جماعة شيوخ القرية (πρεσβύτεροs) فكانوا يساعدون الكومارخ فى عمليات التفيتش المتنوعة ، وحل المشاكل الضريبية ، ويتولون حماية مصالح الفلاحين سواء بالنسبة للتقاوى والرى وغير ذلك(١٤٦) .

كان الكتبة يقومون بأعمال تسجيل الضرائب النقدية والضرائب العينية فى سجلات خاصة . وكان هؤلاء الكتبة هم : الكاتب الملكى ، وكاتب الطوبارخية ، وكاتب القرية(١٤٧) .

الكاتب الملكى (βασιλikosγpaμμateús) من كبار الموظفين فى الإقليم، ويخضع مباشرة لموظف الدخل . ويتولى مباشرة جميع الكتبة فى الأقليم ويتسلم التقارير التى لا حصر لها المرتبطة بايرادات الدولة ، والإقطاعيات الكليروخية ، الملتزمين ، البنوك ، متأخرات الضرائب ، ويتركز عمله فى

ترتيب وتنسيق هذه التقارير . وهى تقارير الديوكتيز والموظفين المهمين فى الإقليم . ويهتم الكاتب الملكى بالضرائب النقدية ، ويشرف مع الايكونوموس المالى – ربما – على عملية الالتزام الضريبى ، وما يتبعه(١٤٨) حيث يتلقى من مرؤسيه تقارير خاصة بالالتزامات المحلية ، حصيلة الاحتكارات ، وحالات الغش غير المتوقع ،المصادرات ، الغرامات ، إنتاج البيوع المختلفة ... إلخ .

ومن أهم أعمال الكاتب الملكى هو تكليف وكلائه بعمل مسح الأراضى(١٤٩) . وعمل سجل لكل أراضى الأقليم ، سواء ملكية أو هبات وتحديد اسم مالكها ، ونوع الزراعة . وعمل سجل خاص للأراض المزروعة كرومًا أو بساتين ، وعمل سجل خاص بأراضى المعابد(١٥٠) وعليه أن يضع السجل بين يدى الملتزمين للنبيذ خلال عشرة أيام من إجراء المزاد العلنى ، فإذا لم يستطع عمل السجل أو ظهر عدم صحته ، يعاقب بدفع (٦٠٠٠) دراخمة ، وضعف المبلغ المتفق عليه الملتزم(١٥١) .

وعليه أيضًا عمل سجل مضبوط للأرض الملكية التى تحولت إلى أراضى كليروخات محددًا مساحة كل قطعة ، واسم صاحبها ، وفرقته ، وصفته وصفة عائلته ، وعليه أن يقدمها للموظف المختص بهذه الأراضى . وعليه أن يسجل أى تغييرات لاحظها نتيجة البيع أو التنازل أو المصادرة أو غير ذلك(١٥٢) .

ويعمل سجلاً للأراضى الملكية ويحدد مكانها ومساحتها وإيجارها ومدة الإيجار ويتولى القيام بجمع هذه المعلومات موظفون أدنى درجة من الكاتب الملكى ، وهذه كلها معلومات تفيد فى فحص الأراضى ، وتحديد الضرائب عليها(١٥٣) ، وعلى الكاتب الملكى أن يسجل النتائج ويعمل سجلاً لها . ولا شك أنه كان فى مكتبه موظفون لا نعرف عنهم غير أسمائهم(١٥٤) .

وكـــان فـــى كـــل طوبارخيـــة كـــاتب يعـــرف بكـــاتب الطوبارخيـــة Τοπογραμματευς يعتبر هذا الكاتب وكيل الكاتب الملكى فى الطوبارخية ، ويقوم بعمل مسـح الأراضـى الملكيـة وأراضـى الكليروخيـات(١٥٥) . ويتولـى حماية المحاصيل والشون(١٥٦) .

أما كاتب القرية (Κωμογραμματεύα) ، وهو عبارة عن سكرتير القرية . وكـانت واجباتـه كثـيرة ومتعـددة ، حيـث يتولـى عمـل سـجل للأراضـى الكليروخيات مثل الكـاتب الملكى ، وتحـوى اسـم الشـخص وفرقتـه ورتبتـه وعائلته(١٥٧) . ويعمل سجل خاص بالخيالة منهم(١٥٨) ، ويتولى هـذا الكـاتب عمل سجل للخاضعين للسخرة حتى لا يجبر أى شخص غير قادر على العمـل ولا يهرب أى قادر عن العمل(١٥٩) .

ويتولـى الكـاتب فـى القريـة رعايـة الزراعـة حتـى لا يقل الدخل عـن المقدار الـذى قررتـه الجهـات الأعلـى ، وقد حمـل الديوكتـيز كـاتب القريـة المسئولية عن الإنتاج(١٦٠) . وكان لهم دور فى تحصيل الضرائب فمن بينهـم من وجهت إليه اتهامات بالاختلاس أو الغش(١٦١) . ويقوم كاتب القرية بعمـل تقرير شهرى μηνιατα بخصوص الإيرادات فى قريته(١٦٢) . وكل عام يعمل تقريرًا عامًا عن الإيردات خلال العام(١٦٣) ، ولا شك أن هذه التقارير تذهـب إلى الكاتب الملكى ومنه إلى الديوكتيز(١٦٤) . وكـان علـى الفـلاح أن يتوجـه بـالمقدار الخـاص الذى عليـه إلـى أميـن الشـونة فـى القريــة ، الـذى بـدوره يعايره(١٦٥) ، ثم يعطيه إيصالاً ، ويسجل السيتولوجيوس ما تسـلمه ، ويتولـى الكومارخ والكاتب الملكى مراجعة سجل أمين الشونة(١٦٦) .

وبعد ذلك يأتى دور الأبيمليتس (ἐπιμελητής)وكان لكل إقليم –تقريبًا– اثنـان مـن الابيميليتـس ، وأحدهمـا للمراكـز الجنوبيـة والآخـر للمراكـز

الشمالية(١٦٧) ، وقد يقوم بجولات تفتيشية فجائية فى القرى ، ويفحص سجلات كتبة القرى والسيتولوجرى موظفى البنك(١٦٨) . وإذا رأى إهمالاً ينزل بهم العقاب أو يحاكموا الاستراتيجوس أو الديوكتيز(١٦٩) ، وكان بعض المرافقين يفشون مقدمه(١٧٠) . أما الوظيفة الثانية للابيميليتس فهو أن يتسلم إقرارات الإحصاء من الأهالى عن أشخاصهم وممتلكاتهم . ولم يكن ذلك غريبًا عن مصر(١٧١) . وكذلك كان يتسلم إقرارات الوارثة(١٧٢) .

هكذا نرى أن أن التنظيم المالى فى مصر خلال القرن الثانى ق.م . حدث فيه تطور عما كان عليه فى القرن الثالث ق.م ويتمثل هذا فى :

أولاً :

ازدياد المركزية فى الشئون المالية .

ثانيًا :

ظهور وظائف مالية جديدة ، وتغيير اختصاصات بعض الوظائف القديمة .

ثالثًا :

كثرة المتابعات الشخصية والكتابية ، التى تعبر فى نفس الوقت عن سوء الأوضاع الاقتصادية فى مصر ، وهى بدورها تعكس مدى الاضطراب السياسى فى البلاد .

الهوامش

(1) B. G. Trigger, B. J. Kemp, D. O'Connor, A. B. Lloyd, Ancient Egypt, A Social history. Cambridge, 1985; pp. 80 - 82

(2) J. H. Breasted, Ancient records of Egypt, I. Chicago, 1906. P.P 54,147, 184 .157

(3) E. J. Griffith, Hieratic Papyri from Kahun and Gurab,(London, 1898) pp. 19 - 29.

(4) H. Goedicke, Kongliche Documente aus dem alten Reich. Wiesbaden, 1967, pp.56, 72

(5) Trigger, Op. cit p.83.

(6) Trigger, Op cit p. 84, Breasted, op. cit. pp.342 - 3

(7) Trigger, Op. cit . p. 83.

(8) Trigger, Op. cit. pp.208 - 9

(9) Trigger, Op. cit. p. 208 and p. 211

(10) Trigger. Op. cit. p. 331

(11) P Rylands IX. and see : Trigger, Op. Cit pp. 332 - 3

(12) Trigger, Op. cit. p. 333 - 336

(13) H. Maspero, Les Finances de L'Egypt Sous Ies Iagides. Paris, 1905, p. 172.

(14) Maspero, Les Finances, pp. 177 - 8 ; A. Bouche - Leclercq, Histoire des Lagides, Tome Troisme. Paris 1906. p.383.

(15) Maspero, Les Finances p. 180.

(16) Bouche - Leclercq, p. 384.

(17) BGU. 1011, 11.

(18) P Rev. 54.20; 55.16.

(19) P Rev. 57. 1 - 5 = 59 , 1 - 15.

(20) P Rev.32.

(21) P Par. p.30.

(22) P. Tebt. 8.

(23) P Tebt, 61 b, 220, 223, I ; 72, 138 - 163.

(24) P. Tebt. 28.

(25) P. Tebt p. 16 b, 220 - 235; Maspero, Les Finances p. 181

(26) Maspero, Les Finances p. 180.

(27) P. Par . 63 - 23.

(28) P. Tebt . 16 b , 220 - 235; Maspero, Les Finances p. 180

(29) P. Tebt . 10.

(30) P. Tebt . 61 b. 220 - 235

(31) G. O. 11. 1615.

(32) Bouche - Leclercq, p. 381 note 2.

(33) H. Goedicke, the Abydene Marriage Of Pepi I. J. Am. Orient. Soc. 75, pp. 180 - 3; A. H. Gardiner, Was the Vizier Djau one of Six Likenamed brothers ? Z. " Egypt " Sprache Alter 1954; A. Ermann and Hermaan, Worterbuch des aegyptischen Sprache, Berlin, 1950 p. 172.

د. أحمد بدوى ، ود. هرمن ليس ، المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ط . القاهرة ١٩٥٨م ، ص٧٨م .

(34) P. Rev. 17 - 18; G. O. 1. p. 494.

(35) P. Rev. 18; 19 note; 37, 12; p. Tebt. 124.

(36) G.O.I.VI p. 641.

(37) P. Tebt . 72, 448 - 56.

(38) P. Tebt. 124; Maspero, Les Finances p. 182

(39) Bouche - Leclercq, 111, p. 387.

(٤٠) د. إبراهيم نصحى قاسم ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة - جـ٣ - ط القاهرة ١٩٨١م ، ص٤١ وما بعدها .

Bouche - Leclercq, 111, pp.382 ff; Wilcken, Grundzuge, 1. pp.148 ff; Maspero, Les Finance. p. 205.

(41) C.C. Edgar, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection Ann Arbor, 1931. introd. p.5.

(42) P. Rev. pp. 133 f.; p. Tabt. 61 b. 46. note; Maspero, Les Finances p. 185.

(43) P. Rev. p.133.

(44) Petr. 162, 2, 4, 11 46 8, p. Rev. p. 133.

(45) P. Rev. p. 37.

(46) Maspero, Les Finances p. 186, GO. 1. 124.

(47) Maspero, Op. cit p. 187

(48) P. Tebt, 703 11 29 - 40; P.Par. 66 = UPZ. 157; P.Petr . 11 42 - 3 Verso col. 11. 72; P. Tebt. 706; Rostovtzeff, A large estate, p. 66.

(49) P Tebt. 703. 11, 40 - 9.

(50) P. Cairo - Zenon 59073.

(51) P Edg. 41, P. Mich. Zen. 26

(٥٢) أبو اليسر فرج – الأويكونوموس – رسالة ما جستير غير منشـورة – كليـة آداب – جامعة عين شمس ١٩٨٠ ، ص٦٦ وما بعدها .

(53) P. Tebt 61 (- b) .

(54) P. Tebt. 787.

(55) Rostovetzeff, Social and Economic History of the Hellinstic World. Oxford, 1941, p. 279.

(56) P. Edgar 41, P Col. Zen. 11. 90; P Tebt. 703 11, 63 - 70.

(57) P. Mich. Zen. 26.

أبو اليسر فرج ، نفس المرجع السابق – ص٧٣ وما بعدها .

(58) P. Tebt. 703, 11. 57 - 63.

(59) P. Rev . 42, 3; 43, 2.

(60) P. Tebt. 703 11. 165 - 167.

(61) P . Tebt. 703 11. 183 - 91.

(62) P. Tebt. 703 11. 165 - 167.

(63) P. Cairo - Zenon. 59368, PSI 510.

(64) P. Tebt. 703 11. 191 - 211.

(٦٥) أبو اليسر فرج ، نفس المرجع السابق – ص٧٥ وما بعدها .

(66) P. Tebt. 703 11 87 - 117 .

(67) P. Hib. 67.

(68) P. Hib. 68.

(69) P. Tebt. 703, 11. 13 - 18.

(٧٠) أبو اليسر فرج ، نفس لمرجع السابق – ص١٠٢ ، و١٠٥ ، ١٠٦

(71) P. Rev. 45, 11 13 - 18.

(72) P. Rev , 44.

(73) P. Tebt. 703 11. 134 - 164 ; P. Rev 46. 11, 8 - 11.

(74) P. Rev , 47, 1 - 9.

(٧٥) أبو اليسر فرج ، نفس المرجع السابق – ص٩٥ وما بعدها .

(76) P. Rev , 29, 2 - 21.

(77) P. Rev , 25, 4 - 16.

(78) P. Rev , 30, 3 - 19.

(79) P. Rev , 37, 2 - 8.

(80) P. Rev , 30, 20; 31, 16.

(81) P. Rev , 33, 2 - 8.

(82) P. Rev , 48. Maspero, Les Finances p. 189.

(٨٣) وكان ذلك بحضور الانتيجرافيوس انظر .

P. Rev , 54. 20; 55, 16; Maspero, Les Finances p. 189.

(84) P. Rev , 50, 20 - 25 52. 3.

(٨٥) وعن أهمية المعابد فى صناعة الزيت . انظر

Rostovtzoff, S. and E.p. 301

(86) Maspero, Les Fnances p. 187.

(87) U. P. Z. 112.

(88) P Rev. 12, 1 - 6.

(89) U. P. Z. 112 col. II. 11 - 14

(90) Maspero, Les Finances p. 188.

(91) U. P. Z. 112 col. II. 112 - 115.

(92) P. Tebt. 776.

(93) P. Rev . 20, 1 - 12 ; Maspero, Les Finances p. 190.

(94) Maspero, Les Finances p. 189.

(95) Maspero, Les Finances p. 195 - 9.

(96) P. Rev . 29. II. 2 - 21.

(97) P Rev 30. II - 20. 31, 16.

(98) P Petr 1. 16.2

(99) Maspero, Les Finances pp. 192 - 193.

(100) Maspero, Les Finances p.202.

(101) Maspero, Les Finances pp. 193 - 4.

(102) GO. I, pp, 633 - 641

(103) Wilcken, G. O. 1. p. 635; Lambroso, Recherches, p. 398; C. Preaux, L'ecenomie Royale des Lagides. Bruxelles, 1939 pp. 280 - 297. B. Gogeart, La Statut des Banques en Egypte Ptolemaique. L'Antiquite Classique. Tome L. 1981 pp. 86 - 99 ; Ies Banques affermees Ptolemaique, Historia XXX111, 1984, pp. 181,189 Les Banque affermees, Atti del xv11 Congresso internazionale di popirologia, volume Terzo, 1984, p. 1015.

(104) P Rev. 73 - 78; P. Lond. 2013

(105) P. Oxy. Xiv, 1639 intr. and note 3 - 5 p. 59; A. Bouche - Leclercq, p. 36.

(106) Maspero, Les Finances p. 195.

(107) Maspero, Op. cit p. 196; A. Bouche - Leclercq, pp. 371 - 2.

(108) Maspero, Les finances pp. 198 - 199 .

(109) GO. I, p. 98.

(110) Bouche - Leclercq pp. 373 - 44.

(111) Bouche - Leclercq p. 373; GO. I.p. 162; II. 705. 707,715, 738; 744; 751, 1513, 1514, 1519.

(112) Bouche - Leclercq, p. 374; Maspero, Les finances, p. 200.

(113) Maspero, Lea finances; p. 201.

(114) Rostovetzeff; S and E. p. 1287.

(115) Maspero, Les finances. pp. 201 - 202.

(116) P. Tebt. 7, Maspero, Les Finances, p. 203.

(117) Maspero, Les finances. p. 204.

د. إبراهيم نصحى ، المرجع السابق ص ١٤١ – ١٤٢ .

(118) P. Paris 62, 65.

(119) Maspero, Les finances. pp. 205 - 207.

(120) P. Paris 63, 140 147.

(121) Maspero, Les finances. p. 206.

(122) P. Paris 63, 47 - 50

(123) P. Paris 63, 92.

(124) P. Paris 63, 42 - 43.

(125) P. Lugd. Bat I. Col. 1, 9 - 12.

(126) Lambroso, Rech. pp. 432 - 343 ; P.Paris 27. 1, 10, 28, 29.

(127) Maspero, Les finances. pp. 207.

(128) Idem, pp. 207/8.

(129) P. Tebt. 27, 18 - 26.

(130) P. Tebt. 27, 10 - 16.

(131) P. Tebt. 5. 88.

(132) P. Tebt. 27, 18 - 26.

(133) P. Tur. V, 8. VI, 9; G. O. I. p. 653.

(134) Wilcken, Grundzuge p. 151, G. O. I. p.653.

إبراهيم نصحى ، المرجع السابق ، جـ٣ ص١٤٥ ، أبو اليسر فرج ، المرجع السابق ص٣٥

(135) Maspero, Les finances. p. 210.

(136) P. Tebt. 27, 35 - 41.

(137) P. Paris 63, 30 ff.

(138) P.Paris 66,1.

(139) Maspero, Les finances. p 211.

(140) Maspero, Les finances. pp. 212 - 213.

(141) P. Tebt. 67, 73.

(142) P. Tebt. 22, 128.

(143) P. Tebt. 13, 4, 50.

(144) p. Tebt 89, 12. 159 , 186

(145) P. Tebt 128. and see, Maspero, Les finances. p. 212.

(146) P. Tebt 13, 5, 40,14, 43, 8, 48, 4; 50, 21, 126, 128.

(147) Maspero, Les finances. p. 214.

(148) Maspero, Les finances. pp. 212 - 213.

(149) P. Rev. 38 Introd.

(150) P. Rev. 36, 3.

(151) P. Rev. 33, 9, 18.

(152) P. Tebt. 61 b, 213 - 246.

(153) Maspero, Les finances. p. 215.

(154) P. Tebt. 112, 28.

(155) G. O. I. p. 485; Maspero, Les finances. p. 217.

(156) P. Tebt. 27, 2, 85.

(157) P. Tebt. 61 b, 285 f.

(158) Maspero, Les finances. p. 217.

(159) P. Paris 63, 140 f.

(160) P. Tebt. 22, 58, 38, 50; Maspero, Les finances. p. 218.

(161) P. Tebt. 50, 44 - 46.

(162) P. Tebt. 28, 9, note.

(163) P. Tebt. 68, 76, 70, 5, 62.

(164) Maspero, Les finances. p.214.

(165) P.Tebt. 111. 3; 5, 85 - 92.

(166) Maspero, Les finances. p. 319.

(167) P. Paris, 63, VIII. I.

(168) P. Tebt. 17.

(169) Maspero, Les finances. p. 220.

(170) P. Tebt. 17.

(171) P. Petrie II P. 33; Maspero, Les finances. p. 221.

(172) P. Tur. I, 7.10.

الوزير جمال الدين الأَصْبهَانى الموصلى
دوره السياسى وأعمال البر والعمران
فى الحرمين الشريفين

د. مسفر بن سالم الغامدى
كلية الشريعة - جامعة أم القرى

مُقَدِّمَة

الحمد لله بادى ذى بدىء والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد بن عبد الله وبعـــــد :

فمنذ نهاية عصر الخلفاء الراشدين سنة ٤١هـ / ٦٦١م انتقلت عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ثم بغداد ، وظل الأمر فى يد حكومة مركزية اهتمت بالفتوحات وحماية الثغور دون أن يكون هناك من ينادى بالاستقلال عن الحكومة المركزية على أمل أن الذين ساعدوا العباسيين فى الاطاحة بالأمويين سينالون ما كانوا يصبون إليه . ولما كان العصر العباسى الثانى - الممتد فى الفترة من (٢٣٢ - ٦٥٦هـ / ٨٤٦ - ١٢٥٨م) - قد تميز عن غيره ببروز عدد من الدول والأتابكيات(١)- فى شتى أنحاء الدولة الإسلامية- المستظلة بظل الخلافة العباسية ، وكان لهذا التعدد فى الدولة الإسلامية أثره فى إزدهار الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية نظرًا لما حظيت به كل دولة من قدرات وإمكانيات سعت إلى تسخيرها فى سبيل تخليد ذكرها سواء فى عاصمة هذه الدولة أو فى مكة والمدينة خاصة . وكان من الأتابكيات التى

قامت فى ظل الخلافة العباسية أتابكية الزنكيين فى الموصل وحلب والتى تمكنت من السيطرة على الشام بزعامة نور الدين محمود وعلى معظم بلاد الجزيرة(٢) والموصل بزعامة سيف الدين غازى وأخيه قطب الدين مودود وخلفائه من بعده . وقد عاش فى دولة الزنكيين بالموصل منذ عهد عماد الدين زنكى أحد الوزراء الأجلاء الأفذاذ الذين اشتهروا فى هذه الدولة بما قام به من أعمال سياسية مكنته من السيطرة عليها ردحا من الزمن عاصر خلالها ثلاثة من زعماء هذه الأسرة ابتداءًا من عماد الدين زنكى (٥٢١ - ٥٤١هـ/ ١١٢٧ - ١١٤٦ م) ومرورًا بولديه سيف الدين غازى (٥٤١ - ٥٤٤هـ/ ١١٤٦ - ١١٤٩ م) وقطب الدين مودود (٥٤٤ - ٥٦٥ هـ / ١١٤٩ - ١١٩٦ م) ، هذا الوزير هو جمال الدين الموصلى الذى نحن فى هذا البحث بصدد الحديث عن أعماله السياسية ، وأعمال البر والإصلاح التى قام بها فى الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وغيرها ؛ فإلى جانب شهرته سياسيًا كرجل دولة فقد كان له من أعمال البر والإصلاح ما جعله فى مقدمة الشخصيات الإسلامية التى تستحق أن يعتنى بدراستها وأن يخلد ذكرها .

وقد وقع اختيارى لدراسة شخصية الوزير جمال الدين الموصلى وتتبع ما قام به من أعمال نظرًا إلى أن أهم أعمال البر والإصلاح التى قام بها تركزت فى مكة المكرمة والمدنية المنورة ، وطرق الحاج مع ما لهذه البلاد المقدسة من أهمية فى نفوس المسلمين عامة وأهل الحجاز بصفة خاصة . إضافة إلى الرغبة فى المساهمة فى كتابة تاريخ هذا البلد الذى سهل الله لنا به طلب العلم والعمل مع التأكيد على عدم علمى عن الكتابة عن هذا الوزير والله المعين .

الوزير جمال الدين محمد بن على الأصْبهانى الموصلى

أبو جعفر محمد بن على بن أبى منصور ،الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الموصلى الأصفهانى[٣] . وزير آل زنكى بالموصل ، يطلق عليه الأتراك الأبلج[٤] . كان جده أبو منصور فهادًا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى (٤٦٣ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٠ - ١٠٩٢ م) . أما والده الكامل على بن أبى منصور فكان قد تأدب وسمت همته واشتهر أمره ، واشتغل فى مناصب كبيرة ببلاط الوزير شمس الملك بن نظام الملك كحاجب للوزير[٥] ، صاهر الأكابر من الوزراء والعلماء والوجهاء[٦] . اتصف الكامل على بالنجابة والأدب وتنافس فى استخدامه الملوك والوزراء ، ويذكر الأصفهانى أن الكامل زوج ابنته من بعض أولاد أخوال عمه العزيز ، وكان لهذا الزواج أثره الحميد على ولده جمال الدين أبى جعفر محمد فقد تولى العزيز تربية هذا الولد " وخرجه فى الأدب ، ودرجه فى الرتب "[٧] حتى تولى ديوان العرض السلطانى فى عهد محمود بن محمد بن ملكشاه (٥١٢ - ٥٢٥ هـ / ١١١٨ - ١١٣٠ م)[٨] فحاز ثقة معاصرية من حاشية السلطان بسبب ما تميز به من صفات حميدة كالنبل والرياسة ودماثة الأخلاق والكرم[٩] .

بداية اتصال الوزير جمال الدين بعماد الدين زنكى :

كان عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة الحاجب من كبار القادة الأتراك الذين تولوا أمر الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، وتمكن من الاستلاء على حلب بالشام حوالى سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨ م ، وواصل الجهاد ضد الصليبيين فى الشام والجزيرة حتى تمكن من استعادة الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م ، ولكن يد الغدر طالته سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٧ م عندما كان يحاصر إحدى

القلاع الواقعة ببلاد الجزيرة فانقسمت البلاد التى سيطر عليها بين ولديه سيف الدين غازى بالموصل ونور الدين محمود بحلب(١٠) .

أما عن اتصال الوزير جمال الدين الموصلى بعماد الدين زنكى فإن الأمر يرجع إلى أن عماد الدين زنكى عندما استولى على بعض بلاد الشام تزوج من أرملة الأمير التركمانى كندغدى ، وكان معها ابنها خاص بك بن كندغدى من أمراء الدولة السلجوقية ، ولما كان العزيز - عم العماد الأصفهانى - حريصا على تربية الأمير خاص بك فقد عين جمال الدين الموصلى وزيرًا له(١١) . وبحكم ملازمة الأمير الصغير لوالدته زوجة عماد الدين زنكى فقد سار الوزير جمال الدين بصحبة عماد الدين وأمه " فتوفرت مُنى زنكى على منادمته ، وقُصَرَ صباحه ومساءه على مساهمته "(١٢) .

تبين لعماد الدين زنكى قوة وشجاعة وحزم جمال الدين محمد الموصلى فولاه على نصيبين(١٣) فبذل فى ذلك قصارى جهده فى الاخلاص والطاعة وأبدى من الكفاية والقدرة بحيث اطمأن عماد الدين إلى ما يقوم به من أعمال فأضاف إليه الرحبه(١٤) ' فأبان عن كفاية وعفه " ولم يقف عماد الدين زنكى عند هذا الحد بل جعل الوزير من أكبر ندمائه ، وجعله مشرفًا على كامل بلاده " وحكمه تحكيمًا لا مزيد عليه "(١٥) . وفى آخر حياة عماد الدين عول عليه فى الإشراف على ديوانه ، فكثرت الأموال وتحسنت الأوضاع بسبب نجاح الوزير فى سياسته المالية والإدارية(١٦) .

وبحكم صرامة عماد الدين زنكى وعدم تقلب شخصيته فقد كان الوزير جمال الدين الموصلى أحد الرجال الأجلاء الذين برزوا فى

عهده ، ولا يستبعد أن يكون لزوجة عماد الدين زنكى والدة الأمير خاصّ بك دور فى تقريب الوزير جمال الدين من قلب عماد الدين زنكى حتى اعتمد عليه فى الشئون المالية والإدارية ، كما أن شخصية الوزير الموصلى وقدراته وحنكته السياسية قد جعلته محل تقدير عماد الدين زنكى ، وأبدى من المهارة والكفاية بحيث لم يبال بالذين تضرروا من سياسته المالية طالما أنها ترضى سيده عماد الدين زنكى . وقد صور الأصفهانى شخصية الوزير جمال الدين الموصلى قال " وعول عليه عماد الدين فى أخر عمره فى إشراف ديوانه ، فزاد المال بتمكنه ومكانه . فلم يظهر من جمال الدين فى زمان زنكى جود ، ولا ظهر له موجود ، فإنه كان يقتنع بأقواته ، وتزجية أوقاته ، ويرفع جميع ما يحصل له إلى خزانة زنكى استبقاءا لجاهه ، مستعلاءًا به على أشباهه ، فمكنه زنكى من أصحاب ديوانه فمنهم من استضر ، ومنهم من انتفع بإحسانه "(١٧) .

وهكذا نجح الوزير جمال الدين فى عهد عماد الدين زنكى لا فى الولاية على نصيبين والرحبه ، وإنما أيضا فى الإشراف على ديوان عماد الدين . وقد أبدى الوزير جمال الدين من الكفاية والقدرة بحيث تمكن من الفوز على معاصريه وسلم من نقمة عماد الدين زنكى الذى قل أن ينجح فى عهده قليل من الرجال .

الدور السياسى للوزير جمال الدين فى توطيد الأمور لآل زنكى بالموصل وحلب (٥٤١ - ٥٨٨ هـ / ١١٤٦ - ١١٦٢ م)

قليل من الرجال هم الذين يستطيعون النجاح والخروج بسلام من بين عباب بحر السياسية المتلاطم ، وخصوصًا فى العصور التاريخية التى يصحبها تغيرات فى القوى السياسية من منطقة إلى أخرى ، والوزير جمال الدين الموصلى أحد الذين تمكنوا من النجاح فى عهد عماد الدين زنكى وخرج بسلام على الرغم من صرامته وشدته وعدم تلون شخصيته ، بل إنه أبان عن كفلية وعفة حتى تمكن من الإشراف على المملكة كلها على الرغم من وجود شخصيات كبيرة كانت قد تضررت من سياسته المالية(١٨) . ومن هذه الشخصيات البارزة التى برزت مصاحبة للوزير جمال الدين الموصلى شخصية صلاح الدين محمد بن أيوب الياغيسيانى(١٩) الذى كان بينه بين الوزير عداوة تقليدية بحكم التنافس على المناصب والوجاهة . وقد اتضحت هذه العداوة عقب مقتل عماد الدين زنكى سنة٥٤١هـ / ١١٤٦ م(٢٠) وظهرت بوضوح عندما لجأ الوزير جمال الدين إلى الاختفاء عند بعض الأمراء خوفًا على نفسه من صلاح الدين ، إلا أن الوزير جمال الدين أدرك أن مثل هذا الأمر لا يجدى نفعًا فى المحافظة على البيت الزنكى ولا فى المحافظة على مكاسبه وسمعته الشخصية لذا أرسل سرًا إلى خصمه صلاح الدين الياغيسيانى يعرض عليه الصلح حتى يتمكنا من تدارك أمر البيت الزنكى ، وحتى لا يخرج الأمر عنهما إلى الملك ألب أرسلان بن محمود بن محمد ابن ملكشاه الذى كان بصحبة عماد الدين زنكى(٢١) .

وافق هذا العرض هوىً فى نفس صلاح الدين ووجدها فرصة سانحة فى عقد الصلح مع الوزير فلبى رغبته فى عقد الصلح " وحلف كل واحد

منهما لصاحبه ، فظهر حينئذ جمال الدين من الاختفاء "(٢٢) ، وبحكم حرص كُلٌ من الوزير جمال الدين الموصلى ، وصلاح الدين الياغيسيانى على مصالحهما بالدرجة الأولى ، وعلى ألا يخرج الأمر من البيت الزنكى إلى الملك السلجوقى ألب أرسلان فقد أتفق الطرفان على أن يُستأذن الملك السلجوقى فى خروج صلاح الدين إلى حلب ليكون بصحبة نور الدين محمود، فى الوقت الذى يكلف فيه زين الدين على كوجك(٢٣) نائب عماد بالموصل باستدعاء سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى من مدينة شهرزور(٢٤) واحضاره إلى الموصل فوافق الملك واستدعى سيف الدين من شهرزور وحضر إلى الموصل وتسلمها(٢٥) .

وافقت هذه الخطة رغبة صلاح الدين بحكم قربه من مدينة حماه إقطاعه السابق زمن عماد الدين زنكى كما وافقت أيضا جمال الدين لسببين أولهما أنه شعر بالأمان من خيانه صلاح الدين واطمأن إلى بُعده " لأنه لم يامنه "(٢٦) . أما ثانيهما فهو تفرده بالملك السلجوقى ألب أرسلان واطمئنانه بالنجاح فى كل ما سيمليه على هذا الملك ، وهذا السبب تبين حينما أخذه وقصد به الرحبه(٢٧) التى كان الوزير واليًا عليها زمن عماد الدين زنكى ، ولم يمنع الملك من الانغماس فى الشرب واللهو والطرب والتبذير ، بل إن الوزير كما قيل صرفه عن رجاله المقربين منه - ومنعه من اعطائهم أموالاً - والذين كان يمكن أن يعتمد عليهم فى فتح البلاد التى حسنها له جمال الدين(٢٨) .

لم يقف الوزير جمال الدين عند حد صرف الملك عن استمالة قلوب رجاله أو حتى منعه من الانغماس فى الرذيلة والفساد ، بل شرع هو فى استمالة قلوب العساكر وحثهم إلى الميل إلى سيف الدين غازى . وحلف كبار

رجال الدولة واحدًا بعد واحد فكل من وافقه علـى مقصده طلب منه الذهاب إلى الموصل والانضمام إلى سيف الدين غازى بن زنكى(٢٩) .

أما الوزير جمال الدين ففى سبيل تحقيق أهدافه للإطاحة بالملك السلجوقى ألب أرسلان فقد خرج بالملك من الرحبه إلى ماكسين(٣٠) ، وفى هذه المدينة مكث الملك عدة أيام على عادته بين اللهو والملذات ، ومنها سار الوزير بصاحبه إلى سنجار(٣١) ، وقبل الوصول إليها ، بلغه خبر دخول سيف الدين غازى إلى الموصل - وبحيلة مدبرة - طلب الوزير سرًا من واليها عدم السماح بدخول الملك ألب أرسلان إليها إلا بعد دخوله الموصل والاستيلاء عليها ، ففعل وإلى سنجار ، وقال جمال الدين لصاحبه : إن من المصلحة أن نعود إلى الموصل ونقبض على سيف الدين غازى ونتسلم البلد(٣٢) . ولما كان الملك لا حول له ولا قوة فقد وافق رغبة جمال الدين وساروا عن سنجار باتجاه الموصل بقليل من الرجال ، فلما وصلوا مدينة بلد(٣٣) تركه الوزير جمال الدين فى لهوه وملذاته وأسرع إلى الموصل ، وأرسل إليه أحد رجاله فى عسكر فأخذه وأدخله الموصل " فكان آخر العهد به " وقيل أنه خُنق بوتر قوس(٣٤) .

وفى سبيل انجاح المهمة لسيف الدين غازى فقد أقتسم جمال الدين الموصلى وزين الدين على كوجك المناصب فتولى جمال الدين الوزارة ، وزين الدين ولاية الموصل وأرسلوا إلى السلطان غياث الدين مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٧- ٥٤٧هـ / ١١٣٢ - ١١٥٢ م)(٣٥) واستحلفوه لسيف الدين غازى فحلف له ، وأرسل إليه الخلع وأقره على البلاد " بحكم ملازمته له زمن والده عماد الدين زنكى " وكان السلطان يحبه " فلما خوطب فى اليمين وتقرير البلاد لم يتوقف "(٣٦) .

وهكذا ظهرت جهود الوزير جمال الدين بارزة وواضحة تجاه سيف الدين غازى وأصبح حريصًا على أن يظل سيف الدين بعيدًا عن الزعيم السلجوقى السلطان مسعود خوفًا على المكانة التى حظى بها فقد حكّمه سيف الدين فى بلاده كلها ومنحه عشر دخل البلاد كعادة الوزراء فى العصر السلجوقى(٣٧) .

لم يتوقف جمال الدين عند هذا الحد بل أتفق مع زين الدين على كوجك وعز الدين الدبيسى(٣٨) على أحكام السيطرة على سيف الدين غازى ومنعه من الاتصال بالسلطان مسعود مما أضطره إلى مداراتهم وعدم الاصطدام بأى منهم على الرغم من أن سيف الدين غازى قد اكتشف أمرهم " فكانوا لا يزالوا يمنعونه عما يريده من ذلك إلى أن أدركه أجله "(٣٩) .

لم تنقطع علاقة الوزير جمال الدين الموصلى بالبيت الزنكى عقب وفاة سيف الدين غازى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م(٤٠) فقد ظلت علاقته وزين الدين بالبيت الزنكى كما كانت زمن سيف الدين ، واتفقت كلمتهما على إحضار قطب الدين مودود بن زنكى - وكان صغير السن - من داره بالموصل وحلفوه لهم وحلفوا له ، وخضعت له جميع البلاد التى كانت لأخيه من قبل بحكم علاقته الطيبة مع الوزير وزين الدين على كوجك لإن المرجع كان فى جميع المملكة إليهما(٤١). ولعل من يسأل لماذا وقع الاختيار على قطب الدين، ولم يكن لغيره ؟ وللإجابة على ذلك يقول ابن الأثير : فى كتابه الباهر أن قطب الدين كان لين الجانب ، حسن الأخلاق ، كثير الحلم كريم الطباع ، فاتفقت كلمتهما على تمليكه " طلباً للسلامة منه "(٤٢) ، بالإضافة إلى أن كلاً من جمال الدين وزين الدين كان يخاف من صاحبه وأنه لا يمكن لأحدهما أن يتفرد بأمر الموصل أو يأتى برجل لا تميل إليه رغبة صاحبه ، فاجتمعت كلمتهما على قطب الدين الذى كان يتميز بمميزات أرضتهما جميعاً .

ولما تملك قطب الدين أمر الموصل والبلاد الجزريه عقد على الخاتون بنت حسام الدين تمر تاش التى أخوه سيف الدين قد تزوجها ولم يدخل بها(٤٣) .

لم يتمتع الوزير جمال الدين وزين الدين على كوجك بصحبة قطب الدين طويلاً حتى حسدهما كثير من رجال الدولة وبعض ولاة الأقاليم ممن كان يرجو أن يصل إلى ما وصلا إليه من التمكن من زعماء الزنكيين بالموصل ، ولذلك طلبوا من أخيه نور الدين محمود وهو بحلب أن يحضر إلى سنجار ويتسلمها من القائمين بها ، فلما علم نور الدين بذلك اهتبل هذه الفرصة وخرج مجدًا فى نفر قليل من عساكره وتسلمها(٤٤) . فلما بلغ ذلك قطب الدين ووزيره جمال الدين الموصلى وأمير جيشه زين الدين خرجوا من الموصل باتجاه سنجار فلما وصلوا تل يعفر(٤٥) أرسل الوزير إلى نور الدين محمود رسالة باسمه واسم زين الدين ينكران عليه فيها هذا التصرف فأعاد الجواب إليهما " وقال أننى أنا الأكبر وأنى أحق أن أدبر أمر أخى منكم ، وما جيئت إلا لما تتابعت كتب الأمراء يذكرون كراهيتهم لولايتكما عليه(٤٦) .

أدرك جمال الدين الموصلى أن الأمر بسنجار على غير ما كان يتوقع وأن نور الدين محمود قد استمال قلوب بعض رجال الموصل وسنجار " وكان قد هرب إليه جماعة من الأجناد " ، وأنه لا يمكن الدخول معه فى معركة خوفا من أن يخامروا عليه ويغدروا به وبصاحبه قطب الدين وزين الدين فعقد العزم على عقد الصلح مع نور الدين(٤٧)· وبالإضافة إلى ذلك فإن الوزير قد أدرك بثاقب بصيرته وحنكته وممارسته السياسية أن الحرب مع نور الدين محمود إذا خلت من المخامرة عليه والغدر به فإنها ستؤدى إلى أمرين : الأمر الأول طمع السلطان مسعود والخليفة العباسى فى أملاكهم

بالموصل إذا ما وقعت عليهم الهزيمة ، أما الأمر الثانى فإنه المتمثل فى خطر الصليبيين بالشام إذا ما وقعت الهزيمة على نور الدين محمود(٤٨) ، وأيـاً مـن هذين الأمرين خطره كائن لا محالة ، ولذلك فإن عقد الصلـح مـع نـور الديـن كان من أهم مشاغل الوزير جمال الدين الموصلى ، لإحساسه برغبة كلاً مـن نور الدين محمود وقطب الدين فى توسيع دائرة نفوذهم ، وبحكم تداخل أملاك الطرفين فقد اقتنع قطب الدين ورجاله برأى الوزير جمال الدين فى أن يخـرج الوزير إلى نور الدين محمود ويفاوضـه علـى تسليم حمـص إلـى نـور الديـن مقابل ترك سنجار لقطب الدين ، فخرج الوزير إلى نور الدين فأكرمه وأنزلـه منزلة تليق به ، ولما كان جمـال الديـن علـى درايـة بـالأمور السياسـية وبمـا ستئول إليه الأمور فيما لو وقعت حرب بين الطرفين ، لذلك وجه اللوم بطرق مهذبه إلى نور الدين محمود ولامـه فـى خروجـه بعسـاكر الشـام إلـى سـنجار وقال : إن فى ذلك طمع الأعداء " فيك وفينا "(٤٩) .

وبعد مشاورات ومـداولات بيـن الوزيـر جمـال الديـن الموصلـى ونـور الدين محمود استقر الصلح على أن يتسلم نور الدين محمـود حمـص ، ويعيـد سنجار إلى أخيه قطب الدين واقنع الوزير أصحابه بقوله " الرأى تسليم حمص إليه وأخذ سنجار منه "(٥٠) .

وهكذا تم الصلح بين الطرفين وعاد نور الدين محمود إلى الشام بعد أن أخذ ما كان له بسنجار من أموال(٥١) .

وقبل عودته طلب من الوزير جمال الديـن الموصلـى أن يرافقـه ليكـون بصحبته ومعيناً له على أعـداء الديـن إلا أن الوزيـر أقنـع نـور الديـن محمـود بعدم جدوى ذلك ، وبيّن له أن العدو ببلاد الشام كافر وجميـع النـاس يدفعونـه طمعاً بـإحدى الحسنيين النصـر أو الشـهادة . أمـا أعـداء أخيك قطـب الديـن

بالموصل فهم مسلمون يطمعون فى الدينا ويحتاجون إلى من يقوم بدفعهم بالسياسة واللين ودفعهم بما يحتاجون إليه من حطام الدنيا ، وذكر الوزير جمال الدين لنور الدين أن بقاءه بالموصل مع قطب الدين انفع له وللبيت الزنكى فاقتنع نور الدين بوجهة نظر الوزير(٥٢) .

وعلى الرغم من أن وجهة نظر نور الدين محمود كانت فى باطن الأمر فى صالح الوزير جمال الدين الموصلى فقد يحظى بالشهادة فى سبيل الله أو على الأقل يكون ممن قال الله فيهم :﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾(٥٣) إلا أنه اقتنع بوجهة نظره فى عدم الذهاب إلى الشام لجهاد عدو الدين ، ورضى بأن يكون بصحبة قطب الدين محافظاً على ما حازه من أموال وجاه مدافعا عن البيت الزنكى الذى سخر نفسه لخدمته طوال حياته ، ولم يكتف بذلك بل طلب من نور الدين محمود معونة مالية مثل تلك التى يحصل عليها من بلاد قطب الدين(٥٤) نظراً لكثرة إنفاقه ، فأجابه نور الدين محمود إلى ذلك(٥٥) .

ولكن الوزير جمال الدين أدرك كثرة نفقات المجاهدين بالشام فقنع من نور الدين محمود بعشرة آلاف دينار سنويا ذكر ابن واصل أن نائبه بالشام كان يقبضها كل سنة ويشترى له بها أسرى الفرنج ويطلقهم(٥٦) . ونحن نتسأل لماذا وافق نور الدين محمود على منحه هذا المبغ ؟ وللإجابة على ذلك نقول والله أعلم : أن نور الدين محمود بن زنكى أدرك جهود الوزير لافى المحافظة على أخيه سيف الدين غازى من قبل ، بل حتى فى جهوده التى أدت إلى فض النزاع بينه وبين أخيه قطب الدين والتى أسفرت فى النهاية عن تسلُم قطب الدين سنجار ونور الدين حمص ، وبهذا الجهد المبذول من الوزير جمال الدين أتفقت كلمة الأخوين فكان كل واحدِ منهما لايصدر إلا عن أمر

أخيه خصوصاً بعد أن حصل نور الدين على الرقّه والرحبه وحمص والخزائن النى كانت لوالده بسنجار ، والتى بلغت حداً لايوصف ، بحيث حملها نور الدين إلى حلب على أكثر من ستمائة جمل محملة بالأموال وستة وتسعين بغلاً محملةً دهباً(٥٧) .

هكذا كان لهذه الخطوة الجبارة من قبل جمال الدين محمد أثرها فى التوفيق بين الأخوين ، وهى لا تقل أهمية عن تلك الخطوة التى قام بها فى الموصل عندما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٦ م وتكالب الأعداء على ولده سيف الدين غازى . ولهذا يمكن القول أن جهد جمال الدين الموصلى وحنكته السياسية يعجز عن تحقيقها كثير من الرجال ، ولولا مثل هذه الحنكة لحدث ما لا تحمد عقباه بين الطرفين خصوصاً وأنهما أى الزنكيين بالموصل وحلب يختلفون على أمور مالية وأقليمية قل أن يخرج من تنازع حولها بدون إراقة دماء . لذلك لا غرابة فى أن الوزير الموصلى حصل على رضى قطب الدين ونور الدين وحصل منهما على أموال كبيرة أنفقها فى وجوه البر والإصلاح وأعمال الخير .

ولما كانت سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م طُلب من الأتابك قطب الدين مودود صاحب الموصل إرسال الملك سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى همذان ليتولى سلطنة السلاجقة هناك بعد وفاة الملك محمد ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه(٥٨) . وقد وجد الوزير جمال الدين محمد الموصلى الفرصة مواتية فحث قطب الدين مودود على ذلك واشترط فى تلبية ذلك أن يكون قطب الدين أتابكاً لسيده سليمان شاه وجمال الدين وزيره وزين الدين على مقدم عسكره ، وتحالفوا على ذلك . وخرج سليمان شاه ومعه زين الدين إلى همذان ، وانضم إليهم عدد كبير من العساكر، إلا أن زين الدين شك فى حُسن

نوايا أصحاب الأطراف بفارس وعاد أدراجه إلى الموصل ، وأدرك الوزير فشل هذه الخطوة التى أقدم عليها(٥٩) .

لا يستبعد أن تكون عودة زين الدين إلى الموصل بسبب فشل سليمان شاه فى توليه سلطنة السلاجقة فقط وإنما كانت أيضاً بمشورة من بعض رجاله الذين أوغروا صدره ضد صديق عمره ورفيق دربه الوزير جمال الدين . هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يستبعد أن تكون عودة زين الدين بهدف أداء فريضة الحج حيث حج فى نفس السنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م على الرغم من معارضة بعض المخلصين له خوفاً عليه من الخليفة العباسى بسبب اشتراكه فى محاصرة بغداد سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م(٦٠) .

من هنا ندرك أن الوزير جمال الدين الموصلى قد أخلص مع قطب الدين مودود فى الموصل ، وكانت محاولته الأخيرة فى إرسال سليمان شاه إلى فارس هى بقصد إضفاء الشرعية على حكم قطب الدين للبلاد التى سيكون سليمان شاه سلطاناً عليها بدليل إشتراط الوزير فى خروج سليمان شاه أن يكون قطب الدين أتابكه ، وزين الدين على مقدم عسكره ، بينما يتولى هو الوزارة . ولكن هذه الخطوة من قبل الوزير جمال الدين كانت آخر سعادة الرفاق الثلاثة ، قطب الدين ، وزين الدين ، وجمال الدين ، وهذا ما سنراه فى الحديث عن نكبة الوزير ووفاته .

أعمال البر والإصلاح بالحرمين الشريفين

١- " مكة المكرمة "

كانت مكة المكرمة منذ بداية القرن الخامس الهجرى تحت حكم أسرة الهواشم(٦١) ، التى لم تكن فى حالة استقرار داخلى ، ولم تكن على علاقات طيبة بالعباسيين والفاطميين . ففى عهد زعيم الهواشم هاشم بن فليته أعلن ولاءه للفاطميين ثم للعباسيين قبل وفاته سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م(٦٢) . أما فى عهد قاسم بن هاشم بن فليته (٦٣) فإنه كان يعلن الخطبة فى مكة للعباسيين مع احترامه وتقديره للفاطميين ، إلا أن معاملته للمجاورين والتجار بمكة جعلت العباسيين يعزلونه عن الإمارة سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠ م ويعينون بدلاًمنه عمه الأمير عيسى بن فليته إلا أن قاسم تمكن من العودة إلى مكة وأخرج منها عمه الذى ما لبث أن عاد إلى مكة مرة أخرى بعد أن قتل قاسم بن هاشم بجبل أبى قبيس فى نفس السنة(٦٤) .

واستقر الوضع السياسى فى مكة للأمير عيسى بن فليته فترة زمنية إلا أن أخاه مالك نافسه وتمكن فى سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠ م من دخول مكة ، إلا أنه لم يتمتع بالإمارة فقد تمكن عيسى من إخراجه وإجباره على السير إلى الشام(٦٥) .

فى ظل هذا النزاع على شرافة مكة بين الهواشم فإن حجاج بيت الله الحرام كانوا لا يحظون بخدمات طيبة من هؤلاء الأمراء ، بل إنهم لم يكونوا يأمنون غدرهم فى أى موسم من المواسم خصوصًا إذا لم يتلقوا المبالغ المقررة لهم من بغداد أو من القاهرة(٦٦) . ومع هذا فإن عناية الله عز وجل ببيته وبالبقاع الطاهرة قد سخرت لها بعض الرجال والنساء الذين جادوا

بما قدرهم الله عليه من الأموال إما لتوسعة الحرم ، وإما لتأمين الماء ، وإما لترميم المساجد والمآذن التى تطاول عليها الزمن ، وإما لتحمل نفقات أمير مكة ورفع المكوس عن حجاج بيت الله الحرام كما فعل صلاح الدين الأيوبى(٦٧).

أما الوزير جمال الدين الموصلى فكان قد حظى برضى عماد الدين زنكى وابنه سيف الدين غازى وقطب الدين مودود بالموصل وابنه نور الدين محمود بحلب ، وجمع أموالاً كثيرة نتيجة العشر الذى كان يتقاضاه من دخل البلاد كعادة الوزراء السلجوقية(٦٨) ، وأصبحت به الموصل قبلة الأقبال وكعبة الآمال ، وسارت فى الآفاق صنائع جوده ، وتغنت بأفعاله الفاظ الفصاح ، وأتوا إليه من كل حدب وصوب ، وقصد من كل بلد(٦٩) .

وعلى الرغم من أن الوزير جمال الدين الموصلى قد جمع ثروة كبيرة منذ عهد مبكر فإنه لم يقم فى عهد عماد الدين زنكى بأى عمل -ينم عن غناه - إذ أنه كان مشغولاً بما كان سيده مشغولاً به فى توطيد دعائم الدولة الزنكية والقيام بأمر نصيبين والرحبه التى كان متوليها زمن زنكى " فلم يظهر من الوزيز جمال الدين فى زمان زنكى جود ، ولا عرف له موجود "(٧٠) .

أما بعد وفاة عماد الدين زنكى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م فقد انشغل الوزير أيضاً بتوطيد دعائم سيف الدين غازى بالموصل ونور الدين محمود بحلب ، ولما تم له ذلك ، وبحكم ما حاز عليه من ثروة كبيرة فقد هداه الله إلى القيام بأعمال بر وصلاح(٧١) - وخصوصًا فى الحرمين الشريفين - تخلد ذكره وتكفر عن ذنوبه وزلاته وسيئاته ، ووجد أن أفضل أعمال البر والاصلاح هى التى تكون فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولذلك أرسل إلى الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥هـ /١١٣٥ - ١١٦٠م)(٧٢) واستأذنه فى القيام ببعض أعمال البر والإصلاح بمكة

المكرمة . وحتى يضمن موافقة الخليفة على هذا المشروع فقد أهداه هدايا عظيمة المقدار (٧٣) . ولم يكتف بهذا بل وجد أن أمراء مكة المكرمة من أسرة الهواشم لابد من أخذ الأذن منهم قبل أن يبدأ فى عمله الخيرى ، فأرسل لأمير مكة وأهدى إليه هدايا عظيمة وخلعًا سنيه ، منها عمامة شراها بثلثمائة دينار ، وبذلك مكنه من عمل ما أراده(٧٤) .

بعد أن اطمأن الوزير إلى موافقة الجهات ذات الاختصاص على أعماله الخيرة بالحرمين أرسل من قبله سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م رجلا إلى مكة يقال له الحاجب ، ومعه خمسة آلاف درهم لعمل صفائح الذهب والفضة فى داخل الكعبة(٧٥) . ولما كانت سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م فى عهد الأمير قاسم بن هاشم بن فليته جدد الوزير باب الكعبة الشريفة وحلاه حلية حسنة وزخرفه وطلاه بالذهب بحيث أنه من الحسن " يستوقف الأبصار بحسن حليته وكتب عليه اسم الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله أبى عبد الله "(٧٦) . وحرصًا من الخلفية العباسى المقتفى لأمر الله على نجاح هذا العمل فقد أرسل إلى أمير مكة يأمره بتركيب الباب الذى عمله الوزير جمال الدين ، وأن يرسل إلى بغداد خشب الباب القديم ، ليكون تابوتًا له بعد موته ، وأن يتسلم أمير مكة صفائح الذهب والفضة التى على الباب القديم ، وتقدر بنحو خمسة عشر ألف دينار ، ففعل ذلك وركب الباب الذى عمله الوزير سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م(٧٧) . ولم يكتف الوزير الجواد بهذا بل لبس ووجلل عتبة الكعبة بصفائح من الذهب الأبريز)(٧٨) .

وفى الكعبة عمر الوزير الموصلى رخامًا فى عشر الخمسين وخمسمائة(٧٩) . ولما كانت أبواب الحرم المكى الشريف قد تعرضت للتلف بحكم تطاول الزمن عليها ، وأنها بحكم عوامل التعرية ، والسيول والبناء

حولها قد أصبحت منخفضة عن الأرض الخارجية للحرم ، فقد جددها الوزير ورفع أعتابها (٨٠) . وقد أشار ابن الأثير فى كتابه الباهر إلى أن الأعمال التجميلية والزخرفة فى باب الكعبة ظلت به حتى كانت سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م ولكنه لم يذكر ماذا حصل فى تلك السنة(٨١) .

هذا ولم تقتصر جهود الوزير الموصلى العمرانية فى مكة عند حد الكعبة والحرم بل تعداه إلى تجديد بعض الدور التىكان لها دور فى التاريخ الإسلامى ، ومن هذه الدور دار الخيزران(٨٢) التى هى بالأصل دار الأرقم المخزومى الواقعة عند الصفا ، وبهذه الدار مسجد كان الرسول الله ﷺ مختبئًا فيه قبل الجهر بالدعوة ، وفى هذا المسجد الواقع بالدار كان إسلام عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ومن أجل هذه الأهمية فقد عمره الوزير جمال الدين الموصلى(٨٣) .

أما الدار فقد ذكر ابن جبير أن الوزير غرم على ترميمها وتجديد عمارتها مائة ألف دينار . ويذكر ابن جبير أن بهذه الدار مقعد النبى محمد ﷺ، والصخرة التى كان يستند عليها ، وعن يمينه موضع أبى بكر الصديق ، وعن يمين أبى بكر موضع على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، وفى هذه الدار كان إسلام عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ومنها ظهر الإسلام على يده ، وأعزه الله به(٨٤) .

وفى داخل الحرم وجد رجال الوزير جمال الدين الموصلى أن الحجْر الذى بجانب الكعبة يحتاج إلى عمران فجُدد وعمرُ(٨٥) ، وظل على بناء الوزير الموصلى حتى سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م . وأشار أبو شامه أنه رأى اسم الوزير مكتوبًا على جدار الحِجْر فى السنة المذكورة(٨٦) . وبالرجوع إلى

كتاب ابن فهد " اتحاف الورى " فى حوادث السنة المذكورة تبين أن الحجَر فُرش بالرخام بأمر أمير المؤمنين الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٥م)(٨٧) ، ولا يستبعد أن تكون معالم وآثار الوزير الموصلى قد أزيلت عندما عملت هذه العملية من قبل الخليفة العباسى .

ومن المآثر العظيمة التى خلدت ذكر الوزير الموصلى قيامه بتعمير وتجديد منائر المسجد الحرام ، فقد ذكر الفاسى أنه سمع من بعض الثقات أن اسم الوزير الموصلى كان مكتوبًا على باب العمره بما معناه أنه أمر بعمارتها فى سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م(٨٨) . وفى الحرم أمر رحمه الله بتعمير قبة العباس التى كانت بجوار زمزم(٨٩) . أما عن المزْوَلَةَ التى جاء ذكرها أنها بصحن المسجد من عمل الوزير الموصلى ، فقد ذكر أن اسمه وجد على اللوح النحاس الذى ترتكز عليه المزولة ولا يعرف تاريخ تأسيسها ولا مبدأ استعمالها ، إلا أن أعمال الوزير بمكة جاءت سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م فلا يستبعد أن تكون أنشئت فى ذلك العام(٩٠) .

وبالإضافة إلى تلك الأعمال العمرانية بالحرم المكى الشريف فقد ذكر الرحالة ابن جبير أنه شاهد بمكة حمامين كبيرين ينسب أحدهما إلى الوزير جمال الدين الموصلى ، ويعلق ابن جبير على هذه الأعمال العمرانية للوزير الموصلى بقوله أنه لم يسبق إليها " فيما سلف من الزمان ولا من أكابر الخلفاء فضلاً عن الوزراء "(٩١) .

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على ما يدل على أن الوزير الموصلى قد حج فى حياته " وكان الرجل رحمه الله لم يحج فى حياته "(٩٢) فإن أخبار معاناة الحجاج من قلة المياه بعرفه قد بلغ مسامعه فأمر رحمه الله بعمل مصانع وجباب للماء بعرفه وأجرى إليها الماء من نعمان(٩٣) فى صهاريج

محفوره ومعمولة تحت الأرض مبنية بالكلس ، وغرم على ذلك أموالاً كثيرة(٩٤) ، ولم يقف الأمير عند حد النفقة على المشروع بل بذل لأهل نعمان من بنى شعبة(٩٥) أموالاً كثيرة تدفع إليهم كل سنة ، مقابل عدم الاعتداء على هذا المشروع ، والسماح بجريانه إلى المصانع بعرفات أيام مقام الحجاج بها، فكان الناس يجدون بهذا العمل راحة عظيمة(٩٦) .

وفى عرفات أيضًا أدرك الوزير الموصلى عن طريق عيونه ونوابه المعاناة الكبيرة التى يعانى منها الحجاج فى الصعود على جبل الرحمة بعرفات ،ذلك الجبل الذى يتكون من صخور كبيرة ومقطعة بعضها فوق بعض ، ومن الصعوبة بمكان الارتقاء عليها . فعمل الدرج يُصعد عليه إلى أعلى الجبل ، كما عمّر المسجد الذى يقع بأعلى هذا الجبل(٩٧) ، وأصبح من الميسور على الحجاج الصعود إلى أعلى الجبل والصلاة فى المسجد المذكور. وتشير بعض المصادر إلى أن الوزير الموصلى عمّر عدة مدرّجات تؤدى إلى أعلى الجبل من جميع الجهات ، وأنه أصبح بإمكان الدوابِ المحملة والموفرة بالأمتعة الصعود عبر هذا الجبل(٩٨) ، وكان هذا العمل من أجل وأعظم الأعمال التى خلدت ذكر هذا الوزير .

ورغبةً من الوزير الموصلى فى التقرب إلى الله عز وجل بأعمال البر والصلاح فقد أمر رحمه الله بتجديد وتوسيع عمارة مسجد الخيف بمنى الذى كان قد تطاول عليه الزمن ، وبدت عليه علامات الاندثار ، وغرم على ذلك أموالاً كثيرة(٩٩). ويشير الفاسى أن المسجد عُمرٌ زمن الخليفة العباسى المعتمد سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م وظل على حاله حتى عمره الجواد الأصفهانى(١٠٠) .

لم تقتصر أعمال البر والصلاح للوزير جمال الدين الموصلى بمكة عند حد العمران بل تعدتها إلى الهبات والصدقات المبرورة إن شاء الله ، ضمن ذلك أنه كان يحمل إليها الأموال والكسوات للفقراء

والمنقطعين ما يكفيهم مدة سنة كاملة " وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير "(١٠١) وكان للأموال التى كان الوزير يرسلها إلى مكة المكرمة أثرها فى رخص الأسعار . ولضمان وصول هذه الأموال المرسلة إلى مكة لمستحقيها فقد أوجد له وكلاء بمكة المكرمة والمدينة المنورة يقومون بتوزيع الأعطيات والصدقات حسب الأسماء المدونة عندهم من المحتاجين والمجاورين(١٠٢) .

وهكذا يمكن القول أن أعمال العمران التى قام بها الوزير فى مكة قد شملت معظم المشاعر ، فعرفه حظيت بتأمين الماء وتسهيل الصعود على جبل الرحمة ، ومنى حظيت بتوسيع وعمارة مسجد الخيف الذى تطاول عليه الزمن .

أما مكة المكرمة فقد حظيت بنصيب الأسد من الخدمة العمرانية التى قدمها الوزير الموصلى وتنوعت ما بين تجديد وعمارة باب الكعبة وفرش أرضها بالرخام ، وعمارة وتجديد أبواب المسجد ومآذنه وبعض الدور والقباب التى بداخل الحرم وخارجه ،ثم ختم خدماته رحمه الله بما كان يرسله من أموال إلى أهل مكة والمجاورين بها . بقى أن نعرف ماذا قدم للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

٢- المدنية المنورة

لم تكن المدينة المنورة بأحسن حال من مكة المكرمة من الناحية السياسية زمن وزارة جمال الدين الموصلى ، فقد كانت عرضة للنزاع بين الأشراف الحسينيين ، وبين نهب الأعراب لها من ناحية أخرى . ولما كانت أهمية المدنية المنورة فى نفوس المسلمين لا تقل عن أهمية مكة المكرمة من الناحية الدينية - ففيها قبر المصطفى ﷺ ، ومسجده الذى لا تشد الرحال إلا إليه مع المسجد الحرام والمسجد الأقصى - فقد سعى ملوك وأمراء وسلاطين الدولة الإسلامية إلى تخليد ذكرهم بل والتقرب إلى الله بعمل من أعمال البر والإصلاح فيها .

وكانت أول أعمال الوزير تجاه مدينة الرسول ﷺ أنه فيما قيل حث السلطان نور الدين محمود بالمسير إلى المدنية لتفقد أحوال أهلها والأطمئنان على سلامة قبر الرسول ﷺ بعد الرؤيا التى رأها نور الدين محمود فى المنام من أن الرسول ﷺ كان يستغيث به من رجلين أشقرين ، فكانت رحلة نور الدين محمود رحمه الله فى بضع الخمسين وخمسمائة إلى المدنية تلك الرحلة التى تفقد فيها أهل المدينة والقبر الشريف . وكان لهذه الرحلة أثرها فى توطيد الأمن بالمدينة وانتعاش أهلها من جراء الأموال التى انفقت عليهم فى تلك الرحلة(١٠٣) .

وإلى جانب ذلك فقد كان أهل المدينة زمن وزارة جمال الدين الموصلى فى ضنك وضر من الأعراب الذين كانوا يقومون بنهب المدينة ، ولذلك قام الوزير ببناء سور على المدينة بعد الأربعين وخمسمائة هجرية(١٠٤)، وكان هذا السور من أعظم الأعمال نفعًا للمسلمين عامة ولأهل المدينة خاصة . ويشير السمهودى أنه بعد بناء سور المدينة بأمر الوزير

الموصلى أصبحت المدينة تحت سورين عتيقين(١٠٥) . ولما كان أهل المدينة قد استفادوا من هذا السور فائدة عظيمة فإن ابن الأثير يذكر أنه سمع بالمسجد النبوى الشريف بعد الصلاة بعض المصلين يترحمون على جمال الدين الموصلى ، فسألهم عن ذلك فقال بعضهم " يجب على كل من بالمدينة أن يدعو له لأننا كنا فى ضر وضيق ونكد عيش مع الأعراب ، لا يتركون لأحدنا ما يوارى عورته ولا ما يشبع جوعته فبنى علينا سوراً أحتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغنينا . فكيف لا ندعو له ؟(١٠٦) " . ولم يقتصر الأمر على المصلين فى الدعاء للوزير الموصلى ، بل كان الخطيب فى المسجد النبوى يقرن خطبته بدعاء صالح لجمال الدين على جميل صنيعه فى أهل المدينة فيقول " اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى جعفر "(١٠٧) . ومما قيل من الأشعار فى سور المدينة الذى بناه الوزير الموصلى ما قاله الشاعر أبو المجد بن قسيم الحموى(١٠٨) :

صان المدينة تسويرًا وصورها فى الحسن غادة ملك الشام واليمن
وصان بالمال أهليها فما بقيت هزلاء إلا تشكت كثرة السِّمن

وفى وصف السور الذى بناه الوزير جمال الدين الموصلى على المدينة المنورة والتربه التى أتخذها الوزير لتكون قبرا له قال الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد بن الصيغى المعروف بحيص بيص(١٠٩) :

وتقرعين محمدُ بمحمدِ مُحى دريسى علمه المنزل
معمار مرقده وحافظ دينه ومعين أمّه بجود مسبل(١١٠)

ولم تقتصر أعمال الوزير فى المدينة عند حد بناء السور فقد أدرك ما أصاب الحجرة النبوية الشريفة من القدم فأمر ببنائها وترخيم جدرانها بما يناسبها من الرخام(١١١) .

ومن الأعمال الجليلة التى خلدت ذكر الوزير جمال الدين بالمدينة المنورة بناء ما كان قد خُرب من المسجد النبوى الشريف ، فحظى رحمه الله بهذه المفخرة التى خلدت له الذكر الطيب(١١٢) .

ولما كان فقراء مكة والمدينة والمجاورين بها يعتمدون فى سكناهم على الأربطة التى تقام بهاتين المدينتين الجليلتين فقد أقام الوزير الموصلى رباطًا فى لمدنية المنورة خصصه لفقراء العجم والزائرين فى الموسم ، مقابل باب عثمان بن عفان رضى الله عنه، ذلك الباب الذىكان النبى ﷺ يدخل منه إلى المسجد وهو باتجاه البقيع قريبًا من التربة التى خصصها الوزير لقبره(١١٣) .

أما عن التربة التى اشتراها وأوصى أن يقبر فيها ، فإن الوزير جمال الدين الموصلى فى بداية أمره كان قد أتفق مع صديق عمره أسد الدين شيركوه(١١٤) على أن أى منهما مات قبل صاحبه أن ينقله الحى إلى المدينة المنورة(١١٥) ، ولهذا اشترى التربه أو هذا المكان الذى لا يبعد كثيرًا عن حائط المسجد النبوى من جهة البقيع(١١٦) .

ولهذه التربة التى خصصت لقبره شباك بحائط المسجد تقابل قبر الرسول ﷺ ، وفى ذلك يقول ابن جبير عن هذا الموقع " وأبيح له ذلك على شدة الضنانه بمثله لسابق أفعاله الكريمة ... فأسعده الله بالجوار الكريم وخصه بالمواراة فى تربة التقدير العظيم والله لا يضيع أجر المحسنين"(١١٧). ويعلق السمهودى على التربة التى خصصت لقبر الوزير جمال الدين الموصلى بقوله " قد منع من أتخذ غربى المسجد تربة حتى لا تكون أرجله مقابل رأس الرسول ﷺ ، أما الوزير الموصلى فإن رأسه بالقبر مقابل أرجل

الرسول ﷺ بحكم كون هذه شرق المسجد ولذلك فإنه لم يمنع من الدفن بها فكان ذلك من عظيم حظه "(١١٨) .

ومن أعمال البر والخير التى قام بها الوزير لأهل المدينة أنه كان يرسل إلى أهلها أموالاً وكسوات توزع على المحتاجين من الفقراء والمنقطعين(١١٩) . وقد صور السمهودى أن الأموال التى كانت تصل إلى المدينة تؤدى إلى رخص الأسعار ، كما يذكر ابن الأثير أن الوزير الموصلى كان يوجد له وكلاء فى المدينة - كما كان له وكلاء بمكة المكرمة - يقومون بتوزيع الأموال والهدايا التى ترسل إلى المدينة على أصحابها بموجب الأسماء المرتبة لديهم . بحيث تكفيهم سنة كاملة(١٢٠) . وهكذا يمكن القول أن أعمال الوزير الموصلى بالمدينة شملت حفظ هذه المدينة من غارات الأعراب الذين كانوا يعتدون عليها وبناء المسجد النبوى الشريف ، كما شملت أيضًا بناء رباط خصصه للعجم الذين كانوا يرغبون فى المجاورة بهذا البلد الأمين ، ولم يتوقف نشاط الوزيرعند هذا الحد بل خصص لفقراء المدينة أعطيات مالية مقررة سنوية ، وخصص لنفسه موضع جعله مدرسةً فى حياته ، وتربةً يدفن بها بعد مماته .

أعمال الوزير الموصلى فى مجال البر والعمران خارج الحرمين

لم تقف أعمال البر والإصلاح والعمران للوزير جمال الدين عند حد ما قام به فى مكة المكرمة والمدينة المنورة بل تعداه إلى بعض الأقطار خارج الحرمين الشريفين ، وحظيت طرق الحاج بصفة خاصة والطرق بصفة عامة باهتمام الوزير الموصلى . فمن ذلك أنه سعى إلى استنباط الماء وعمارة الجباب لجمع مياه السيول واختص المنازل فى المفازات والصحارى ، وأمر

بعمارتها حتى أصبحت مأوى لابناء السبيل وجميع المسافرين والمنقطعين . وفى المدن والقرى الواقعة على طريق العراق الشام أبتنى رحمه الله الفنادق وجعلها منزلاً لفقراء أبناء السبيل الذين يضعف أحدهم عن تأدية الأكريه ، وأجرى عليها المال لمن يقوم عليها(١٢١) .

ولما كانت فَيْدُ(١٢٢) منزلاً على طريق الحاج بين الكوفةومكة فقد أدرك الوزير أهمية هذا الموقع الذى يودغ به الحجاج كثيراً من أرزاقهم وأمتعتهم وأزوادهم، وما تتعرض له فَيْد من خطر الأعراب وهجومهم عليها ، ولذلك فقد أمر ببناء سور عليها . وكان هذا السور محل إعجاب المعاصرين(١٢٣) ، وقد وصفة ابن جبير فى زمانه أنه سور عتيق البنيان(١٢٤) . وكان للسور الذى بناه الوزير الموصلى أثره فى حفظ هذا المركز من هجوم الأعراب على أمتعة الحجاج ، أما عن سبب هجوم الأعراب على هذا المكان فلإنه مركز تجمع كبير للحجيج وبه نشاط مالى كبير وبعيد عن مقر السلطة فى بغداد(١٢٥) .

ومن أعمال البر والعمران التى قام بها الوزير الموصلى خارج الحرمين الشريفين الاعتناء بطرق العراق والموصل فقد أمر رحمة الله ببناء على دجله عند جزيرة ابن عمر وأنفق عليه أموالاً كثيرة نظر إلى أنه بناه بالحجر المنحوت والحديد والرصاص ، كذلك بنى جسرًا صغيراً على أحد الأنهار الصغيرة لتسهيل حركة العبور على هذه الأنهار التى كانت تشكل عائقاً أمام حركة التنقل والأتجار(١٢٦) .

أما فى الموصل فقد بنى رحمة الله الأربطة التى جعلها وقفاً على فقراء المسلمين وأبناء السبيل الذين لا يستطيعون دفع الأكريه(١٢٧) . يقول عنه ابن

جبير " ولهذا الرجل رحمه الله من الآثار السنية والمفاخر العملية التى لم يسبقه إليها الأكابر الأجواد وسراة الأمجاد فيما سلف من الزمان ما يفوت الاحصاء ويستغرق الثناء ويستصحب طول الأيام من الألسنة الدعاء ، وحسبك أنه أتسع اعتناؤه بإصلاح عامة طرق المسلمين بجهة الشرق من العراق إلى الشام وإلى الحجاز "(١٢٨) .

ومن أعمال الوزير الموصلى فى مجال البر والجود والكرم أنه كان مقصد الكثير من علماء المسلمين من أصفهان وغيرها . فقد ذُكر أن صدر الدين أبو بكر ابن عبد اللطيف الخجندى المتوفى سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧ م رئيس أصحاب الشافعى بأصفهانى ، وكذا قاضى قضاة همذان ، قصداه بالموصل فبذل لهما الوزير الأموال الجزيلة(١٢٩) . وممن كانت له بهم صحبة من العلماء أسامه بن منقذ صاحب كتاب الاعتبار الذى كان قد لام الوزير على كثرة انفاقه وخشى عليه من الحساد والوشاة(١٣٠) . وقد صور ابن جبير بر الوزير وكرمه فقال " قد أتخذ دار كرامة واسعة الفناء فسيحة الأرجاء يدعوا إليها كل يوم الجفلى من الغرباء فيعمهم شبعاً ورياً ، ويرد الصادر والوارد من أبناء السبيل فى ظله عيشاً هنياً ، ولم يزل على ذلك مدة حياته رحمة الله ، فبقيت أثاره مخلده ، وأخباره بألسنة الذكر مجَدّده ، وقضى حميداً سعيداً بجزاء المحسنين إلى عباده فهو أكرم الكرماء ، وأكفل الكفلاء(١٣١)".

وقد عم جود الوزير الموصلى معظم بلاد العراق وطرق الحاج إلى مكة وطرق المسافرين إلى الشام ، وقد صور الأصفهانى هذا الجود والكرم فقال " فجعل لكل بلدة من بلاد الإسلام من مواهبه راتباً ، وأصبح جوده فى الآفاق إلى المقيمين سائراً وللطالبين طالبا "(١٣٢) .

وهكذا يكمن القول أن كرم الوزير وجوده كان على ما يبدو من الأسباب التى أدت إلى نكبته ووفاته ، وهذا ما سنراه فى الحديث عن هذا الجانب .

نكبة الوزير الموصلى ووفاته

أخلص الوزير جمال الدين الموصلى فى العمل مع زعماء الموصل من بنى زنكى ، وقد اتضح أن هذا الاخلاص كان مرتبطاً بهيبة زعماء الموصل من بنى زنكى وبالمصالح المتبادلة بينه وبينهم . وبالنظر إلى شخصية الوزير وصفاته وكرمه ، وعلاقاته بزعماء الموصل وببره وإصلاحاته يرى المتتبع لأخباره أن نكبته ترتبط بأمور ثلاثة :

الأمر الأول : إهمال الوزير فى آخر حياته وعدم اهتمامه ببعض الأمور زمن قطب الدين مودود بخلاف ما كان عليه من اهتمام زمن عماد الدين زنكى وابنه سيف الدين غازى إما لتقدمه فى السن ، وإما لشعوره أن خدماته السابقة ستكون شافعة له فيما لو حصل منه تقصير ، وإما لشعوره أن ما يقوم به من أعمال يناسب زمانه . وفى هذا الصدد يقول الموصلى لمن كان ينتقده من معاصريه عن تقصيره وتغيره عما كان عليه " ليست الكفاية عبارة عن فعل واحد فى كل زمان ، إنما الكفاية أن يسلك الإنسان فى كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت . ويقول أيضًا : كان لنا صاحب متمكن قوى العزم لا يتجاسر أحد على الاعترض عليه ولا يتلون بأقوال أصحابه فحفظناه، فكان ما أفعله هو الكفاية ، وأما الآن فلنا سلطان غير متمكن ، وهو محكوم عليه فهذا الذى أفعله هو الكفاية(١٣٣) " .

أما الأمر الثانى فى نكبة الوزير الموصلى فقد يكون نابعًا من شخصه هو ورغبة منه فى ذلك فقد كان يقول " كنت أخشى أن أنقل من الدست(١٣٤) إلى القبر "(١٣٥) . وهذا دليل على عدم رغبته فى الاستمرار فى الوزارة فى أيامه الأخيرة . ويمكن أن يضاف إلى هذا الأمر أن سياسة الوزير الموصلى فى مسألة الملك سليمان شاه وإرساله إلى همذان كانت من أسباب

نكبته(١٣٦). كما أن قطب الدين كان يتضجر من سياسة الوزير جمال الدين الموصلي ولكنه لم يعلن ذلك ولم يفصح به فلا يستبعد أن يكون ذلك من أسباب نكبة الوزير(١٣٧) .

أما الأمر الثالث الذى كان من الأسباب فى نكبة الوزير فهو كثرة حساد الوزير الذين استغلوا كثرة إنفاقه وبذله وعطائه وجوده حيث " لم يكن فى زمانه من يضاهيه ولا يقاربه فى الجود والنوال "(١٣٨) . ويذكر أن أحب الأشياء إلى الوزير إخراج المال والصدقات ، وكانت صدقاته تصل إلى اليمن والحجاز والشام وأصفهان ، وله قوائم من الناس الذين رتب لهم أعطيات فى هذه البلاد ، وكان للحرمين الشريفين نصيب الأسد من هذه الأعطيات . يقول الأصفهانى " فجعل لكل بلدة من بلاد الإسلام من مواهبة راتبًا(١٣٩) وكان الوزير جمال الدين رحمة الله من " اسخى الناس وأكثرهم عطاءً وبذلاً للمال، رحيماً بالناس متعطفًا عليهم عادلاً فيهم"(١٤٠) . ولم يتوقف الوزير عند حد العطاء والبذل والمبالغة فى الانفاق ، بل عمل له بالموصل دار كرامه يدعو إليها عامة الناس فيكرمهم ، ومع كل هذه الصفات الحميدة فقد كان الوزير هو الحاكم الفعلى على الدولة(١٤١) . ومن الطبيعى أن من كانت هذه صفاته مع كثرة أمواله أن يسعى به حساده خصوصًا أنه كان له كل يوم مائة دينار يتصدق بها . وقد وجد حساد الوزير جمال الدين الفرصة مواتية فسعوا به إلى قطب الدين أوغروا صدره وقالوا إنه يأخذ أموالك ويتصدق بها . وقد وجدت هذه الوشاية هوىً فى نفس قطب الدين مودود لعدة أسباب منها أن الوزير كان هو الحاكم على الدولة(١٤٢) ، أما السبب الثانى فهو الذى أشار إليه ابن الأثير فى باهره من أن السلطان قطب الدين قد نفذ صبره من جمال الدين الموصلى وبعض نوابه وصبر" على ما لم يصبر عليه سواه "(١٤٣) .

أما السبب الثالث الذى وافق هوى قطب الدين تجاه الوزير الموصلى فهو كثرة اقطاعه البالغ عشر دخل البلاد ولذلك أستكثر قطب الدين هذا الإقطاع وثقل عيله(١٤٤) . أما السبب الرابع فلا يخرج عن أن الوزير كان قد مُدح بعدد من القصائد الشعرية التى لا يستبعد أن تكون أثارت حفيظة قطب الدين مودود صاحب الموصل ضد الوزير جمال الدين(١٤٥) .

ومع كل هذه الأسباب التى توفرت لدى قطب الدين مودود صاحب الموصل عن شخصية الوزير جمال الدين فقد كان يقدر فيه عظيم فتوته وكامل مرؤته وكمال رئاسته ، والعلاقة الوطيدة التى تربطه بزين الدين على كوجك حيث كانت بينهما عهود ومواثيق على المصافاة والاتفاق فظل بزين الدين حتى " غيَّره من مصافاته ومؤاخاته فقبض عليه وحسبه بقلعة الموصل"(١٤٦) . إلا أن زين الدين على الذى عاش بعد الوزير الموصلى ورأى تصرفات رجال قطب الدين ندم على الموافقة على إلقاء القبض عليه بسبب تغير الأوضاع فى الموصل " فكان زين الدين يذم أصحابه على تحسين الموافقة على قبض جمال الدين(١٤٧) " .

وكان إلقاء القبض على الوزير الموصلى فى شهر رجب سنة ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م ، واستمر فى حسبه بقلعة الموصل حتى توفى فى العشر الأخير من شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م(١٤٨) .

ولما نُكب الوزير وحبس بقلعة الموصل كان هذا العمل محل استنكار واستهجان من بعض الشعراء ، ومن هؤلاء الشعراء علم الدين الحسن بن سعيد الشاتانى(١٤٩) :

ما حط قدرك من أوج العلا القدر	كلا ولا غيرت أفعالك الغير
أنت الذى عم أهل الأرض نائله	ولم ينل شأوة من سؤدد بشر

سـارت صـفاتك فى الآفاق واتضحت   وصـدق السمع عنها مارأى البصـر
فاصبر لصـــرف زمان قد منيت به   فآخـر الصبـر ، ياطودَ النُهى الظفر
فمـا ترى أحدًا فى الخلـق يسلم من   صــروف دهــر له فى أهـله غـير
سـعوا بقصـدك ســرّا واستتب لهم   ولو سـعوا نحـوه جهـراً لما قدروا
لولا الأمانى التى تحيا النفوس بها   لمت من لوعـــة فى القلب تستـعر(١٥٠)

ومـن الشـعراء الـذى تـأثروا بنكبـة الوزيـر الموصلـى الشـاعر ابـن المعلّم(١٥١) حيث قال :

أن يعـذلـوك لعـروف سمحت به   على ذوى الأرض ذات العرض والطول
فأنت يـا واحـد الدينـا وسـيدها   بذلك الجـود فيهـا غـير معـذول(١٥٢)

ومهما كانت المداح والأعذار التى قيلت عقب نكبة الوزير جمـال الديـن الموصلى فإن كرمه وتصرفاته المالية ، وكثرة هباته وعطاياه كـانت واضحـة بحيث فسرها أحد أصدقاء جمال الدين الموصلى على أنها زلل يجـب العدول عنه . فقد ذكر أبو شامه فى كتاب الروضتين أن أسامه بن منقذ صاحب كتاب الاعتبار(١٥٣) كان قد قدم إلى الموصـل سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م وأحـس أن صديقه جمال الدين الموصلى فى خطر بسبب كثرة انفاقـه حيـث قـال لـه فـى معرض مناصحته وارشاده " قد بسـطت يـدك فـى انفـاق المـال فـى الصدقـات ووجوه البر والعروف ، والسلاطين مـا يحتملـون إخـراج المـال ، ولا تصـبر نفوسـهم عليـه ، ولـو أن الإنسـان يخـرج مـن ميراثـه ، وهـذا الـذى أهلـك البراكمـه(١٥٤) ، فـانظر لنفسك كيـف المخـرج ممـا قـد دخلـت فيـه . فـاطرق الوزيـر سـاعة وقـال : جـزاك اللـه خـيراً ، لكـن الأمـر قـد عَـبَر عمـا

تخاف"(١٥٥) . ولم يقف ابن منقذ عند حد المناصحة بل ذيل نصيحته ببيتين من الشعر للشاعر الشريف الرضى(١٥٦) قال فيها :

ما ناصحتك خفايا الود من أحد   ما لم يصبك بمكروه من العذل

مودتى لك تأبى أن تسامحنى   بأن أراك على شئ من الزلل(١٥٧)

وكان يوم وفاة الوزير جمال الدين يوماً مشهوداً من ضجيج الضعفاء والآرامل والأيتام حول جنازته ، ودفن بالموصل نحو سنة ثم نقل إلى مكة المكرمة ومنها إلى المدينة المنورة حيث دفن بالتربة التى كان قد اشتراها لنفسه قبل وفاته(١٥٨) .

أما عن نقل جثمان الوزير إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة فيذكر أن الوزير عندما كان فى السجن طلب من القائم على خدمته الشيخ أبو القاسم الصوفى أن يمضى إلى أسد الدين شيركوه ليذكره بالأتفاق والعهد الذى بينها بخصوص أن من مات قبل صاحبه حمله الحى إلى المدينة النبوية الشريفة ، فلما توفى الوزير جمال الدين ذهب الشيخ الصوفى إلى أسد الدين شيركوه وذكره بوصية الوزير جمال الدين ، فأعطاه مالاً كثيرا ليحمله به إلى مكة فالمدينة وأمر أن يحج معه جماعة من الصوفية عن الوزير جمال الدين ، وأن يستصحب من القراء من يقرأ بين يدى تابوته عند النزول والرحيل ، وأن ينادوا فى البلاد التى ينزلون بها الصلاة على فلان ففعلوا ذلك ،.فكان يُصلى عليه فى كل مدينة خلق كثير ، فلما كان فى الحلة(١٥٩) اجتمع الناس للصلاة عليه فإذا بشاب حسن الصورة ظهر وقال شعر اً منه :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما   سرى بره فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله   عليه وفى النادى فتبكى أرامله(١٦٠)

ولما وصلوا به إلى مكة طافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم ، وكان يوم وصوله إلى مكة يومًا مشهودًامن اجتماع الخلق والبكاء عليه ، ومما قيل عنه فى ذلك اليوم :

يا كعبةَ الإسلام هذا الذى جاءك يسعى كعبةُ الجودِ

قصدتِ فى العام وهذا الذى لم يخل يوماً غير مقصودِ(١٦١)

ثم حمل إلى المدينة المنورة وصلى عيله أيضًا بالحرم ودفنوه بالتربه التى اشتراها لنفسه وبينه وبين قبر الرسول ﷺ خمسة عشر ذراعا من جهة الشرق(١٦٢) .

كان رحمة الله فصيحا أديباً لبيباً عارفاً بالشعر . ولما حُبس فى قلعة الموصل قال لأصحابه الذين لم يشر إلى أحد منهم :

أين اليمين وأين ما عاهدتنى ما كان أسرع فى الهوى ما خنتنى

وتركتنى حيران صبا مدنفـًا أرعى النجوم وأنت ترقد هاهنى

فلا أفضى إلى إلهى قصتى إنسان مظلوم وأنت ظلمتنى

هلا دعوت عليك فى غسق الدجى فعساك تبلى بالذى أبليتنى(١٦٣)

ولم تقتصر نكبة الوزير جمال الدين على شخصه فقد نُكب ولده أبو الحسن على الملقب جلال الدين فى عهد سيف الدين غازى بن قطب الدين(١٦٤) عندما كان يتولى وزارته. وقد توفى جلال الدين فى سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م وحمل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن بها فى تربة والده ، وكان رحمة الله من الأدباء الفضلاء والبلغاء الكرماء(١٦٥) .

الخاتمـة

الحمد لله الذى به تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسالات سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلوات والتسليمات وبعد ...

فقد كانت حياة الوزير جمـال الدين الموصلى المتوفى سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م شعلة من النشاط والاخلاص للبيت الزنكى ، وأدى الدور المناط به ونجح فى ولايته زمـن عماد الدين زنكى على الرحبه ونصيبين ، وحظى باعجاب ذلك الزعيم . وتمكن الوزير من توطيد الأمر لأولاد زنكى فى الموصل وحلب ، وسهّل لنـور الدين محمود الشهيد الاستيلاء على خزائن والده بسنجار ، تلك الخزائن التـى كانت مملؤة بالأموال التى ساعدته على جهاد الصلبين بالشام . وبحسن سياسته نجح الوزير الموصلى فى ابعاد شبح الحرب بين الأخويين قطب الدين مودود بالموصـل ، ونور الدين محمود بحلب ، وسعى بكل حنكة إلى أن جعل كلمتهما واحدة حتى خشيهما الخصوم فى الشام والعراق وفارس .

وبحكم ما تجمع لدى هذا الوزير من الأموال فقد أنفقها فى وجوه الخير والصلاح ، وأتخذ له مدرسة وتربة قُبر بهـا بالمدينة المنورة . ولأن الوزير الموصلى لم يتمكن من أداء فريضة الحج فقد رغب أن يحظى بشرف خدمة الحرمين وأن يتحمل هذا العبأ فأخذ الأذن من الخلافة العباسية وأشراف مكة من بنى هاشم على ما سيقوم به من أعمال بالحرمين الشريفين . ولما أخذ الموافقة على ذلك سخّر نفسه لخدمة الحرمين الشريفين ، وقام بأعمال جليلة شملت ترخيم الكعبة بالرخام وزين بابها بالذهب والفضه وكذا عتبة باب الكعبة ، وعمّر الحجْر ، وجدّد أبواب الحرم ورفع اعتابها وعمّر وجدّد المنائر القائمة بالحرم المكى الشريف . ولم يقتصر عند هذا الحد بل جدّد بعض الدور

والقباب بمكة المكرمة ، كدار الخيزران وقبة العباس ، وعمل بالحرم مزولة لمعرفة أوقات الصلاة بمكة المكرمة ، ولم يقف عند هذا الحد بل جدد عمارة مسجد الخيف بمنى .

أما عرفات فقد أوصل إليها الماء من نعمان فى صهاريج محفورة تحت الأرض ، ورصف الدرج المؤدى إلى أعلى جبل الرحمة وعمّر المسجد الموجود بأعلى ذلك الجبل .

أما المدينة المنورة فقد أحاطها بسور عظيم خلّد ذكره وحفظ أهلها من غارات الأعراب ، وجدد بناء مسجد رسول اللهﷺ، وبنى الأربطة ، ورتّب لفقراء الحرم المدنى والحرم المكى أعطيات تصلهم كل عام بحيث تكفيهم مدة عام كامل .

وكان الموصلى رحمه الله قد بلغه ما يعانيه حجاج العراق من هجمات الأعراب بفَيْدٍ فأحاط هذه المدينة بسور عظيم ، وأنشا فى طريق الحجاج البرك والجباب المخصصة لحفظ مياه السيول والاستراحات التى خصصت للفقراء الذين لايستطيعون دفع الكراء . أما الموصل فقد كانت فى عهده كعبة الآمال ومقصد ذوى الحاجات . وعمّر فى جزيرة ابن عمر بعض الجسور التى غرم عليها أموالاً كثيرة . وبهذه الأعمال الجلية التى أقامها فى مكة والمدينة وطرق الحاج استحق الوزير الموصلى الثناء والعرفان . إلا أن يد الغدر طالته فى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م حتى قبض عليه وأودع السجن فظل به حتى تُوفى فى السنة التالية ٥٥٩هـ / ١١٦٣م ، فمضى إلى ربه مرضيًا عنه من خلق الله ، مغبون عليه من قبل صديق عمره زين الدين على كوجك الذى كان قد استمع إلى نصيحته بعض رجاله فى الموافقة على القاء القبض عليه من قبل قطب الدين مودود .

ولما كان الوزير قد اتفق مع أسد الدين شيركوه على أن أيًا منهما مات قبل صاحبه حمله الحى إلى المدينة المنورة فقد نفذ أسد الدين شيركوه هذا الاتفاق وكلف من حمل صاحبه إلى مكة والمدينة . ولما كان الوزير قد تأخر عن أداء فريضة الحج ولم يؤدها فى حياته فقد قُضيت له المناسك عندما حُمل تابوته إلى مكة ، وبعد أن تم ذلك حُمل تابوته إلى المدينة المنورة ودفن فى التربة التى اشترلها لنفسه قبل وفاته .

وعلى الرغم من المصير الذى آل إليه الوزير الموصلى فإن ابنه جلال الدين الذى وزر أيضًا للزنكيين بالموصل لم يسلم من المصير الذى حاق بوالده ، فقد أودع السجن وظل به حتى وفاته سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م .

والله المستعان .

الهوامش

(١) الأتابكيات : هى أنظمة أسستها بعض الأسر التركية والتركمانية فى العصر السلجوقى وهى تابعة السجلاقة ، ولكنها لم تكن تدين للسلطان السلجوقى بأكثر من الطاعة الاسمية . ومن أشهر هذه الأتابكيات أتابكية أذربيجان ، وأتابكية فارس ، وأتابكية الموصل ، وأتابكية الشام .

انظر حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ،ص ٦٤. وكلمة أتابك مركبة من كلمتين أتا بمعنى أب وبك بمعنى أمير تعنى الأمير الأب ، انظر دائرة المعارف اللبنانية ، المجلد الخامس ، مادة أتابك ، ص٤٨٧.

(٢) بلاد الجزيرة : هى البلاد المحصورة بين دجلة والفرات فوق الموصل ، وينسب إليها عدد من العلماء منهم بنو الأثير العلماء والأدباء . ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ، ص١٣٨.

(٣) أصبَهان : بكسر الألف أو فتحها وسكون الصاد المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، ونون فى آخرها ، أشهر بلده فى الجبال ، والفرس كانوا يسمونها أسباهان ولكن العرب عربوها فسموها أصفهان . وهذه المدينة كانت تعرف قديمًا باسم حى أخصب مدن الجبال وأوسعها ، اتخذها الشاه إسماعيل الصفوى عاصمة له فى القرن السابع عشر الميلادى ، خرج منها عدد من العلماء كالعماد الكاتب صاحب الخريدة المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، وأبو عبد الله محمد بن جعفر الأصفهانى المتوفى سنة ٣٤٦هـ وغيرهم .

انظر : ياقوت ، معجم البلدان / جـ١ ، ص٢٠٦؛ ابن الأثير ، اللباب ، جـ١ ، ص٦٩؛ ليسترنج ، بلدان الخلافة ، ص٢٣٨ - ٢٤٢ ، ويطلق على الوزير الموصلى الأصبهانى ، الأصفهانى ولاخلاف فى ذلك ، ترجم له الذهبى وقال كان كريمًا نبيلاً دمث الأخلاق ، كامل الرئاسة . الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٣٤٩ .

(٤) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٣ .

(٥) شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، تولى وزارة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه كان مقتله سنة ٥١٧هـ (أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٢٢٧) .

نظام الملك : أبو على الحسن بن على بن أسحق بن العباس الملقب قوام الدين الطوسى كان أمر سلطنة السلاجقة بيده فى عهد السلطان ملكشاه . كان من أعظم الوزراء الذين عرفهم التاريخ ، له كتاب سياسة نامه .

- قتل سنة ٤٨٥ هـ على يد الإسماعيلية . (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٨ ، ص١٢٨؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان جـ١ ،ص١١٢ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٣.

(٧) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوقى ، ص١٥٣ ؛ انظر أبو شامه ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٣.

(٨) ابن العماد الحنبلى ، شذارت الذهب ، جـ٤ ، ص٧٦.

(٩) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٣٤٩.

(١٠) مسفر الغامدى ، الجهاد ضد الصلبيين فى الشرق الإسلامى ، ص٢١٥، ٢١٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ . وللمزيد عن عماد الدين زنكى انظر: عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ؛ عليه الجنزورى ، أمارة الرها الصليبية .

(١١) ابن الأثير ، الباهر ، ص١١٨؛ أبو شامه ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٣ . والعماد الأصفهانى هو صاحب كتاب تاريخ آل سلجوق .

(١٢) الأصفهانى ، تاريخ آل سلجوق ، ص١٩٣.

(١٣) نصيبين : مدينة علمرة من بلاد الجزيرة على طريق الموصل الشام ، بها كثير من البساتين بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل سنة أيام .
ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٨٨ ؛ ابن خرارذ به ، المسالك والممالك ،ص٩٥.

(١٤) الرحيه : مدينة بين الرقه وبغداد على شاطىء الفرات الغربى بناها مالك بن طوق ويطلق عليها رحبة مالك بن طوق ، ينسب إليها عدد من العلماء . ياقوت ، معجم البلدان ،جـ٣ ، ص٣٤ .

(١٥) ابن الأثير ، الباهر ، ص١١٨.

(١٦) أبو شامه ، الروضتين ،جـ١ ، ص٣٤٤.

(١٧) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٣.

(١٨) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٣ ، أبو شامه ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٤ .

(١٩) صلاح الدين محمد بن أيوب الياغيسيانى أمير حاجب عماد الدين زنكى كان صاحب دهاء ومكر وحيل تمكن مع جمال الدين من توطيد الملك لأولاد عماد الدين زنكى فى الموصل وحلب ، وقد صاحب نور الدين محمود فى جهاده ببلاد الشام . ابن الأثير ، الباهر ، ص٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ؛ ابن الأثير الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٩٣

(٢٠) ابن الأثير الكامل ، جـ٩ ، ص١٣ ؛ ابن الأثير الباهر ، ص٧٤.

(٢١) كان عماد الدين زنكى أتابكا له ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٧.
(٢٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٤، ٨٥ ؛ انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٧
(٢٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٨٩ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٨ ؛ وزين الدين على بن بكتكين كان نائب عماد الدين بالموصل ثم بأربل بالعراق ، كأن من الشخصيات التى عملت فى المحافظة على البيت الزنكى ، عرف بالجود والكرم ، أصيب بالصمم والعمى فى أخر حياته ، توفى بأربل سنة ٥٦٣هـ . أبو شامة ، الروضتين ،جـ١ ، ص٣٨٤ . مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٥٤ .
(٢٤) شَهْرَزُورُ : كورة واسعة فى الجبال بين أربل وهمذان ، وسكانها من الأكراد ينسب إليها عدد من العلماء والصلحاء والوزراء فى العصر العباسى الثانى . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٧٥-٣٧٦ .
(٢٥) ابن الأثير الكامل ،جـ٩ ، ص١٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٧.
(٢٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٥ .
(٢٧) أبو شامه ، الروضتين ، جـ١ ، ص ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٨ .
(٢٨) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٥ – ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٨.
(٢٩) ابن الأثير الكامل ، جـ٩ ، ص ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٨ .
(٣٠) ماكسين : بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعه . انظر : ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٥ ، الحاسية رقم ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ، ص٤٣.
(٣١) سنجار : مدينة مشهورة فى نواحى الجزيرة بينها وبين كلاً من نصيبين والموصل ثلاثة أيام ، وهى فى لحف جبل عالى وفى وسطها نهر جار . ابن حوقل ، صورة الأرض، ص١٩٩؛ ياقوت ، معجم البلدان، جـ٣ ، ص٢٦٢ ؛ القزوينى، أثار البلاد، ص٢٠
(٣٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٥ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٨ .
(٣٣) بلد : مدينة قديمة على دجله ؛ على الموصل كانت كثيرة الخيرات باتجاه الجزيرة ويطلق عليها بلط وبالفارسية شهراباذ . بينها وبين نصيبين ٢٣ فرسخ . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٨١ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٩٨.
(٣٤) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٥ – ٨٦ ؛ انظر : ابن الأثير الكامل ، جـ٩ ، ص١٤ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٩ .
(٣٥) انظر زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص٣٣٤ ؛ حسين أمين ، تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص٣٢٩.

(٣٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص٨٦ ؛ انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١٠٩ .
(٣٧) ابـن الأثـير ، البـاهر ، ص٨٦ ؛ أبـو شـامه ، الروضتيـن ، جــ١ ، ص٣٤٤ ؛ الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٢ - ١٩٣ .
(٣٨) عز الدين الدبيسى كان قائد جيش سيف الدين غازى .
(٣٩) ابن الأثير ، الباهر ، ص٩٣.
(٤٠) كـان سيف الدين غـازى قد تعرض لمرض حـاد ، فأحضر جمـال الدين الطبيب البغدادى أوحد الزمان أبـو البركـات إلا أنـه لـم يتمكن مـن علاجـه ، فتوفـى فـى آخـر جمادى الأخر من سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م بعد حكم استمر ثلاث سنوات .
انظر: ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص١١٦ ؛ ابن ألأثير الكامل ، جـ٩ ، ص٢٣.
(٤١) ابن واصل ، مفرج المروب ، جـ١ ، ص١١٧ .
(٤٢) ابن الأثير الباهر ص٩٤ ؛ انظر الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٠٧
(٤٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١١٧ ، وحسام الديـن تمرتـاش بـن إيلغـاز بن أرتق صاحب بن أرتق صاحب مارين .
(٤٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١١٨ - ١١٩ .
(٤٥) تل يعفر : ويقال تل أعفر القلعة بين سنجار و الموصل علـى جبل منفـرد ، تمتـاز بحصانة طبيعية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٩ .
(٤٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٩٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١١٩ .
(٤٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٠ .
(٤٨) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٩٦
(٤٩) ابن الأثير ، ابهر ض٩٦
(٥٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج١ ، ص١٢٠ ؛ انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٢٤
(٥١) ابن واصل، مفرج الكروب ،ج١ ، ص ١٢٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٢٤.
(٥٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٩٧.
(٥٣) سورة النساء ، الأية رقم : ٩٥ .
(٥٤) يحصل على عشر دخل البلاد كلها كعادة الوزراء السـلاجقة . ابـن خلكـان ، وفيـات الأعيان ، ج٥ ، ص١٤٥ .
(٥٥) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٩٧

(٥٦) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص١٢٠ ، انظر ابن الأثير ، الباهر ، ص ٩٧، وجاء في كتاب الكامل أن الوزير جمال الدين كان يشتري أيضا أسرى من الكرج خلاف الدين كان يشتريهم من أسرى الصليبيين في الشام . ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٨٩. وفي هذه الفترة كانت بين المسلمين والكرج حروب تزعم المسلمين فيها الأتابك شمس الدين ايلدكز التوفى سنة ٥٦٨هـ .

(٥٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٩٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ٢٤ .

(٥٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٦٨ ؛ ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ج٢ ، ص ٨٧ ؛ عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ١٢٠ .

(٥٩) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١١٥ ؛ الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٦٧؛ الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٦٨.

(٦٠) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١١٣؛ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٧١ ؛ الجزيري ، درر الفوائد المنظمة ، ص٦٩٢.

(٦١) أنقرض حكم هذه الأسرة حوالي سنة ٥٩٧ هـ . ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٦٦ . وعن أمراء الهواشم وسياستهم انظر رسالة بندر الهمزاني ، علاقات مكة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ؛ رسالة ماجستير جامعة أم القرى ، لم تطبع ، ص ١٤٤ - ٢٠١ ، عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م

(٦٢) كان حكم هاشم قد استمر من (٥١٧ - ٥٤٩هـ) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ٥١٥

(٦٣) استمر حكم قاسم بن هاشم فليته من (٥٤٩ - ٥٥٦ هـ) . انظر : ابن ظيهره ، الجامع اللطيف ، ص ١٩٠ - ١١٩١ ؛ الفاسي ، شفاه الغرام ، ج٢ ن ١٩٧ .

(٦٤) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٧٧؛ ابن ظهيره ، الجامع اللطيف ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ وللمزيد عن ذلك أنظر كتاب ريتشارد مورتيل ، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ٢٩ - ٣٠

(٦٥) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ،ص ٥٣٢ ؛ وللمزيد عن حالة الحجاز انظر كتاب أحمد السباعي ، تاريخ مكة ص ١٢٠٩ .

(٦٦) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٢٣ وما أرتكبه قاسم بن هاشم في حق الحجاج والمجاورين في سنة٥٥٦ هـ .

(٦٧) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، حوادث سنة ٥٧٣ هـ .
(٦٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص١٤٤ .
(٦٩) الأصفهانى، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٩٢-١٩٣؛ أبو شامه، الروضتين ، ج١، ص٣٤٤
(٧٠) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٩٣ .
(٧١) يشير ابن الجوزى فى منتظمه أن ثروته التى حازها كان أكثرها من المكوس . ابن الجوزى ، المنتظم ، ج٩ ، ص ٢٠٩ . ولكن لا يمكن التسليم بوجهة نظر ابن الجوزى الذى أنفرد بهذا الرأى خلاف جميع من ترجم للوزير الموصلى " والله أعلم ".
(٧٢) الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٩٨ ؛ قطب الدين الحنفى ، الأعـلام بـأعلام بيت الله الحرام ، ص٨٠ .
(٧٣) أبو الفدا ، المختصر ، ج٣ ، ص٤٢ ؛ ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ج٢ ، ص١٠٥ .
(٧٤) ابن فهد ، اتحاف الورى، ج٢ ، ص ٥١٧لا ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٨٨؛ ابن الأثير ، الباهر ، ص٢٨ . وقد ذكر أن أمير مكة فى تلك الفترة هـو عيسـى ولكـن ذلك غير صحيح،لأن تحلية الكعبة كان فى سنة ٥٤٩هـ قبل تولية عيسى لمكة. وولايـة عيسى كانت سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م انظر ابن فهد ، غاية المرام ، ج١ ، ص ٥٣٢.
(٧٥) ابـن فهد ، اتحـاف الـورى ، ج٢ ، ص٥١٤ ؛ الفاسـى ، شـفاء الغـرام ، ج١ ، ص ١١٥ ، وقد وصف الجواد أنه وزير صاحب مصر وهذا خطأ لابد أن يكون مطبعيا.
(٧٦) ابـن فهد ، اتحـاف الـورى ، ج٢ ، ٥١٥؛ انظـر الجزيـرى ، درر الفرائـد ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ ابـن الأثـير الكـامل ، ج٩ ، ص٨٨ ؛ فوزيـه مطـر ، تـاريخ عمـارة المسـجد الحرام ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى لسنة ١٤٠٦ هـ ، ص٥١ .
(٧٧) الفاسى ، العقد الثمين ، ج١ ، ص٥١ ؛ ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥١٦؛ السيوطى تاريخ الخلفاء ، ص٤٤١ . جـاء فـى رحلـة ابـن جبـير أن الوزيـر أخـذ بـاب الكعبة القديم وجعله تابوتا له قبر فيه وحمل إلى مكة والمدينة بعد وفاته . ابـن جبـير ، رحلة بن جبير ، ص ١٠٣ ووافقه فـى ذلـك السـمهودى حيـث ذكـر أن التـابوت الـذى حمل فيه هو باب الكعبة القديم ، السمهودى ، وفـاء الوفـاة ، ج ٢ ، ٧٦٩ . وجـاء فـى كتاب غاية المرام أن أمير مكة قاسم بن هاشم طلب من عمارة اليمنـى أن يبيـع الفضـه التى حصل عليها من الباب القديم باليمن فذهب بها ألى زبيد وعدن وباعها هناك وعـاد إلى مكة فى سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م . ابن فهد ، غاية غاية المرام ، ج١ ، ٥٢٤ .
(٧٨) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص١٠٣ .

(٧٩) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥١٦ ولم تذكر المصادر أين كان موضع الرخام هل هو بالأرضية أم بالحيطان ، وهل هو داخل الكعبة أم خارجها .
(٨٠) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص ٥١٥ ؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ١٠٣ .
(٨١) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٨ . وجاء في شفاء الغرام أن ممن زخرف باب الكعبة وحلاه ملك اليمن الملك المظفر وحفيده الملك المجاهد . الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص١١٥ ، كما أشار الجزيري أن الناصر محمد بن قلاوون عمل باب الكعبة من خشب السنط الأحمر وحلاه بخمسمائة وثلاثين ألف درهم وركب في الكعبة سنة ٧٣٣هـ . الجزيري ، درر الفرائد ، ص٢٥ .
(٨٢) تنسب إلى الخيرزان زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد ، وأصلها جارية من اليمن، توفيت زمن خلافة الرشيد سنة ١٧٣ هـ/م ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الأخرة . انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٧٢ – ٧٣ ؛ وللمزيد عن الترجمة والكتب التي ترجمت لها انظر الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٣٢٨ .
(٨٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص٢٠٠ ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ص ٢٧٤ ؛ ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٣٣٠ .
(٨٤) ابن جبير ، رحلة جبير ، ص ١٤٥ .
(٨٥) أبو الفدا ، المختصر ، ج ٣، ص ٤٢ .
(٨٦) أبو شامه، الروضتين،ج١ ، ص٣٥٠ وإلى ذلك يشير الفاسي في شفاء الغرام ، ص٢١٥
(٨٧) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ، ص٥٤٤؛ وعن ترجمة الخلفية الناصر لدين الله . انظر ابن دقماق . الجوهر الثمين ، ص ١٧١ – ١٧٢ ؛ ابن شاهنشاه ، مضمار الحقائق ، ص٤ – ٥ . كما أشار الجزيري غي كتابه ، درر الفرائد ، أن الخليفة الناصر عمر ميزان الكعبة وحلاه بالفضه ، وأن الحجْر عمر في سنة ٩١٦ هـ بامر من قانصوه الغوري . الجزيري ، درر الفرائد ، ص ٢٥ – ٢٦ .
(٨٨) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٢٤٠ ك وفي كتاب ابن فهد اتحاف الورى ، ج٢، ٥١٧ ، ما يفيد ذلك .
(٨٩) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص٢١٩ .
(٩٠) يذكر الفاسي أن بينها وبين الركن الشامي الذي يقال له العراقي ٤٣ ذراع . الفاسي، شفاء القرام ، ج١ ص ٢٤٢ ؛ حسين باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٩٨ ؛ أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص ٢١٩ .

(٩١) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٠٢ .

(٩٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ١٠٣ .

(٩٣) نعمان : وادى بين مكة والطائف بين أدناه ومكة نصف ليلة ، وبأعلى نعمان الأصدار المتصلة بجبال الهدى ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٩٣ ، ونعمان قريب من عرفه بينه وبين عرفه مركز للأمن وبه فى عصرنا الحاضر مزارع وبساتين تكثر به المياه الجوفية وبأعلى نعمان من جهة الأصدار مركز آخر للأمن قريب من المسجد الكر .

(٩٤) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٢٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٨٨ .

(٩٥) بنى شعبه : قبيلة من كنانة ومنهم الجحادله الذين لا يزالون فى وقتنا الحاضر يسكنون جنوب مكة بأطراف نعمان والتهائم . انظر : عاتق بن غيث البلادى ، معالم مكة التاريخية والأثرية ، ص ١٣٤ وغيرها ؛ عاتق بن غيث البلادى، معجم قبائل الحجاز، ٧٨.

(٩٦) أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٣٥٠ - ٣٥١ ، أبو الفدا ، المختصر ، ج٣ ، ص٤٣ . وقد أشار ابن جبير إلى أن عرب نعمان عادوا إلى عادتهم القبيحة فى الاعتداء على مشروع الوزير الموصلى ومنعوا الماء من الوصول إلى عرفه بعد وفاة الوزير . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ١٠٣ .

(٩٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٢٨ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٣٥٠ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، ج٣ ،ص٤٢ . ويشير ابن جبير فى رحلته أن المسجد الذى على جبل الرحمة ، هو مسجد أم سلمه رضى الله عنها ، والله أعلم ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير، ص١٥١؛ انظر أيضا الاستبصار فى عجائب الأمصار ، لمؤلف مراكشى ، ص ٣٥

(٩٨) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٥١ .

(٩٩) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٢٨؛ العباسى ، عمدة الأخيار ، ص ١٢٢٤ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٤٨ . والخيف هو ما أنحدر من غليظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمى مسجد الخيف من منى . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ٤١٢

(١٠٠) الفاسى ، شفاء الغرام ، ج١ ، ص٢٦٧

(١٠١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ١٤٤٤ ، انظر اليافعى ، مرأة الجنان ، ج٣ ، ٣٤٢ - ٣٤٣

(١٠٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٣٠

(١٠٣) الجزيرى ، درر الفرائد ، ص ٦٤٠ ؛ السمهودى ، وفاء الوفاء ، ج٢ ٦٤٨ وما بعدها . وقصة رؤيا نور الدين محمود يعتريها الشك وعدم الصحة وذلك أن مؤرخ الزنكيين ابن الأثير لم يشر إليها على الرغم من أنه لم يترك لا شاردة ولا واردة عن الزنكيين إلا وحاول أن يتتبعها . ومن ناحية أخرى حول عدم صحة هذه الرؤيا أن الوزير الموصلى لم يتول وزارة نور الدين محمود بل كانت وزارته للزنكيين بالموصل ، وإذا صحت هذه الرواية وأنها كانت سنة ٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م الوزير الموصلى كان فى هذه السنة مسجونا بقلعة الموصل وهذا الأمر يجعلنا نزداد يقينا بعدم صحة هذه الرواية .

(١٠٤) الجزيرى ، درر الفراد ، ص ٦٤٠ ، العباسى ، عمدة الأخبار ، ص ١٢٢ ، ١٢٣، وقد أجمعت كل المصادر التى ترجمت للوزير أنه عمل على المدينة سورا ، انظر ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٥٨ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرأ الزمان ، ج٢ ، ص ١٥٤ . ويذكر أحد الباحثين أن أهل المدينة استنجدوا بالوزير الموصلى لعمل هذا السور بعد أن عرفوا عجز الخلافتين الفاطمية والعباسية عن ذلك . انظر . عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة ، ج٢ ، ٢٢٠ .

(١٠٥) السمهودى ، وفاء الوفاء ، ج٢ ، ص ٧٦٨ . أما عن تطور بناء سور المدينة فقد ذكر أن إسحاق بن محمد الجعدى بنى فى سنة ٢٦٣ هـ سورا على المدينة جعل له أربعة أبواب ، ولما كانت سنة ٣٦٠ هـ أو التى بعدها بنى السلطان عضد الدولة بن بويه سورا على المدينة ولكنه تهدم ولم يبق إلا آثاره حتى كان زمن الوزير الموصلى بعد الأربعين وخمسمائة فعمل سورا محكما ، ولما زار نور الدين محمود المدينة حوالى سنة ٥٥٨ هـ أمر ببناء سور على المدينة وكتب اسمه على باب البقيع. وفى العهد العثمانى أمر السلطان سليمان ببناء سور على المدينة وزوده بفرقة عسكرية من الأنكشارية لحماية المدينة المنورة فكان لهذا العمل أثره فى استتاب الأمن بمدينة المصطفى (ص) . انظر الجزيرى ، درر الفرائد ، ص ٦٤٠ - ٦٤٢؛ العباسى ، عمدة الأخبار ، ص ١٢٣ .

(١٠٦) ابن الثير ، الباهر ، ص ١٥٨ ؛ إلى ذلك يشير العباسى ، عمدة الأخبار ، ص ١٢٣ .

(١٠٧) أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص٣٤٨ ؛ انظر أبو المحاسن / النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ٣٦٥ ؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٠٣ ، عمدة الأخبار ، ص ١٢٣

(١٠٨) أبو المجد مسلم بن الخضر المعروف بابن قسيم الحموى ، توفى سنة ٥٤١هـ . أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٧ ، حاشية رقم ٢

(١٠٩) شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفى الشاعر المشهور توفى سنة ٥٧٤هـ . ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٤٧

(١١٠) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٤ . وهذين البيتين من قصيدة تبلغ أكثر من خمسة وعشرين بيتًا من الشعر أوردها أبوشامة فى الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ١ ، ص٣٤٤ - ٣٤٥ . ويذكر السمهودى ، فى وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٧٧٠ - ٧٧١ . أن سور المدينة حظى فيما بعد بعناية واهتمام ملوك وسلاطين المسلمين ، ففى سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م جدد السور كما أن أحد الأمراء حفر حول السور خندقًا لحمايته من العبث .

(١١١) العباسى ، عمدة الأخبار ، ص١٢٤ ، ١٢٦ . ويذكر العباسى أنه لما كانت سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م أمر السلطان المنصور قلاوون ببناء قبة على الحجرة الشريفة .

(١١٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٤ ، اليافعى ، مرأة الجنان ، جـ٣ ، ص٣٤٢ ، ٣٤٣

(١١٣) السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٦٨٩ ؛ العباسى ، عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، ص١١١ ؛ عائشة باقزى ، الحجاز فى العصر الأيوبى ، ص٩٦

(١١٤) أسد الدين شيركوه بن شادى مقدم جيوش نور الدين محمود بن زنكى إلى مصر ، حج سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وله تربة بالمدينة أوصى أن يدفن بها إذا مات ، وكانت وفاته سنة ٥٦٤هـ . انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ الجزيرى ، درر الفوائد المنتظمة ، ص٦٩٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٤٨٠

(١١٥) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٩

(١١٦) وسيط بنالجوزى ؛ مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٤ . ويشير الذهبى فى سير أعلام النبلاء أن الجواد بنى له مدرسة بالمدينة ، ولم تشر المصادر التى ترجمت للوزير لهذه المدرسة . الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٣٤٩

(١١٧) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص١٠٣ ؛ انظر المسهودى ، وفاء ، جـ٢ ، ص٦٨٩

(١١٨) السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٧٠٢

(١١٩) اليافعى ، مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص٣٤٢ - ٣٤٣

(١٢٠) السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٧٦٩ ؛ الأثير ، الباهر ، ص٣٠

(١٢١) السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٧٦٩ ؛ ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٠

(١٢٢) فَيْد : محطة تجارية فى نصف الطريق بين الكوفة ومكة ، معيشة أهلها على إدخار العلوفة طول العام لقافلة الحجاج ، كثيرة السكان ، يوصف أهلها بالأمانة والكثرة ، كانت مقر والى الطريق فى العصر العباسى الأول ، وصفها كثير من الرحالة بأنها حصن لحجاج العراق ، وفيد فى العصر الحديث تقع على وادى ساح أحد روافد وادى أبوالكروش قرب دائرة عرض ٧ -٣٧ شمالاً طول ٣١ - ٤٢ شرقًا .

(١٢٣) ابن الأثير ، البخر ، ص١٢٨

(١٢٤) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص١٨٣

(١٢٥) سيد عبد الميجد بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص٥٠ وقد أشار ابن فهد ، فى كتابه إتحاف الورى أن حجاج العراق تعرضوا فى فيد لهجوم من ابن الجراح الطائى فصالحوه على مال فأخذه وانصرف ، ابن فهد الورى ن جـ٢ ، ص٤٢٠

(١٢٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٣ - ١٥٤ ؛ الفاسى ، العقد الثمين ، جـ٢ ، ص٢١٦ ؛ ابن الوردى ، تتمة المختصر ، جـ٢ ، ص١٠٥

(١٢٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٩

(١٢٨) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص١٠٣

(١٢٩) ابن الأثير ، الباهر، ص١٢٩

(١٣٠) عن موقف أسامة بن منقذ من الوزير الموصلى انظر ما يلى ، ص٤٠ - ٤١

(١٣١) ابن جبير رحلة ابن جبير ، ص١٠٤

(١٣٢) الأصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٩٥

(١٣٣) ابن الأثير، الباهر، ص٨٢ - ٨٣؛ انظر أبو شامه الروضتين، جـ١ ، ص٣٥٥ - ٢٥٦

(١٣٤) الدست : الوزارة . انظر ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٧ ، حاشية رقم ٣

(١٣٥) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٥

(١٣٦) سليمان شاه بن محمد كان قد سجن بالموصل سنة ٥٥١هـ وسار إلى همذان وقتل سنة ٥٥٦هـ . انظر ابن الوردى ، تتمة المختصر ، جـ٢ ، ص٨٧ ؛ زامباور ، معجم الأنساب ، ص٣٣٤ ، حاشية رقم ٥

(١٣٧) انظر : ابن الأثير ، الباهر ، ص١٤٩

(١٣٨) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٣٦٥

(١٣٩) الأصفهانى، تاريخ دولة سلجوق، ص١٩٥ ؛ انظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٤؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٤؛ الفاسى، العقد الثمين، جـ٢، ص٢١٢ - ٢١٧

(١٤٠) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٥٠ ؛ انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٢٤٩ ؛ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص٢٠٩ ؛ سبط ابن الجوزى ،مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٣ - ١٥٤ ، ويشير الذهبى إلى أنه فى إحدى سنوات القحط واسى الناس حتى افتقر وباع عمامته. الذهبى، سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، ص٣٤٩

(١٤١) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٣٦٥ ؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٠٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٤ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٨

(١٤٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٩ ؛ سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٤

(١٤٣) ابن الأثير ، الباهر ، ص١٤٩

(١٤٤) ابن خلكان ، وفيات ، جـ٥ ، ص١٤٥

(١٤٥) انظر : أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٤ - ٣٥٥

(١٤٦) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ٣٤٨

(١٤٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص١١٨ - ١١٩ ؛ انظر ابن خلدون ، العبر ، جـ٥ ، ص٢٩٢

(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٥

(١٤٩)علم الدين الحسن بن سعيد بن عبد لله الشاتانى ، فقيه غلب عليه الشعر ، فأجاده توفى بالموصل سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م . الزركلى ، الأعلام ، جـ٢ ، ص١٩٢

(١٥٠) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٥٤ - ٣٥٥

(١٥١) الشاعر ابن المعلم لم أقف له على ترجمة .

(١٥٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ،جـ٢ ، ص١٥٤

(١٥٣) أسامة بن منقذ : أبو المظفر مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن على بن المقلد بن منقذ الكنانى توفى سنة ٥٨٤هـ . له كتاب الاعتبار عبارة عن مذكرات قل نظيرها وقد ذكر فيليب حتى الذى نشر الكتاب أنه سقط من بدايته ٢١ ورقم لم يعثر عليها . أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، مقدمة المحقق ص أ - ن ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤخون ، جـ٢ ، ص٢٤٣ - ٢٤٤

(١٥٤) البرامكة : أسرة فارسية تنسب إلى برمك وحفيده يحى الذى رزق اثنين من الأبناء هما جعفر والفضل اللذان اشتهرا فى عهد هارون الرشيد إلا أن هارون أحسّ من يحى وألاده بعض التصرفات التى يرى أنها حق من حقوقه ،فأنزل بالأسرة عقوبة عرفت باسم نكبة البرامكة . انظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى ، جـ٢ ، ص٥٣ - ٦٠

(١٥٥) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٥٤

(١٥٦) الشريف الرضى : أبو الحسن بن الحسين الموسوى ، تولى نقابة الطالبين ببغداد مع النظر فى المظالم والحج بالناس ، اتهم بالميل إلى العلويين وإلى الفاطميين فصرف عن الأعمال الرسمية فى الدولة العباسية ، فقنع بحياة زهيدة حتى توفى سنة ٤٠٤هـ . أحمد حسن الزيات ، تاريخ الزدب العربى ، ص٢٨٥

(١٥٧) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٥٤

(١٥٨) يذكر ابن الجوزى أن الوزير الموصلى دفن فى الرباط الذى عمره بين قبر الرسول ﷺ وبين البقيع وليس بينه وبين قبر الرسول ﷺ سوى أذرع . ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص٢٠٩

(١٥٩) الحلة : مدينة قريبة بين الكوفة وبغداد ، كانت قبل نزول سيف الدولة صدقه بن مزيد أجمُه تأوى إليها السباع ، فنزل بها وبعساكره ، وبنى بها المساكن والدور الفاخرة . وهناك الحلّة وهى قرية مشهورة ناحية البرية بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ تنزلها القوافل ولعلها المقصودة فى النص . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٩٤- ٢٩٥ ؛ الحميرى الروض المعطار ، ص١٩٧

(١٦٠) أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٦ ، العباسى ، عمدة الأخبار ، ص١٢٣ ؛ أبو الفدا ، المختصر ، جـ٣ ، ص٤٢

(١٦١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٤٥

(١٦٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٥ ؛ أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ص٣٤٩ - ٣٥٠ . ويشير العباسى فى عمدة الأخبار ، ص١٢٣ إلى أن الخمسة عشر ذراعًا هى التى تفصل بين جدار الرباط وبين حائط الحرم الشريف لا نفس القبر .

(١٦٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص١٥٦ . ويذكر سبط ابن الجوزى أنه لم يحمل ميتًا قبله إلى مكة المكرمة سوى الحرة أروى بنت حمدان ملكة عدن ، وابن زريك أخو الصالح طلائع وزير بنى عبيد بالقاهرة .

(١٦٤) كانت وفاته فى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠ م زمن السلطان صلاح الدين الأيوبى . انظر ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص٩٢ ويشير ابن الأثير أن سيف الدين غازى صاحب الموصل قد أخذ المواثيق والعهود على وزيره بعدم الاتصال بصلاح الدين فحلف ولم يفعل ولا تستبعد أن يكون السلطان قد شك فى نوايا الوزير تجاه صلاح الدين فسجنه . ابن الأثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص١٤٤

(١٦٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٤٦ - ١٤٧؛ابن الأثير الكامل، جـ٩ ، ص١٤٤

المصـادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- **القرآن الكريم** كتاب الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

- **ابن الأثير** (أبو الحسن بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) :

١- الكامل فى التاريخ ٩ أجزاء ، طبعة - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٢ - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط القاهرة .

٣ - اللباب فى تهذيب الإنسان ، ط بيروت .

- **ابن تغرى** بردى (جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٢ ، ط القاهرة ، بدون تاريخ وج ٥ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ط القاهرة .

- **ابن جبير** (أبو الحسين محمد بن جبير الكنانى ، ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م).

رحلة ابن جبير ، ط بيروت ١٣٨٤ هـ :

- **ابن الجوزى** (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ، ت ٥٩٧ هـ/١٠٢١ م) :

المنتظم ج١٠ ، ط بيروت .

- **ابن حوقل** (أبو الحسن محمد بن على النصيبى ، ت ق ٤ هـ / ١٠ م) :

صورة الأرض ، ط القاهرة ، بدون تاريخ .

- **ابن خرداذبه** (أبو القاسم عبيد بن عبد الله ، ت ٣٠٠ هـ) :

المسالك والممالك ، ط بغداد .

- **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط بيروت ١٩٧٥ م .
- **ابن خلكان** (أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبى بكر ، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٤ م) :
وفيات الأعيان ٨ ، تحقيق حسان عباس ، ط بيروت .
- **ابن دقمان** (إبراهم بن محمد بن أيدمر ، ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
الجوهر الثمين ، تحقيق سعيد عاشور ، ط مكة بدون تاريخ .
- **ابن شاهنشاه** (محمد نقى الدين عمر شاهنشاه الأيوبى ، ت ٦١٧ هـ) :
مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق د حسن حبشى ، ط القاهرة .
- **ابن ظافر الأزدى** (جمال الدين أبى الحسن على بن ظافر بن الحسين بن غازى الحلبى ، ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) :
أخبار الدولة المنقطعة ، تاريخ الدولة العباسية ، تحقيق د. محمد الزهرانى ، ط المدينة المنورة سنة ١٤٠٨ هـ .
- **ابن ظهيره** (جمال الدين محمد جار الله بن محمد بن ظهيره القرشى المخزومى ، ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م) :
الجامع اللطيف ، ط بيروت ١٣٩٣ هـ .
- **ابن العديم** (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠ هـ/١٢٦٢م :
زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، ط دمشق ١٣٧٠ هـ/١٩٥١م .
- **ابن العماد الحنبلى** (أبو الفرج عبد الحى بن على بن محمد ، ت ١٠٨٩ هـ/ ١٧٧٨ م) :
شذرات الذهب ، ٨ أجزاء ، ط بيروت .
- **ابن فهد** (النجم عمر بن فهد ، ٨٨٥ هـ / ١٤٨١ م) :
اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢،تحقيق فهيم شلتوت، ط القاهرة ١٤٠٤هـ

- **ابن فهد** (عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد بن فهد الهاشمى القرشى ، ت ٩٥٥ هـ / ١٥٤٧ م) :
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق فهيم شلتوت ، ط جدة ١٤٠٦ هـ .
- **ابن كثير** (عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشى ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣م) :
البداية والنهاية ١٢ جزء ، ط بيروت ١٩٦٦ م .
- **ابن واصل** (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧ هـ / ١٣٩٨ م) :
مفرج الكروب ج١ ، وج٢، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، ط القاهرة.
- **ابن الوردى** (زين الدين عمر بن المظفر بن أبى الفوارس ، ت ٧٤٩ هـ/ ١٢٤٨ م) :
تتمة المختصر ، تحقيق أحمد البدراوى ، ط بيروت ١٣٨٩ هـ
- **أبو شامة** (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧ م) :
كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ج١ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد، ط القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- **أبو الفدا** (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا ت٧٣٢ هـ/١٣٣١م):
المختصر فى أخبار البشر ج٣ ، ط بيروت .
- **الأرزقى** (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م):
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، ط دار الأندلس ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، مكة المكرمة .
- **أسامة بن منقذ** (أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، ت ٥٨٤ هـ / ١١٩٢ م) :
الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط برنستون ١٩٣٠ م .

- **الأصفهانى** (أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد بن حامد المشهور بالعماد الكاتب ، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) :
تاريخ دولة آل سلجوق ، ط بيروت ، ١٩٧٨ م ، اختصار الفتح بن على البندارى .
- **الجزيرى** (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصارى ت بعد ٩٧٦ هـ / ١٥٦٧ م) :
درر الفرائد المنظمة ، ط القاهرة ١٣٨٤ هـ .
- **الحموى** (شهاب الدين الحموى / ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :
معجم البلدان خمسة أجزاء ، ط بيروت ١٣٩٧ هـ .
- **الحميرى** (محمد بن عبد المنعم ، ت أواخر القرن الثامن الهجرى) :
الروض المعطار فى خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت ، ١٩٧٥ م .
- **الحنفى** (قطب الدين الحنفى ، ت ٩٨٨ هـ / ١٥٨٢ م) :
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ط ١٣٠٣ هـ .
- **الذهبى**(الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبى، ت ٧٤٨ هـ/١٣٧٤م):
سير أعلام النبلاء ج٢٠ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، ط بيروت .
- **العباسى** (أحمد بن عبد الحميد العباسى المتوفى فى القرن العاشر) :
عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، تصحيح محمد الطيب الأنصارى ، الطبعة الخامسة ، نشر أسعد الحسينى .
- **سبط ابن الجوزى** (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى شمس الدين ،ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) :
١- مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج٢ ، نشر جيويت ، شيكاغو ، حوادث السنوات (٤٩٥-٦٥٤ هـ)

٢- مرأة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج٢ ، تحقيق د. مسفر الغامدى ، حوادث السنوات (٤٨١ - ٥١٧ هـ) ، ط مكة ١٤٠٧ هـ .

- **السمهودى** (نور الدين على بن أحمد السمهودى ، ت٩١١ هـ / ١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، جزئين ، ط بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

- **السيوطى** (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى الكرم ، ت٩١١ هـ) : تاريخ الخلفاء . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط مصر ، ١٣٧١.

- **الفاسى** (تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى المكى، ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م):

١- العقد الثمين ج٢ ، تحقيق د . فؤاد السيد ، ط بيروت ١٤٠٦ هـ .

٢- شفاء الغرام ج١ / تحقيق لجنة من كبار العلماء ، ط بيروت بدون تاريخ، وج٢ تحقيق لجنة من كبار العلماء ، ط القاهرة ، سنة ١٩٥٦م.

- **القزوينى** (زكريا بن أحمد بن محمود ، ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، ط بيروت ١٤٠٤ هـ .

- **كاتب مراكشى** (من القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى) : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد ، ط الدار البيضاء ١٩٨٥ م .

- **اليافعى** (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى ، ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) : مرأة الجنان وعبرة اليقظان ، ٤ أجزاء ط القاهرة ١٤١٣ هـ .

ثانيًا : المراجع :

- **أحمد حسن الزيات** : تاريخ الأدب العربى ، ط بيروت .

- **أحمد السباعى** : تاريخ مكة ، جزءآن ط مكة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- **بندر الهمزانى** : علاقات مكة المكرمة فى عهد أسرة الهواشم ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى لم تطبع ١٤٠٩ هـ .

- **حسن إبراهيم حسن** : تاريخ الاسلام السياسى ج٢ ، ط القاهرة ١٩٦٤ م .
- **حسن الباشا** : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ط القاهرة ١٩٨٣م .
- **حسين أمين** : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ط بغداد ١٣٨هـ .
- **حسين عبد اللـه باسلامة** : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ط جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **ريتشارد مورتيل** : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، ط الرياض ١٩٨٥ م .
- **زامباور** : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة،ط بيروت بدون تاريخ .
- **سيد عبد المجيد بكر** : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ط ١٤٠١ هـ .
- **عائشة عبد الله باقاسى** : الحجاز فى العصر الأيوبى ، ط مكة ١٤٠٠ هـ.
- **عاتق البلادى** : ١- معجم قبائل الحجاز ، ط مكة ١٤٠٣ هـ .
  ٢- معالم مكة التاريخية والأثرية ، ط مكة ١٤٠٣ هـ.
- **عبد الباسط بدر** : التاريخ الشامل للمدينة ، ٣ أجزاء ط المدينة المنورة ١٤١٤هـ .
- **عبد النعيم حسنين** : دولة السلاجقة ، ط القاهرة ١٩٧٥ م .
- **عليه الجنزورى** : أمارة الرها الصليبية ، ط القاهرة بدون تاريخ
- **عماد الدين خليل** : عماد الدين زنكى ، ط بيروت ١٣٩١ هـ .
- **فوزية أحمد مطر** : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى ١٤٠٦ هـ لم تطبع .
- **كى ليسترنج** : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد ، وبشير فرنسيس ، ط بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- **مسفر الغامدى** : الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى ، ط جدة ١٤٠٦هـ .

دليل الرسائل الجامعية

دليل الرسائل الجامعية(*)

التى أجازها قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة

منذ إنشائه حتى نهاية عام ١٩٩٧

أولاً : رسائل الماجستير

١ - التاريخ القديم

- أثيوبيا والأثيوبيين بين المصادر الإغريقية والرومانية والأدلة الأثرية حتى نهاية عهد الامبراطور دقلديانوس ، على عبد الله الخاتم ، إشراف أ. د. سيد الناصرى ، ١٩٧٦ .
- أرنود فى بلاد اليونان : فهرس لمسكوكات الإسكندرية المحفوظة بمكتبة الجامعة ، محمد عبد المحسن الخشاب ، ١٩٣٥ .
- الإمبراطورية الرومانية والصراع الدينى فى مصر حتى القرن الرابع الميلادى ، هابيل فهمىعبد الملك، إشراف سيد الناصرى، د. عبد الحليم محمد حسن، ١٤١،١٩٨٦ص.
- الجماعات الرهبانية فى وادى النطرون فى القرن الرابع الميلادى ، حكيم أمين عبد السيد ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٥ ، ١٤٥٨ص .
- السياسة الدينية للبطالمة فى مصر ، محمد عواد حسين ، إشراف جيوجية ، أ. د. إبراهيم نصحى ، ١٩٤١ .
- ضريبة الرأس فى مصر الرومانية ، محمد فهمى عبد الباقى محمود ، إشراف سيد الناصرى ١٩٧٩ ، ٢٨٨ص .
- قورينائية (برقة) فى العصر الرومانى من عام ٧٤ ق.م - عام ١١٧م ، عبد الحكيم فضيل إشراف د. مصطفى كمال عبد الحليم ، ١٩٧٣ ، ٢٠٨ ص .
- نوميديا من حكم الملك جايا حتى بداية الاحتلال الرومانى (٢١٣ - ٤٦ ق.م) ، فتحية بوضياف فرحانى ، إشراف أ. د. سيد الناصرى ، ١٩٨٣ ، ٣٦٨ص .

(*) قام بإعداد هذا الكشاف السيد/ محمد عبد النعيم محمد عبده والسيد/ محمد فتحى على الزامل.

- هرموبيلوس ماجنا الأشمونين فى العصر الرومانى : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية حتى سنة ٢٨٤م ، أمال محمد محمد الروبى ، إشراف أ. د. عبد اللطيف أحمد على ، ١٩٧١ ، ٢٣٢ ص .

٢ – التاريخ الإسلامى

- **الإباضية فى المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بنى هلال إلى بلاد المغرب (٢٩٦ – ٤٤٢هـ ، ٩٠٩ – ١٠٥٨م) ، مسعود مزهودى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٨٨ ، ٣٠٣ ص .**

- أثر **الأتراك** السياسى والاجتماعى فى العراق فى القرن الثالث والرابع الهجرى ، محمد توفيق أحمد محمد خفاجى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٠ ، ١٥٢ ص .

- **أثر العرب اليمنية فى تاريخ بلاد المغرب فى بوبه القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، بويه مجانى ، إشراف أ. د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٢ ، ٢٥٣ص .**

- أثر المرأة السياسى والاجتماعى فى العصر العباسى الأول ، رانده حسام الدين جاد الله، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٦ .

- **أثر النيل** فى الحياة الاقتصادية فى مصر من الفتح العربى حتى منتصف القرن الرابع **الهجرى، محمد محمود على أبو زيد، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود، ١٩٧٩ ، ٢٦٤ ص.**

- **أحمد بن طولون وحضارة مصر فى عهده ، محمود مصطفى العزاوى ، إشراف حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٢ .**

- **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فى فلسطين فى العهد الأموى (٤٠ – ١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م) ،** موسى عبد الغفار أحمد، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٩ ، ٢٨٢ ص.

- **أحوال** بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية (٢٩٦ – ٤٤٣هـ) ، عفيفى محمود إبراهيم عبد الله ،إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٧ ، ٢٦٨ ص .

- **الأحوال** السياسية ومظاهر الحياة الاجتماعية فى العراق من أوائل القرن الثالث الهجرى حتى عهد المعتمد على الله ، زنوبة نادى مرسى أبو زيد ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٥ ، ٢٥٠ ص .

- الإدارة المركزية للدولة الأموية ، محمد زينهم محمد عزب ، إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٨١ ، ٣٣١ ص .

- الأسرة الجمالية ودورها فى الحياة السياسية والحضارة فى عهد الدولة الفاطمية ، يمنى رضوان أحمد رضوان ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٢ ، ٢١٨ ص .

- أهل الذمة فى العراق فى القرن الرابع الهجرى ، بهيرة محمد غلاب ، إشراف أ. د. عطية القوصى ، ١٩٩٤ .

- أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، سلام شافعى محمود سلام إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٦ ، ٢٦٣ ص .

- الأوضاع الاقتصادية فى البحرين من سنة ٤١ إلى ٢٣٢هـ ، هيا على حسن الماجد النعيمى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٠ ، ٢٦١ ص .

- برقة وطرابلس من الفتح العربى حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، صالح مصطفى مفتاح ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٦ ، ٢٧٠ ص .

- بلاد الحجاز خلال العصر العباسى الأول ، نجلة قاسم الصباغ ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٩ ، ١٦٥ ص .

- بنو زيرى وسياستهم الداخلية، حسن أحمد محمود، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ١٩٤٨.

- بنو كندة منذ ظهور الإسلام حتى أواخر القرن الأول الهجرى ، عطية طه عبد العزيز إبراهيم ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٩ ، ٢٠٥ ص .

- بنو الكنز : دراسة تاريخية ، عطية أحمد محمود القوصى ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٠ ، ١٧٨ ص .

- تاريخ التعليم فى فلسطين من الفتح العربى إلى آخر الأيوبيين ، سليمان إسحق عطية إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٣ ، ٣٤٤ ص .

- تاريخ التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول (٣٥٨ - ٤٦٥هـ ، ٩٦٨ - ١٠٧٢م) ، خطاب عطية على ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن، ١٩٤٦ ، ٢٢٣ ص.

- تاريخ شرق الجزيرة والخليج العربى من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية ، صالح حسين ناصر السادة ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨١ ، ٢١٩ ص .

- تاريخ المعتصم بالله ، محمد صبرى أبو حسين ، ١٩٣٦ .

- التجارة فى عصر دولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤٠هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٥م) ، عيسى محمد الديب ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٠ ، ٣٧٠ ص .

- التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجرى ، محمد حسن عبد الكريم عماد ، إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٨٤ ، ٤١٤ ص .

- التطور الاقتصادى لولاية إفريقية فى عهد الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) حسن إبراهيم إسماعيل مبارك ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٩ ، ٢٢٦ ص.

- تطور الحالة السياسية فى بلاد اليمن خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، صابر محمد دياب حسنين ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٩ ، ١٤٨ ص .

- تطور الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق خلال القرن الخامس الهجرى ، فاضل عبد اللطيف الخالدى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٦ ، ٢٥٧ ص .

- التطور السياسى لدولة الغور الإسلامية (٥٤٣ - ٦١٢هـ) ، توفيق محمد لقبانى ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٨٦ ، ٣٩٣ ص .

- التطور السياسى للدولة الإيلخانية فى عهد أولجايتو محمد خدابندة (٧٠٣ - ٧١٦هـ/ ١٣٠٤ - ١٣١٦م) ، محمد محيى الدين الإدريسى الجوهرى ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٨٧ ، ٣٨٢ ص .

- تطور نظام الوزارة من بداية العصر العباسى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، سامية توفيق عبد الله ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١١٩٧١ ، ٣١٥ ص .

- التنظيمات الاقتصادية والحياة الاجتماعية فى مدنية البصرة من منتصف القرن الثانى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، أمل إبراهيم صادق أبو سنة ، إشراف د. حورية عبده سلام ، ١٩٩٣ .

- التنظيم الإدارى فى الجزيرة العربية خلال العصر الأموى ، عمر عمر عثمان الشبراوى إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٨٦ ، ٤٣٦ ص .

- تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش تأليف ابن الجوزى المتوفىعام ٥٩٧هـ: دراسة وتحقيق ، عبد الرحمن العبيد عبد الماجد ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ١٩٧٦، ٣٧٦ ص .

- الثغور الجزيرية والثغور الشامية إلى نهاية عهد المتوكل ، محمد فتحى محمد عثمان ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٦٣ .

- الثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، صفاء حافظ أحمد عبد الفتاح ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٩ ، ٣٠٢ ص .

- ثقيف من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، حسين محمد سليمان، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٢ ، ٢٧٥ ص .

- الجيش فى العصر الأموى ، محمود عرفة محمود ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٠ ، ٢٦٢ ص .

- الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية فىمدنية دمشق من الفتح العربى إلى نهاية العهد الأموى، عصام الدين عبد الرءوف الفقى، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ١٩٦٧، ١٧٧ص.

- حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية فى عهد الدولة الإخشيدية ، فهمى أحمد نجيب ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٧ .

- الحركات المناهضة للخلافة العباسية فى الشرق الإسلامى منذ قيامها حتى أوائل القرن الثالث الهجرى ، سامية محمود إبراهيم نصار ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٣ ، ١٥٩ص .

- حركة الزنج وأثرها فى تاريخ الدولة العباسية ، فيصل جرئى السامر ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٩ ، ١٦٢ ص .

- حركة عبد الله بن الزبير وأثرها فى تاريخ الدولة الأموية ، على حسن الخربوطلى ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٣ ، ٣٦٧ ص .

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الكوفة منذ نشأتها حتى نهاية الحكم الأموى فيها ، محمد حسين عبيد الزبيدى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٤ ، ٢٦٧ ص .

- الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العصر الأموى (٤٠ - ١٣٢ هـ/٦٦١ - ٧٥٠م) جوعان راشد سعيد ناصر الظاهرى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٢ .

- الحياة الاقتصادية فى تهامة اليمن من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجرى ، عوض راشد عوض الجويسرى ، إشراف أ. د. عطيه التوصى ، ١٩٩٧ .

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى إشبيلية فى عصر بنى عباد ، محمد بركات عبد الفتاح البيلى إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٨ ، ١٦٤ ص .

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى خراسان فى العصر العباسى الأول ، إبراهيم أحمد عبد الرحمن ، إشراف أ. د. حورية سلام ، ١٩٩٠ ، ٤٤١ ص .

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمى ، حورية عبده عبد المجيد سلام ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧١ ، ٣٤٠ ص .

- الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة فى القاهرة فى العصر الفاطمى (٣٥٨ -٥٦٧هـ/ ٩٦٩ -١١٧١م) فاتن محمد البندارى الشيخ ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٩٥ .

- الحياة الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمى الأول من ٣٥٨هـ - ٩٦٩م إلى نهاية عهد المستنصر بالله ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م ، محمد محمود أحمد أدريس ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٦ ، ٣١٠ ص .

- الحياة السياسية فى العراق فى العصر العباسى الأخير ٥١٢ - ٦٥٦هـ ، محمد صالح القزاز ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٦٥ ، ٢٧٧ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة السلاجقة فى عهد السلطان ملكشاة من ٤٦٥ - ٤٨٥هـ ، مواهب عبد الفتاح إبراهيم ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ١٩٨٢ .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى الشرق الإسلامى فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ، عبد المنعم صالح نافع ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ١٩٧٢ ، ٢١٥ص.

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق فى عهد الخليفة القادر بالله العباسى (٣٨١ - ٤٢٢هـ) ، نزيهه عبد العزيز المانع ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨١ ، ١٣٦ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى مدينة سامراء خلال القرن الثالث الهجرى ، جهادية عبد الكريم الفرغولى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٧ ، ١٨٦ ص .

- خراسان فى عهد السامانيين (٢٨٦ - ٣٨٩هـ ، ٨٩٩ - ٩٩٩م)، عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٩.

- الخلافة العباسية فى مصر ، أحمد جمال الدين حسين عمر ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ١٩٥٨ ، ١٩٢ ص .

- دار الخلافة الأموية فى دمشق : نظمها ورسومها ، وداد محمد فهمى رشوان ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٠ ، ١٥٦ ص .

- دراسة فى مبدأ وراثة الخلافة فى نظام الحكم الإسلامى خلال العصرين الأموى والعباس الأول، محمد عبده السرورى، إشراف أ. د. حسين مؤنس، ١٩٨٥ ، ٣٤٠ص.

- الدواوين المالية فى بغداد حتى آخر العصر العباسى الأول ، فتحى على حسن هلال إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٨٥ ، ٢٠٠ ص .

- دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس ، رجب محمد عبد الحليم ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٦ ، ١٧٥ ص .

- دولة بنى عقيل فى الموصل (٣٨٠ - ٤٨٠هـ) ، خاشع عبادة المعاضيدى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٦ ، ٢٠٥ ص .

- الدولة الخوارزمية وعلاقتها بالمغول ، حافظ أحمد حمدى، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٧ ، ٢٨٧ ص .

- الدولة السامانية : نشأتها وتطورها وحضارتها حتى سنة ٣٣١هـ ، محمد على حيدر ١٩٦٥ ، ٢٤٥ ص .

- الربط فى بلاد المغرب : نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، الدرديرى حسن إسماعيل البيلى ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٧٨ ، ٢٢٣ص.

- الرقيق وأثره فى المجتمع العراقى من الناحيتين الاجتماعية والسياسية فى العصر العباسى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى (١٣٢ - ٣٥٠ هـ/٧٥٠ - ٩٦١م) ، صلاح شمردل عطية شحاته ، إشراف أ. د. عطية القوصى ، ١٩٩٤ .

- الزندقة والزنادقة منـذ ظهور الإسـلام حتـى نهايـة العصـر العباسـى الأول ، طـه أحمـد شرف ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٠ .

- زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، مصطفى محمد طه بدر، ١٩٣٩، ١٣٦ص .

- السياسـة الخارجيـة للأغالبـة (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩١٢م) ، محمـود إسـماعيل عبد الرازق ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٦٧ ، ٢٤٠ ص .

- السياسة الخارجية للدولة الايلخانية من عهد اباقاخان حتى عهد بابدو (٦٦٣ - ٦٩٤هـ/ ١٢٦٤ - ١٢٩٥م) ، هشام حسن كامل محمـد مصطفـى ، إشـراف أ. د. عصـام الديـن عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٨٩ ، ٢٤٣ ص .

- السيدة عائشة ، زاهية مصطفى قدورة ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٦ .

- الصحابيات ودورهن فى بناء أمة الإسلام فـى عهد الرسـول ﷺ ، سـامية عبـد العزيـز إسماعيل منيسى ، إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٨٧ ، ٢ مج .

- عبد الرحمن النـاصر : سيرته ونظـم الحكـم فـى عصـره (٣٠٥ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) ، أحمد عبد الرحمن الغوابى ، ١٩٤٥ ، ١٥٥ ص .

- عبد العزيز بن مروان وحضاره مصر فى عصره ، حسن أحمد متولى، إشراف أ. د. حسـن إبراهيم حسن ، ١٩٤٣ ، ٢١٥ ص .

- العرب فى خراسان من ٣١هـ إلى ١٣٢هـ، خالد عبد الهادى يحيى، إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٨٣ ، ٣٩٨ ص .

- العرب اليمانية فى العراق فى العصـر الأموى وأثرهم فى الحياة السياسية والاجتماعيـة (٤٠ - ٣٢ هـ)، محمد أحمد أحمد إبراهيم ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٧.

- العرب اليمينة فى الأندلس من الفتح الإسلامى حتى قيام الإمارة الأمويـة (٩٣-١٣٨هـ/ ٧١١ - ٧٥٦م) محمـد فخـرى عبـد الرحمـن إبراهيـم الوصيـف ، إشـراف أ. د. حسـين مؤنس ، ١٩٨٥ ، ٥٣٣ ص .

- العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفودج ، عبـد الرحمن حسب الله الحاج أحمد، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٦ ، ٣٢٢ ص.

- العلاقات بين دول الفرنجة والمسلمين فى الأندلس (٧١٤ - ٨١٥هـ) ، منى حسن أحمد محمود ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٠ ، ٣٣٦ ص .

- العلاقات بين الشام ومصر فى العهدين الطولونى والإخشيدى (٢٥٤ - ٣٥٨هـ) محمد أحمد زيور ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٦ ، ٣٩٥ ص .

- العلاقات بين المغرب والأندلس فى عصر الخلافة الأموية (٣١٧ - ٣٩٩هـ / ٩٣٨ - ١٠٠٨م)، سامية مصطفى محمد سعد، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود، ١٩٨٠، ٢٧٢ص.

- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (٦٢٦ - ٩٨١هـ / ١٢٢٨ - ١٥٧٣م) ، عاشور بوشامة ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩١ .

- علاقات الفاطميين بالدولة الإسلامية وبخاصة العلاقات السياسية ، حسين سليمان محمود، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٦ ، ١٦٠ ص .

- علاقة مصر بالخلافة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، سيدة إسماعيل الكاشف ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٣ .

- فتح العرب للعراق ، عبد الحميد عبد الله ، إشراف أ. د. عبد الحميد العبادى ، ١٩٤٣.

- فتح العرب للمغرب ، أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٣٧ .

- القبائل العربية فى مصر فى القرنين الثالث والرابع الهجرى وأثرهما فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، رضوان محمد الجنانى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٦ ، ٢٩٣ ص .

- قبيلة كلب فى بلاد الشام منذ ظهور الإسلام حتى زوال الدولة الفاطمية ، بثينة السيد عبد الرحمن أحمد الريس ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٨٦، ٤٥٧ص.

- قرامطة العراق فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، محمد عبد الفتاح عليان ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٧ ، ١٩٣ ص .

- قصر الخلافة فى العصر العباسى الأول ، عبد الغنى إبراهيم حمد رمضان ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٩ ، ٢١٠ص .

-- قصة المختار بن أبى عبيد الثقفى : أسباب ثورته ونتائجها : دراسة اجتماعية وسياسية وأدبية ، أبو النصر محمد الخالدى، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ١٩٤٩، ٢١٠ص.

-- القضاء فى الإسلام وفى العهد الإسلامى فى مصر بوجه خاص إلى سنة ٣٥٨ هـ ، عطية مصطفى مشرفة ، ١٩٣٩ .

-- قيام دولة بنى بويه، حامد غنيم أبو سعيد، إشراف أ. د. ضياء الدين الريس ١٩٦٣،٢٥٤ص.

-- قيام الدولة الزيدية فى اليمن (٢٨٠ - ٢٩٨هـ / ٨٩٣ - ٩١١م) ، حسن خضيرى أحمد حسن ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٩ ، ٢١٨ ص .

-- الكتابة التاريخية عند كل من اليعقوبى والدينورى ، سعاد عبد الله محمود عبد الله ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٢ .

-- الكتابة التاريخية فى اليمن فى القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، سامية أحمد فرج عبد الخير ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٧ .

-- مجاهد عبد الله العامرى وابنه على إقبال الدولة فى دانية وسردانية وجزائر البليار فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، كاميليا سرنلى شركوا ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٧ ، ٣٠٥ ص .

-- المجتمع الريفى فىالأندلس فى عصر بنى أمية (١٣٨ - ٤٢٢هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م)، حسن محمد قرنى عويس ، إشراف د. محمد البيلى ، أ. د. محمود على مكى ، ١٩٩٨.

-- محمد بن تومرت مهدى الموحدين ، عبد الحميد السيد هندى ، ١٩٤٠ .

-- مدينة بخارى فى العصر السامانى (٢٦١ - ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٩٩ م) ، هويدا عبد المنعم سالم ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، أ. د. السباعى محمد السباعى، ١٩٩١.

-- المذاهب الدينية فى بلاد اليمن وأثرها فى الحياتين العقلية والسياسية فى القرنين الخامس والسادس الهجرى، أيمن فؤاد سيد، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود، ١٩٨٠، ٧٧٨ص.

-- مرافق الحج والخدمات المدنية فى الأراضى الإسلامية المقدسة منذ السنة الثانية من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، سليمان عبد الغنى مالكى ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٨ ، ٢٤٥ ص .

- مظاهـر الحضارة الإسلامية فى الدولة السامانية : عـادل محمد نجيب رستم ، إشـراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٨ ، ٣٥٣ ص .

- مقدمة لتاريخ التعليم الجامعى فى الإسلام، محمد عبد الرحيم عنيمة، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٣ ، ٢٤٥ ص .

- الملاحة البحرية الأندلسية فى القرنين الثالث والرابع والهجريين ، عبد الحميد محمود الشرقاوى ، ١٩٣٥ ، ٨٣ ص .

- موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجرى ، أمنية محمد على بيطار ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧١ ، ٢٣٢ ص .

- المولدون فى التاريخ منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الإمارة (٩٢ - ٣١٦هـ/٧١١- ٩٢٩م)، عباده عبد الرحمن رضا كحيله ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٨ ، ٢٨٧ ص .

- النشاط التجارى فى مصر فى العصر الفاطمى ، بدر عبد الرحمن محمد ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٧ ، ٢١٣ ص .

- النظام الإدارى والحربى فى الدول العربية والإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين ، راضى عبد الله عبد الحليم ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٧٩ ، ١٩٠ص .

- نظام البريد فى الدولة الإسـلامية ، نظير حسان سعداوى ، إشراف أ. د. عبد الحميد العبادى ، ١٩٤٤ ، ١٤٢ ص .

- نظام الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، هشام سليم عبد الرحمن أبو رميله ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٥ ، ٤٥٤ ص .

- النظام القضائى فى الأندلس فى عهد الخلافة الأموية (٣١٦ - ٤٤٧هـ/٩٢٩ - ١٠٥٥م)، محمد رضا عبد العال محمد ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٢، ١٦٦ص.

- النظم الإدارية والمالية فى الدولة العربية الإسلامية منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأيوبية ، فرج محمد الهونى ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج،١٩٧٦.

- هجرة بنى هلال إلى بلاد المغرب ، مصطفى محمد عبد الخالق منصور ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨١ ، ١٢٢ ص .

٣ – تاريخ العصور الوسطى

- إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر ، عبد العزيز محمود عبد الدايم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧١ ، ٢٠٧ ص .

- أزد عمان فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، سعيد محمد بن سعيد الغيلانى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٠ ، ص١٧٩ .

- إسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية من ١١٠٠ إلى ١٤٠٠ م ، سامى سلطان سعد ، ١٩٥٨ ، ٢١٤ .

- الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك فى مصر (٦٤٨ – ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، عثمان عبد الحميد محمد عشرى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٧٠ ، ١٢٨ص .

- الإسكندرية فى العصر الأيوبى ، فاطمة مصطفى الحكيم ، إشراف أ. د. حسنين محمد ربيع ، ١٩٨٠ ، ١٨١ ص .

- أسوان فى العصور الوسطى ، محمود على الحويرى، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٧٢ ، ٣١١ص .

- الأشرف خليل بن قلاوون ، عبد الرءوف أحمد عفيفى ، ١٩٥٩ ، ١٢٨ ص .

- إقليم الشرقية فى عصرى سلاطين الأيوبيين والمماليك ، محمد فتحى عوض الشاعر ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٧٦ ، ١٩٩ ص .

- إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨ – ١٢٦٨م) ، كمال أمين محمد حسب الله ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٩٠ ، ٢٧٨ ص .

- بنو حفص والقوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة – الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، عبد الناصر جبار ، إشراف أ. د. حامد زيان ، ١٩٩٠ ، ٢٦٦ ص .

- بنو نبهان فى عمان والأوضاع الاقتصادية فىعصرهم(٥٤٩ – ٩٠٦هـ/١١٥٤ – ١٥٠٠م)، عبد الله بن ناصر بن سليمان ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٠، ٢٧٣ص .

- التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والماليك ، عبد الغنى محمود عبد العاطى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٣١٧ ص .

- الجهاد الدينى ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (١٠٩٧ - ١١١٤) محمد محمد مرسى الشيخ ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ١٩٦٧ ، ٢٤٢ ص .

- جوهر الصقلى ، على إبراهيم حسن ، ١٩٣٣ .

- الجيش فى عصر سلاطين المماليك ، إبراهيم حسن سعيد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٣ ، ٢٢٠ ص .

- الحركات الداخلية فى الدولة المملوكية الأولى ، حنفى محمود خطاب ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٩ ، ١٨٨ ص .

- حلب فى العصر الزنكى (٤٨٨ - ٥٧٩) ، حامد زيان غانم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٠ ، ٣١١ ص .

- الحياة الزارعية فى مصر فى العصر المملوكى مع تحقيق الجزء الخاص بالزراعة فى كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد المعروف الوطواط المتوفى ٧١٨هـ، أحمد عبد الكريم سليمان ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢ ، ٣٢٠ ص.

- الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى، عبد الحفيظ محمد على، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٧٥، ١٢٢ص.

- دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الأول ، هاشم إسماعيل الجاسم بن على الحسبى ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٧ ، ٢٤٨ ص .

- دمشق (١٠٧١ - ١١٥٤م) ، نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٦٨ ، ١٩٥ ص .

- دولة كانم الإسلام من القرن التاسع الميلادى إلى الرابع عشر الميلادى (من القرن الثالث إلى الثامن الهجرى) ، زين العابدين عبد الحميد السراج ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٢٢٢ ص .

-- ديوان الإنشاء وتطوره فى عصرى الأيوبيين والمماليك مع تحقيق مخطوط البرد الموشى فى صناعة الإنشاء للموصلى الكاتب ، عفاف سيد صبره ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧١ ، ٣١٤ .

-- الرقيق وتجارته فى مصر والشام فى عصر دولة سلاطين المماليك ، لبيبة إبراهيم مصطفى محمد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٣ .

-- الزراعة فى مصر فى عهد الأيوبيين والمماليك ، جابر سلامه المصرى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٤، ١٣٤ ص .

-- السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك ، منى إبراهيم عبد الرحمن ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٢٩٨ ص .

-- السلطان جقمق وحالة مصر فى عصره (٨٤٣ - ٨٥٧هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣م) ، جرجس قام ميخائيل ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٤ ، ١٣٦ ص .

-- السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٧ - ١٢٤٩م) محمد محمد أمين على، إشراف أ. د. السيد الباز العرينى ، ١٩٦٨ ، ٢٩١ ص .

-- السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية فى القسطنطينية (١٢٠٤ - ١٢٦١م) ، ليلى عبد الجواد إسماعيل ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٨٠ ، ٣٠٥ ص .

-- السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأول الأيوبى ، عباس حلمى إسماعيل ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٣ ، ١٩٦٩ ص .

-- سياسة الدولة البيزنطية فى حوض البحر المتوسط فى عهد الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٠٢م) ، ناهد عمر صالح محمد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩١ .

-- شبه جزيرة سيناء فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، أحمد رمضان أحمد محمد حسنى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٤ ، ٣٠١ ص .

-- الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، زبيده محمد عطا ، إشراف أ. د. السيد الباز العرينى ، ١٩٦٩ ، ٢٨٢ ص .

- صحراء مصر الشرقية فى العصر الأيوبى الملوكى ، محمد عبد النعيم محمد عبده ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٣ .

- صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين، فوزى نجيب حسين١٩٥٩،١٤٥ص.

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب آواخر العصور الوسطى ، نعيم زكى سليمان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٦٨ ، ١٤٥ص .

- الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، أحمد الياس حسين ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٧، ٣٦٩ص .

- الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عهده ، محمد جمال الدين سرور ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٣٧ .

- العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، عادل زيتون ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٧٥ ، ٤٨٥ ص .

- العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى والرابع عشر ، سر الختم عثمان على ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٦٩ ، ٣٦٨ ص .

- العلاقات التجارية بين فلورنسا وسلطنة المماليك فى القرن الخامس عصر الميلادى ، باقة رشيد ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٨٩ ، ٢٧٧ ص .

- العلاقات السياسية بين مصر وغرب آسيا من وفاة الخان أبو سعيد إلى نهاية دولة آمن قونيلو ، سليمان عطية سليمان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٢ ، ١٥٦ ص .

- علاقات المغول بسلطنة المماليك فى مصر والشام ، محمد إبراهيم شلبية ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٩ ، ١٤٨ ص .

- علاقة الأيوبيين فى مصر والشام بالخلافة العباسية فى بغداد ، محمد الحاج محمود خليل فليفل ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ٢٣١ ص .

- علاقة الدولة التيمورية بسلطنة المماليك (٧٨٤ - ٨٥٠هـ/١٣٨٢ - ١٤٤٧) ، محمد أحمد على ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٨٦ ، ٢٣٧ ص .

— علاقة الدولة المملوكية بالدول الإغريقية ، حامد مصطفى عمار ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٥ .

— علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسرة كومنين (١٠٨١ – ١١٨٥م) ، محمد نجيب زكى الوسيمى ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٨٨،٠ ٣١٠ص.

— علاقات مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك ، على بن حسين السليمانى ، إشراف أ. د. سعيد عاشور ،١٩٧٠، ٣٤٠ ص.

— عماد الدين وعصره ، منقريوس ملطى ، ١٩٣٨ .

— فرق الرهبان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، نبيلة إبراهيم مقامى ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٧٥ ، ٢٣١ ص .

— الفيوم فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والسادس عشر ، ليلى محمد القاسمى طرشوبى ، إشراف أ. د. محمد محمد أمين ، ١٩٧٩ ، ٣٩١ ص .

— قبرس والحروب الصليبية ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٩، ١٧٠ ص .

— قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، على أحمد بيومى، إشراف أ. د. مصطفى زيادة، ١٩٤٦، ١٦٠ص.

— قيام الدولة المملوكية الأولى فى مصر ، أحمد مختار العبادى ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٩ ، ١٧٩ ص .

— كتاب نهاية فى طلب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر الشيرازى مع مقدمة تاريخية عن وظيفة المحتسب فى مصر حتى نهاية سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م) ، السيد الباز حسن العرينى ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٤ ، ٢٤٤ ص .

— المجتمع المسيحى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، على السيد على محمود، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٩ ٢٦١ ص .

— مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى الحبشة فى العصور الوسطى ، زاهر رياض ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٠ ، ١٣٠ ص .

— المعمون ودورهم فى مصر على عصر سلاطين المماليك ، حسن أحمد عبد الجليل البطاوى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٥٠ .

- نظام الإقطاع الإسلامى فى العصور الوسطى إلى نهاية عصر الأيوبيين ، إبراهيم على إبراهيم طرخان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٩ ، ٢٠٢ ص .

- النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، حسنين محمد ربيع ، إشراف أ. د. السيد الباز العرينى ، ١٩٦٤ ، ١٨٤ ص .

- نهر النيل وأثره فى الحياة المصرية على عصر سلاطين المماليك ، قاسم عبده قاسم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢ ، ١٩١ ص .

- نور الدين والصليبيون ، حسن محمد حبشى ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٤٦ .

- نيابات الشام فى عهد دولة المماليك الأولى ، مزمل محمد حسنين ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٣ ، ١٣٣ ص .

٤ - التاريخ الحديث

الأردن

- التطور السياسى فى المملكة الأردنية (١٩٢١ - ١٩٤٨) ، كامل محمود خلة ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٩ ، ٤٩١ ص .

- العلاقات الأردنية - البريطانية فيما بين الحربين العالميتين ، حسن عيد على ريان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٨ ، ٨٣٤ ص .

أفريقيا

- انتشار نفوذ إيطاليا السياسى فى ساطل البحر الأحمر الغربى والسودان الشرقى وإفريقية الشرقية فى القرن التاسع عشر وتأسيس مستعمرتى ارتيريا والصومال ، السيد محمد رجب حراز ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٨ ، ٢٧٨ ص .

أفغانستان

- أفغانستان فى عهد الملك أمان الله خان (١٩١٩ - ١٩١٢) ، فضل غنى محمد صالح المجددى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣ ، ٤٧٣ ص .

- تأسيس دولـة الأفغان الحديثـة (باللغة الإنجليزية) ، محمد صديق سلجوقى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٠ ، ١١٥ ص .

الإمارات

- سياسة بريطانيا تجاة إمارات الساحل المهادن (١٩٣٩ - ١٩٤٧م) ، ناصر على ناصر أحمد الباخشى ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩٥ .

البحرين

- تاريخ البحرين من الحماية إلـى الاستقلال (١٨٦١ - ١٩٧١) ، سعيد خليل هاشم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٤ ، ٥١٧ ص .

تونس

- تاريخ الحركة العمالية فى تونس (١٨٨١ - ١٩٣٩) ، سالم محمد بويحيى ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٨ ، ٣٩٥ ص .

الجزائر

- الحركة الوطنية الجزائرية فى الفترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٩ - ١٩٣٩) ، حمادى الهاشمى أحمد ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨١ ، ١٥٤ ص .

- كفاح الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين فى الجزائر (١٨٣٢ - ١٨٤٧) ، عبد الله جندى أيوب ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٢ ، ٣٩٣ ص .

الخليج العربى

- سياسة بريطانيا فى الخليج العربى (١٩١٤ - ١٩٣٩) ، إيمان محمد عبد المنعم عامر ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٤ ، ٤٨٩ ص .

- سياسة بريطانية فى الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، محمد فؤاد سعيد علىمحمود ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٥ ، ٣٧٩ ص .

السعودية

- الدولـة السعوديـة الثانيـة (١٨٤٠ - ١٨٩١) ، عبد الفتاح حسن أبـو عيلـه ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٨ ، ٢٩٩ س .

- العلاقات السعوديـة - البريطانيـة (١٩٠١ - ١٩٤٦) ، فوزى أسعد نقيطى إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٨٢ ، ٦٨٣ ص .

- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وعمان بين سنة ١٧٩٣ وسنة ١٨١٨ ، محمد مرسى عبد الله ، إشراق أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٢٢٧ ص .

السـودان

- أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصرى الأول ، نسيم مقار ، إشـراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٧ ، ٤٨٤ ص .

- الإدارة المهدية بالسودان (١٨٨١ - ١٨٩٨) ، إبراهيم شحاته حسن ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٢٣٣ ص .

- تاريخ التعليم التقليدى فى السودان والصراع بينه وبين التعليم الحديث ، يحيى محمد إبراهيم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٣٨٣ ص .

- تاريخ مدينة كسلا (١٨٣ - ١٨٩٨) ، النـاصر عبد الله أبو كروق ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٧ ، ٣٨٢ ص .

- السودان فـى المفاوضـات المصريـة البريطانيـة (١٩٢٠ - ١٩٥٢) ، قاسـم أميـن إسماعيل على الهوارى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ .

- سياسة محمد على فى السودان (١٢٣٥ - ١٢٦٥هـ / ١٨٢٥ - ١٨٤٩م) ، محمد الأمين سعيد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠ ، ٢٣٢ ص .

- العلاقات بين حكومة المهدية وسلطنات غـرب السودان ، عثمـان عمر فضل صـالح ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ٢٧٨ ص .

- العلاقات بين الخليفة عبد الله التعايشى وقبائل السودان (١٨٨٥ - ١٨٩٨) ، عزام أبو بكر علىالطيب ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٢٥٧ ص .
- علاقات الدولة المهدية بالحبشة وأثر العوامل الدولية عليها ، نور الدين محمد إبراهيم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٢١٩ ص .
- محمد على وفتح السودان أو الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على ، عياد حنين دوس ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٣٩ .
- النظام القضائى فى الدولة المهدية فى السودان وأثره على الحياة الاجتماعية (١٨٨١ - ١٨٩٨) ، إبراهيم الجاك إبراهيم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ١٩٧٥ ، ٢١٦ ص .
- النظام المالى فى دولة المهدية بالسودان (١٨٨١ - ١٨٩٨) ، فيصل الحاج محمد موسى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ١٧١ ص .

سـوريا

- تاريخ الحياة الاجتماعية فى لواء دمشق من ١٨٤٠ - ١٨٧٤ ، تيسير خليل محمد الزواهره ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٨٢ ، ٣١٢ ص .
- الحزب السورى القومى الاجتماعى (١٩٣٢ - ١٩٦٢) ، سمير جميل المصاورة ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٥ ، ٧٠٠ ص .
- الحكومة العربية فى دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، خيرية محمد قاسمية ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٩ ، ٣٣٥ ص .
- سياسة الانتداب الفرنسى فى سوريا وأثرها على القتال الشعبى من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٦ ، محمد رجائى سليم ريان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ٣١٩ ص .
- الفتح العثمانى لسوريا ومطلع العهد العثمانى فيها ، ليلى عبد اللطيف الصباغ ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٠ ، ٣١١ ص .

الشـــام

- اليقظة الفكرية والسياسية فى بلاد الشام (١٨٧٦ - ١٩١٦) ، قتيبة أمين راغب شموط ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٤ ، ٢٧١ص .

العــراق

- الأهالى الحركة الوطنية فى العراق ، محمد يوسف خليل موسى ، إشراف أ. د. محمد أنيس، ١٩٧٤ ، ٥٩٦ ص .

- تاريخ الأحزاب السياسية فى العراق (١٩٤٦ - ١٩٥٨) ، عبد الرازق مطلق الفهد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠ ، ٣٢٢ ص .

- تاريخ الإمارة الألبانية الكردية (١٧٨٤ - ١٨٥١) ، عبد ربه سكران إبراهيم الوائلى، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٩ ، ٢٩٤ص .

- تاريخ حزب الاستقلال العراقى (١٩٤٦ - ١٩٥٨) ، عبد الأمير هادى العكام ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٦ ، ٢٨٠ ص .

- حركة رشيد عالى الكيلانى ، إسماعيل أحمد محمد ياغى ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٢ ، ٥٤٨ ص .

- الصراع السياسى فى العراق (١٩٥٢ - ١٩٥٨) ، عبد الوهاب عطا الله سلمان ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٠ ، ٣٥٢ ص .

- العراق الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ، عبد الرحيم ذو النون زويد ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٨ ، ٣٢٣ ص .

- العراق والسياسة العربية (١٩٢١ - ١٩٤١) ، ممدوح عارف الروسان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٢ ، ٥٠٦ ص .

- العلاقات الخارجية لدولة المماليك فى العراق (١٧٤٩ - ١٨٣١) ، فرج محمد فرج ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٣٩٥ ص .

- العلاقات العراقية - السعودية بين ١٩١٤ - ١٩٥٣ ، محمد سعيد أحمد محمد حمدان ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣ ، ٤٢١ ص .

- ولاية الموصل فى عهد آل الجليلى (١٧٢٦ - ١٨٣٤) ، عماد عبد السلام رءوف العطار ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٢ ، ٣٩٦ ص .

عمـــان

- القواسم فـى ساحـل عمان (١٧٥٠ - ١٨٢٠) ، عبد الرءوف صــادق عيد ، إشـراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٤٠٩ ص .

فلسطين

الاتجاهات السياسية فى بريطانيا تجاه أهداف الصهيونية فـى فلسطين حتـى سـنة ١٩١٧ ، عزة منير عبد الحميد ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٩ ، ٣٢٣ ص .

- الإرهاب الصهيونى خلال فترة الانتداب البريطانى فى فلسطين (١٩٢٢ - ١٩٤٨) ، عصام عبد الرحيم محمد السبع ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٩ ، ٣٦٦ ص.

- تطور القضيــة الفلسطينية : ١٩٣٩ - ١٩٤٨ ، سحر على حنفى على خليل ، إشـراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٢ .

- جامعـة الدول العربيـة وقضيـة فلســطين (١٩٤٥ - ١٩٦٥) ، مـروة أديـب جـبر ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٨٢ ، ٣٩٥ ص .

- الحركة الصهيونية فى فلسطين وصداها من عام ١٩١٧ - ١٩٢٩ ، وداد فارس مالك ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ٣٦١ ص .

- الحركة الوطنية فى فلسطيـن (١٩٢٢ - ١٩٣٦) ، محمد حسين بـن هـانى ، إشـراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ٤٩٩ ص .

- الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ ، عادل حسن غنيـم ، إشـراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠ ، ٧٠٥ ص .

- حزب الماباى (حزب عمال أرض إسرائيل) ودورة فـى تأسـيس إسـرائيل (١٩٣٠ - ١٩٤٨) ، عبد الرحيم أحمد حسين ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٤ ، ١١٨ ص .

- فلسطين والانتداب البريطـانى (١٩٣٩ - ١٩٤٨) ، فـلاح خـالد علـى ، إشـراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٤ ، ٢٦٤ ص .

مؤتمر المرأة العربية الفلسطينية الأول لسنة ١٩٢٩ ، ردينة جميل صدقى عبد الحميد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٣١٨ ص .

الكويت

- التنافس الدولى حول الكويت فى الفترة ما بين ١٨٩٩ - ١٩٤٥ ، بدر الدين عباس على الخصوص ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٦ ، ٢٦٣ ص .

لبنـــان

- الثـورات فى جبـل لبنـان (١٨٤٠ - ١٨٦١) ، محمد على محمد القوزى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٢٦٦ ص .
- فخر الدين بن معنى ، حسن عثمان ، ١٩٣٤ .
- لبنـان فـى عهـد داود باشـا (١٨٦١ - ١٨٦٨) ، سـوزان مصطفـى محمـود عمـر ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٤ ، ٤١٠ ص .
- لبنان فى فترة الصراع الداخلى (١٧٥٣ - ١٧٩٠) ، حسين سلمان سليمان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٤٩٨ ص .

ليبيـا

- الحركة السنوسية : نموها ونشأتها فى القرن التاسع عشر (١٧٨٧ - ١٩٠٢) ، أحمـد صدقى النجانى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٢ ، ٢ مج .

مصـــــر

- أثر الحرب العالمية الأولى فى تطور الصناعـة المصريـة (١٩١٨ - ١٩٣٠) ، أحمد عبد الله أحمد الجرف ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٦ ، ٢٤٠ ص .
- أثر السكك الحديدية على أوضاع مصر الاقتصادية والاجتماعية فى الفترة من ١٨٥٦ - ١٩١٤ ، منى عطا الله طه عبد الوهاب ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٦ .

- استقرار الملكية الفردية للأراضى الزراعية فى مصر ، أمين مصطفى عفيفى ، ١٩٣٦.

- الامتيازات الأجنبية وعلاقتها بالإصلاح القضائى فى عهد إسماعيل (١٨٦٧ - ١٨٧٥)، يوسف خليل جاد الله ، إشراف د. محمد صبرى ، ١٩٥٣ ، ٢٥٣ ص .

- امتياز حفر قناة السويس فى عهد سعيد وصلة ذلك بأمال السان سيمونين وجهود فردينان ديليسبس لشق طريق مائى فى برزخ السويس ، محمود حسن صالح منسى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦١ ، ٣٣١ ص .

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، فاطمة الحمزاوى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٨ ، ٤٥٣ ص .

- أوضاع مصر فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤م) ، طه حسين سعيد الدالى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩٢ .

- الأوقاف ودورها فى الحياة الاقتصادية فى مصر (٩٢٣ - ١٠٦٩هـ ، ١٥١٧ - ١٦٥٨م) ، محمد عفيفى عبد الخالق عفيفى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، أ. د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٨٥ ، ٢٢٠ ص .

- تاريخ التجارة الخارجية فى مصر إبان الحكم العثمانى ، مصطفى على أحمد السيوفى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٢ ، ١٩٠ ص .

- تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، جرجس سلامة ميخائيل ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٦٠ ، ٣٨٦ ص .

- تاريخ حزب الأحرار الدستوريين فى الفترة من ١٩١٨ - ١٩٥٢ ، جلال الدين محمود خليل الشاعر ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٠ ، ٤٣٤ ص .

- تاريخ الحزب الوطنى فى مصر تحت زعامة محمد فريد (١٩٠٧ - ١٩١٩) ، عبد المجيد محمد أمين الكاشف ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٣٨٨ ص .

- تاريخ الصحافة المصرية (١٧٩٨ - ١٨٨٢) ، إبراهيم عبده ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٤٠ .

- تاريخ مطبعة بولاق ، أبو الفتوح رضوان ، ١٩٣٦ .

- تاريخ الملاحة البحرية فى عصر محمد على (باللغة الإنجليزية) ، جيمس بيتر هرجن، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٦ ، ١٦٣ ص .

- التجارة المصرية (١٨٤٠ - ١٩١٤) ، أحمد الشربينى السيد البسيونى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٤ ، ٤٥٠ ص .

- تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٦ ، عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٤ ، ٥٣٠ ص .

- تطـور الفكرة العربية فى مصر من ١٨٠٥ - ١٩٣٦ ، ذوقان محمد قرقوط ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧١ ، ٢٥٦ ص .

- تطور الفكر فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين : دراسة تاريخيـة ، صابر أحمد محمود أحمد ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، أ. د. عاطف العراقى، ١٩٩٤.

- تطور النظام النيابى فى مصر الحديثة قبيل الثورة العرابية ، عبد العزيز رفاعى ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٤ ، ٣٠٤ ص .

- التنظيمات الإدارية والحكومية وأثرها فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩١٤ ، محمود حلمى مصطفى حسنين ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٧ ، ٤٦٩ ص.

- توسع مصر فى الشام وأثره فى موقف الدول من المسألة المصرية فى عصر محمد على (١٨٣١ - ١٨٤١) ، أحمد فريد على مصطفى عطيه ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٥ ، ٣٠٢ ص .

- التيارات السياسة فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ، آمال محمد كـامل بيومى السبكى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٤٣٤ ص .

- ثورة على بك الكبير (١٧٦٨ - ١٧٧٢) ، محمد رفعت رمضان ، إشـراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٤٥ ، ٣٨٧ ص .

- جماعة الإخوان المسلمين ودورها فى تاريخ مصـر (١٩٢٨ - ١٩٤٩) ، حمـادة محمود إسماعيل ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٢ ، ٥٤٩ ص .

- الجيش المصرى من الاحتلال الإنجليزى عام ١٨٨٢ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ ، منى عبد القادر محمد حسن نهنوش، إشراف أ. د. محمد أنيس، ١٩٧٩، ٤٣٠ص.

- الحركة العمالية وأثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر (١٨٩٩ - ١٩٣٠) ، نوال عبد العزيز مهدى محمد راضى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٤٣٣ ص.

- الحركة الوطنية فى مصر فى عهد الدوق جورست (١٩٠٧ - ١٩١١) ، عبد الغفار محمود السيد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٨٠ ، ٤٧٦ ص .

- الحزب الوطنى والنضال السرى (١٩٠٧ - ١٩١٥) ، عصام ضياء الدين السيد على الصغير ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٢ ، ٣٤٥ ص .

- الحكم المصرى فى بلاد المغرب، عبد الحميد محمد البطريق، إشراف أ. د. شفيق غربال، ١٩٤٣.

- حيناء قناة السويس : منشأ فكرة الميناء وتطورها من وقت الامتياز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٨٥٤ - ١٩١٩) ، محمد عبد الرحمن محمد برج ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٦ ، ١٧٦ ص .

- حياة الأتراك الاجتماعية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر : آدابهم الاجتماعية وأثرها فى تاريخ مصر فى هذا العصر ، محمد صلاح الدين حلمى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٠ ، ٣٣٤ ص .

الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر الخديوى إسماعيل ، صالح رمضان محمود ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٢٤٥ ص .

- الخديوى إسماعيل وعلاقاته بالباب العالى ، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، إشراف أ. د. أحمد عزت عبد الكريم ، محمد شفيق غربال ، ١٩٥١ ، ١٧٩ ص .

- الخديوى عباس الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ - ١٩١٤ ، عبد المنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٣٧٨ ص .

- خريا السر أى مصر من ١٩٢٥ - ١٩٥٢ ، فاطمة السيد أحمد دياب، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩٣ .

- دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر (١٩٢٢ - ١٩٣٦) ، سامى أبو النور عبد المنعم ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣ ، ٣٤٥ ص .

- دور المجتمع الريفى فى ثورة ١٩١٩ ، حسنى أحمد يوسف نصار ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٩ ، ٢٦١ ص .

- الرأسمالية فى مصر فى ظل الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ - ١٩١٤ م ، محاسن محمد محمود إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩٤ .

- رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) ، الحسينى منسى على كف ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٣ .

- سياسة الاحتلال الإنجليزى فى مصر فى عهد كرومر (١٨٨٣ - ١٩٠٧) ، سيد عبد المنعم السيد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٤٢٩ ص .

- سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ - ١٩١٤ ، مصطفى النحاس جبر يوسف، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧١ ، ٩٧ ص .

- سياسة إنجلترا إزاء إجلاء مصر من السودان (١٨٨٢ - ١٨٨٥) ، رأفت غنيم الشيخ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٧ ، ٢٩٥ ص .

- سياسة مصر فى البحر الأحمر فى السنوات من ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، شوقى عطا الله الجمل ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٨ ، ٧٨٤ ص .

- ضرائب الأطيان فى عصر محمد على ، فائق حليم حبرة ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال، ١٩٥٤ ، ١٦٤ ص .

- العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ - ١٩٤٥م) ، مرفت صبحى غالى، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٢ .

- العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية بين سنتى ١٨٤٠ - ١٨٦٣م ، عبد الكريم مروان ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٨ ، ٢٧٧ ص .

- العلاقات الاقتصادية المصرية الفرنسية على عهد محمد على حتى سنة ١٨٤٠ ، عبد الغنى الصافى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٨ ، ٤٥٠ ص .

- العلاقات المصرية البريطانية من بعد تصريح ٢٨ فبراير حتى معاهدة ١٩٣٦ وأثرها على الأوضاع الداخلية في مصر ، نادية أحمد سراج الدين ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣ ، ٣١٨ ص .

- على باشا مبارك وأثره في الحياة السياسية والفكرية في مصر في القرن التاسع عشر ، سمير محمد طه محمود ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧١ ، ٢٥٥ ص .

- العمال والحركة العمالية في مصر (١٩٤٢ - ١٩٦١) ، ألفت محمود فؤاد صالح ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٥ ، ٢٨٦ ص .

- الفلاح المصرى في عهد محمد على ، أحمد أحمد الحتة ، ١٩٣٤ .

- الفكر السياسى والاجتماعى عند سلامه موسى ، السيد محمد عشماوى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٤٦٩ ص .

- المجاعات والأوبئة في مصر في القرن السابع عشر الميلادى ، ناصر أحمد إبراهيم سليمان ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٧ .

- المجتمع الريفى في مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، محمود خليل إبراهيم الطلخاوى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٧ ، ٣٨٦ ص .

- المجتمع القبطى في مصر في القرن التاسع عشر ، رياض سوريال بشارة إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٧ ، ٣٨٥ ص .

- مصر في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، لطيفه محمد سالم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠ ، ٦٣٩ ص .

- مصر والأمم المتحدة (١٩٤٥ - ١٩٥١) (باللغة الإنجليزية) أوسكار أيفا انجلستا ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٣ ، ٢٦٠ ص .

- مصر وفلسطين (١٩٢٢ - ١٩٣٩) ، يوسف عبد القادر على ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٨ .

- مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثمانى في مصر ، محمد محمد توفيق ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٤٣ .

- الملكيات الزراعية الصغيرة وأثرها فى الريف المصرى من ١٨٩١ - ١٩٣٠ ، يحيى محمد محمود أحمد ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، أ. د. عاصم الدسوقى ، ١٩٨٩ ، ٣٥٠ ص .

- الموظفون الأجانب ودورهم فى الإدارة المصرية (١٨٢٠ - ١٨٨٢) ، إسماعيل محمد زين الدين ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣ .

- نظام الاحتكار فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أحمد محمد حسن الدماصى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٤ ، ٥٤٩ ص .

- النظام الإدارى فى مصر فى عهد إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٣٩) ، حامد على دسوقى ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٩ ، ٢٩٧ ص .

- سياسة مصر تجاة دول المشرق العربى فى الفترة من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ ، عبد الرحمن رشدى الهوارى ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩٦ .

اليمن

- التطور السياسى فى اليمن (١٩٤٨ - ١٩٦٢) ، عبد القادر محمود عبد العزيز القحطانى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٦ ، ٢٣٩ ص .

- الشرق الأدنى تحت حكم العثمانيين : فتح العثمانيين عدن ، محمد عبد اللطيف الدسوقى البحراوى ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٤ ، ١٩٦ ص .

ثانيًا : رسائل الدكتوراة

١ - التاريخ القديم

- الأعياد والاحتفالات فى مصر العصر اليونانى والرومانى حتى انتشار المسيحية ، هابيل فهمى عبد الملك ، إشراف أ. د. عبد اللطيف أحمد على ، ١٩٩٥ .

- تاريخ بيوسويا فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ، محمد الشحات أيوب ، إشراف أ. د. جيوجية ، ١٩٤٢ .

- شئون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد إيوارجيتس الثانى ، محمد عواد حسين ، إشراف أ. د. إبراهيم نصحى ، أ. د. جيوجيه ، ١٩٤٧ ، ٣٣٩ ص .

- كرانييس – كيم أوشيم : دراسة بعض المظاهر الاقتصادية والاجتماعية فى العصر الرومانى من سنة ٣٠ ق.م إلى ٢٨٤م ، آمال محمد محمد الروبى إشراقف أ. د. سيد الناصرى ، ١٩٧٥ ، ٣٠٣ ص .

- النقود اليونانية فى مصر ، محمد عبد المحسن الخشاب ، إشراف أ. د. جيوجيه ، ١٩٤٧ .

٢ - التاريخ الإسلامى

- أثر الخوارج فى الحياة السياسية فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، محمود أسماعيل عبد الرازق ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٠ ، ٣٥٠ ص .

- أثر قبيلة سليم السياسى والحضارى فى مصر وبلاد المغرب حتى أواخر القرن السابع الهجرى، بثينه السيد عبد الرحمن أحمد الريس، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٩٢.

- أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهى (١٤٥ - ٣٣٤هـ/٧٦٢ - ٩٤٥م) ، حمدان عبد المجيد الكبيسى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٧ ، ٣٦٨ ص .

- الإشراف فى العراق فى القرن الرابع الهجرى ، سامية عبد العزيز إسماعيل منيسى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٤ .

- أهل الذمة فىمصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى(٤٦٧-٦٤٨هـ/١٠٧٤-١٢٥٠م) ، سلام شافعى محمود سلام ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٩، ٣٢٩ص .

- البربر فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حت نهاية عصر الإمارة (٩٢ - ٣١٦هـ/٧١١ - ٩٢٩م)، محمد بركات عبد الفتاح البيلى، إشراف أ. د. حسين مؤنس، ١٩٨٢، ٢٢٠ص.

- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، سليمان عبد الغنى مالكى ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨١ ، ٣٩٣ ص .

- تاريخ الإسماعيلية فى الحياة السياسية حتى سقوط بغداد : طه أحمد شرف ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٦ .

- تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، على حسن الخربوطلى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٥٧ ، ٣٥٠ ص .

- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية (٦٥٦هـ) عطية أحمد محمود القوصى ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٣ ، ٥٩١ ص .

- التطور الاقتصادى والاجتماعى فى العراق خلال القرن السادس الهجرى ، مواهب عبد الفتاح إبراهيم ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٩، ٢٧٩ ص .

- تطور النظم الإدارية والمالية فى بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسى إلى نهاية القرن الرابع الهجرى ، محمود توفيق أحمد محمد خفاجى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٦ ، ٢ مج .

- التنظيمات الاقتصادية والحياة الاجتماعية فى اليمن منذ صدر الإسلام حتى آخر القرن الثالث الهجرى، زنوبة نادى مرسى أبو زيد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٢.

- التنظيمات السياسية والإدراية والاقتصادية فى العراق فى العصر البويهى ٣٣٤ - ٤٤٧هـ، محمد حسين عيد الزبيدى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور، ١٩٦٨ ، ٢٩٠ص .

- الجيش العباسى خلال عهدى البويهيين والسلاجقة (٣٣٤ - ٥٩٠)، محمود عرفة محمود ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٢ ، ٣٦٦ ص .

- الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، مليحة محمد رحمه الله ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٦٨ ، ٢٠٢ ص .

-- حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية فى العصر النورمندى (٤٨٤ - ٦٦٧هـ/١٠٩١ - ١٢٦٨م) ، عبد الشافى غنيم عبد القادر ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٤ ، ٣١٨ ص .

-- حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، إبراهيم راشد مصطفى البراوى ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٤ ، ٣٥٧ ص .

-- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مدن الساحل الصومالى فيما بين القرنين السادس والثامن الهجريين ، زين العابدين عبد الحميد السراج ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٦ ، ٢٨٢ ص .

-- الحياة الاقتصادية فى الأندلس خلال القرن الرابع الهجرى ، عبد الحميد محمود الشرقاوى ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٠ ، ١٨٧ ص .

-- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجرى ، عطيه طه عبد العزيز إبراهيم ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٩٥.

-- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى قرطبة فى القرن الخامس الهجرى ، محمد عبد الوهاب خلاف ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٦ ، ٤١٦ ص .

-- الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الأموى (٤٠ - ١٣٢ هـ / ٦٦٠ - ٧٥٠م) ، عبد الله محمد ناصر السيف ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٨، ٤١٢ ص .

-- الحياة السياسية فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى (٣٥٩ - ٥٦٧هـ)، خاشع عبادة المعاضيدى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٣ ، ٣٢٦ ص .

-- الحياة السياسية فى خراسان من بداية العصر العباسى حتى آخر القرن الثالث الهجرى ، سامية توفيق عبد الله ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٩ ، ٤٣٥ ص .

-- الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة فى بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمى، أمنية محمد على بيطار ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٥، ٥٧٧ ص.

- الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى الموصل والجزيرة من بداية العصر العباسى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، يمنى رضوان أحمد رضوان ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٨ ، ٢٧٧ ص .

- الحياة السياسية والتنظيمات الإدارية والمالية فى دول أتابكيه الموصل والجزيرة ، عصام الدين عبد الرءوف الفقى، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧١ ، ٣١٣ص.

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول (٤٢٩ - ٤٨٥هـ / ١٠٣٨ - ١٠٩٢م) ، محمد محمود أحمد أدريس، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٠ ، ٣١١ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة ، بدر عبد الرحمن محمد ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ١٩٨٠ ، ٣٤١ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق فى عصر الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ - ٦٢٧هـ)، محمد صالح محيى الدين محمد ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٤ ، ٤٢٦ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى عهد دولة بنى رسول باليمن ، محمد عبد الفتاح عليان ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٣ ، ٢٦٨ ص .

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى مراكش خلال عهدى المرابطين والموحدين (٤٥٤ - ٦٦٨هـ / ١٠٦٢ - ١٢٦٩م) ، منى حسن أحمد محمود ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٤ ، ٤١٨ ص .

- الخراج والنظم المالية فى الإسلام حتىمنتصف القرن الثالث الهجرى ، محمد ضياء الدين الريسى ، ١٩٥٨ ، ٣٢٩ ص .

- خراسان فى العصر الغزنوى ، محمد حسن عبد الكريم عماد ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، إبراهيم الدسوقى شتا ، ١٩٩٠ ، ٤١٠ ص .

- دور الخليفة المهدى العباسى فى إقرار النظم العباسية ، عبد الجبار منسى العبيدى ، إشراف أ. د. حسين مؤنس ، ١٩٧٩ ، ٢٧٧ ص .

- الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب ، فيصل جرئى السامر ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، يحيى الخشاب ، ١٩٥٣ ، ٢٩٨ ص .

- سياسة الدولة الإسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى للهجرة حتى نهاية العصر الفاطمى ، صابر محمد دياب حسنين ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٢ ، ٢٦٢ ص .

- الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، زاهية مصطفى قدورة ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥١ ، ٢٧٣ ص .

- الصليحيون فى اليمن وعلاقتهم بالفاطميين فى مصر ، حسن سليمان محمود ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٢ ، ٢٩٩ ص .

- طائفة الحشاشين وأثرهم فى السياسة والاجتماع ، زكى النقاش ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٥٣ ، ٢٤٢ ص .

- عامة دمشق فى العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٤٦٨هـ/٩٦٨ - ١٠٧٥م) ، أمل إبراهيم صادق أبو سته ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٩٧ .

- العلاقات بين الممالك الإسلامية والنصرانية إسبانية منذ الفتح وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، رجب محمد عبد الحليم، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج، ١٩٨١، ٤١٣ص .

- العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز فى عصر دولة بنى رسول (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م)، هدى مفتاح عبد الحميد السعدى ، إشراف أ. د. عطيه القوصى ، ١٩٩٦.

- العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول العربية الإسلامية ودولة الروم البيزنطية حتى نهاية العصر الأموى ، راضى عبد الله عبد الحليم ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٢، ٢٠١ص .

- علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب (٣٦٢ - ٥٦٧هـ / ٩٧٣ - ١١٧١ م) ، حسن خضيرى أحمد حسن ، إشراف د. محمد أمين صالح ، ١٩٩٣ .

- علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدولة الإسلامية ، خليل إبراهيم صالح البشير ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٩ ، ٥٥٣ ص .

- علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية ، حورية عبده عبد المجيد سلام ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٤ ، ٣٩٨ ص .

- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية وبالدولة الإسلامية فى الأندلس ، هشام سليم عبد الرحمن أبو رملية ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٩ ، ٥٣٢ ص .

- فارس فى عهد الأتابكه السلغوريين (٥٤٣ - ٦٨٦هـ / ١١٤٨ - ١٢٨٧م) ، هويدا عبد المنعم سالم إدريس ، إشراف أ. د. عطيه القوصى ، السباعى محمد السباعى ، ١٩٩٧ .

- فقيه إفريقية أبى سعيد عبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون ودروه فى التطور الفكرى فى المجتمع الأغلبى، محمد زينهم محمد عزب، إشراف أ. د. حسين مؤنس، ١٩٨٦ ، ١٧٨ص.

- قيام دولة المرابطين بالمغرب ، حسن أحمد محمود ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن، ١٩٥٣ ، ٣٤٨ ص .

- مدينة دمشق من سقوط الخلافة الأموية حتى زوال السيادة الفاطمية عنها (١٣٢ - ٤٦٧ هـ)، حسين محمد سليمان ، إشراف أ. د. أحمد السيد دراج ، ١٩٧٦ ، ٣٩٨ص.

- مصر فى عهد الإخشيديين ، سيدة إسماعيل الكاشف ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن، ١٩٥٠ ، ٤١١ ص .

- مظاهر الحضارة الإسلامية فى عصر سلطنه دهلى ، عادل محمد نجيب رستم ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٨٥ ، ٤٨٤ ص .

- مظاهر الحضارة فى بلاد المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجرى ، عفيفى محمود إبراهيم عبد الله ، إشراف أ. د. محمد أمين صالح ، ١٩٨٠ ، ٣٥٧ ص .

- مظاهر الحضارة فى الدول المستقلة (٤٣٩ - ٦٢٦هـ) ، محمد عبده محمد السرورى إشراف د. محمد أمين صالح ، د. محمد عبد العال أحمد ، ١٩٩٠ .

- المعاهدون فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط الخلافة الأموية (٩٢ - ٤٢٢هـ/ ٧١١ - ١٠٣١ م) ، عبادة عبد الرحمن رضا كحيله ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور، ١٩٨٣ ، ٢٩٥ ص .

- مالك النوبة المسيحية : اضمحلالها وسقوطها ، مصطفى محمد مسعد ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٨ ، ٣١٠ ص .

- نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين ، عطيه مصطفى مشرفة ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٧ .

- نظم الحكم فى الدولة العباسية من أوائل القرن الثالث الهجرى إلى دخول بنى بويه بغداد، صفاء حافظ أحمد عبد الفتاح ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٤، ٢٦٧ص .

- نظم الحكم والإدارة فى بلاد المغرب من الفتح العرب حتى قيام الدولة الفاطمية (٩٢ - ٢٩٦هـ / ٧١١ - ٩٠٩ م) ، حسن إبراهيم إسماعيل ، إشراف أ. د. عطيه القوصى ود. حورية عبده سلام ، ١٩٩٧ .

- النظم فى العراق فى أواخر العصر العباسى (٤٤٧ - ٦٥٦هـ) ، فاضل عبد اللطيف الخالدى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٣ ، ٣٦٥ص .

- الوزارة فى العهد البويهى والسلجوقى (٣٣٤ - ٥٩٠هـ / ٩٤٥ - ١١٩٣م) ، محمد مسفر حسين الزهرانى ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٧٩ ، ٣١٠ ص .

- اليهود فى قرطبه فى عصر الخلافة من (٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٩ - ١٠٣١م) ، نجوى سليم هدايت ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٥ .

٣ - تاريخ العصور الوسطى

- أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، محمد صالح محمد منصور ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٩٢ .

- الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، ريتشارد مروتيل ، إشراف أ. د. جمال الدين سرور ، ١٩٨٣ ، ٨٠٤ ص .

- الأسبتارية فى رودس (١٣١٠ - ١٤٢٢م) ، سامى سلطان سعد ، إشراف أ. د. سعيد عاشور ، ١٩٧٥ ، ٦٠٨ ص .

- الإسماعيليون فى الشام على عصر الحروب الصليبية (٤٩١ - ٦٩١هـ / ١٠٩٧ - ١٢٩١ م) ، عثمان عد الحميد محمد عشرى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٣٠٤ ص .

- إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ليلى محمد القاسمى طرشوبى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، د. محمد محمد أمين ، ١٩٨٦، ٢٥٦ص.

- الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، محمد محمد مرسى الشيخ ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٠ ، ٢٢٩ص.

- أهل الذمة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك : دراسة وثائقية ، قاسم عبده قاسم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٢٧٩ص .

- الأوضاع الحضارية فى إقليم الجزيرة الفراتية فى القرنين السادس والسابع للهجرة ، الثانى عشر والثالث عشر للميلاد ، عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور . ١٩٩٢ .

- الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر محمود محمد على الحويرى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٨ ، ٣١٠ ص .

- إيران فى عهد غازان (٦٩٤ - ٧٠٣ هـ / ١٢٩٤ - ١٣٠٣ م) وعلاقتها بمصر بوجه خاص، مصطفى محمد طه بدر ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن، ١٩٤٤، ١١٩ص.

- تاريخ الأوقاف فى مصر فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ، محمد محمد أمين على ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢ ، مج .

- تاريخ التعليم فى فلسطين على عهد سلاطين المماليك ، سليمان إسحق عطية ، إشراف، أ. د. مصطفى زيادة ١٩٥٧، ٤٢٤ ص .

- التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، نظير حسان سعداوى ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ١٩٥١ ، ٣٦٧ ص .

- تحقيق مخطوطة الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر مع دراسة عن فن القتال فى عصر سلاطين المماليك ، عبد العزيز محمود عبد الدايم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٥ ، ٢ مج .

- الحياة الاجتماعية فى مصر على عصر سلاطين المماليك ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٤ ، ٢٠٠ ص .

- الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل (٦٠١ - ٦٤١ م) ، ليلى عبد الجواد إسماعيل ، إشراف أ. د. محمد محمد أمين ، ١٩٨٤ ، ٤٤١ ص .

- السلاجقة والصليبيون من موقعة ملازجرد (٤٦٥هـ / ١٠٧١م) حتى سقوط الرها (٥٣٩هـ / ١١٤ م) ، عبد الغنى إبراهيم حمد رمضان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ٢٦٥ص .

- سلطنة سلاجقة لروم (٥٨١ - ٦٤١هـ / ١١٨٥ - ١٢٤٣م) ، محمد نجيب زكى محمد الوسيمى ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٩٤ .

- السياسة الخارجية لدولة خاقانات المغول (٦٢٤ - ٦٦٣هـ / ١٢٢٧ - ١٢٦٥م) هشام حسن كامل محمد مصطفى ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٩٥ .

- السياسة الداخلية فى الدولة الأيوبية فى عصر ما بعد السلطان العادل ، عباس حلمى إسماعيل ، ١٩٥٥ .

- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا الثانى كومنين ، عبد الحفيظ محمد على ، إشراف أ. د. محمد محمد أمين ، ١٩٨١ ، ٣١٤ ص .

- سياسة مصر وحضارتها فى عصر أسرة قلاوون ، محمد جمال الدين سرور ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٣ .

- سياسة المماليك فى البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى (١٢٥٠ - ١٤٣٨ م) ، سليمان عطية سليمان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ١٩٥٩ ، ٣٨٩ ص .

- العصر الأول من الأسرة السليمانية فى الحبشة من يوكونو أملاك إلى زرء يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م) ، زاهر رياض ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، أ. د. مراد كامل ، ١٩٥٥ ، ١٤٤ ص .

- العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية (٤٩٠ - ٦٥٩هـ/١٠٩٦ - ١٢٦١ م) ، حامد زيان غانم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٣ .

- العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية فى شرق البحر المتوسط فى القرنين العاشر والحادى عشر، أحمد عبد الكريم سليمان ، إشراف أ. د. محمد محمد أمين ، ١٩٨٠، ٣٤٦ص .

- علاقات صقلية بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النومندى (٢١٢ - ٤٨٤ هـ ، ٨٢٧ - ١٠٩١م) ، تقى الدين عارف محمد الدورى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٧٩ ، ٤٤٤ ص .

- علاقة البندقية بمصر والشام من بداية القرن الثانى عشر حتى نهاية الرابع عشر الميلاديين ، عفاف سيد محمد صبرة ، إشراف أ. د. حسنين ربيع ، ١٩٧٧ .

- علاقة القوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامى فى القرنين السادس والسابع للهجرة (٥١٧ - ٧١٦ هـ /١٢٢٣ - ١٣١٦م) ، مصطفى محمد عبد الخالق منصور ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، أ. د. عصام عبد الرءوف ، ١٩٨٧.

- الفروسية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، السيد الباز حسن العرينى ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٥ ، ٢٤٠ ص .

- قيام دولة المماليك الثانية (١٣٨٢ - ١٤١٢ م) ، حكيم أمين عبد السيد ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٦٠ ، ٢٤٧ ص .

- مخطوط زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة تأليف بيبرس الدواوارى : تحقيق الجزء التاسع مع دراسة خصائص الكتابه التاريخية فى العصر المملوكى ، زبيدة محمد عطا ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٢ ، ٥٣٤ .

- مدينة صور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد (١٠٩٧ - ١٣٩١م) ، سر الختم عثمان على ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ١٩٧١ ، ٤٠٤ ص .

- الناصر محمد بن قلاوون : سيرته وأنظمة الحكم فى عصره ، على إبراهيم حسن ، إشراف أ. د. عزيز سوريال عطية ، ١٩٤٣ .

- النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (١٢٥٠ - ١٥١٧م)، على بن حسين السليمان ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٧٤ ، ٣٣٤ ص .

- النشاط التجارى للمدن الإيطالية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ، عاد سليمان زيتون ، إشراف أ. د. حسنين ربيع، ١٩٧٨ ، ٣٧٤ص .

- نشر وتحقيق مخطوطة نهاية السؤال والأمنية فى تعليم أعمال الفروسية فى عصر سلاطية المماليك ، نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٧٢ ، ٨٢٩ هـ .

- النظم الإقطاعية فى دولتى المماليك الأولى والثانية (١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، إبراهيم على إبراهيم طرخان ، إشراف أ. د. مصطفى زيادة ، ١٩٥٥ ، ٣٣١ ص .

- إقليم بحر فارس فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، السابع والثامن الميلادى ، سعيد بن محمد بن سعيد الغيلانى ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، السباعى محمد السباعى ، ١٩٩٦ .

٤ - التاريخ الحديث

الأردن

- دور إمارة الأردن فى السياسة العربية : إمارة شرق الأردن ، المملكة الأردنية الهاشمية (١٩٣٩ - ١٩٥١) ، حسن عيد على ريان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣، ٢مج.

إفريقيا

- انتشار النفوذ البريطانى فى شرق إفريقية ووسطه فى القرن التاسع عشر (١٨٢٤ -١٨٩٥) ، السيد محمد رجب حراز ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٦٣، ٤٤٢ص .

تونس

- تطور الحركة العمالية فى تونس (١٩٣٩ - ١٩٥٦) ، سالم محمد بويحيى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٣، ٤١٦ص .

- الحركة الوطنية فى تونس (١٨٨١ - ١٩٣٩) ، عبد الغفار محمد حسين ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٢، ٤٦٢ص .

الجزائر

- الاستيطان الفرنسى فى الجزائر (١٨٣٠ - ١٩١٩) ، عبدالله جندى أيوب ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٩، ٣٨٩ص .

الخليج العربى

- سياسة بريطانيا فى الخليج العربى (١٨٥٣ - ١٩١٤)، محمد فؤاد سعيد على محمود، إشراف أ. د. السيد رجب حراز، ١٩٧٩، ٣٣٨ص .

- الوضع السياسى فى ساحل الصلح (١٨٥٦ - ١٩١٤)، زهدى عبد المجيد سمور، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٩ ، ٤٤٦ص .

السعودية

- تطور المجتمع السعودى فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٩٠١ - ١٩٥٣)، عبد الفتاح حسن أبو عيلة ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٤٤٤ ص .

- العلاقات السعودية - المصرية (١٩٢٤-١٩٣٦)، مديحة أحمد درويش ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٨ ، ٤٩٩ص .

السودان

- أثر المسألة السودانية فى العلاقات السياسية ما بين مصر وبريطانيا فيما بين سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٥٣، عدلى أرمانيوس حنا ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧١ ، ٢ مج.

- تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى (١٨٢٠ - ١٨٨٥) ، أحمد أحمد سيد أحمد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٣ ، ٣٤٨ ص .

- التربية فى السودان من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر والأسس النفسية والاجتماعية التى قامت عليها ، عبد العزيز أمين عبد المجيد ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٤٦ .

- تطور الحركة الوطنية فى السودان (١٩٣٦ - ١٩٥٣) ، قاسم أمين إسماعيل على الهوارى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٤ ، ٥٧٨ ص .

- حركة التبشير الدينى فى جنوب السودان (١٨٩٩ - ١٩٤٧) ، إبراهيم عكاشة على ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٣٢٨ ص .

- السودان فى عهد الخليفة التعايشى ، محمد سيد محمد ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى، ١٩٦٣ ، ١٠٤٦ ص .

- السياسة البريطانية فى السودان وأثرها على العلاقات المصرية السودانية (١٨٩٩ - ١٩١٤) ، إبراهيم شحاته حسن ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٨ ، ٤١٢ ص .

- عثمان دقنه وأثر زعامته فى انتشار المهدية فى شرق السودان ، على إسماعيل الجوسقى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٥ ، ٤٠٧ ص .

- العلاقات بين سلطنه دارفور والحكم التركى المصرى (١٨٢١ - ١٨٨٤) ، عثمان عمر فضل صالح ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٢ ، ٣٨٠ ص .

- مديرية خط الاستواء فى الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٩٢ ، جميل إسحق عبيد ، إشراف أ. د. حسن عثمان ن ١٩٦٤ ، ٤٧٥ ص .

- الوجود البريطانى فى جنوب السودان (١٨٨٥ - ١٩٤٧) ، فيصل الحاج محمد موسى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٨٣ ، ٣٠٢ ص .

- وقائع الثورة المهدية أو التاريخ الحربى للحركة المهدية ، محمد كامل الحرمانى ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٨ ، ٣١٩ ص .

سوريا

- تطور الحركة الوطنية فى سورية من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٦ ، ذوقان محمد قرقوط ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٤ ، ٢٨٧ ص .

- الحركة الوطنية فى سوريا من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٥ ، محمد رجائى سليم ريان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٤٩٠ ص .

الشـــام

- تطور الفكرة العربية فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، سلوى على رضا على الصاوى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٧ ، ٣٩٢ ص .

- الجاليات الأوربية فى بلاد الشام فى العه العثمانى منذ الفتـح حتى أواخر القرن السابع عشر ، ليلى عبد اللطيف الصباغ ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٦ ، ٥٣٠ ص .

العـراق

- أكراد العراق (١٨٥١ - ١٩١٤) : دراسة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، عبد ربه سكران إبراهيم الوائلى ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٧ ، ٣٣٤ ص .

- تاريخ الحركة العمالية فـى العراق (١٩٢٢ - ١٩٥٨) ، عبد الرازق مطلق الفهد ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٦٣٩ ص .

- تطور الحركة الوطنية العراقية (١٩٤١ - ١٩٥٢) ، إسماعيل أحمد محمد ياغى ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٦ ، ٢ مج .

- تطور العراق السياسى ما بين ١٩٣٢ - ١٩١٤ ، أحمد رفيق البرقاوى ، إشـراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٨١ ، ٢ مج .

- الحركـة الوطنيـة فى العراق (١٩٢١ - ١٩٣٣) عبد الأمير هادى العكام ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٤٤١ ص .

- الحياة الاجتماعية فى العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩ - ١٨٣١) ، عماد عبد السلام رءوف العطار ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٦ ، ٥٨١ ص .

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لدولة المماليك فى العراق (١٧٤٩ - ١٨٣١)، فرج محمد فرج ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٦٣١ ص .

- الصراع العثمانى الفارسى وأثره على العراق فى القرن الثامن عشر ، علاء موسى كاظم ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٨ ، ٣٩٠ ص .

- العراق فيما بين ١٩١٤ - ١٩٢١ : دراسة فى تطوره السياسى ، محمد يوسف خليل موسى إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٨٦ ، ٢٩٨ ص .

- العراق والسياسة العربية فى الشرق العربى (١٩٤١ - ١٩٥٨) ، ممدوح عارف الروسان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٢ مج .

فلسطين

- تطور المتجمع فى فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٤٨) ، محمد عرابى محمد نخلة ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٨ ، ٤٨٧ ص .

- الحرب العربية الإسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٤٩) تأسيس إسرائيل ، فلاح خالد على ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٧ ، ٥١٢ ص .

- الحركة العمالية والنقابية فى فلسطين (١٩٢٥ - ١٩٤٨) ، فائق حمدى طهبوب ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٩ ، ٢ مج .

- الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، عادل حسن غنيم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ٢ مج .

- سياسة إسرائيل التعليمية تجاه الأقلية العربية فى فلسطين المحتلة من ١٩٤٨ - ١٩٦٧ ، ردينة جميل صدقى عبد الحميد ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ١٩٨٨ ، ٣٨٣ ص.

- علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وإبراهيم فى الشام ، أحمد مصطفى أبو حاكمة ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٤٥ ، ١٧٧ ص .

- فلسطين والانتداب البريطانى (١٩٢٢ - ١٩٣٩) ، كامل محمود خلة ، إشراف أ. د. محمد أنيس ١٩٧٢ ، ٦٤٥ ص .

- النشاط الصهيونى فى الشرق العربى (١٩٠٨ - ١٩١٨) ، خيرية محمد قاسمية ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٢ ، ٦٠٨ ص .

الكويت

- التنظيم الاجتماعى والاقتصادى فى الكويت فى الفترة ما بين ١٩١٣ - ١٩١٦ : دراسة التطور الاجتماعى فى الكويت ، بدر الدين عباس على الخصوص ، إشراف أ. د. محمد أنيس، ١٩٧١ ، ٢ مج .

لبنـــان

- لبنان فى ظل الانتداب الفرنسى ، محمد على محمد القوزى ، إشراف أ. د. محمد أنيس، ١٩٨٢ ، ٥٦٥ ص .

ليبيـــا

- تاريخ التعليم فى ليبيا فى العصر الحديثة من ١٨٣٥ إلى ١٩٤٣ ، رأفت غنيمى حنفى الشيخ ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ٩٧١ ، ٢٢٣ ص .

- طرابلس المغرب فى آخر العهد العثمانى الثانى (١٨٨٢ - ١٩١١) ، أحمد صدقى الدجانى ، ١٩٧٠ ، ٢ مج .

- علاقات ليبيا بالدول الأوربية فى عهد الأسرة القرمانلية (١٧١١ - ١٨٣٥) ، عمر عبد العزيز محمد عثمان ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٧ ، ٥٠٨ ص .

ليبيريا

- العلاقة بين أمريكا وليبيريا (١٨٢١ - ١٩٠٩) ، وهبى غبريال وهبة ، إشـراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٨ ، ٣١٤ ص .

مصـــــر

- أثر التطور السياسى فى مصر على التعليم القومى فى أوئل القرن العشرين (١٨٨٢ - ١٩٣٦)، جرجس سلامة ميخائيل ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى، ١٩٦٤، ٧١١ص.

- أحمد عرابى ودورة فى الحياة السياسية المصرية ، سمير محمد طه محمود ، إشـراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٥ ، ٢٥٣ ص .

- الأقباط فى العصر العثمـانى (١٥١٧ - ١٧٩٨) ، محمـد عفيفـى عبدالخـالق عفيفـى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، أ. د. عبد الرحيم عبد الرحيم ، ١٩٨٨ ، ٣٤٢ ص .

- الأهمية السياسية والاستراتيجية لقناة السويس وأثرها على العلاقات المصرية البريطانيـة (١٩١٤ - ١٩٥٤) ، محمد عبد الرحمن محمد برج ، إشـراف أ. د. محمـد فـؤاد شكرى ، أ. د. محمد أنيس ، ١٩٦٠ ، ٣٠٥ ص .

- تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق ، أحمد عزت عبد الكريم ، إشراف أ. د. شفيق غربال ، ١٩٤١ .

- تاريخ العلاقات السياسية بين مصر وإثيوبيا وأثرها على السواد الشرقى فى الفترة ما بين ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، نصيف يوسف صليب ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال محمد فؤاد شكرى، ١٩٦٠ ، ٢ مج .

- تاريخ الفكر السياسى المصرى (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ، السيد محمد عشماوى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٥٠٨ ص .

- تجارة مصر الخارجية (١٩١٤ - ١٩٣٩) ، أحمد الشربينى السيد البسيونى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٧ ، ٤٧٠ ص .

- تجارة مصر فى عهد محمد على، أمين مصطفى عفيفى، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال،١٩٤٦.

- تطور الحركة القومية فى مصر من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩١٩ ، يوسف خليل جاد الله ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٥٧ ، ٥١٨ ص .

- تطور الحركة الوطنية فى مصر من إبرام معاهده ١٩٣٦ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ، عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠، ٤٧٩ص .

- تطور الزارعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أحمد أحمد الحته ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٤٦ .

- التطور السياسى من ١٩١٦ إلى ١٩٤٩ ، عبد العزيز محمد عبد العزيز منصور ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٧٧ .

- تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية ، إبراهيم عبده ، إشراف أ. د. حسن إبراهيم حسن ، ١٩٤٣ .

- تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية (١٨٤٦ - ١٩١٤) ، على محمد محمد بركات ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٣ ، ٥٣٦ ص .

- الجاليات الأجنبية فى مصر فى القرن التاسع عشر (١٨٠١ - ١٨٨٢) ، صالح رمضان محمود ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٠ ، ٤٢١ ص .

- الحالة الاجتماعية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حلمى محروس إسماعيل ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٧ ، ٢ مج .

- الحركة العمالية وأثرها فى تطور تاريخ مصر السياسى (١٩٣٠ - ١٩٤٥) ، نوال عبد العزيز مهدى راضى ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٦ ، ١٨٣ ص .

- الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين (١٩١٩ - ١٩٥٢) ، أمال محمد كامل بيومى السبكى ، إشراف أ. د. جمال الدين المسدى ، ١٩٧٩ ، ٣١٤ ص .

- دور الطلبة المصريين فى الحركة الوطنية من ١٩١٩ - ٢٧ يناير ١٩٥٢ ، عاصم محروس عبد المطلب ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٨ ، ٧١١ ص .

- دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٥٢) ، سامى أبو النور عبد المنعم ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٧ ، ٤٢٦ ص .

- السخرة الزراعية وأثرها على المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر ، محمد أنور توفيق عبد الحميد أبو علم ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٥ ، ٣٦٠ ص .

- سقوط نظام الاحتكار فى مصر الحديثة وأثره فى تطوره الاقتصادى (١٨٤٠ - ١٨٨٢م) ، أحمد محمد حسن الدماصى، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٩ ، ٤٩٥ ص.

- سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية من ١٩١٤ - ١٩٣٦ ، مصطفى النحاس جبر يوسف ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٨١ ، ٥٣٩ ص .

- سياسة الاحتلال الزارعية فى مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤) ، إسماعيل زين الدين ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٧ ، ٣٣٢ ص .

- سياسة مصر تجاه القضية الفلسطنية (١٩٤٨ - ١٩٥٦) ، محمد سعيد أحمد محمد حمدان ، إشراف د. جمال الدين المسدى ، ١٩٩١ .

- سياسة الولايات الأمريكية نحو الباشوية المصرية منذ بدء التمثيل القنصلى (١٨٣٢) إلى وقت قيام الثورة العرابية (١٨٨١)، محمود حلمى مصطفى حسنين ، إشراف أ. د. محمد شكرى ، أ. د. محمد أنيس ١٩٦٢ ، ٣٠٧ص.

- العربان ودورهم في المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، إيمان محمد عبد المنعم عامر ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، أ. د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٨٩ ، ٢٦٣ ص .

- العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٢ - ١٩٥٧) ، مرفت صبحى غالى ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٧ .

- العلاقات المصرية الإثيوبية (١٨٥٥ - ١٩٣٥) ، أنتونى سوريال عبد السيد ، إشراف أ. د. السيد رجب حراز ، ١٩٨١ ، ٦٦٠ ص .

- العلاقات المصرية الإنجليزية وأثرها فى تطور الحركة الوطنية فى مصر حتى عام ١٩٥٢ (١٩١٤ - ١٩٥٢) ، أحمد فريد على مصطفى عطية ، إشراف أ. د. محمد فؤاد شكرى ، ١٩٦٠ ، ٩٢٠ ص .

- قضية الديموقراطية الحياة النيابية فى مصر من ١٩٢٤ - ١٩٣٦ ، جلال الدين محمود خليل الشاعر ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٨٨ ، ٣٧٣ ص .

- القضية المصرية فى المرحلة الأخيرة (١٩٥٠ - ١٩٥٤) ، نادية أحمد سراج الدين، إشراف أ. د. رءوف عباس ، يونان لبيب ، ١٩٨٧ ، ٣٥٠ ص .

- القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، لطيفة محمد سالم ، إشراف أ. د. محمد أنيس ، ١٩٧٩ ، ٦٢٦ ص .

- مصر والدولة العثمانية ، دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٤٠ إلى ١٨٦٣ ، محمد رفعت رمضان ، إشراف أ. د. محمد شفيق غربال ، ١٩٥٥ ، ٢ مج .

دليل الرسائل المسجلة بقسم التاريخ

كلية الأداب - جامعة القاهرة

حتى نهاية عام ١٩٩٧

أولاً : رسائل الماجستير

١- التاريخ القديم

- الخدمات المدنية للجيش الرومانى فى مصر من ٣٠ ق.م إلى ٢٨٤ م ، عمرو على أحمد محمود ، إشراف أ. د. عبد اللطيف أحمد على، أ. د. سيد الناصرى، ١٤، ٤، ١٩٩٧.

٢ - التاريخ الإسلامى

- إمارة بنى يعفر فى اليمن (٢٥٢ - ٣٩٣ هـ / ٨٧٦ - ١٠٠٣ م) نهلة رزق محمد أحمد موسى، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ٢٨ ، ٥ ، ١٩٩٥ .

- بلاد الكرج من الفتح الإسلامى حتى بداية الحكم السلجوقى (٢٢ - ٤٣١ هـ / ٦٤٢ - ١٠٤٠ م) ، محمد صادق على ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩ ، ٧/ ١٩٩٧.

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة تونس منذ إنشائها حتى رحيل الفاطميين من المغرب إلى مصر (٧٠ - ٣٥٨ هـ / ٦٦٩ - ٩٥٧ م)، هالة أحمد عبد الرحمن السيد البدالى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، د. محمد البيلى ، ١٥ /١/ ١٩٩٤.

- الحياة السياسية ومظاهر الحضاره فى سجستان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (٢٠٥ - ٣٩٣ هـ /٨٢٠ -١٠٠٣م) حنان حسن سيد سيد، إشراف أ. د. أحمد دراج، أ. د. عطيه القوصى ، ١٩٩٦/٨/٦ .

- خطط البربر فى المغرب الكبرى وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية (٥٠ - ٢٩٦ هـ/٦٧٠ - ٩٠٨ م)، وجدى فرج مجاهد أبو العلا ، إشراف د. محمد البيلى ، ٢٢ /١٩٩٢/٤.

- الشرطه فى العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ/٤٧٩ - ٨٤٧ م)، حسام إسماعيل عبد الظاهر ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، ١٩٩٦/٦/٣ .

- مدينة سمر قند منذ قيام الدولة السلجوقيه حتى الغـزو المغولـى (٤٢٩-٦١٧ م) وسـام أحمد شلبى ، إشراف أ. د.محمود عرفه محمود ، د. علاء الدين منصور .

- مدينة فارس فى عهد الأدارسة ، خالد حسين ، إشراف د. محمد البيلى ، ١٩٩٧/٧/١٥.

٣ - تاريخ العصور الوسطى

- آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر للميلاد/ نعيمة محمـد إبراهيم ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور ،

- الإمبراطور ألكسيوس كومنين والحملة الصليبيـة الأولـى (١٠٨١ - ١١٨١ م) فـى ضوء كتاب الألكسياد ، أحمد شوقى السيد عثمان ، إشراف أ. د. حسنين محمـد ربيـع ، ١٩٩٠/١/٢٧ .

- بنو أرتـق وسياستهم الخارجية فـى عصـر الحـروب الصليبية ، محمد رمضـان أحمد بطران، إشراف أ. د. حسنين محمد ربيع ، ١٣ /١٩٩٣/٢ .

- الجاليات الأجنبية فى الموانىء المصرية فـى عصـر الممـاليك الجراكسـة ، أمـال توفيق أحمد السويدى ، إشراف أ. د. حامد زيان، ١٩٩٧/١/١٨ .

- الحياة السياسية والاقتصادية فى إقليمى البحريـن وعمـان بيـن القرنين الخـامس والسـابع الهجرى - الحـادى عشـر والثـالث عشـر الميـلادى ، عبد الله جاسم على آل شـامى ، إشراف أ. د. حامد زيان ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ٢٠ /١٩٩٥/٧ .

- دور الأسطول المصرى فى الحروب الصليبية ، فاطمة حسـن محمـد وقـاد، إشـراف د. ليلى عبد الجواد ، ١٩٩١/٤/٢٩ .

- دور القوى الأوربية فى الحصـار الاقتصـادى علـى سـلطنة الممـاليك (١٢٩١-١٥١٧م) محمد فتحى على الزامل ، إشراف أ. د. حسنين محمد ربيع، ١٩٩٣/١٠/٢٣ .

- علاقة الدولة الحمدانيه فى حلب بالإمبراطوريـة البيزنطيـة (٣٣٣ - ٣٩٤ هـ/٩٤٥ - ١٠٠٤م) عبير بنت ماجد بن سعـود آل سعـود ، إشـراف أ. د. حسـنين محمـد ربيـع ، د. ليلى عبد الجواد، ١٩٩٢/٤/٢٢ .

- قلعة الجبل فى عصر سلاطين المماليك، ماجدة مصطفى نادى ، إشراف د. ليلى عبد الجواد ، ١٩٩٧/١/١٨ .

- القوى البحرية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط حتى أواخر القرن الثالث عشر ، منال محمد السيد ، إشراف أ. د. حامد زيان ،

- مدينة القسطنطينية فى القرن العاشر الميلادى ، نجلاء مصطفى عبدالله ، إشراف أ. د. حسنين محمد ربيع ، د. ليلى عبد الجواد ، ١٩٩٣/٢/١٣ .

- المماليك الجلبان ودورهم فى عصر دولة المماليك الجراكسة، هدية أمال على عبد الرحيم، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٩٦/٨/٨ .

- الوزارة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك هالة عباس إبراهيم الشيخ ، إشراف أ. د. حامد زيان ، ١٩٩٦/١٠/١٩ .

٤ - التاريخ الحديث

السودان

- العلاقة بين المهدية والوهابية فى شبه الجزيرة العربية ، عبد الحميد كامل عبد المعبود، إشراف د. جمال الدين المسدى ، أ. د. عاطف العراقى ، ١٩٩٠/٧/٢١ .

مصر

- سياسة مصر تجاة دول المشرق العربى فى الفترة من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ ، عبد الرحمن رشدى الهوارى ، إشراف د. محمد جمال الدين السدى ، ١٩٨٨/٨/٢١.

- نظام الالتزام فى ريف الصعيد فى العصر العثمانى جمال كمال محمود ، إشراف د. محمد عفيفى ١٩٩٧/١/١٨.

- وضع المرأة فى المجتمع المصرى فى القرن السابع عشر للميلاد ، غادة أسامة أحمد مصطفى ، إشراف د. محمد عفيفى، ١٩٩٧/٤/١٤ .

ثانياً : رسائل الدكتوراة

١- التاريخ الإسلامى

- بنو تغلب فى أقليم الجزيرة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموى ، صلاح شمردل عطية ، إشراف د. محمد البيلى ، د. محمد أمين صالح ، ٢٠ /١٩٩٥/٧ .

- الحياة الثقافيه والعلمية فى نيسابور منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجرى (٢٠٥-٤٣٢ هـ/٨٢٠-١٠٤١) ، عبد الناصر إبراهيم عبد الحكيم ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف وإبراهيم الدسوقى شتا، ١٩٩٦/٧/٢٠ .

- العلاقات التجارية بين موانىء الخليج وجنوب شرق آسيا (٤٠-٢٣٢هـ/٦٦٠-٨٤٦م)، جوعان راشد سعيد الظاهرى ، إشراف أ. د. حسن أحمد محمود ، ١٩٩٣/١٠/٢٣ .

- الغزنويون ودورهم فى التطور الحضارى للهند ، عوض راشد الجويسرى ، إشراف أ. د. محمود عرفه محمود ، أ. د. السباعى محمد السباعى .

- مدينه الرى فى العصر السلجوقى (٤٣٣-٥٩٠هـ/١٠٤٢-١١٩٤ م) سعاد عبدالله محمود عبدالله ، إشراف أ. د. عصام الدين عبد الرءوف ، أ. د. السباعى محمد السباعى ، ١٩٩٤/١/١٥.

- مدينه قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالى (٤٤٢ - ٦٢٥هـ / ١٠٥١ - ١٢٤٧م) ، إلهام حسين سليمان دحروج ، إشراف د. محمد بركات البيلى، ١٩٩٤/١/١٥ .

٢- تاريخ العصور الوسطى

- بيت تتش فى بلاد الشام وسياسته الخارجية (٤٧٠-٥١١هـ/١٠٧٨-١١١٧م)، محمد عبد النعيم محمد عبده ، إشراف أ. د. حامد زيان ،١٩٩٤/٤/١٦.

- التباين الاجتماعى والخلافات المذهبية فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام ١٠٩٧-١١٨٧، حسن أحمد عبد الجليل ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٩٧/١/١٨.

- السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور أندرونيقوس الثانى باليولوجوس (١٢٨٢ – ١٣٢٨م)، ناهد عمر صالح محمد ، إشراف أ. د. حسنين محمد ربيع ، د. ليلى عبد الجواد ، ١٩٩٢/٤/٢٢.

- الفتن والقلاقل الداخلية فى دولة سلاطين المماليك وأثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، لبيبة إبراهيم مصطفى محمد ، إشراف أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٩٤/٤/١٦.

٣- التاريخ الحديث

-إدارة مصر زمن الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ م، ناصر أحمد إبراهيم سليمان ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٧/١٠/١٩.

- العاملون المصريون فى الإدارة الحكومية من ١٨٣٧ حتى ١٩٠٧، منى عطا الله طه عبدالوهاب ، إشراف أ. د. رءوف عباس ، ١٩٩٧/١/١٨.

- العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر، سحر على حنفى على خليل ، إشراف أ. د. رءوف عباس، ١٩٩٤/١/١٥.

كشاف البحوث المنشورة فى مجلة المؤرخ المصرى(*)

(١٩٨٨ - ١٩٩٨)

أولاً : التاريخ القديم

- **أحمد عبد القادر جلال :** « بين مشاهد الانتقام الألهى وتأثيراته فى أداب الشرق الأدنى القديم » ، العدد التاسع ، يوليو ١٩٩٢ ، ص ص١٦٣ - ١٨٦ .

- **سيد أحمد على الناصرى :** ١ - « قراءة تاريخية فى أشعار هسيودوس القديمة » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص١١ - ٣٣ .

٢ - « وقفه فوق أطلال باكخياس »، العدد الثانى عشر، يناير ١٩٩٤ ، ص١١-٢٢ .

- **ضحى محمود مصطفى :** « الألوان فى مصر القديمة ودلالتها التاريخية » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص١١ - ٣٢ .

- **عبد الحليم محمد حسن :** ١ - « مصر والمصريون عند هيرودوت » ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص٩٥ - ١٣٢ .

٢ - « مكانة الرياضيين والفنانين أتباع ديونيسوس فى المجتمع الهللينستى والرومانى » ، العدد السابع ، يوليو ١٩٩١ ، ص٨١ - ١٣٨ .

٣ - « الألعاب والجومناسيا فى مصر بين السياسة والدين (١) العصر الهللينسى » ، العدد التاسع يوليو ١٩٩٢ ، ص١٨٧ - ٢٣٤ .

- **عودة عبد الواحد جودة :** « عمدة القرية فى العصر البلطلمى » العدد الثانى عشر يناير ١٩٩٤ ، ص٢٥٣ - ٢٩٩ .

(*) قام بإعداد هذا الكشاف السيد/ محمد عبد النعيم محمد عبده والسيد/ محمد فتحى على الزامل.

ثانيًا : التاريخ الإسلامى

- **ألتوم الطالب محمد يوسف** : « فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص٥٥ - ١٠٨ .
- **أيمن فؤاد سيد** : « العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص٦٥ - ٨١ .
- **بدر عبد الرحمن محمد** : « شرق الدلتا منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص١١ - ٥٤ .
- **حسن خضيرى أحمد** : « مدينة سبتة وخططها فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى » ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٥ ، ص١٧٥-٢١٧ .
- **حسين سيد عبد الله مراد** : « الحياة الثقافية فى الدولة الحفصية فى القرن ٧هـ/١٣م فى ضوء رحلة العبدرى » ، العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٩٤ ، ص٢١٧ - ٢٦١ .
- **حسين على المسرى** : « نجران ودورها السياسى والاقتصادى » ، العدد التاسع ، يوليو ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٤١ - ١٠٠ .
- **حورية عبده سلام** : « المصريون والدعوة الشيعية منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص٣٣ - ٥٧ .
- **راضى عبد الله عبد الحليم** : ١ - « تصفية المقاومة الأموية فى العراق ومصر والشام » ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص١١ - ٢٥ .

٢ - « التدخل النورماندى فى بلاد المغرب »، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص٢١١-٢٤٦

٣ - « المغرب فى العصر الأموى (٤٠ - ١٣٢هـ) » ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣، ص١٢١ - ١٧٨ .

٤ - « المجتمع الأندلسى فى عصر الولاة (٩٢ - ١٣٨هـ) » ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤ ، ص١٢١ - ١٥٧ .

- **سامية مصطفى مسعد** : « دور سلاطين غزنة فى نشر الإسلام فى الهند » العدد الخاس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص١٤١ - ١٩٤ .

ـفاء حافظ عبد الفتاح : « حملات المسلمين البرية على أرض الروم بآسيا الصغرى في عهد الوليد بن عبد الملك » ، العدد التاسع ، يوليو ١٩٩٢ ، ص١١ - ٤٠ .

- عبادة عبد الرحمن كحيلة : ١ - « الطوائف ودورها في ضياع الأندلس » ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص ٩١ ، ١٢٨ .

٢ - « قراءة جديدة في عهد عمر »، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص١١ - ٧٣

- عبد الحسين على أحمد : « عمان بين الحكم الذاتي والانفصال في القرنين الأول والثاني للهجرة » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص١٠٣ - ١٤٨ .

- عبد الحميد حسين محمود حموده : ١ - « النظام القضائي في القيروان في عصر الأغالبة (١٨٤هـ/٨٠٠هـ - ٢٩٦هـ/٩٠٨م) »، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص٨٧- ١٢٦.

٢ - « المهدية حاضرة الفاطميين الأولى ببلاد المغرب (٣٠٠ هـ - ٩١٢م / ٣٣٦هـ- ٨٤٧ -٩٤٨م) العدد الثاني عشر ، يناير ١٩٩٤ ، ص٥٣ - ٩٦ .

٣ - « تجارة القمح في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨هـ - ٥٦٧هـ / ٩٦٨ - ١١٧١م) » العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤ ، ص١٤٥ - ١٨٧ .

٤ - « التجارة في أفريقيا في عصر الأغالبة » ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٥، ص٩٩ - ١٧٤ .

- عطية أحمد القوصي : « الجديد ... في وثائق الجنيزة الجديدة ؟؟ » ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣ ، ص١٧٩ - ١٨٥ .

- على محمد على البتانوني : « الاصلاحات الاقتصادية والإدارية على عهد أبي جعفر المنصور » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص٨٣ - ١١٥ .

- فايزة إسماعيل أكبر : « ثورة الزنج هل هي ثورة عبيد ؟؟ » ، العدد الرابع عشر يناير ١٩٩٥ ، ص٢١٩ - ٢٤٠ .

- محمد أحمد محمد أحمد : « بنو اينجو في فارس ونشاطهم السياسي » ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٥ ، ص٢٤١ - ٣٠٧ .

- محمد بركات البيلي : ١ - « مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان »، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص٦٥ - ٩٠ .

٢ – « الغلاء والمجاعات فى بلاد المغرب الإسلامى حتى القرن الخامس الهجرى » ، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص٣١٣ – ٣٤٣ .

٣ – « فتح سمر قند : صفحة من تاريخ فتوح المسلمين فيما وراء النهر » ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤ ص٩٧ – ١١٩ .

٤ – « المهالبة من المشرق إلى المغرب » ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤ ، ص١٥٩ – ٢١٢ .

٥ – « بداية الكارم ومعناه فى العصر الفاطمى » ، العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٩٤ ، ص٨٩ – ١١٣ .

٦ – « محمد عبد الله بن مسرة ونزعته المسرية فى الأندلس » ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص٢٧٥ – ٣١٤ .

٧ – « المرأة الأندلسية فى عصر أموى الأندلس » ، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦ ، ص٤٥ – ١٠٤ .

٨ – « الخلافات المذهبية فى أفريقية الأغلبية » ، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦، ص١٩١ – ٢٦ .

٩ – « الجوائح فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتىنهاية عصر الخلافة » ، العدد الثامن عشر ، يوليو ١٩٩٧ ، ص٢٣٣ – ٢٨١ .

– **محمد جمال سرور**: « الفاطميون وفلسطين »، العدد الأول، يناير ١٩٨٨، ص٧ – ٢٣

– **محمد رضا عبد العال محمد** :« الموالى والرقيق فى نجد والحجاز فى العصر الأموى » ، العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٤٤ ، ص١٨٩ – ٢١٥ .

– **محمد زيود** : ١ – « النشاط التجارى فىحلب خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، العاشر والحادى عشر للميلاد » العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٥ ، ص٧٥ – ٩٨ .

٢ – « صناعة الورق والوراقة فى بلاد الشام فى العصر الفاطمى » ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص١١ – ٣٥ .

– **محمد عبد الباسط محمد حسين** : « الدور السياسى للفهريين فى الأندلس منذ الفتح العربى حتى أواخر عهد عبد الرحمن الداخل ٩٦١ – ١٦٣هـ) ، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص٥٩ – ٨٦ .

محمد محمود إدريس : « النشاط التجارى والحياة الاجتماعية فىقوص فى القرنين الثالث والرابع الهجريين »، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص٢٢١ - ٣١٢ .

- **محمود عرفه محمود** : ١ - « الجيش الغزنوى . إعداده وتنظيماته الحربية »، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص١٣٣ -١٥٨ .

٢ - « أعلام النهضة الثقافية بالعراق فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى »، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص١١ - ٤٥ .

٣ - « خطة الشرطة بالأندلس فى عهد الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٩م » ، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص١١ - ٥٨ .

٤ - « وسائل ضبط ورقابة المعاملات التجارية والمالية فى صدر الإسلام » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص٤٥ - ١٠٢ .

- **مصطفى عبد الله شيحة** : « رسالة فى أنساب القبائل التى سكنت مدينة صعدة » ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص١١ - ٦٤ .

- **منى حسن أحمد محمود** : ١ - « هجرات الأندلسيين إلى شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين »، العدد الخامس ، يناير ١٩٠ ، ص٥٩ -٨٢.

٢ - « تجارة السودان الغربى قبيل قيام دولة المرابطين فى القرن الخامس الهجرى »، العدد السابع ، يوليو ١٩٩١ ، ص٢٤١ - ٣٠٢ .

- **نعمان محمود جبران ، ومحمد على طعانى** :« إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ونسبته للعماد الأصفهانى (٥١٩ - ٥٩٧هـ / ١١٢٣ - ١٢٠٠م) » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص٢٣٣ - ٢٦٣ .

- **نورة عبد العزيز التويجرى**: «المميزات العامة لشخصية الأميرعبد الله بن بلقين أمير مملكة غرناطة من خلال كتابه (التبيان) » العدد السادس عشر، يناير١٩٩٦، ص٢٢٧ - ٢٧٢.

- **يوسف بن أحمد حواله** : « قراءة فى نص محاولة للفهم (دراسة تحليلة للأيام الأخيرة من عهد المنصور بن أبى عامر العامرى الأندلسى) » ، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص١٧١ - ٢١٩ .

ثالثًا : تاريخ العصور الوسطى

- **أحمد عبد الكريم سليمان** : « الصراع الدولى فى الغرب الأوربى فى منتصف القرن الخامس الميلادى » العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٤ ، ص٢١٣ - ٢٥٢ .

- **آسيا سليمان نقلى** : « دور الفقهاء والعلماء فى الجهاد ضد الخطر المغولى على بلاد المسلمين » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص ١٨٥ - ٢٣٢ .

- **حسين محمد عطية** : « عشر صلاح الدين وأصوله التاريخية فى غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية » ، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص١١٥ - ١٧٦ .

- **حياة ناصر الحجى** : « بعض الملاحظات حول مسار نظام الحكم فى سلطنة المماليك البحرية » ، العدد الثامن عشر ، يوليو ١٩٩٧ ، ص١١ - ٢٦ .

- **سعيد عبد الفتاح عاشور** : ١ - « الجبهة الصليبية فى معركة حطين » ، العدد الأولى ، يناير ١٩٨٨ ، ص٢٥ - ٥٢ .

  ٢ - « العلم بين المسجد والمدرسة » ، العدد السابع ، يوليو ١٩٩١ ، ص١١ - ٣٧.

- **عادل عبد الحافظ حمزة** : « البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا فى القرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى » ، العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٩٤ / ص١١٥ - ١٤٤.

- **عبد الرحمن محمد العبد الغنى** : « ملحمة ديجينس اكريتاس مصدرًا من مصادر التاريخ الاجتماعى لمنطقة الحدود الشرقية البيزنطية » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص٢٦٥ - ٢٩٨ .

- **عبد العزيز محمود عبد الدايم** : « تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك » العدد الثالث يناير ١٩٨٩ ، ص١٢٩ - ١٥٠ .

- **على السيد على محمود** : « الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية فى العصر المملوكى » ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص٣٧ - ١٠٦ .

- **غيثان بن على بن جريس** : « سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠ - ٩٠٠هـ / ١٢٠٠ - ١٥٠٠ م) »، العدد السادس عشر، يناير ١٩٩٦، ص١٥٣ - ١٨٩ .

ليلى عبد الجواد إسماعيل : ١ - « نائب السلطنة فى عصر دولة المماليك البحريـة » ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص١٥٩ - ٢٢٥ .

٢ - « القسطنطنية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين » العدد الثالث ، يناير ١٩٩٨، ص١٥١ - ٢٠٢، والعدد الرابع، يوليو ١٩٨٩، ص١٠٩ -١٤٥.

٣ - « دور البلغار فى مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية (٩٨ - ١٠٠هـ ٧١٧ - ٧١٨م) » ، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص٨٣ - ١١٣ .

٤ - « المسلمون فـى بـلاد المجر فـى العصور الوسطى » ، العدد السابع ، يوليـو ١٩٩١ ، ص٣٩ - ٨٠ .

٥ - « أتابك العساكر فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية » ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣ ، ص٤٩ - ١٠٦ .

٦ - « أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى » ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٥ ، ص٣٠٩ - ٣٥٨ .

- **محمد حسن عبد الكريم العمادى ، نعمان محمود أحمد جبران** : « جوانب من حياة المرأة فى العصر المغولى » ، العدد الثامن عشر ، يوليو ١٩٩٧ ، ص٢٨٣ - ٣١٨.

رابعًا : التاريخ الحديث

- **أحمد الشربينى السيد** : ١ - « موقف الحكومة المصرية من التضخم إبان الحرب العالمية الأولى » ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ن ٣٠٣ - ٣٤٢ .

٢ - « التكوين الاجتماعى للتجارة فى مصر » ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص٢٩٥ - ٣٤٤ .

٣ - « الغلاء وآثاره الاجتماعية فى مصر بين الحربين العالميتين » ، العدد السابع ، يوليو ١٩٩١ ، ص١٦٥ - ٢٤٠ .

- **إسماعيل محمد زين الدين** : ١ - « محمد مندور وفكره السياسى والاجتماعى » ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص١١٩ - ١٥٢ .

٢ - « الصناعة فى عهد إسماعيل »، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص٣٢١ -٣٥٨.

- **إلهام محمد ذهنى** : « مديرية دنقلة فى ظل الحكم المصرى (١٨٢٠ - ١٨٧٩) ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص١٥٣ - ١٩٧ .

- **بثيان سعود تركى** : « الجالية الهندية فى شرق أفريقيا بين هامرتون والسيد سعيد (١٨٣٢ - ١٨٥٦) . العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٩٤ ، ص١١ - ٦٢ .

- **تمام همام تمام** : « الجهود العربية المضادة للنفوذ البرتغالى فى المحيط الهندى (١٤٩٨ - ١٧٣٠) ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص١٤٧ - ٢٠٣ .

- **جمال محمد عبد الكريم** : « الموريسيكيون - تاريخهم وآدابهم » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص٨٣ - ١١٥ .

- **حياة محمد البسام** : « النفوذ البريطانى فى الخليج العربى وموقف الدولة العثمانية منه » ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص١٠٧ - ١٣٩ .

- **دانيال كرسيليوس** ، **حمزة عبد العزيز بدر** : شحنة غلال مصرية إلى الكلار السلطانى باستانبول ١٧٦٣م » ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣ ، ص١١ - ٢٥ .

- **سعيد خليل هاشم** : « التعليم وتحديثه فى البحرين » ، العدد الثالث عشر ، يوليو ١٩٩٤ ، ص ٦٣ - ٨٨ .

- **عبد العليم على أبو هيكل** : ١ - « دور القبائل الحجازية والشامية فى الثورة العربية » ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص ٢٧١ - ٣٠٢ .

٢ - « الرقيق الأفريقى بالحجاز خلال النصف الأول من القرن العشرين » ، العدد الثانى، يوليو ١٩٨٨ ، ص٩٣ - ١١٨ .

٣ - « عبد المحسن السعدون بن الوطنية ومهادنه الإنجليز » ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

٤ - « جمال باشا فى سورية بين السياسة العثمانية والتطلعات العربية » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩م ، ص٢٥٩ - ٣١٩ .

٥ - « بنو خالد فى الإحساء والدولة السعودية الأولى » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص١٧٣ - ٢١٦ .

٦ - « مسألة العقبة بين السعودية وشرق الأردن بين عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٧م » ، العدد السابع ، يوليو ١٩١٩ ، ص١٣٩ - ١٦٣ .

٧ - « التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن الـ ١٨ فى ضوء الوثائق المحلية » ، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦ ، ص١١ - ٤٤ .

- **عبد القادر حموده القحطانى** : « تجارة الرقيق فى الخليج العربى (فى التاريخ الحديث) ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ، ص١٩٥ - ٢٣١ .

- **عبد الله سراج منسى** : « موقف بريطانيا من فتح قنصلية أمريكية فى الكويت (١٩٤٦ - ١٩٥١) » ، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦ ، ص١٠٥ - ١٢٦ .

- **عبد الوهاب بن صالح بابعير** : « الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون فى الجزيرة العربية عام ١٩٧١ » ، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦ ، ص١٢٧ - ١٥٢ .

- **علاء عبد العزيز أبو زيد** :« القرب فى كتابات المسلمين بين التجهيل والأفتتان والرفض » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص١٦١ - ١٢١ .

- **عمر سالم عمر بابكور** : « التنافس الاستعمارى الأوربى فى أعالى النيل (١٣٠٠ - ١٣٢٢هـ/١٨٨٢ - ١٩٠٤م) ، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧ ، ص١٦٩ - ٢٣٢.

- **فتوح عبد المحسن الخترشى** : ١ - « نشأة الكويت » العدد الحادى عشر يوليو ١٩٩٣ ، ص١٢٧ - ١٧٠ .
٢ - « الدولة السعودية الثالثة فى مرحلة النشأة وإرساء الأساس وموقف الدولة العثمانية وبريطانيا (١٩٠٢ - ١٩١٥م) ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤ ، ص٢٣ - ٥٢ .

- **فيصل عبد الله أحمد الكندرى** : « جان بردى الغزالى وموقفه من العثمانيين » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص١١ - ٤٤ .

- **محمد حسن العيد روسى** : ١ - « أوضاع الأقلية الإسلامية فى بلغاريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أحداث ١٩٨٥ (١٩٤٥ - ١٩٨٥) ، العدد التاسع ، يوليو ١٩٩٢ ، ص١٠١ - ١٦١ .
٢ - « مجلس التعاون الخليجى بين الأمن الأقليمى والتحديات الخارجية » ، العدد الخامس عشر ، يوليو ١٩٩٥ ،ص ٢٣٣ - ٢٧٤ .

- **محمد عبد الرحمن برج** : « القضية الأرمنية بين مؤتمرى برلين والحرب العالمية الأولى (١٨٧٨ - ١٩١٤) » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص١١٧ - ١٣٤ .

- **محمد عفيفى** : « الخطط والحياة الاقتصادية فى حارة اليهود بالقاهرة فى العصر العثمانى » ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣ ، ص٢٧ - ٤٧ .

- **محمد كمال يحيى** : ١ - « قضية لواء الأسكندرية » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص٢٠٥ - ٢٥٨ .
٢ - « الغزو الفرنسى لمصر فى ضوء الوثائق التركية » ، العدد الخامس يناير ١٩٩٠ ، ص١٣٥ - ١٧١ .

- **نجاة عبد القادر الجاسم** : « التطور التاريخى للوعى السياسى القومى فى دولة الكويت والمخاوف البريطانية منه ١٩٣٦ - ١٩٥٣ »، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص٢٣٥-٢٨٥

- **نعمان محمود جبران** : « الأقليات الإسلامية فى أوربا الغربية دراسة لأوضاع الأقلية المسلمة فى ألمانيا الغربية » ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص١٤٩ - ١٨٣ .

- **وجيه عبد الصادق عتيق** : ١ - « الحملة الفرنسية والمتغيرات التاريخية والحضارية » ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص٢٢٧ - ٢٦٩ .
٢ - « الأرشيف الألمانى وكتابة تاريخ مصر المعاصر ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨، ص٦٩ - ٩٢

خامسًا : الآثــار

- **جيرى ل . باكراك ، سهام محمد المهدى** : « دراسة فى النقود الفاطمية ، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣ ، ص١٠٧ - ١١٩ .

- **حسنى محمد نويصر** : ١ - « مئذنة بلا مسجد » ، العدد الأول ، ينـاير ١٩٨٨ ، ص٥٣ - ٩٤ .

٢ - « مضامين شريفة بنصوص تأسيس المدرسة الأشرفية برسباى بالقاهرة (دراسة معمارية حضارية) ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص٢١٧ -٢٧٢.

- **أبو الحمد محمود فرغلى** : « آثار فنية إسلامية من لعبة الشطرنج » ، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص١٧٧ - ٢١٤ .

- **سعاد محمد حسن** : « ثلاث آلات حرب دفاعية من العصر الصفوى بالمتحف القبطى بالقاهرة » ، العدد السابع ، يوليو ١٩٩١ ، ص٣٠٣ - ٣٣٢ .

- **سهام محمد المهدى** : ١ - « دينار فاطمى نادر ضرب فى زبيد عام ٤٤٧هـ » ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص٦٣ - ٦٧ .

٢ - « دينار رشيدى نادر » ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص ٢٠٣ - ٢١٠ .

- **عائشة عبد العزيز محمد التهامى** : « المنشآت المعمارية للسلطانة شجر الدر بمدينة القاهرة » ، العدد الثامن عشر ، يوليو ١٩٩٧ ، ص٢٧ - ٧٧ .

- **عصام عرفه محمود** : « التناسب الهندسى والجمالى بالعمارة الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الميلادى العدد الثامن عشر ، يوليو ١٩٩٧ ، ص٧٩ - ١٦٧.

- **علاء الدين عبد المحسن شاهين** : « الرمزية التاريخية للأقواس التسعة فى المصادر المصرية حتى نهاية الدولة الحديثة » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص٣٥ - ٦٤ .

- **مايسة محمود داود** : ١ - دراسة أثرية وفنية لقطعة ذهبية نادرة من النقود فى صقلية بمجموعة المتحف الإسلامى بالقاهرة » ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص٢٧٣ -٢٩١.

٢ - « اتجاه جديد نحو تفسير ظاهرة وجود الرمزية الأبجدية على السكة الإسلامية »، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص٤٧ - ٨٢ .

- **محمود إبراهيم حسين** : ١ - « العمارة الهندية من خلال التصاوير الإسلامية » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص٤٠١ - ٤٢٤ .

٢ - « مدرسة التصوير الإسلامى على الخزف الأيرانى فى العصور السلجوقية والمغولية » ، العدد الثامن ، يناير ١٩٩٢ ، ص١١٧ - ١٦٠ .

- **مصطفى عبد الله شيحة** : ١ - « أضواء على تاريخ العمارة الدينية فى عصر بنى رسول باليمن » ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص٢٧ - ٦١ .

٢ - « بعض التأثيرات الأسيوية على العمائر والفنون الإسلامية فى اليمن » ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص ٣٥٩ - ٤٠٠ .

سادسًا : المقالات الأجنبية

- **Ahmed Abd El - Kader Galal:** « Readings in the rhetorical Language of same middle Egyptian tales »,vol. 10, Jan. 1993, pp.1-24
- **Hassan El - Basha:** « An Ottoman drawing of the prophet's mosque », vol, 1, Jan. 1988, pp. 1- 6.
- **Mohammed Gamal El- Din El - Messaddy:** « The struggle between Khedive Abbas Hilmi II and the occupation », part I. vol. VI, Jan. 1991. pp. 5 - 14; part. II, vol. vll. July 1991, pp. 5- 20
- **Mohammed Hassan Al-Aidaroos :** « The political Security of Gulf ountry Cooperative council », vol. VI, Jan. 1991, pp. 15-43
- **Mahamoud Ibrahim Hussein** : « Die vergnugungen des hofes un alltagsle ben Zur Zeit der Mamluken ». vol.VII, July.1991. pp. 2-23.
- **Michael G. Morony :** « Aframework for the understanding of early Islamic economic history. ». vol . 15, July 1995, pp. 3-14

سابعًا : المراجعات وعرض الكتب

١ - الكتب العربية والمترجمة

- **أندريه ريمون** : مدن عربية كبيرة فى العصر العثمانى ، عرض وتحليل أيمن فؤاد سيد ، العدد السادس ، يناير ١٩٩١ ، ص٢١٧ - ٢٢٠ .
- **حسن الباشا** : قاعة بحث فى العمارة والفنون الإسلامية ، عرض وتحليل محمود عرفه محمود ، العدد الثالث ، يناير ١٩٨٩ ، ص٣٤٧ - ٣٦٢
- **حسنين ربيع وآخرون** : « رد على مقال الجديد فى وثائق الجنيزه الجديدة للدكتور عطية القوصى ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤ ، ص٣٠٣ - ٣٠٧ .
- **رءوف عباس** : الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، مراجعة عبد الكريم مدون ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص٢٣١ - ٢٤١ .
- **زين الدين شمس الدين نجم** : « دار الوثائق المصرية فى ثلاثين عامًا ١٩٥٤ - ١٩٨٤ » ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٨٨ ، ص٢٠١ - ٢٢٣ .
- **سعيد عبد الفتاح عاشور** : بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته ، عرض محمد نجيب الوسيمى ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩ ، ص٤٢٧ - ٤٣٣ .
- **سيد أحمد على الناصرى** : « قيام وسقوط الفاشية مع مقدمة فى منهج التحليل النفسى للتاريخ، عرض سيد عشماوى، العدد الرابع عشر، يناير، ١٩٩٥، ص٣٦١-٣٦٦.
- **عادل ثابت** : فاروق الأول الملك الذى غدر به الجميع ، عرض عبد العليم أبو هيكل ، العدد الخامس ، يناير ١٩٩٠ ، ص٢٩٥ - ٢٩٩
- **عبد العال عبد المنعم الشامى** : مدن مصر وقراها فى القرن الثامن الهجرى ، عرض وتحليل ونقد سعيد عاشور ، العدد التاسع ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٢٨٩ - ٣٢٣
- **على عزت بيجوفيتش** : الإسلام بين الشرق والغرب ، ترجمة محمد يوسف عدس ، عرض سيد الناصرى ، العدد السابع عشر ، يوليو ١٩٩٦ ، ص٣٠١ - ٣٠٩
- **محمد حرب** : البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة ، عرض وتقديم سيد الناصرى، العدد السادس عشر ، يناير ١٩٩٦ ، ص٢٧٥ - ٢٧٨

- **هيئة تحرير مجلة المؤرخ المصرى** : استدراك وإيضاح حول عرض كتاب مدن مصر وقراها فى القرن الثامن الهجرى ، العدد الحادى عشر ، يوليو ١٩٩٣ ، ص٣٤٧ - ٣٥٠

٢ - الكتب الأجنبية

- **Abd Al- Rhman Badwi:** Defense du la vie du prophete Muhammad contre ses detracteurs;

دراسة وعرض عطية القوصى ، العدد الثانى عشر ، يناير ١٩٩٤، ص٣١٣ - ٣٤٥

Defense du coran contre ses critiques,

دراسة وعرض وتحليل عطية القوصى، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤ ، ص٢٦٥ - ٢٩٤

- **Finley:** The Ancient Economy,

عرض سيد الناصرى ، العدد السابع ، يوليو ١٩١ ، ص٣٣٥ - ٣٤٠

Goitein: A Mediterranean Society,

عرض أيمن فؤاد سيد ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٨ ، ص٣٤٥ - ٣٥٠

Malmut, Elizabeth : Les Iles de L'Empire Byzantin VII^e- XII^e siecles,

عرض ونقد وتحليل سيد الناصرى ، العدد العاشر ، يناير ١٩٩٣ ، ص١٨٩ - ١٩١

- **Mitt man, Siegfried**: Beiträge zur siedungs und territorial - geschte des Nördlichen ost - Jordan Lnds,

عرض وتعليق محمود إبراهيم حسن، العدد الثانى، يوليو ١٩٨٨، ص٢٥٥ - ٢٢٩

Mohammed Abd Al- Whab Said Ahmad: Nasser and American foreign policy (1952 - 1956),

عرض وتقديم سيد الناصرى، العدد السادس عشر، يناير ١٩٩٦، ص ٢٧٩ - ٢٨٢

Rice, David T.: Islamic art,

عرض ودراسة أبو الحمد محمود فرغلى،العدد الأول، يناير ١٩٨٨،ص٣٥١ - ٣٥٨

- **Samule, Alan E.** : From Athens to Alexandria : Hellinism and Social goals in Ptolemaic Egypt,

All Correspondence to be directed to :
Editor - in Chief : Prof. Hamid Zayyan
Cairo University, Faculty of Arts,
Orman, Giza, A. R. E

رقم الإيداع : ٨٨/٧١٣٧

الترقيم الدولى ٩ - ٠٢٦ - ٢٣٨ - ٩٧٧

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS

THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY & CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF
THE DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 19 (January 1998)

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY & CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF
THE DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 19 (January 1998)

المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



حوث

يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة
العدد التاسع عشر يناير ١٩٩٨

محتوى العــدد